أصل هذا الكتاب رسالة مُقدَّمة لنَيْل دَرَجَة الماجستير في التربية الإسلامية
وقد نال صاحبها درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولىٰ

الجوانب التربوية
عند جمال الدين القاسمي

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الجوانب التربوية

عند جمال الدين القاسمي

إعداد

د. عليّ مَهَامَا سَامُوهْ

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الأمير سونكلا - تايلاند

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم علىٰ المحمود في العالمين، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين؛ وبعد:

فإن الله قد تأذن للشاكرين بالزيادة؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي العظيم فإني أشكر الله ﷻ أولًا وآخرًا -وهو المستحق للشكر وأهل للثناء- أن وفقني لإتمام هذه الرسالة، وأسأله ﷻ أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

ثم أتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير للجامعة الإسلامية ولكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في قسم التربية، حيث أتاحت لي فرصة مواصلة الدراسة لمرحلة الماجستير؛ سائلًا المولىٰ ﷻ أن يوفق جميع المسؤولين بالجامعة الإسلامية إلىٰ ما يحبه ويرضاه.

أما شيخي وأستاذي المشرف الدكتور خالد بن حامد الحازمي، الأستاذ بقسم التربية بالجامعة الإسلامية؛ فله عظيم الشكر وجسيم التقدير؛ حيث كان حفظه الله بمثابة المعلم والأب علىٰ ما أولانيه من رعاية واهتمام بالغين طيلة مدة الإشراف، وعلىٰ ما قدّم لي من توجيهات نيرة وإرشادات سديدة كان لها الأثر البالغ في إتمام هذه الرسالة بهذه الصورة، بالإضافة إلىٰ ما كان يتميز به أستاذي من الدقة في التعليق

والنقد والشرح والبيان في فقرات البحث ومتطلباته، الأمر الذي قادني في طريق البحث العلمي من بدايته إلىٰ نهايته.

كما أقدم عميق شكري لكل من ساعدني وقدّم لي من عون وتشجيع من الأساتذة الكرام والزملاء والأحبة؛ فجزاهم الله خيرًا علىٰ ما قدموا، وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

✍ **الباحث**

ملخص الدراسة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الناظر إلىٰ حقب الأمة التاريخي يلحظ جهودًا جبارة وأدوارًا متميزة لعلماء المسلمين في الحفاظ علىٰ قوام الأمة وعقيدتها، والنهوض بها إلىٰ الرقي من خلال سيرتهم العطرة ومؤلفاتهم القيمة.

ومن أولئك العلماء العلامة القاسمي المولود في سنة (١٢٨٣هـ) والمتوفىٰ في سنة (١٣٣٢هـ).

ولقد عاش القاسمي في عصر تميز بالاضطرابات السياسية، والضعف العلمي، والضعف في الضبط الاجتماعي، بما أثر علىٰ نواحي الحياة كلها. الأمر الذي دعاه إلىٰ القيام بالتهذيب والإصلاح من خلال مؤلفاته وجهوده التربوية.

وبعد استعراض علىٰ ما تيسر لي من مؤلفات القاسمي تبيّن أنها احتوت علىٰ كثير من الجوانب التربوية التي ينبغي الإفادة منها في مجال التربية والتعليم.

ومن هذا المنطلق كانت هذه الدراسة لاستجلاء آراء القاسمي حول الجوانب التربوية، وتنسيقها علىٰ نهج تربوي، ليستفاد منها في الميدان التربوي.

بالإضافة إلىٰ أن الدراسة استهدفت الآتي:

١- الوقوف علىٰ المؤثرات التربوية في حياة الشيخ القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- التعرف علىٰ مفهوم ومسؤولية التربية ومعوقاتها عند القاسمي.

٣- إبراز الجوانب التربوية عند القاسمي وعنايته بها.

ولقد استعان الباحث في تحليل الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي.

هذا وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في ثمانية فصول، يسبقها تمهيد، وتتلوها خاتمة وفق العناصر التالية:

- **تمهيد**: اشتمل علىٰ دراسة سيرته الذاتية وجهوده العلمية بالإضافة إلىٰ عصر القاسمي من الناحية السياسية والدينية، والثقافية، والاجتماعية.

- **الفصل الأول: تضمّن تعريف مفهوم التربية، ومسؤوليتها، ومعوقاتها عند القاسمي.**

- **الفصل الثاني: احتوىٰ علىٰ جوانب التربية العلمية، من خلال مباحثه الأربعة، وهي:**

«**المبحث الأول**: مفهوم العلم وفضله، **والثاني**: صفات المعلم، **والثالث** في آداب المتعلم، **ثم المبحث الرابع** في أهم القواعد العملية التربوية».

- **الفصل الثالث: اشتمل هذا الفصل علىٰ التربية الإيمانية، وذلك من خلال إيضاح مفهوم الإيمان وأهميته، والطرق التربوية له، وآثاره التربوية.**

- **الفصل الرابع: وتضمن التربية التعبدية، وتم دراستها في ثلاثة مباحث:**

«**المبحث الأول:** مفهوم العبادة وأهميتها، **والمبحث الثاني:** أسس التربية التعبدية، **والمبحث الثالث:** الآثار التربوية للعبادة».

- **الفصل الخامس: وقد عالج هذا موضوع التربية الفكرية، وذلك في ثلاثة مباحث:**

«**المبحث الأول:** مفهوم الفكر وأهميته، **والثاني:** ضوابط التربية الفكرية، **والمبحث الثالث:** وسائل التربية الفكرية».

- **الفصل السادس: وقد تضمن هذا الفصل موضوع التربية الأخلاقية،** واشتمل علىٰ ثلاثة مباحث: «**المبحث الأول:** مفهوم الأخلاق وأهميتها، **والمبحث الثاني:** قواعد وأصول الأخلاق، **والمبحث الثالث:** وسائل التربية الأخلاقية».

- **الفصل السابع: وقد تم فيه دراسة جانب التربية الجسمية، وذلك في ثلاثة مباحث:**

«**المبحث الأول:** مفهوم التربية الجسمية، **والمبحث الثاني:** الحاجات الجسمية، **والمبحث الثالث:** آداب البناء الجسمي».

- **الفصل الثامن: احتوىٰ هذا الفصل علىٰ جانب التربية المهنية، وقد تم عرضه وفق المباحث التالية:**

«**المبحث الأول:** مفهوم التربية المهنية، **والمبحث الثاني:** أهمية العمل، **والمبحث الثالث:** أخلاقيات العمل».

- **الخاتمة:** واشتملت علىٰ خلاصة الرسالة والنتائج والتوصيات.

• ومن أهم النتائج:

- يعتبر المعلم أحد العناصر التعليمية الفعالة، وله الدور البنّاء في العملية التربوية، ولذلك فإن عليه أن يتحلىٰ بالصفات الحميدة التي تتناسب مع شرف العلم الذي يحمله، ومكانته العالية في المجتمع.

- يرتبط في الغالب إتقان الطالب للمادة العلمية واستفادته منها بتطبيقه لآداب العلم وطريق تحصيله.

- للإيمان أهمية بالغة في بناء وتكوين شخصية المسلم، وله تعلق كبير بالقضايا التربوية وتطبيقاتها.

- أن مفهوم العبادة شامل لجميع نشاطات الإنسان، فالعبادة تشمل الفرائض والواجبات والنوافل، كما أنها تتناول جميع الأمور المباحة من شؤون الدنيا إذا بنيت علىٰ نية حسنة.

- قوّم المنهج الإسلامي الحياة البشرية وعالج جميع شؤونها ورسم للناس طريق الخير وأحاطها بسياج متين من الأخلاق الحميدة. ومن اهتمامات المنهج الإسلامي بالخلق توضيح القواعد والمعايير وأصول الأخلاق التي تساعد علىٰ فهمها فهمًا صحيحًا بعيدًا عن المفاهيم الخاطئة.

- راعىٰ المنهج الإسلامي الحاجات الجسمية وعمل علىٰ إشباعها وتوفير مطالبها وتوجيهها توجيهًا يتفق مع أهداف التربية الإسلامية السامية ويتمشىٰ مع مكانة المسلم وطبيعته البشرية.

- تبْني الأخلاق شخصية الممتهن وعلاقاته الاجتماعية، ولها تأثير بالغ علىٰ زيادة الإنتاج.

• وأما عن أهم التوصيات فهي:

- العمل علىٰ بيان دور الأسرة التربوية، وأهميته في إنجاح العملية التربوية من خلال المواعظ وإقامة الندوات العلمية والدروس التربوية.

- إعداد المعلمين إعدادًا علميًّا ومهنيًّا حتىٰ يؤدوا دورهم التعليمي بنجاح.

- مراعاة بناء المناهج التعليمية علىٰ أسس إيمانية، بما يربي في نفوس الناشئة صحة المعتقد وسلامة البواعث وطمأنينة النفوس وانشراح الصدور.

- مراعاة المربين في تدريسهم لفقه العبادات الربط بالغايات التربوية التي تهذب النفوس وتزكي الأخلاق وتبني شخصية المسلم بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

- وضع دراسة خاصة لضوابط التربية الفكرية بما يحقق سلامة النتاج الفكري.

- إعداد دراسات تربوية تعني بتقعيد وتأصيل القواعد الخلقية من خلال النصوص الشرعية، والخروج بنتائج تفيد المختصين في تطبيقاتهم العملية.

* * *

مُقَدِّمَة

إن المتأمل في حركة التاريخ ومجرىٰ الحياة يجد أن الأمة الإسلامية فيما مضىٰ من العصور كانت هي الرائدة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، والقدوة في الأفكار والنظم التربوية والسياسية، لأنها قامت علىٰ المنهج الرباني المتمثل في اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فلقد كان النبي ﷺ الأسوة الحسنة، والنموذج الأسمىٰ في القيام بمهمة تزكية النفوس. ثم تبعه الخلفاء الراشدون فأدوا الأمانة المنوطة بهم فقدموا للبشرية أفضل حضارة عرفها التاريخ، وأعظم تربية عنيت بالإنسان، وجاء من بعدهم علماء مخلصون فقاموا بواجب الإصلاح والتوجيه خير قيام، وبدا تأثيرهم العلمي والتربوي علىٰ المجتمع الإسلامي آنذاك، ثم امتد تأثيرهم عبر القرون من خلال نتاجهم العلمي، وسيرتهم الحافلة بالجوانب التربوية العظيمة.

ثم تعرضت الأمة الإسلامية لغزو فكري تأثرت به كثير من النظم، التي منها الميدان التربوي حيث تأثرت بالنظريات التربوية غير الإسلامية وفلسفاتها دون نظر لمدىٰ توافقها مع عقيدتنا وتراثنا التربوي.

لذا كان لزاما علىٰ المجتمعات الإسلامية أن تقوم بتأصيل العلوم الحديثة، وربطها بالمنهج الإسلامي، والعمل علىٰ احتوائها، والاستفادة منها في إطارٍ يتوافق مع حاجات الأمة.

ومقدمات التأصيل تتمثل في التعرف علىٰ ما أنتجته قرائح علمائنا الأفذاذ، والوقوف علىٰ آرائهم ومبادئهم التربوية التي حوتها مؤلفاتهم وضمنتها آثارهم العلمية.

ولقد لفت نظري أثناء البحث عن موضوع رسالة الماجستير أن للباحثين المعاصرين كتابات حول الآراء التربوية لبعض العلماء الذين عنوا بالتأليف حول موضوعات التربية، كأمثال الإمام الخطيب البغدادي(١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٢)، والحافظ ابن رجب(٣)، وغيرهم كثير . . .

ورغم الكتابات الكثيرة والجديرة حولهم إلا أن هناك من العلماء البارزين مَن هو خَلِيقٌ بدراسة وجمع جهوده التربوية.

ومن أولئك العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المولود في سنة (١٢٨٣هـ) والمتوفىٰ في سنة (١٣٣٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ والذي يُعد أحد هؤلاء الأعلام الربانيين، والدعاة المصلحين الذين لهم إسهامات تربوية يمكن أن تثري واقعنا التربوي المعاصر من خلال مؤلفاته القيمة، وجهوده التربوية علىٰ صعيد الواقع، يقول عنه الشيخ محمد رشيد رضا(٤):

«لقد أحيا السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، وكان أحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن(٥)».

---

(١) مثل دراسة سالك أحمد معلوم، بعنوان (الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي).

(٢) مثل دراسة ماجد عرسان الكيلاني بعنوان (الفكر التربوي عند ابن تيمية).

(٣) مثل دراسة حسن بن علي الحجاجي بعنوان (الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي).

(٤) هو محمد رشيد بن علي رشا بن محمد القلموني، البغدادي الأصل، ولد سنة ١٢٨٢هـ، محدث، مفسر، مؤرخ، أديب، أنشأ مجلة المنار، وجعل موضوعها الأولىٰ الإصلاح، له من المؤلفات: الخلافة والإمامة العظمىٰ، الوحي المحمدي، الوهابيون والحجاز، توفي سنة ١٣٥٤هـ الأعلام: (٦/ ٣٦١-٣٦٢) ومعجم المؤلفين: (٣/ ٢٩٣).

(٥) مجلة المنار (العدد السابع عشر) (ص٥٥٨).

وباستعراض مؤلفات القاسمي تبيّن أنها احتوت علىٰ كثير من الجوانب التربوية التي ينبغي الإفادة منها في مجال التربية والتعليم.

فلقد نوه رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أهمية التربية ومكانتها، بقوله: «أجمع الباحثون في أحوال العمران، ونواميس[١] المدنية علىٰ أن التربية والتعليم هما الوسيلة الوحيدة، والواسطة العظمىٰ في ارتقاء الأمم علىٰ منصات الحضارة، وبلوغها ما تطمح إليه من الآمال الكبار ...[٢]».

كما بين رَحِمَهُ اللَّهُ الأدوات التي تقوم عليها التربية بأنها «... عبارة عن العلم الصحيح، والمعلم الكامل[٣]، والأخلاق المهذبة، وحسن الأسوة من الأهل والأقران، وإحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالآداب والكمال ...[٤]».

ويرىٰ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ أن علىٰ الأسرة المسؤولية الكبرىٰ في تربية النشء، وأنها إما أن تكون منشأ خير للمربىٰ، أو معول هدم للدين والأخلاق[٥].

كما تعرض القاسمي إلىٰ قضية العلم والتعلم مشيرًا إلىٰ أهميتها وعلو مكانتها في الإسلام[٦].

ووضح رَحِمَهُ اللَّهُ الطريق الأمثل للتدريس وهو طريق المحاورة، فقال في هذا المجال: «... طريقة التحاور وهي أن لا يلقن المعلم الطلبة ما

---

(١) **نواميس**: قوانين المدنية. انظر: (المعجم الوسيط: مادة نمس ٩٥٤).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي، (ص٤٤).
(٣) ولو عبر بالمعلم الحاذق لكان أنسب؛ لكون صفة الكمال لله تعالىٰ.
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٣٤).
(٥) المصدر السابق (ص٤٥).
(٦) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٢-٤٧).

يريد من الأحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب، أو يقلدوه مجرد تقليد في فهمها، ولكن لا يزال معهم في أخذ ورد وبحث وتمثيل . . . وأن يمرنهم -أيضا- علىٰ القدرة علىٰ التعبير . . . وأن يمرنهم علىٰ إثبات المدعىٰ بالبرهان الصحيح[(١)] . . .».

ولقد تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن صفات المعلم الجيد[(٢)]، وآداب المتعلم[(٣)]، والآداب الاجتماعية[(٤)]، والقوانين الصحية[(٥)]، وغيرها كثير كما سيأتي بيانه في ثنايا المباحث.

وعلىٰ ضوء ما سبق يمكن القول بأن العلامة القاسمي قد أسهم إسهامًا عظيمًا في مجال التربية، الأمر الذي يدعو للوقوف علىٰ هذه الجوانب التربوية المتناثرة في مؤلفاته، ودراستها وتنظيمها علىٰ نهجٍ تربوي، والاستفادة منها في المجالات التربوية.

أهمية البحث:

إن دراسة الجوانب التربوية عند الشيخ القاسمي من خلال كتبه المختلفة القيمة لها أهمية بالغة؛ للدواعي الآتية:

١. أن الشيخ جمال الدين القاسمي يعتبر أحد المصلحين التربويين الذين لهم جهود بارزة في العناية بمذهب السلف في القرن الرابع عشر

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٥)
(٢) المصدر السابق (ص٢٣-٢٥).
(٣) المصدر السابق (ص٢٨-٣٤).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٩٦-٢٣٠).
(٥) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٩-١٠٠).

الهجري[١]، وله مكانته العلمية العالية في عصره، ومنزلته الاجتماعية.

٢. أن الوقوف علىٰ حياته المشرقة الحافلة بالجد والاجتهاد والعمل في: التدريس والتأليف والدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة والوعظ يستنهض الهمم، ويدفع العزيمة إلىٰ الأمام، كما يفيد هذا في إبراز جانب القدوة المتمثلة في شخصية هذا المربي والعالم الجليل.

٣. الحاجة إلىٰ تأصيل علوم التربية، ولا سيما بعد أن داهمها بعض المصنفات التربوية الغربية، وامتد تأثيرها إلىٰ الميدان التربوي في بعض المجتمعات الإسلامية؛ لذا فإن جمع الجوانب التربوية عند القاسمي في رسالة علمية ستسهم -بإذن الله- في زيادة تأصيل هذه العلوم، وتأكيد الأصالة المنهجية.

٤. وفرة الجوانب التربوية في كتب القاسمي المختلفة مما يحتاج إلىٰ جمعها وإبرازها في نسق تربوي لتكوين قاعدة مرجعية تسهم -بإذن الله- في انطلاق الدراسات التربوية المعاصرة.

٥. الإسهام والاستجابة لتوصيات المؤتمرات والندوات في التربية الإسلامية بشأن دراسة الجوانب التربوية عند علماء السلف، وجهودهم للاستفادة منها[٢].

٦. الاستفادة من الجوانب التربوية عند القاسمي في التطبيقات العلمية، والممارسات العملية لإعداد المعلمين والمتعلمين إعدادا صحيحا.

---

(١) منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة، لمحمد خضي، (ص٢-٣) وجمال الدين القاسمي علمه ودعوته عبدالعزيز الأحيدب، (ص٣).

(٢) مثل مؤتمر بناء نظرية التربية الإسلامية: عمان، أوائل محرم ١٤١١هـ، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة، ١٤١٣هـ.

أهداف البحث:

سيركز هذا البحث علىٰ تحقيق الأهداف الآتية -بإذن الله تعالىٰ-:

١- الوقوف علىٰ المؤثرات التربوية في حياة الشيخ القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- التعرف علىٰ مفهوم ومسؤولية التربية ومعوقاتها عند القاسمي.

٣- إبراز الجوانب التربوية عند القاسمي واستخلاصها، وتوظيفها بما يحقق الاستفادة منها في واقعنا التربوي، واقتراح ما يمكن تطبيقه منها.

تساؤلات البحث:

لما أن البحث يهدف إلىٰ بيان الجوانب التربوية عند القاسمي من خلال مؤلفاته، والمصادر التي ترجمت عنه، مع إبراز اهتمامه وعنايته بهذه الجوانب، واستخلاص التوجيهات التربوية، وتوظيفها بما يحقق الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم، فإن التساؤلات التي تدور حول الموضوع تبرز في الأسئلة التالية:

١- ما المؤثرات التربوية في حياة القاسمي وانعكاسها علىٰ منهجه التربوي؟

٢- ما مفهوم التربية ومسئوليتها كما يراها القاسمي؟

٣- ما معوقات العملية التربوية في نظر القاسمي؟

٤- ما أبرز الجوانب التربوية التي عنىٰ بها القاسمي في مصنفاته؟

٥- ما الإرشادات التربوية التي يمكن استخلاصها من نتاج القاسمي العلمي؟

حدود البحث:

ولما كانت الجوانب التربوية متعددة مما يصعب تغطيتها بدراسة علمية وافية؛ فإنه من المناسب تحديد معالم هذه الدراسة حتىٰ يمكن استيفاؤها بالبحث والتفصيل بما يلي:

- حصر الدراسة في الجوانب التربوية عند القاسمي، وهي: «التربية العلمية، والإيمانية، والتعبدية، والفكرية، والأخلاقية، والجسمية، والمهنية»، مع بيان مفهوم ومسؤولية التربية ومعوقاتها عنده.

- اقتصار الدراسة علىٰ مؤلفات القاسمي، وبعض المصادر التي ترجمت له، مع التركيز علىٰ الكتب التي اشتملت علىٰ الجوانب التربوية عنده.

- تحديد الدراسة في الفترة التي عاشها القاسمي من الناحية الثقافية، والسياسية، والدينية، والاجتماعية، وهي ما بين (١٢٨٣هـ-١٣٣٢هـ)، مع النفاذ إلىٰ الفترة الزمانية التي سبقت عصره والذي تلاه ضمن الحدود التي يستدعيها البحث.

منهج البحث:

نظرا لأن طبيعة البحث متعلقة بالجوانب التربوية لدىٰ عالم من العلماء من خلال دراسة مصنفاته والمصادر التي ترجمت عنه؛ فإنه يتطلب استخدام المناهج التالية:

١- المنهج الوصفي التحليلي: «وهو دراسة تحليل ما حصل عليه

الباحث من معلومات تحليلا رسميا أو تحليلا كيفيا[١]»[٢].

ويستخدم هذا المنهج لدراسة الجوانب التربوية في فكر الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال الجمع والوصف والتحليل لها.

٢- المنهج الاستنباطي: وهو «استنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة[٣]».

ويستخدم هذا المنهج لاستنباط الجوانب التربوية من خلال مضامين مؤلفات القاسمي.

وإضافة إلىٰ ما سبق فإن من لوازم منهج البحث لهذه الدراسة إخراجها علىٰ المنهج العلمي من خلال:

١- ترقيم الآيات وعزوها إلىٰ مواضعها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما يكتفىٰ بذلك، وإن كان في غيرهما يوضح درجة الحديث من خلال أقوال العلماء.

٣- ترجمة الأعلام التي سترد في هذه الدراسة سوىٰ المشهورين.

٤- التعليق علىٰ بعض المسائل المختلفة فيها عند الحاجة.

٥- إحالة المادة العلمية إلىٰ مصادرها الأصلية ما أمكن ذلك.

---

(١) **التحليل الكيفي**: هو الأسلوب الذي يعتمد فيه بشكل أساس علىٰ الكلمات والعبارات في عمليات البحث.

والتحليل الكمي: هو الأسلوب الذي يعتمد فيه علىٰ الأرقام عند تحليل المادة العلمية. (قواعد أساسيات البحث العلمي، لسعيد إسماعيل صيني (ص٨٤-٨٥).

(٢) المدخل إلىٰ البحث في العلوم السلوكية، لصالح العساف (ص٢٠٦).

(٣) مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، لمقداد يالجن، (ص٢٢).

٦- عمل الفهارس اللازمة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والمراجع والموضوعات.

مصطلحات البحث:

الجوانب التربوية: هي المجالات التربوية المتعلقة ببناء الشخصية المسلمة[(١)] كما يراها القاسمي.

التربية الإسلامية: هي تنشئة المسلم شيئًا فشيئًا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي[(٢)].

الدراسات السابقة:

أولًا: الدراسات التي لها صلة مباشرة بالبحث الحالي:

١- دراسة بعنوان «**جمال الدين القاسمي والتربية في عصره**»، بحث مقدم لنيل شهادة الكفاءة في التربية، بالجامعة اللبنانية، كلية التربية، تقدم بها الباحث مارون سمعان رعد عام ١٩٧١م.

ابتدأ الباحث دراسته بترجمة الشيخ القاسمي فتكلم من خلالها عن مولد القاسمي، ونشأته، وشيوخه، وأخلاقه، ومذهبه، وبعض تصانيفه، كما تحدث عن طريقته في التأليف، ورحلاته العلمية.

وقد ركز الباحث علىٰ واقع التربية في عصر القاسمي من خلال جهود المربين في عصره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم ذكر الباحث بعضًا من الجوانب التربوية عند القاسمي، وهي كالآتي:

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، لمقداد يالجن (ص٦).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص٢٩).

١- التربية الأخلاقية.

٢- التربية الاجتماعية.

٣- التربية المنزلية.

كما بين آراءه ومواقفه الدينية وذلك من خلال العناصر التالية:

١- موقفه من الدين والعقل.

٢- موقفه من التكفير.

٣- رأيه من المذاهب والفرق.

٤- موقفه من الإسلام والنصارىٰ.

وكان جل اعتماد الباحث في كتابته علىٰ كتاب القاسمي «جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب».

هذا وإن ما قام به الباحث يعد حسنًا في إبراز آراء القاسمي التربوية إلا أن ما طرحه من الآراء لا تعطي الشمولية ولا تحيط بالجوانب التربوية عند القاسمي.

فالباحث لم يوضح مفهوم مسؤولية التربية عند القاسمي ومعوقاتها، ولم يتناول معظم الجوانب التربوية لديه كالتربية الإيمانية والعلمية ... وغيرها من الجوانب الأخرىٰ.

كما أنه لم يعتمد في كتابته علىٰ كتب القاسمي الأخرىٰ والتي تحتوي علىٰ معلومات تربوية قيمة ككتاب «موعظة المؤمنين»، وكتاب «الوعظ المطلوب»، وكتاب «قواعد التحديث» ... وغيرها كثير.

ولذا سوف يتناول البحث الحالي الجوانب التربوية عند الشيخ القاسمي بشكل أوسع، والوصول إلىٰ نتائج أشمل -بإذن الله-.

ثانيًا: الدراسات التي صلتها غير مباشرة بالبحث الحالي:

هناك دراسات علمية صلتها غير مباشرة بالبحث الحالي إلا أنها ستفيده في جانب أو أكثر -بإذن الله- ومن تلك الدراسات:

١- دراسة بعنوان «**جمال الدين القاسمي علمه ودعوته**» بحث مكمل لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الدعوة والاحتساب، تقدم بها الباحث عبد العزيز بن إبراهيم الأحيدب، عام ١٤٠٧هـ.

٢- دراسة بعنوان «**القاسمي ومنهجه في التفسير**» رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، تقدم بها الباحث إبراهيم بن علي الحسن، عام ١٤٠٩هـ.

٣- دراسة بعنوان «**منهج القاسمي في تقرير العقيدة**» رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة، تقدم بها الباحث محمد بن أحمد خضي عام ١٤١٢هـ.

واستفادة البحث الحالي من تلك الدراسات السابقة في الأساليب التي استخدمها الباحثون في دراستهم، وفي الجوانب التي لها علاقة بالبحث، وهي كالتالي:

١- المعلومات الوافية عن حياة الشيخ القاسمي وعصره.

٢- مؤلفات الشيخ القاسمي مع بيان منهجها وموضوعاتها.

وتختلف الدراسة الحالية عن تلك الدراسات في كونها دراسة مستقلة تستهدف الإلمام بالجوانب التربوية في فكر الشيخ القاسمي، واستخلاص الجوانب التربوية لديه، والاستفادة منها في مجال التربية والتعليم، وهو موضوع لم تتطرق له تلك الرسائل العلمية السابقة.

تمهيد

القاسمي حياته وعصره

تمهيد

يجدر قبل الحديث عن الجوانب التربوية عند القاسمي الوقوف علىٰ سيرة القاسمي الذاتية التي من خلالها يمكن التعرف علىٰ العوامل التي أثرت في فكره وآرائه ونهجه التربوي.

وكذلك من المهم الوقوف علىٰ نتاجه العلمي الذي يمكن من خلاله استجلاء دوره التربوي ومواقفه المُشْرقة في ذلك.

وإن من متطلبات هذه الدراسة التحدث عن طبيعة العصر الذي عاش فيه القاسمي؛ وبخاصة النواحي السياسية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية؛ بغية الوصول إلىٰ الجوانب التي أثرت في شخصية القاسمي، وثقافته، وفكره، وعقيدته . . .

هذا، وليس الهدف من هذه الدراسة تقصّي الجزئيّات التّاريخية في الفترة التي عاشها القاسمي، والإلمام بتفاصيلها، بقدر ما هو تسليط الضوء علىٰ أهم النّواحي السّياسيّة والعلميّة والدينيّة والاجتماعيّة التّي كوّنت فكر القاسمي وأثّرت علىٰ ثقافته ودوره الإصلاحي ونتاجه العلمي.

وفي التمهيد الآتي إبراز للعصر الذي عاش فيه القاسمي، مع دراسة سيرته الذاتية ونتاجه العلمي.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

حياته الشخصية وجهوده العلمية

المطلب الأول

سيرة القاسمي الذاتية

أولًا: نسبه وولادته:

هو الشيخ: «أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي. والقاسمي نسبة إلىٰ جده قاسم[١] بن صالح الملقب بالحلاق[٢]».

---

(١) قاسم بن صالح بن إسماعيل الحلاق، ولد سنة ١٢٢١هـ، كان فقيها، مفسرا، ومحدثا، وناظما، ورعا، زاهدا، له مؤلفات منها: رسالة في مسائل الرضاع، وإعانة الناسك في أداء المناسك، والتوسلات الحسنىٰ بنظم أسماء الله الحسنىٰ، توفي سنة ١٢٨٤هـ. الأعلام، للزركلي (٥/ ١٧٧)، ومعجم المؤلفين، للكحالة (٨/ ٦٧).

(٢) شرف الأسباط، للقاسمي: (ص٨٢) وجمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٠) والشيخ جمال الديق القاسمي حياته وآثاره، محمد رياض المالح، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثاني، ١٤١٤هـ (ص٨٢)، وأعلام المفسرين، لمحمد عبدالعظيم دكروري، مجلة الفيصل، العدد (٢٠١) ربيع الأول ١٤١٤هـ (ص١١٠)، وجمال الدين القاسمي علامة الشام، لعدنان صادق الدبسي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٣) ١٤١٥هـ (ص٢٨٩).

«وجمال الدين هو أول من شهّر هذه النسبة، وكانت أسرته قبل ذلك تعرف بأسرة: (الحلاق[١])[٢]».

ومما ينبغي التنويه هنا أن المترجمين له قد اختلفوا حول اسمه ونسبه:

١- فصاحب كتاب (معجم المؤلفين) يرىٰ أن اسمه: محمد بن سعيد بن قاسم[٣].

٢- ويرىٰ الشيخ عبد الحفيظ الفاسي[٤] أن اسمه: جمال الدين محمد بن محمد بن سعيد[٥].

والصحيح أن اسمه **(جمال الدين)** وكلمة **(محمد)** من باب الإضافة؛ كما هي العادة في أكثر البلاد الإسلامية[٦]؛ وذلك لأمور:

أ- ما ذكره الزركلي[٧] في كتاب الأعلام بأن اسمه: **(جمال الدين)**

(١) وسبب تسمية الأسرة بالحلاق هو أن الجد قاسم بن صالح كان يكتسب في صنعة الحلاقة أربعين سنة. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، للعجمي (ص٢٨).

(٢) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم علىٰ الحسن (ص٢٤).

(٣) معجم المؤلفين، للكحالة (١/ ٥٠٤).

(٤) هو عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفهري الفاسي، أبو الفضل، ولد ١٢٩٦هـ، قاض، مؤرخ، له مؤلفات منها: رياض الجنة، خبايا الزوايا، مراسلات معاصرية، توفي سنة ١٣٨٣هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (٢/ ٦٨).

(٥) رياض الجنة (١/ ٢٢٠).

(٦) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم الحسن (ص٢٥).

(٧) هو خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي، الدمشقي، ولد سنة ١٣١٠هـ، مؤرخ، شاعر، دبلوماسي، له مؤلفات منها: ما رأيت وما سمعت، وعامان في عمان، والأعلام، توفي سنة ١٣٩٦هـ. الأعلام (٨/ ١٧٨).

أو **(محمد جمال الدين)**، وهذا يفيد أنّ اسمه إذا كان مفردًا فهو **(جمال الدين)** وإذا كان مركبًا فهو **(محمد جمال الدين)**[(١)]. والزركلي أحد تلاميذه فهو أعلم بحاله من غيره.

ب- أن القاسمي في مؤلفاته أو في ترجمته لنفسه يذكر أن اسمه: **(جمال الدين**[(٢)]**)** أو **(محمد جمال الدين**[(٣)]**)**.

ج- أن بعض من يعرفه قد يطلق عليه اسم **(جمال)** فقط مما يدل علىٰ أن ذلك اسمه لا كنيته[(٤)].

وأما الاختلاف في نسبه؛ فيرىٰ الزركلي أن القاسمي من سلالة الحسين رضي الله عنه[(٥)].

والصواب أنه من سلالة الحسن رضي الله عنه؛ ذلك أن آل القاسمي يرجع نسبهم إلىٰ الشيخ الجيلاني[(٦)]، الذي يتصل نسبه إلىٰ الشجرة النبوية

---

(١) الأعلام، للزركلي (٢/ ١٣٥).

(٢) شرف الأسباط، للقاسمي: (ص٨٢) وقواعد التحديث له أيضا: (ص٤٢٦).

(٣) انظر علىٰ سبيل المثال نهاية الصفحات من الكتب التالية: الوعظ المطلوب، قواعد التحديث، موعظة المؤمنين.

(٤) جريدة الشام عدد (١٨٣) بتاريخ ٢٧ شوال سنة (١٣١٧) وجريدة ثمرات الفنون عدد (١٣٧٠) بتاريخ ٢٦ شوال سنة (١٣١٧هـ). نقلا عن كتاب بيت القصيد في ترجمة الوالد السعيد، للقاسمي: (ص٢١٥-٢١٦).

(٥) الأعلام (٢/١٥٣).

(٦) هو عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله، الجيلاني أو الكيلاني، ولد سنة ٤٧١هـ، برع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر بين المتصوفة، له مصنفات منها: فتوح الغيب، والفيوضات الربانية، والغنية لطالب الحق. توفي سنة ٤٧١هـ. الكامل، لابن الأثير (١١/ ١٢١) وشذرات الذهب، لابن العماد (٤/ ١٩٨).

المطهرة المنتهية بالحسن بن علي رضي الله عنه[١].

وأما نسبه من جهة أمه[٢]؛ فهي من آل الدسوقي، حيث يتصل نسبها بنسب إبراهيم الدسوقي[٣]، الذي يتصل نسبه بالحسين بن علي رضي الله عنه[٤]. وبذلك فالقاسمي قد حاز شرف النسب من الجهتين.

والأصل في وجود أسرة القاسمي بالشام أنه «نزح آل القاسمي من نحو ثلاثمائة من بغداد، ولما وصلوا إلىٰ حدود الشام نزلوا في دير عطية من جبل القلمون، فأقاموا فيها[٥]».

ولد رحمه الله في ضحوة يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٣هـ) في دمشق[٦].

ثانيًا: صفاته الخُلُقية:

لا شك أن اتصاف المربي بالأخلاق الحسنة يساعده في أداء مهمته التربوية علىٰ أكمل وجه؛ بل يجعله قدوة حسنة للذين ينظرون إليه، ويقتدون به في أقواله وأفعاله. فإذا ما اتصف المربي بهذه الأخلاق، وطبقها في حياته العملية والتربوية؛ فإنه يمثل بهذا واقعًا حيًّا معيشًا يعطي

(١) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، لمحمد العجمي (ص٢٥).
(٢) هي فاطمة بنت محمد بن محمد بن يحي الدسوقي. شرف الأسباط، للقاسمي (ص٦٩-٧٣).
(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الدسوقي، أبو إسحاق، ولد سنة ٨٣٣هـ، كان صوفيا من أهل دمشق، توفي سنة ٩١٩هـ. الأعلام، للزركلي (٦٦/١).
(٤) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، لمحمد العجمي (ص٢٥).
(٥) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، لمحمد العجمي (ص٢٥).
(٦) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٢)، وشيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي: (ص١٥).

لغيره القناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة؛ وبخاصة أن شاهد الحال أبلغ من شاهد المقال؛ وبالتالي فإنهم يحاولون أن يترجموا هذه القناعة إلىٰ تطبيق عملي. ولقد كان المربي العلامة القاسمي يتمثل بجانب كبير من الصفات الفاضلة، والأخلاق الحسنة. فلقد كان طيب القلب، نزيه النفس، واللسان، والقلم، عفيفًا قانعًا، برًّا بأهله، وفياًّ لإخوانه كريمًا، جميل العهد، جميل الود[١].

اشتهر بالحلم والعفو مع خصومه، ولا يجادلهم إلا بالتي هي أحسن. فقد «شاهده تلميذه مرة يأخذ حقاً له من خصمه حكم له به القاضي، فسلمه حقه أمامه وهو يخاطبه بألفاظ بذيئة . . .، فأخذ الغضب التلميذ وانتصر لأستاذه، فوجّه للخصم كلمات التأنيب، فلامه القاسمي لومًا عظيمًا، وقال له: «أصلحك الله، شخص صعب عليه أداء الحق، ففرج عن نفسه بكلمات لا تليق، فاتركه يُنفّس عن كربه، وما حزني بكلامه، إنما آمل أن أوجر بصبري علىٰ مثله[٢]».

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ متواضعًا لا يسمح لأحد بتقبيل يده لا لأهله ولا لبنيه، وكان لا يعطي زوجته ولا أولاده المنديل الذي يبصق به؛ بل يغسله بيده، ولا يمكّن أحدا منهم من غسله كيلًا يكلفهم شيئًا يتقزّزون منه[٣].

كما عرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالكرم علىٰ قلة ذات يده، ومات ولم يترك شيئًا يذكر، ومن كرمه أنه كان يرتب لوالدته كمية كثيرة من الدراهم، كل مدة يدفعها لها في الوقت المعين، فقالت له: لا حاجة لي بالدراهم لأنني قد

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للإستنبولي (ص١٧).
(٢) المصدر السابق: (ص١٨).
(٣) المصدر السابق: (ص١٩)

كفيت جميع ما يلزمني. فقال لها: إنك تحتاجين إلىٰ النقود لِتُفرحي بها أولادك وأحفادك الصغار. فسُرّت من قوله، ودعت له[(١)].

يقول محمد كرد علي[(٢)] واصفًا القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رزق الصديق العلامة صفات إذا جمع بعضها لغيره عدّ قريع[(٣)] دهره، ووحيد عصره، فقد كان طلق المحيا، وافر المادة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة، جميل العهد، جميل الود.

وكان لا يزال بلا جدال جمال الدين والدنيا، ما اجتمع به أحد إلا تمنىٰ لو طال بحديثه استمتاعه ليزيد في الأخذ عنه، والتشبع بفضائله[(٤)] . . .».

وبهذه الأخلاق الحسنة والصفات الجميلة استطاع القاسمي -بعد فضل الله تعالىٰ- أن ينشئ جيلًا صالحًا لهم الدّور التّربوي الفعّال في المجتمع[(٥)].

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص١٨).

(٢) محمد بن عبد الرزاق بن كرد علي، ولد سنة ١٢٩٣هـ بدمشق، مؤرخ، كاتب، صحفي، تولىٰ تحرير جريدة الشام، وغيرها من الجرائد، وأنشأ مجلة المقتبس، والمجمع العلمي، له مصنفات منها: خطط الشام، والإسلام والحضارة العربية، وأمراء البيان، توفي سنة ١٣٧٢هـ. الأعلام (٦/ ٢٠٢-٢٠٣)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٤٠٦).

(٣) **القريع**: السَيّد. لسان العرب (مادة قرع ١١/ ١٢٢).

(٤) من مقدمة كتاب الوعظ المطلوب، لجمال الدين القاسمي، تحقيق محمد العجمي (ص١٧).

(٥) انظر دور تلاميذ القاسمي التربوي تحت مطلب بعنوان: تلاميذه من هذه الرسالة.

ثالثًا: عقيدته:

إن العقيدة الصحيحة المستقاة من نور الوحي هي الزاد الأساس في سير قافلة التربية؛ إذ بصلاحها تصلح أحوال الأمة، وتستقيم لها دينها وأخلاقها وأفكارها.

كما أن صلاح العقيدة ونشرها، والدعوة إليها سبب رئيس في رفعة الإسلام، والتمكين في الأرض؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ . . . [النور: ٥٥].

ولمكانة العقيدة في نفوس الأفراد والمجتمعات، وأهميتها في بناء كيان الأمة اهتم القاسمي وأولىٰ العناية بها، حيث ألف فيها المؤلفات التي توضح معالمها، ومن تلك المؤلفات:

دلائل التوحيد، وكتاب شرح العقائد وغيرها . . .

قال الشيخ محمد رشيد رضا[١]: «كان يتحرىٰ مذهب السلف في الدين، وينصره في دروسه ومصنفاته[٢]».

وقال الأستاذ الزركلي[٣]: «جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم . . . إمام الشام في عصره، . . . كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد[٤]».

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) مجلة المنار (٨/ ٦٣٢).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الأعلام، للزركلي (٢/ ١٢٥).

كما أنه رَحِمَهُ اللهُ دعا إلىٰ العقيدة الصحيحة، وربى تلاميذه عليها، وكان يقول لهم: «عليكم أن تفكروا بتفكير خصوم السلفية، وتأتوني بحججهم وشبههم لأرد عليها[١]».

ومما ينبغي التنبيه هنا أن القاسمي نشأ نشأته الأولىٰ في بيئة صوفية بعيدة عن المنهج السلفي المستقىٰ من نور الكتاب والسنة. فكان في أول حياته ينهج المنهج الصوفي في السلوك، ويعتقد باعتقاد الأشاعرة في باب الأسماء والصفات وغيرها من مسائل العقيدة، مما أدىٰ وراء هذه النشأة وجود بعض المخالفات القليلة لمذهب السلف في مؤلفاته[٢].

ثم عدل عن هذا المنهج، وتحوّل إلىٰ العقيدة السلفية، وصار ينافح ويدافع عنها، ويدعو إليها، ويرد علىٰ تلك المذاهب الباطلة[٣].

ومن المناسب في هذا المقام إيراد بعض أقواله في مسائل العقيدة؛ تأييدًا لما سبق ذكره:

يقول رَحِمَهُ اللهُ في أهمية العقيدة الصحيحة: «يشترط في الخطيب أن يكون عالما بالعقائد الصحيحة حتىٰ لا يزيغ ويؤذي الناس بسوء عقيدته في درك ظلمات الضلال فتسوء العقبىٰ[٤]».

وأما في باب الأسماء والصفات؛ فيقول: «نَصِفُه بما ثبتت به

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي: (ص٩١).
(٢) انظر -مثلا-: كتاب الجرح والتعديل للقاسمي: (ص١٨-١٩).
(٣) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم الحسن (ص٣٧)، ومنهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة، لمحمد بن أحمد خضي: (ص٦٧).
(٤) إصلاح المساجد من بدع العوائد، للقاسمي (ص٦٨).

الرواية، وصحت عن رسول الله ﷺ وأنه ليس كمثله شيء، في كل شيء، بإثبات الأسماء والصفات، ونفي التمثيل والأدوات[١]».

كما حذر رحمه الله من البدع، فقال: «لا يخفىٰ أن النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم حذروا قومهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمروهم بالإتباع الذي فيه النجاة من كل محذور[٢]».

ومما سبق بيانه فإنه يمكن القول بأن القاسمي قد تحول من منهجه السابق إلىٰ المنهج السلفي المستقىٰ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

رابعًا: وفاته:

بعد حياة موقوفة علىٰ الإصلاح تعلّمًا وتعليمًا وتربيةً أدركه رحمه الله قضاء الله الذي لا رادّ له.

فقد توفي القاسمي ليلة السبت ٢٢ جمادي الآخرة بعد ما أصيب بالحمىٰ أيامًا قليلة من رحلته إلىٰ فلسطين في سبيل الاجتماع بالعلماء، والإطلاع علىٰ الكتب النادرة، وكان له من العمر تسع وأربعون سنة[٣].

ويجدر التنويه هنا أنه قد اختلف في تحديد سنة وفاته علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه توفي عام ١٣٣١هـ[٤].

---

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٨٨).
(٢) إصلاح المساجد من بدع العوائد، للقاسمي (ص١٠).
(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٦٧٨).
(٤) منتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (٢/ ٧١٧).

القول الثاني: أنه توفي عام ١٣٣٢هـ[١].

القول الثالث: أنه توفي عام ١٣٣٨هـ[٢].

والراجح من الأقوال -والله أعلم- أنه توفي في سنة ١٣٣٢هـ؛ لما يلي[٣]:

أ- أن هذه السنة هي السنة التي ذكرها ابنه: ظافر القاسمي[٤] في ترجمته له، وهو أعلم بحال أبيه من غيره.

ب- أن أكثر من ترجم له ذكروا وفاته في ذلك العام[٥].

أن بعض الصحف والمجلات والمراسلات التي تمت بين تلاميذ القاسمي وأقرانه ذكرت نعيه في ذلك العام[٦].

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص١٥) وفهرس الفهارس، للكتاني (١/ ٣٨٥) ومعجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٥٠٤) والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٥٢).

(٢) رياض الجنة، لعبد الحفيظ الفاسي (١/ ١٧٨).

(٣) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم الحسن (ص٤٠).

(٤) هو ظافر بن جمال الدين بن محمد القاسمي، ولد سنة ١٣٣١هـ، عالم، أديب، لغوي، محامي، وله من المؤلفات: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، والحياة الاجتماعية عند العرب، والجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، توفي سنة ١٤٠٤هـ الأعلام: (٢/ ٢٣٦) وتكملة معجم المؤلفين: (ص٢٦٠).

(٥) جمال الدين القاسمي، وعصره، لظافر القاسمي (ص٦٧٨) وشيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص١٥) وفهرس الفهارس، للكتاني (١/ ٣٨٥) ومعجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٥٠٤) والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٥٢).

(٦) مجلة المقتبس (٨/ ١٠٥) ومجلة المنار (١٧/ ٥٦٠) ومجلة الرسالة العدد ١١٦ جمادي الثانية ١٣٥٤ (ص٥٥٥) والرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، جمعه: محمد العجمي: (ص٢٤٠).

المطلب الثاني
الجانب العلمي في حياة القاسمي

أولًا: نشأته العلمية:

تميّز بيت القاسمي بالعلم والأدب، مع ما حباهم الله إيّاه من شرف النّسب، فقد تسلسل منهم العلماء الأجلاء، وتعدّد فيهم الأدباء النجباء، يقول الشيخ عبد الحفيظ الفاسي(١) فيهم: «بيت شرف وعلم ومجد وفضل، تعدد فيهم العلماء والصلحاء والأدباء(٢)».

فقد كان جد القاسمي الشيخ قاسم بن سعيد الحلاّق(٣) من كبار علماء عصره، فقيه الشام ومصلحها، تصدّر للتعليم، والإفادة، والتّأديب في جامع سيباي بدمشق، ثم إمامًا وخطيبًا بجامع حسان بدمشق إلىٰ أن توفّاه الله(٤). وكذلك كان والده محمد سعيد(٥) فقيهًا، عالمًا، أديبًا، أمّارًا بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، قام بالإمامة في جامع السنانية بدمشق بعد أن توفي والده، وأحيا دروسه فيه وانتفع

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) رياض الجنة، له (١/ ١٧٦).
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، لمحمد العجمي (ص٢٧-٤٦).
(٥) هو محمد سعيد بن قاسم بن صالح القاسمي، ولد سنة ١٢٥٩هـ، عالم، شاعر، مصلح، له مؤلفات منها: سفينة الفرح فيما هب ودب، الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم، وتنقيح الحوادث اليومية، توفي سنة ١٣١٧هـ، منتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (٢/ ٧٢٢) وتاريخ علماء دمشق، نزار آباظة وآخرون (١/ ١٦٩-١٧٢).

بعلومه وآدابه الكثير من طلبة العلم[١].

ولقد كان لنشأة القاسمي في هذا البيت أثر كبير في توجّهه العلمي، ونشأته النّشأة الصّالحة. فقد تربّىٰ في كنف والده، وطلب العلم علىٰ يديه، ووجّهه الوجهة العلميّة الصّحيحة، فكان رَحِمَهُ اللهُ يشجّع ابنه علىٰ الطلب بالدّعاء له، وإهداء الكتب، وتنشيطه بالشّعر والنّثر، قال القاسمي عن والده: «وكان سيدي الإمام الوالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما يراني مواظبًا علىٰ دروسي ومطالعتي يزداد في دعواته الصالحة للفقير، وينْظُم في رضائه عنيّ أبياتًا يشوّقني في دوام الاجتهاد، وأما دعواته لي النثرية في مكاتباته؛ فلا تحصىٰ[٢]».

وهذا التنوع في التشجيع من الأب لابنه بالأساليب التّربوية المتعددّة يحفّز الأبناء علىٰ حبّ التّلقي والحرص عليه؛ وبالتالي ينبغي للوالدين والمربّين عمومًا العناية بهذه الأساليب أثناء ممارسة العملية التربوية لأبنائهم؛ حرصًا علىٰ صلاح الناشئة، وتشجيعًا علىٰ الخير، وهو ما تفتقده كثير من الأُسُر في هذه الآونة.

ابتدأ القاسمي طلبه للعلم بقراءة القرآن علىٰ الشيخ عبد الرحمن بن علي بن شهاب[٣] وحفظه، ثم تعلم الكتابة علىٰ يد الشيخ محمود أفندي

---

(١) البيت القصيد في ترجمة الوالد السعيد، لجمال الدين القاسمي (ص٣-٥).

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣١).

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن بن علي بن شهاب المصري نزيل دمشق، كان يدرس الأطفال القرآن في جامع الشادبكية بدمشق، توفي بدمشق سنة ١٣١٦هـ. جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٣-٢٤).

القوصي[١]، وبعد ذلك انتقل إلىٰ مكتب في المدرسة الظّاهرية، وتتلمذ علىٰ الشيخ رشيد قزيها[٢]، وأخذ عنه مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والعروض وغيرها من العلوم، وكان خلالها يقرأ علىٰ والده المختصرات الفقهية والنحوية. كما جوّد القرآن علىٰ الشيخ أحمد الحلواني[٣] علىٰ رواية الإمام حفص بن عمر الأزدي[٤]، ثم تتلمذ علىٰ شيوخ عصره واستفاد منهم: علمًا، وهديًا، وأخلاقًا، وسمتًا أمثال الشيخ: عبد الرزاق البيطار[٥] وغيره فكان لصحبة هؤلاء الشيوخ

---

(١) هو الشيخ محمود بن محمد بن مصطفىٰ القوصي، تركي الأصل، نزيل دمشق، جاور جامع الدرويشية، من صلحاء الأتراك وكرامهم. جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٤).

(٢) هو الشيخ رشيد بن عمر قزيها الشهير بسنان الشاذلي، ولد بدمشق ولما شب برع في النحو والصرف والأصول والعروض توفي سنة ١٣٣٣هـ. منتخبات التواريخ لدمشق، للحصني (٢/ ٧١٩)، وتاريخ علماء دمشق (١/ ٣١٦).

(٣) أحمد بن علي بن محمد الشهير بالحلواني، ولد سنة ١٢٢٨هـ، شيخ قراء الشام، حفظ القرآن برواية حفص، ثم أجاد القراءات العشر علىٰ طريق الشاطبية، له مؤلفات منها: اللطائف البهية، والقول السديد في وجوب التجويد، والمنحة السنية توفي سنة ١٣٠٧هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (١/ ٢٨٢) ومنتخبات التواريخ دمشق للحصني (٢/ ٧٠٨).

(٤) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي، أبو عمر، إمام القراءة في عصره، وكان ثبتا، ضابطا، وهو أول من جمع القراءات، كان ضريرًا، له من المؤلفات: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وقراءات النبي ﷺ وإجراء القرآن، توفي سنة ٢٤٦هـ سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ١٤٤) ومعجم الأدباء للحموي (١٠/ ٢١٦).

(٥) هو عبد الرزاق بن حسين بن إبراهيم البيطار، ولد سنة ١٢٥٣هـ عالم، أديب، من دعاة الإصلاح، له مؤلفات منها: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، توفي سنة ١٣٣٥هـ. الأعلام (٤/ ١٢٥) ومعجم المؤلفين (٢/ ١٣٩).

تأثير عظيم في حياته العلمية والفكرية من حيث البحث والتدقيق في المسائل العلمية[١].

ويتضح مما سبق أن القاسمي قد طلب العلم بالتّدرج، وهذا المبدأ التربوي من أنجع الوسائل في التّلقي والطلب؛ لأن العلم إذا أُخِذ جملةً لم يتقنه آخذه ولم يستفد من تحصيله؛ ولذلك قال بعض العلماء: «لا تأخذ العلم جملةً، فإن من رام أخذه جملةً ذهب عنه جملةً[٢]».

كما يتجلّىٰ من خلال العرض السابق أن القاسمي ضبط أصول العلم من العلماء المتخصّصين في فنون العلم؛ وهذا يستفاد منه أن علىٰ طالب العلم أن يضبط أصول العلم علىٰ الشيخ المتقن في تخصّصه، ولا يطلب العلم بالتحصيل الذاتي عن طريق قراءة الكتب دون الاستفادة من الشيوخ؛ لأن من كان شيخه كتابه فخطأه أكثر من صوابه.

والقاسمي مع قراءته علىٰ شيوخه كان كثير الإطلاع والقراءة والتأليف ونسخ الكتب، يقول عن نفسه: «وقد حَبّب المولىٰ إليّ من حداثتي القراءة والمطالعة ونسخ الكتب وتأليف الرسائل . . .، فطالعت من كتب الأدب والتاريخ ما لا أحصي، حتىٰ أتذكّر أني في سنّ الخامسة عشرة من عمري أصابني مرض مكثت فيه نحو ثلاثة أشهر، فصرت أتسلّىٰ بمطالعة بعض الكتب، وجمعت في تلك الحالة كتابًا غريبًا مملوءًا من الفوائد واللطائف والنوادر[٣]».

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي (ص١٦).
(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: (١/ ٤٣١).
(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٠-٣١).

ومن لطائف هذا الموقف أن الأقدار المؤلمة قد تكون سببًا في حصول المنافع والفوائد؛ فما علىٰ المؤمن إلا الصبر والشكر، فهي إما دفع نقمة أو جلب نعمة.

ومما سبق ذكره يتجلّىٰ أن لنشأة القاسمي في بيت قد عرف بالعلم، كان سببًا مباشرًا في تكوين شخصيته الثقافية؛ إضافة إلىٰ أنها عزّزت مداركه العلمية؛ الأمر الذي يدلّل علىٰ الأهمية والمسؤولية التربوية علىٰ الأسرة ولاسيّما الأب في متابعته للأبناء وتشجيعهم علىٰ طلب العلم واكتسابه.

ثانيًا: شيوخه:

تلقىٰ القاسمي العلم علىٰ علماء أجلاء في عصره، وجَدّ في الطلب والأخذ عنهم: علمًا، وأدبًا، وهديًا، وَسمتًا، فكان رحمه الله مثار إعجاب أساتيذه لِمَا لمسوا فيه من النبوغ في الطلب، وما لاحظوا فيه من الجد والفطنة، حتىٰ قالوا عنه «إن له مستقبلًا زاهرًا[١]».

فقد تحدث القاسمي عن نفسه -مبيّنًا اهتمام شيخه به وبالنجباء- أنه كان في يومٍ شديد البرد كثير الثلوج حضر درس أستاذه الشيخ سليم البيطار[٢] علىٰ الرغم من سوء الجو وبُعد الطريق ووعورته فلم يجد أحدًا سوىٰ الأستاذ، وكان يحضر دروسه الكثيرون، فقال له

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي (ص١٧).

(٢) هو سليم البيطار، عالم، فاضل، من مدرسي جامع كريم الدين المعروف بجامع الدقاق في الميدان الفوقاني بمدينة دمشق، توفي سنة ١٣٤١هـ تاريخ علماء دمشق، نزار آباظة وآخرون (١/ ٣٩٠).

أستاذه: «إنني أنتظرك وحدك؛ لأنني أعتقد أنه لا يأتي في مثل هذا اليوم غيرك حتىٰ ولا جارنا![(١)]».

ومن خلال هذا الموقف التربوي يمكن استخلاص الفوائد التربوية الآتية:

- حرص القاسمي علىٰ طلب العلم، ولا يثنيه عنه شدة البرودة وكثرة الثلوج؛ مما يدلّ علىٰ مكانة العلم في نفس القاسمي وحرصه علىٰ التعلم.

- حرص المعلم علىٰ إفادة الطالب، والعناية به، وعدم الاكتراث بالكثرة؛ وهذا يدل علىٰ مكانة العلم ومنزلته في نفوس العلماء الربانيين.

- عدم تحري الأسباب التي تمنع من إقامة الدرس.

- بالرغم من توقع الأستاذ أنه لن يأتي غير طالب، فقد حرص علىٰ إفادة ذلك الطالب، وهذا يفيد أن السلف يحرصون علىٰ نشر العلم.

- تقديم القدوة الصالحة من الأستاذ في أحلك الظروف وأصعبها.

- ثناء المعلم علىٰ الطالب المبرّز؛ من أجل تحفيزه وتنشيطه.

وفيما يلي ذكرُ أبرز شيوخ جمال الدين القاسمي الذين تلقىٰ العلم علىٰ يديهم -زيادة علىٰ من تقدم ذكرهم-، مع بيان المواد العلمية التي استفاد القاسمي منهم، حسب الترتيب الهجائي:

(١) بكري بن حامد بن أحمد العطار[(٢)].

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي (ص١٧).

(٢) بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد الشهير بالعطار، الدمشقي، ولد سنة ١٢٥١هـ، مفسر، فقيه، أصولي، نحوي، شغله التعليم عن التأليف فلم يترك كتبًا ولا رسائل. توفي سنة ١٣٢٠هـ. تاريخ علماء دمشق نزار أباظة وآخرون (١/ ١٩٧-٢٠٢).

تلقىٰ القاسمي عنه الفنون المتعددة كالنحو والعقيدة واللغة وغيرها من الفنون، كما سمع منه حصة وافرة من صحيح البخاري، ومعظم صحيح مسلم، وغيره من الكتب.

(٢) حسن بن أحمد بن عبد القادر جبينة الشهير بالدسوقي[(١)].

سمع القاسمي منه الكتب الفقهية، والشمائل للترمذي، والأربعين النووية، كما انتفع رحمه الله من أخلاقه، وإرشاداته القيمة.

(٣) سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد العطار[(٢)].

قرأ عليه القاسمي عددا من كتب اللغة، وكتب التفسير، وكتب الحديث.

(٤) محمد بن محمد الخاني النقشبندي[(٣)].

قرأ عليه القاسمي الكتب الكثيرة من مختلف الفنون كالفقه والنحو ومصطلح الحديث، كما سمع منه أبوابًا كثيرة من صحيح البخاري، ومن الموطأ مع شرح الزرقاني[(٤)]، ومن سنن أبي داود مع

---

(١) حسن بن أحمد بن عبد القادر جبينة الحلبي الأصل، الدمشقي، الشافعي، ولد بدمشق سنة ١٢٤١هـ، مشارك في أنواع من العلوم، كان سخيا متواضعا، من آثاره: رسالة في الأخلاق. توفي سنة ١٣٠٦هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (١/ ٥٣٦).

(٢) سليم بن حامد العطار الشافعي، ولد سنة ١٢٣٣هـ، طلب العلم بعد أن تجاوز الخامسة عشرة، تميز بالذكاء، وطلاقة اللسان، وحسن البيان، تولىٰ تدريس صحيح البخاري سنة ١٢٦٤هـ، وكان محترمًا وقورًا عند العامة والخاصة، توفي سنة ١٣٠٧هـ. أعيان دمشق، للشطي (٣٣٨-٣٤٠).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد الله الخاني الشافعي النقشبندي، ولد بدمشق في رجب سنة ١٢٤٧هـ تلقىٰ الطريقة النقشبندية عن والده، وفي سنة ١٢٧٨هـ قدم الديار المصرية، واجتمع بعلمائها، فأجازوه وكتبوا له إجازات بخطوطهم. توفي سنة ١٣١٦هـ أعيان دمشق، للشطي (ص٣٨٣٠٣٨٥).

(٤) هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني، ولد سنة ١٠٥٥هـ،=

حاشية السندي[(١)].

هؤلاء هم أبرز شيوخ القاسمي، وقد أخذ عن غيرهم، وأجازه كثير من علماء عصره غير من تقدم ذكرهم[(٢)]، قال القاسمي: «وقرأت علىٰ مشايخ غير من تقدم ذكره، إلا أنها قراءة تَحّلٍ وصحبة، وأما الانتفاع فكان بمن سبق، وجزىٰ الله الجميع خيرًا[(٣)]».

ويمكن القول أن طلب القاسمي للعلم علىٰ شيوخه ودراسته عليهم كان له الأثر الواضح في تكوين شخصيته العلمية والتربوية؛ إذ أنه من الضروري أن يتأثر الإنسان بمدرّسيه، وأن تكون لهم لمسات واضحة في شخصيته؛ لأن أفكارهم وآراءهم ستنفد إلىٰ فكره وقلبه، ومن ثم ستؤثّر في تكوينه الثقافي والعلمي[(٤)] وفي أخلاقه وسلوكه. ولذا فإن من واجبات المربّين أن يوجّهوا النّاشئة إلىٰ الاستفادة من العلماء الربّانيين،

= محدث، فقيه، أصولي، له من المؤلفات: شرح المنظومية البيقونية في مصطلح الحديث، مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة، وأبهج المسالك بشرح موطأ الإمام مالك. معجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٣٨٣)

(١) هو محمد بن عبد الهادي السندي، المدني، الحنفي، أبوالحسن، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، قدم الحرمين الشريفين وأخذ عن علمائها، ثم درس بالحرم النبوي، له من المؤلفات: فتح الودود بشرح سنن أبي داود، حاشية علىٰ تفسير البيضاوي، حواشيه علىٰ كتب الستة، توفي سنة ١١٣٨هـ. سلك الدرر، للمرادي (٤/ ٤٤) ومعجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٤٦٨).

(٢) وممن أجازه: محمود أفندي مفتي الشام، وطاهر بن عمر الآمدي، ومحمد الطنطاوي، ونعمان خير الدين الألوسي وغيرهم. جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٩-٣٠).

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٨).

(٤) أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري، لعبدالرؤوف عبدالرحمن (ص٣٨).

وتلقّي العلم من الشيوخ الذين يُثْرون مداركهم العلمية، وذلك من خلال الدّروس التّربوية والمواقف التّعليمية.

ثالثًا: تلاميذه:

إن التلاميذ ثمرة من ثمار جهود العلماء الربانيين الذين يعملون بعلمهم، ويُعَلِّمون ما تعلموا لأبنائهم الطلاب، ويوجّهونهم إلىٰ محاسن الآداب، حتىٰ يأخذوا بأيديهم إلىٰ الخير والتقىٰ والصلاح؛ وكل ذلك لينالوا الحسنىٰ في الدنيا والآخرة.

وما القاسمي إلا سلسلة مباركة من أولئك الأعلام الذين قاموا بمهمة التعليم والتهذيب، ومسؤولية الرعاية والتأديب، وبَثِّ روح الفضيلة، وتقوية دعائم الدين في أبنائهم الطلاب. فقد بذل القاسمي نفسه للتعليم في مقتبل عمره، حيث طلب منه بعض المبتدئين إقراءهم في مقدمات بعض الفنون، فاغتبط لذلك، ونهض للمهمة منشرح الصدر؛ قال القاسمي مبيّنا ذلك: «وفي نحو الرابعة عشرة من سني الفقير، طُلِبت لإقراء بعض الطلبة، فشرعت في مقدمات بعض الفنون أتقوىٰ بإقرائها[(١)]».

وهذا الإقراء مفيد للمتعلم؛ لأنه فيه مذاكرة للعلم بين الأقران، وتثبيتٌ للمعلومات التي درسها المتعلم، إلا أنه ينبغي أن يتأكد المتعلم من ضبطه للعلم وتمكنه، وذلك بعد العرض علىٰ الشيخ وأخذ رأيه.

ولم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكتفيًا بتعليم التلاميذ فحسب، بل كان يشرف علىٰ تربيتهم وتوجيههم، يقول أحد تلاميذه: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستصحبني في سفره

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٥).

للإشراف علىٰ تربيتي، أخذني مرة إلىٰ وليمة، فشرعنا نأكل مما لذ وطاب، وبعد مدّة قام فاضطررت إلىٰ القيام معه دون أن أقنع منه، فذكرت له بعد خروجنا من دار الضيافة أن نفسي ما زالت في الطعام، وقد قمتم قبل أن انتهي منه. فأجابني: إنني كنت أراقبك، وقد شبعت من مدة، وأنا أنتظر ثم رأيتك قد شرعت في الإضرار في جسمك بكثرة الطعام، لذلك سارعت في القيام خوفًا علىٰ بطنك!(١)».

ولقد تتلمذ علىٰ القاسمي -بعد أن بلغ أشده، ونضج علمه، ورسخت قدمه- ثُلّة من الطلاب الذين حملوا عنه العلم من بعده، وساهموا في إبلاغ الأمة أمر دينها، وصاروا مشاعل هداية لمجتمعاتهم، ومراكز خير وتوجيه لأهل ديارهم. فلقد تقلّد تلاميذ القاسمي المناصب العالية في شتىٰ المجالات: فمنهم من تقلد مناصب القضاء والفتيا، ومنهم من تشرف بالتدريس في المدارس الحكومية، وآخرون تولوا الإمامة والخطابة والتدريس في الجوامع، والبعض سلك مسلك التصنيف والتأليف لإثراء الساحة العلمية، وكل ذلك يعطي صورة جلية لجهود القاسمي في التعليم، ومثاليّتُه في القيام بمسؤولية التربية، وحرصه الشديد علىٰ رعاية أبنائه الطلاب الذي كان له الأثر البالغ في نفوسهم، وتَقَدُّمهم في المجالات المرموقة، والرقي بهم إلىٰ المراتب العالية في مجتمعاتهم، قال عاصم بن الشيخ بهجة البيطار(٢): «كان للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعني القاسمي-

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص٨٩).

(٢) هو عاصم بن محمد بهجة البيطار، ولد سنة ١٩٢٧م، عالم، نحوي، درس اللغة العربية سنة ١٩٦٣م بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم عاد إلىٰ دمشق فدرس في جامعتها من سنة ١٩٧٠-١٩٨٦م وطلبته جامعة الملك سعود بالرياض =

أثر كبير في والدي، غرس في نفسه حب السلفية، ونقاء العقيدة، والبعد عن الزيف والقشور، وحسن الانتفاع بالوقت، والثبات علىٰ العقيدة، والصبر علىٰ المكاره[(١)] . . .».

ونتيجةً لاهتمام القاسمي واشتغاله بالتدريس فقد برع علىٰ يديه الكثير من العلماء، وفيما يلي بيان لأبرز تلاميذ القاسمي الذين صحبوه مدة طويلة، مع ذكر ترجمة موجزة لهم، مشفوعا بأهم مراكزهم العلمية في المجتمع، وبعض آثارهم العلمية مرتَّبين علىٰ حسب الترتيب الهجائي:

١- توفيق البزرة:

هو العالم المصلح، ولد سنة ١٣٠٠هـ، حفظ القرآن وهو صغير، ثم قرأ علىٰ المشايخ، ولازم القاسمي مدة طويلة، وكان صاحب ذكاء، وقوة حدْس، أحاطه القاسمي بالرعاية والتربية لنبوغه، وفرط فطنته، حتىٰ رسخت قدمه، ونضج علمه، ثم قام بالدعوة إلىٰ مذهب السلف بعد وفاة شيخه القاسمي، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، توفي سنة ١٣٧٣هـ[(٢)]، ولم يؤلف شيئا من المؤلفات.

= فدرس فيها النحو والصرف لمدة خمس سنوات، ثم طلبه مركز الملك فيصل الخيري ليكون مستشارا لمجلته، ألف عددا من الكتب، منها: النحو الصرف وضعه لطلاب جامعة دمشق، كما حقق كتاب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، والفضل المبين لجمال الدين القاسمي. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، للعجمي (ص٨).

(١) مقدمة الفضل المبين علىٰ عقد الجوهر الثمين، لجمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم بيطار (ص٦).

(٢) تاريخ علماء دمشق، لنزار آباظة وآخرون (٢/ ٦٥٥).

٢- حامد بن أديب بن أرسلان التقي:

هو العالم الفقيه الأديب، ولد سنة ١٢٩٩هـ، لازم القاسمي ملازمة تامة، وهو أكبر تلاميذه سنا، وأقدمهم صحبة، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٨هـ، وقد تقلد المناصب الآتية:

* تولىٰ الإفتاء بالنَّبْك[(١)] سنة ١٣٣٧هـ.

* التدريس في المدارس الحكومية، حيث درس مواد التربية الدينية واللغة العربية فيها.

تولىٰ الخطابة في الجامعة الصابونية بدمشق، ثم عُين مدرسا في جامعة الحبوني عام ١٣٤٤هـ[(٢)].

ومن مؤلفاته: (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح).

٣- محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغني البيطار:

هو العالم المحقق، ولد سنة ١٣١١هـ، لازم القاسمي ملازمة طويلة، وكان حريصا علىٰ دروسه والاستفادة منه، وقد أثنىٰ عليه القاسمي فقال: «.. الشيخ محمد بهجة البيطار أحد ملازمي دروسنا الليلية والنهارية، وهو ممن يرجىٰ له مستقبل علم حسن إن شاء الله تعالىٰ[(٣)]». وكان معروفًا بالهمة العالية والنشاط في العمل، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٦هـ، وقد تولىٰ المناصب الآتية:

---

(١) قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق. معجم البلدان لياقوت الحموي: (٥/ ٢٥٨).

(٢) الأعلام، للزركلي (٢/ ١٦٠) وتاريخ علماء دمشق، لنزار أباظة وآخرون (٢/ ٨٠٨).

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٦٢٤).

* تولىٰ الإمامة والخطابة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان سنة ١٣٢٨هـ.

* في سنة ١٣٤٢هـ انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي بدمشق.

* أدار المعهد العلمي السعودي، ودرّس فيه مادتي التوحيد والتربية.

* درّس في الحرم المكي، وشارك في عضوية هيئة مراقبة التدريس فيه.

* عمل مفتشا للتعليم في مدارس الحجاز.

* كما شارك في عضوية محكمة مكة الشرعية، ثم تولىٰ نيابة الرئيس لهيئة المراقبة القضائية(١).

ومن مؤلفاته: (المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا) و(تفسير سورة يوسف) و(تاريخ فكرة إعجاز القرآن).

٤- محمد جميل بن عمر بن حسن الشطي:

العالم الفرضي الحنبلي، ولد سنة ١٣٠٠هـ، صحب القاسمي مدة طويلة، وتأثر به، وأخذ عنه الكثير من الفنون، توفي رحمه الله ١٣٧٩هـ، وقد تولىٰ الأعمال الكثيرة من أهمها:

* إمامة الحنابلة في الجامع الأموي منذ سنة ١٣٣٤هـ.

* إفتاء الحنابلة في دمشق.

---

(١) تاريخ علماء دمشق، لنزار آباظة وآخرون (٢/٩١٨) وإتمام الأعلام، نزار آياظة وآخر (ص٢٢٤).

* الإشراف علىٰ المدرسة الباذرائية والخطبة في جامعها.

* العمل في المحاكم الشرعية(١).

ومن آثاره العلمية: (السيف الرباني) و(الوسيط بين الإفراط والتفريط) و(مختصر طبقات الحنابلة).

٥- محمد علي بن عبد الغني الدقر:

ولد سنة ١٢٩٤هـ، تعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب، ثم لازم القاسمي مدة طويلة، قرأ عليه خلالها علوم الدين والكلام وعلوم العربية وصار من خاصته الذين يستعين بهم علىٰ التعليم، توفي سنة ١٣٦٢هـ، وقد تقلد المناصب الآتية:

* بعد وفاة شيخه جمال الدين القاسمي أخذ يعلم الناس في مكان شيخه بجامع السنانية بدمشق، وصارت له حلقة يقصدها الطلاب.

* بعد استيلاء الفرنسيين علىٰ سوريا عام ١٩٢٠م صار يحث الناس علىٰ جهاد المستعمر، ويحرضهم علىٰ القيام بمواجهته، ورحل مع الشيخ بدر الدين الحسني(٢) إلىٰ المحافظات السورية لهذه الغاية، وقد أثمرت جهودهما، وقامت الثورة السورية في اليوم التالي من عودتهما إلىٰ دمشق.

* في عام ١٣٤٣هـ أنشأ (الجمعية الغراء) من أجل تعليم أولاد

---

(١) الأعلام، للزركلي (٦/ ٧٣) ومعجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ١٩٩).

(٢) هو محمد بن يوسف السبتي الحسني، بدر الدين، ولد سنة ١٢٦٧هـ، محدث، مفسر، متكلم منطقي، نحوي، له من المؤلفات: رسالة في سنده لصحيح البخاري، وشرح علىٰ القصيدة الغرامية في المصطلحات الحديثية، وشرح مغني اللبيب، توفي سنة ١٣٥٤هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٧٩٠).

المسلمين دينهم، وأخلاق سلفهم، وقد أنشأت هذه الجمعية مجموعة من المدارس الابتدائية بلغت عام ١٣٥٤هـ خمس مدارس تضم أكثر من (١٧٠٠) طالب وطالبة[١].

ولم يحرص الشيخ محمد الدقر علىٰ التأليف كحرص شيخه القاسمي، ولذا لم يؤلف شيئًا.

وهناك تلاميذ كثيرون استفادوا من علم القاسمي دون ملازمته ملازمة تامة، منهم:

العلامة محب الدين الخطيب[٢] وأحمد شاكر[٣] وغيرهم.

كما صحبه طائفة من الشباب ذوي الميولة السياسية منهم:

شكيب بن حمود أرسلان[٤] والعلامة محمد علي

(١) تاريخ علماء دمشق (٢/ ٥٨٧).

(٢) هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، ولد سنة ١٣٠٣هـ، من كتاب المسلمين، عمل في تحرير الجرائد: المؤيد، والقبلة، والعاصمة، ثم استقر في القاهرة، وأنشأ جمعية الشبان المسلمين، كما تولىٰ تحرير مجلة الزهراء، وأنشأ المطبعة السلفية، له من المؤلفات: اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، والرعيل الأول في الإسلام، والأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلىٰ إصلاحه، توفي سنة ١٣٨٩هـ. الأعلام (٥/ ٢٨٢).

(٣) هو أحمد بن محمد شاكر بن عبد القادر شمس الدين أبو الأشبال، ولد سنة ١٣٠٩هـ، محدث، مفسر، فقيه، أديب، له من المؤلفات: الباعث الحثيث، نظام الطلاق في الإسلام، الشرع واللغة، توفي سنة ١٣٧٧هـ. معجم المؤلفين (١/ ٢٨٤).

(٤) هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، ولد سنة ١٢٨٦هـ، أديب سياسي، أقام مدة بمصر، توفي سنة ١٣٦٦هـ. له من المؤلفات: الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية، غزوات العرب في فرنسة وشمالي إيطالية وفي سويسرة، بيوتات العرب في لبنان. معجم المؤلفين (١/ ٨١) والأعلام (٣/ ١٧٣-١٧٥).

كردي[١] وخير الدين الزركلي[٢].

وعبد الرحمن الشهبندر[٣] وغيرهم[٤].

رابعًا: ثناء العلماء عليه:

كان لقيام القاسمي بنشر العلم بين الناس، وجهوده الإصلاحية، ودوره التربوي في مجتمعه، وكثرة كتاباته في مختلف الفنون والمعارف محل إعجاب أهل العلم، وثنائهم عليه، وإشادتهم بمنزلته العلمية المرموقة، ومكانته الاجتماعية السامية.

فقد أثنىٰ عليه جمع غفير من أهل العلم، منهم:

١- الشيخ محمد رشيد رضا[٥]، فقد قال عنه: «هو علامة الشام، ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام، محي السنة بالعلم، والعمل، والتعليم، والتهذيب، والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن[٦]».

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو عبد الرحمن بن صالح شهبندر، ولد سنة ١٢٩٩هـ، طبيب، خطيب، درس الطب بالجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرج فيها سنة ١٩٠٤م، انضم إلىٰ جمعية الاتحاد والترقي ثم تركها بعد أن عرف اتجاهها، عين وزيرا للخارجية في سوريا سنة ١٩٢٠م ثم غادرها بعد احتلال الفرنسيون لها، شارك في إنشاء حزب الشعب بدمشق قتل وهو في عيادته سنة ١٩٤٠م. الأعلام، للزركلي (٣/٣٠٨) ومعجم المؤلفين، للكحالة: (٢/٩١).

(٤) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم الحسن (ص٦٣-٧١).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) مجلة المنار (٧/٥٥٨).

وقال أيضا وهو يصف الإصلاح الذي قام به القاسمي: «إذا كان عمل القاسمي للإصلاح وتجديد علوم الدين صغيرًا في نفسه، فهو كبير جدًا في بلاده وبين قومه، فما القول فيه إذا كان عمله كبيرا في الواقع، عظم المطلوب وقل المساعد[(١)]».

٢- **وقال الشيخ محب الدين الخطيب**[(٢)] وهو يصف دوره الإصلاحي في مجتمعه:

«والسيد جمال الدين القاسمي رحمه الله مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير[(٣)] حياتنا الحاضرة المظلمة -في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر- فنفع الله الناس بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم، ثم انتقل إلىٰ رحمة الله ورضوانه[(٤)] تاركًا من آثاره العلمية المطبوعة ما لا تكاد تخلو منه مكتبة قائل بالإصلاح في العالم الإسلامي[(٥)]».

٣- **وقال أمير البيان شكيب أرسلان**[(٦)] وهو يحث الناشئة علىٰ

(١) المصدر السابق (٧/ ٥٦٠).
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) دياجير: أي الظلام. لسان العرب (٤/ ٢٩٣).
(٤) الأفضل أن يعبر بـ: (توفاه الله)؛ لأنه لا ينبغي أن يُجزم لأحد أنه تحت رحمة الله؛ إلا من ثبت الخبر فيه عن رسول الله ﷺ، ولكن إن قاله من باب التفاؤل والدعاء؛ فلا بأس به.
انظر: مجموع فتاوىٰ، لابن عثيمين: قسم العقيدة (٣/ ٨٦) ومعجم المناهي اللفظية، لبكر أبي زيد (ص٤٩٩).
(٥) مقدمة كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي (ص٦).
(٦) تقدمت ترجمته.

اقتناء كتب القاسمي والاستفادة منه[١]: «وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهما ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه حناجرها، ألا تقدم شيئًا علىٰ قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي[٢]».

٤- **وقال العلامة محمود شكري الألوسي**[٣] وهو يصف خدمة القاسمي للدين:

«مع ما كان جمال الدين القاسمي عليه من الفضل الوافر، والأدب الباهر، والورع الظاهر، والنسب الطاهر، والذب عن الشرع المبين، وقوة الإيمان واليقين، ومناولة الجامدين والملحدين، وأنه حسب ما اعترف له الموافق والمخالف:

أحيا به الله الشريعة والهدىٰ وأقام فيه شعائر الإسلام[٤]».

٥- **وقال العلامة المحدث أحمد محمد شاكر**[٥] وهو يصف منهج القاسمي، واستفادته منه: «وكان في مقدمة من سار علىٰ النهج القويم

---

(١) مقدمة كتاب قواعد التحديث، للقاسمي (ص١٠).

(٢) هذا الثناء فيه شيء من المبالغة من التلميذ لشيخه؛ حيث أنه أعطىٰ الأولوية في الاهتمام بقراءة كتب شيخه وحصر الفائدة فيها، بالرغم من أن هناك مؤلفات أجدر بالقراءة والمدارسة قبل كتب القاسمي.

(٣) محمود شكري بن عبدالله بن محمود الحسيني الألوسي أبو المعالي، مؤرخ أديب لغوي، له من المؤلفات: كشف الحجاب عن الشهاب في الحكم والآداب، مسند الشهاب في الحكم والمواعظ والآداب، بدائع الإنشاء، توفي سنة ١٣٤٢هـ. معجم المؤلفين، لكحالة (٣/ ٨١٠-٨١١).

(٤) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي (ص٨).

(٥) تقدمت ترجمته.

أستاذنا القاسمي رحمه الله وقد زار مصر قبل وفاته، وكنت ممن اتصل به من طلاب العلم، ولزم حضرته، استفاد من توجيهه إلىٰ الطريق السوي، والسبيل القويم[(١)]».

٦- وقال الشيخ محمد بهجة البيطار[(٢)]:

«كان علام الشام القاسمي -تغمده المولىٰ برحمته ورضوانه- آية في المحافظة علىٰ الوقت، والمواظبة علىٰ العمل، وكان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ومدونات السنة وشروحها[(٣)]».

ولاشك أن هذا الثناء العطر من تلاميذه وأقرانه دليل واضح علىٰ مكانة القاسمي التربوية، وعلو كعبه في الإصلاح والدعوة والتأليف.

خامسًا: آثاره العلمية:

كان القاسمي سيّال القلم، وافر القريحة، سريع الخاطر، فإنه علىٰ الرغم من أن عمره كان قصيرا بالنسبة لمؤلفاته حيث لم يتجاوز الخمسين سنة؛ إلا أن الله بارك في وقته وعلمه، قال الشيخ محمد بهجة البيطار[(٤)] «إن مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالىٰ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنّف أو أكثر، ولم يبلغ الخمسين من عمره، وندر جدا أن ترىٰ كتابًا في خِزَانته الواسعة مخطوطًا كان أو مطبوعًا خاليًا من التعليقات الكثيرة، والتصحيح علىٰ

---

(١) مقدمة كتاب المسح علىٰ الجوربين، للقاسمي (ص٤).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) التعريف والنقد، محمد بهجة البيطار، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، العدد ٣٣ (ص٦٥٧).

(٤) تقدمت ترجمته.

الأصول الخطية الصحيحة[١]».

وقال الآخر مبينا جوانب الإبداع في مؤلفاته: «فإن كل ما خطته أنامله، وحبرته يراعه يشفّ عن سمو في الافتكار، وابتداع في المعاني وابتكار في الآراء[٢]»، وقد ذكر الشيخ رشيد رضا أن له تسعا وسبعين كتابًا ورسالة، بينما أوصلها محمد بهجة البيطار إلىٰ مائة وعشرة مؤلفا ورسالة[٣].

ولعل السبب في كثرة مؤلفاته -رحمه الله يعود إلىٰ إيمانه بأهمية التّأليف، ودوره الفعّال في التأثير علىٰ المجتمع، إلىٰ جانب ذلك ما سيعود عليه من الثواب المستمر بعد وفاة مؤلِّفه، قال القاسمي مبيّنًا ذلك: «إن أعظم واسطة لنشر المذهب السلفي هو طبع كتبه، وإن كتابًا واحدًا تتناوله الأيدي علىٰ طبقاتها خير من مائة داع وخطيب؛ لأن الكتاب يبقىٰ أثره، ويأخذه الموافق والمخالف، وأعرف أن كثيرا من الجامدين اهتدوا بواسطة ما طبعناه ونشرناه، اهتداءً ما كان يظن، والحمد لله علىٰ ذلك[٤]».

وقال في موضع آخر: «إن في النفس أمورا أتحرّق والله علىٰ إنجازها، وأود الظّفر بأخ في الله يؤازرني علىٰ نشر ما ينفع الأمة، فإن

---

(١) من مقدمة محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٨).

(٢) باب المشارفة والانتقاد، أنستانس ماري الكرملي، مجلة لغة العرب، السنة الأولىٰ، رجب ١٣٢٩هـ (١/ ٣٦١).

(٣) وهذا العدد الذي ذكره الشيخ رشيد رضا والشيخ محمد بهجة البيطار صحيح إذا أدرجنا معه الرسائل الصغيرة والمقالات الصحفية والمؤلفات التي لم يتمها وإلا في الحقيقة أن مؤلفات القاسمي علىٰ وفرتها لم تبلغ هذا الحد. القاسمي ومنهجه في تفسيره، لإبراهيم الحسن (ص٧٣).

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٥٨٨).

الدنيا يا أخي دار ممر، وغدا نلحق بأسلافنا، والدهر -والله- لا يهمل، وشغل الدنيا لا نهاية له، فالفرص الفرص، والغنيمة الغنيمة، والعمر واحد، والرزق واحد، فالحياة إذا لم تكن مقصورة علىٰ ما ينفع، وإلا فما هي بحياة[١]».

ويجدر التنبيه هنا أن القاسمي صرّح بعدم رضاه عن بعض مؤلفاته، وحكم علىٰ بعض كتبه بقوله: «كل مؤلف لي قبل ١٣٢٠هـ فلي فيه وقفة[٢]».

وعلىٰ ضوء التنبيه السابق فإنه من المناسب تقسيم مؤلفاته علىٰ ثلاثة أقسام حتىٰ يُتّضح ما أُلف قبل وبعد عام١٣٢٠هـ، علىٰ النحو الآتي:

١- المؤلفات التي ألفت قبل عام ١٣٢٠هـ

٢ - المؤلفات التي ألفت بعد عام ١٣٢٠هـ.

٣ - المؤلفات التي لم يعرف تاريخها.

وفيما يلي ذكر لأهم مؤلفاته مرتبة علىٰ حسب الحروف الهجائي، مع بيان تعريف موجز لها:

أولًا: المؤلفات التي ألفت قبل عام ١٣٢٠هـ:

أ- المؤلفات المخطوطة:

١. **الارتفاق بمسائل الطلاق**: وهو عبارة توضح بعض المسائل المتعلقة بالطلاق، ولا سيما مسألة الطلاق بالثلاث، وقد فرغ منها في شهر شعبان عام ١٣١٤هـ، وهو رسالة في ٢٢ صفحة.

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٥٩٧).

(٢) المصدر السابق (ص٦٣٣).

٢. **إعلام الجاحد علىٰ قتل الجماعة المتمالئة بالواحد**. وهو عبارة عن رسالة تبين الحكم الشرعي علىٰ جماعة هموا بقتل واحد فأصاب أحد فقتله ولا يعرف من القاتل؟ وتقع في ثلاثة عشرة صفحة وقد كُتب في عام ١٣١٩هـ.

٣. **إفادة من صحا في تفسير سورة الضحىٰ** جمعها في ١٩ ذي الحجة عام ١٣١٤هـ وتقع في ثماني صفحات من القطع الصغير.

٤. **الأنوار القدسية علىٰ متن الشمسية**: شرح فيه القسم الأول من متن الشمسية في المنطق. وقد فرغ منه في ٢٠ جمادي الأولىٰ عام ١٣١٢هـ ويقع في (٢٧٦).

٥. **إيضاح الفطرة في أهل الفَتْرة**. رسالة ذكر فيها اختلاف العلماء في أهل الفترة الذين لم يبعث لهم رسول، أولم يسمعوا به، وقد فرغ منها عام ١٣١١هـ، وهي في ٦٠ صفحة.

٦. **بديع المكنون في مسائل أهل الفنون**. جمع فيه فوائد علمية مختلفة وأكثرها تصحيح للعقيدة وردها إلىٰ أصول الإسلام، وفيه قليل من الأدب واللغة. ويقع هذا الكتاب في جزأين الأول في ٢٢٨ صفحة والثاني في ١٥٤ صفحة.

٧. **بذل الهمم في موعظة أهل وادي العجم**. كان القاسمي انتدب في شهر رمضان عام ١٣٠٩هـ لوعظ وتدريس أهل وادي العجم، فألف هذا الكتاب وقد وصف رحلته تلك كما ذكر فيه مشاهير تلك القرىٰ والتقسيمات الإدارية لها وضم إليه ما عثر عليه من روائع الشعر في مدح شهر رمضان وقد فرغ من تبييضه في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شوال عام ١٣٠٩هـ.

٨. **تعطير المشام في مآثر دمشق الشام**، تاريخ حافل لدمشق في أربعة مجلدات، شرع فيه عام ١٣٠٨هـ.

٩. **الجواب السني عن سؤال السيد أحمد الحسني**، شرح موجز لبحث السيد أحمد الحسني الجزائري في منسوخ القرآن ويقع في ٢١صفحة وفرغ منه في شهر رمضان ١٣١٤هـ.

١٠. **جواب المسألة الحورانية رسالة في أفعال العباد**، وقد رد علىٰ الجبرية وعلىٰ القدرية وقد وضعها عام ١٣١٥هـ في ١٥ صفحة.

١١. **حسن السبك في الرحلة لوعظ قضاء النبك**. وصف لرحلته التي قام بها عام ١٣١٠هـ للوعظ في قرىٰ النبك.

١٢. **زبدة الأخبار في ولدان الكفار**. رسالة في نح و ١٢صفحة وقد فرغ من تبييضها في ١١ ربيع الأول سنة ١٣١٩هـ.

١٣. **زوال الغشاء عن وقت العشاء**. رسالة في نحو ٢٠ صفحة حقق فيها وقت دخول صلاة العشاء ورد علىٰ عالم مصري قرر: أن وقت هذه الصلاة يدخل بعد خمس وأربعين دقيقة من غروب الشمس لم يذكر تاريخها إلا أن ولده ظافر استنتج من مقدمتها أنه ألفها عام ١٣١٩هـ أو بعده.

١٤. **السفينة**. وهي مجموعة من الفوائد جمعها من مصادر عديدة، وفرغ منها عام ١٢٩٩هـ، وله من العمر ست عشرة سنة.

١٥. **شمس الجمال علىٰ منتخب كنز العمال**. حاشية وجيزة علىٰ منتخب كنز العمال، في نحو (٢١٤) صفحة من القطع الكبير. وقد فرغ منه في غرة محرم ١٣١٥هـ.

١٦. **الطالع السعيد في مهمات الأسانيد**. وهو عبارة عن ثبت ذكر فيه أسانيده إجازاته، وقد وضعه قبل عام ١٣٢٠هـ.

١٧. **فصل الكلام في حقيقة عود الروح للميت حين السلام**. وهي عبارة عن رسالة صغيرة تقع في ١٧ صفحة، فصل الكلام فيها عن مسألة عود الروح للميت حين السلام عليه، وكان فراغه منها في ٥ ربيع أول عام ١٣١٤هـ.

١٨. **كناشة**: جمع فيها فوائد متنوعة في الفقه والحديث والتوحيد والتراجم وغيرها وقد ابتدأ في جمعها في يوم الثلاثاء ١٥ محرم ١٣٠٧هـ وهي في ٤٢ صفحة.

١٩. **الكواكب السيارة في مدائح الفوارة**. جمع فيه ما عثر عليه من شعر المتأخرين في مدح الفوارة وذلك عام ١٣٠٩هـ.

٢٠. **الكوكب المنير في مولد البشير النذير**. اختصره من المولد النبوي الذي وضعته السيدة عائشة الباغونية وقد فرغ منه سنة ١٣٠٦هـ.

٢١. **المنتزه الأرفع في الفصول الأربع**. جمع فيه ما عثر عليه في مدح وذم الفصول الأربعة شعرا ونثرا وقد فرغ منه عام ١٣٠٩هـ.

٢٢. **هداية الألباب لتفسير آية: «وطعام الذين أوتوا الكتاب»**. رسالة في ثماني صفحات جمعها في شهر رجب ١٣١٤هـ.

ب: المؤلفات المطبوعة:

١. **الأوراد المأثورة**. جمع في هذا الكتاب ما صح عن الرسول ﷺ من أدعية وأوراد، فرغ من هذا المجموع في ٢٧ شوال سنة ١٣١٩هـ وقد طبع في بيروت عام ١٣٢٠هـ في ٦٤ صفحة.

٢. **بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد**، هو عبارة عن ترجمة لوالده سعيد القاسمي[١]، كذلك تضمن الكتاب ما قيل في رثائه. وانتهىٰ من جمعه في الخامس من شوال عام ١٣١٨هـ وتقع الترجمة في ثلاث وعشرين صفحة، وقد طبع الكتاب في بيروت عام ١٤٢٠هـ.

٣. **تنوير اللب في معرفة القلب**: مقالة في ثلاث صفحات كتبها في ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ نشرت في جريدة الشام عدد ٦٢.

٤. **ثمرة التسارع إلىٰ الحب في الله تعالىٰ وترك التقاطع**: وهي مقالة تضمنت عددا من الأحاديث الدالة علىٰ فضل الحب في الله، وذم التقاطع، وجمعها في ١٩ شوال عام (١٣١٣هـ) في نحو ست صفحات من القطع الصغير، وقد طبع الكتاب في بيروت عام ١٤٢١هـ.

٥. **الطائر الميمون في حل لغز الكنز المدفون**. رسالة صغيرة شرح فيها لغز «الكنز المدفون» الذي وضعه أحد الأدباء عن الماء، وقد طبع في عام ١٣١٦هـ وعام ١٣٢٢هـ.

٦. **منتخب التوسلات**. كتيب جمع فيه أدعية وتوسلات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، وقد جمعه عام ١٣١٥هـ وطبعه في دمشق عام ١٣١٨هـ في ٢٨ صفحة.

ومن الملاحظ أن معظم مؤلفات السابقة هي عبارة عن مقالات ورسائل صغيرة وكتيبات وملخصات جمع فيها بعض الفوائد المتنوعة التي استفاد منها في تثقيف نفسه وتوسيع مداركه[٢].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) القاسمي ومنهجه في التفسير، لإبراهيم الحسن (ص٨١).

ثانيًا: المؤلفات التي ألفت بعد عام ١٣٢٠هـ:

أ- المؤلفات المخطوطة:

١. **أجوبة المسائل**. جمع فيه بعض الأجوبة التي أرسلها إلىٰ بعض السائلين عامي ١٣٢٩هـ، ١٣٣٠هـ في نحو خمسين صفحة من القطع الصغير.

٢. **الآراء الفلسفية في الموت وفي علاج الخوف منه وفي رفع الأوهام منه وفي رحمة وجوده وفي أن الحياة الحقيقية بعد الموت**: رسالة في نحو ٢٨ صفحة من القطع الصغير فرغ منها في ١٥ ذي الحجة ١٣٢٢هـ.

٣. **الإسراء والمعراج**: رسالة في نحو ٣٢ صفحة، وضعها عام ١٣٢٩هـ، وطبعها عام ١٣٣١هـ وقد مال إلىٰ أن الإسراء جسدي، وأما المعراج فقد رجح أنه روحي منامي(١).

٤. **حواشي علىٰ الروضة الندية**. وهي للعلامة صديق حسن خان(٢) وقد فرغ القاسمي من هذه التحشية في شعبان ١٣٢٨هـ.

٥. **درء الموهوم من دعوىٰ جواز المرور بين يدي المأموم**. وهو رسالة في خمس صفحات بين فيها حكم المرور بين يدي المأموم كتبها عام ١٣٢٠هـ.

---

(١) الصحيح في المسألة أن معراج الرسول ﷺ كان بالروح والجسد يقظة لا منامة. انظر للتوسع: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٢٧٦).

(٢) هو علي بن حسن بن الحسيني، المعروف بصديق حسن، ولد سنة ١٢٤٨هـ، محدث، مفسر، عالم، له من المصنفات: الخطة في ذكر الصحاح الستة، وتخريج الوصايا من خبايا الزوايا، الروضة الندية، توفي سنة ١٣٠٧هـ. معجم المؤلفين (٢/ ٤٢٥).

٦. **سؤال مستشرق وجواب حكيم**. وهو رسالة صغيرة أجاب فيها عن سؤال مستشرق روسي عن سبب تشكيل المذاهب الإسلامية واختلافها وتنوعها، وقد كتب عام ١٣٢٤هـ.

٧. **شرح العقائد** وفيه الكلام علىٰ مسائل الكلام وعن علمائهم، ومناقشات بعض الفرق الإسلامية، والرد عليها، وقد ابتدأ في تأليفه أواخر جمادي الأولىٰ عام ١٣٣٠هـ ويقع في ٢٢١ صفحة.

٨. **رسالة في علم الأصول**. جمع فيها لباب ما كُتب في الأصول، وقد فرغ منها في ٩ جمادي الآخرة عام ١٣٢٣هـ وتقع في نحو مائة صفحة.

ب - المؤلفات المطبوعة:

١. **الأجوبة المرضية علىٰ ما أورد كمال الدين بن الهمام علىٰ المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية**. رسالة رد فيها علىٰ ابن الهمام الحنفي(١) ما ذهب إليه في كتابه (فتح القدير من عدم مشروعية سنة المغرب القبلية)، وقد فرغ منها في جمادي الأولىٰ سنة ١٣٢٣هـ، وطبعت في دمشق سنة ١٣٢٦هـ.

٢. **الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس**. رسالة قيمة أوضح فيها أن أكثر طلاق الناس غير واقع لعدم موافقته للسنة، وقد نصر فيها الرأي

---

(١) هو محمد بن عبد الواحد الاسكندري كمال الدين المعروف بابن الهمام، ولد سنة٧٩٠هـ، عارف بأصول الديانات، والتفسير، والفرائض، والفقه، وله من المؤلفات: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، مختصر الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية للغزالي، التحرير في أصول الفقه، شرح الأحكام، توفي سنة ٨٦١هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (٣/ ٤٦٩).

الذي لا يرىٰ وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، ومن عدم وقوع طلاق المكره والحالف بالطلاق وهو لا يقصده، والسكران والغضبان. وهذه الرسالة هي آخر مؤلفاته إذ أنه فرغ من تسويدها في ٨ جمادي الأولىٰ عام ١٣٣٢هـ قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولم يتمكن من تبييضها، وقد طبعت في نفس العام، ثم أعيد طبعها مرارا.

٣. **إرشاد الخلق إلىٰ العمل بخبر البرق.** كتاب قيم في زمانه ولمجتمعه، حيث أن المجتمع المسلم حينذاك لم يتقبل الأخذ بالأخبار البرقية فيما يتعلق بالعبادات: كإثبات رمضان، والأعياد. فبين القاسمي الحكم الشرعي في هذه المسألة، وقد فرغ منه عام ١٣٢٩هـ وطبع في نفس السنة.

٤. **إصلاح المساجد من البدع والعوائد.** كتاب قيم في موضوعه، حذر فيه من البدع عموما، وبين مفاسدها، ووجوب إزالتها، ثم أعقب ذلك ببيان البدع في الصلوات، وفي الخطب، وفي المساجد، وتخلل ذلك بيان بعض الواجبات والسنن، والدعوة إلىٰ إصلاح المساجد، وقد فرغ منه في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ وطبع عدة طبعات.

٥. **إقامة الحجة علىٰ المصلي جماعة قبل الإمام الراتب.** رسالة ألفها بسبب ما تعرض له القاسمي من الجامدين الباغين عليه في إمامة الناس، وقد أتم تأليفها في ١٧ جمادي الثانية ١٣٢٢هـ. وطبعت للمرة الأولىٰ في دمشق عام ١٣٤٢هـ وفي نحو ٤٢ صفحة.

٦. **تاريخ الجهمية والمعتزلة.** بين في الكتاب تمسك المعتزلة والجهمية بالعقل وردهم النقل الصحيح بالتأويل الفاسد، إلا أن المؤلف قد وقع في خطأ وهو ثناؤه علىٰ المعتزلة والجهمية، وإنكاره علىٰ بعض

أئمة السلف الذين يتمسكون بظواهر الأدلة[١]، والسبب الذي جعل القاسمي يذهب إلىٰ هذا الرأي هو رغبته في استمالة تلك الفرق نحو المنهج الصحيح[٢]. نشر في عام ١٣٣١هـ.

٧. **تنبيه الطالب إلىٰ معرفة الفرض والواجب**. جمع فيه ١٠٣ قواعد للتفريق بين الواجب وغيره من المباح والمستحب، طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ.

٨. **جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل**. مقالة كتبها لبيان أن مسألة تعارض العقل والنقل مجرد دعوىٰ، وأن الحق فيها هو مذهب السلف في تقديم النقل وعدم إهمال العقل. وقد نشرت هذه المقالة في مجلة المنار في عام ١٣٢٥هـ في نحو ١٧ صفحة.

٩. **جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب**. وهو كتاب تربوي قيم، وضعه القاسمي لتقويم الأخلاق الناشئة، وتعليم الآباء والأمهات طرق التربية السليمة، وتثقيف المعلمين بالآداب التي ينبغي أن يتحلوا بها، وطرق التعليم، وقد أتمه في شعبان سنة ١٣٣١هـ ثم طبع وتقرر تدريسه في مدارس الإناث بدمشق كما ذكر ذلك في آخر صفحة منه.

١٠. **حياة البخاري**. تناول فيه حياة الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفصلة مع ذكر فقهه واجتهاده المطلق، وبعض اختياراته في صحيحه، وقد فرغ من كتابته عام ١٣٢٠هـ، وطبع عام ١٣٣٠هـ.

١١. **دلائل التوحيد**. وهو كتاب في الرد علىٰ شبه الماديين الذين

(١) انظر: الصفحات (٤) و(١٨) و(٤٦) من الكتاب نفسه.
(٢) مجلة المنار (٧/ ٦٣٣).

ينكرون الخالق، ويشككون في صدق الرسل، انتهىٰ المؤلف من تسويده عام ١٣٢٥هـ، وطبع في عام ١٣٢٦هـ.

١٢. **رسالة في الشاي والقهوة والدخان**. وهي رسالة بَيّن فيها أسماء الشاي، وصفاتها، وما قيل فيها من شعر، ومضارها، وأحكامها الشرعية، وقد فرغ منها عام ١٣٢٢هـ، وتقع في خمس وخمسين صفحة.

١٣. **شذرة من السيرة المحمدية**. وقد تضمن الكتاب خلاصة سيرة الرسول ﷺ وتشريعاته كما أن فيه رد علىٰ بدعة المولد، وقد كتب في عام ١٣٢١هـ وطبعت في تلك السنة.

١٤. **شرح أربع رسائل في الأصول**. وقد شرح القاسمي هذه الرسائل وأتم شرحها في عام ١٣٢٤هـ، وطبعت في نفس العام.

١٥. **شرح لباب المحصول في علم الأصول**. وأصل الكتاب لابن رشيق(١) المالكي وقد شرحه القاسمي وانتهىٰ من شرحه عام ١٣٢٧هـ وقد طبع عام ١٣٣١هـ.

١٦. **شرح لقطة العجلان**. وأصل الكتاب للزركشي(٢)، وقد شرحه القاسمي عام ١٣٢٥هـ، وطبع في القاهرة عام ١٣٢٦هـ.

---

(١) هو أحمد بن رشيق المالكي الأندلسي، فقيه، محدث، من آثاره: مجموعة رسائل متداولة، وتراجم كتاب الصحيح للبخاري، ومعاني ما أشكل منه. توفي سنة ٤٤٢هـ. معجم المؤلفين (١/ ١٣٩).

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة ٧٤٥هـ، عالم في فقه الشافعية، أصولي، أديب، له عدة مؤلفات منها: البحر المحيط، شرح علوم الحديث، وشرح لقطة العجلان وغيرها. الدرر الكامنة، لابن حجر (٣/ ٣٩٧-٣٩٨) وشذرات الذهب، لابن العماد (٦/ ٣٣٥).

١٧. **شرف الأسباط**: وهو كتاب يتكلم عن شرف أسباط الحسن والحسين ﭭ، وأسباط ذريتهما، وقد استدل القاسمي علىٰ ذلك بالكتاب، والسنة، ثم بفتاوىٰ العلماء، وقد أثبت في آخر الكتاب نسبه، وقد فرغ منه في سنة ١٣٣١هـ، وطبع في نفس السنة.

١٨. **الفتوىٰ في الإسلام**: نُشِر في مجلة المقتبس عام ١٣٢٩هـ، ثم أفرد في كتاب مستقل في نحو ٧٢ صفحة، وقد تكلم الكتاب عن منشأ الفتوىٰ في الإسلام، وشروط المفتي، وآداب الإفتاء، وطبع عام ١٤٠٦هـ.

١٩. **الفضل المبين علىٰ عقد الجوهر الثمين**: ويقع الكتاب في نحو ٥٠٠ صفحة بعد تحقيقه، وهو عبارة عن شرح للأربعين العجلونية، وقد كتب في عام ١٣١١هـ، وهذبه في عام ١٣٢٠هـ، وطبع في عام ١٤٠٣هـ.

٢٠. **قواعد التحديث**: وهو كتاب في فن مصطلح الحديث، بدأ في تصنيفه عام ١٣٢٠هـ، ثم قابله مرة أخرىٰ في عام ١٣٢٤هـ.

٢١. **محاسن التأويل**: وهو تفسير ضخم يقع في سبع مجلدات ضخمة، وقد بدأ تأليفه عام ١٣١٣هـ، وانتهىٰ من تسويده عام ١٣٢٩هـ، وقد أعاد النظر في آخر حياته، وخصص الجزء الأول منه بمقدمة اشتملت علىٰ قواعد وأصول التفسير.

٢٢. **مجموعة خطب**: وهو عبارة عن مجموعة خطب مقتبسة من الخطب النبوية وخطب الصحابة والأئمة المشهورين، وجرد كثيرا من خطب الغزالي في الإحياء، وقد أتم جمعها في عام ١٣٢٥هـ.

٢٣. موعظة المؤمنين: اختصر فيه كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ويقع في جزءين، وقد أتم الجزء الأول منه في عام ١٣٢٣هـ، ثم أتم الجزء الثاني في عام ١٣٢٤هـ.

٢٤. الوعظ المطلوب من قوت القلوب: اختصر فيه كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، ويقع هذا المختصر في ٢١٤ صفحة، وقد أتمه في عام ١٣٣١هـ.

٢٥. النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد: وهو في فن التجويد، كتبه عام ١٣٠٣هـ. ثم نقحه بعد ذلك وضم إليه تكملة في آداب التالي والتلاوة، طبع عام ١٣٢٣هـ.

ثالثًا: المؤلفات التي لم يعرف تأريخها:

١) إزالة الأوهام بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه السلام.

٢) الأقوال المروية في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية.

٣) بحث في جمع القراءات المتعارف. (كذا).

٤) جدول في مخارج الحروف وصفاتها.

٥) الجوهر الصاف في نقابة الأشراف.

٦) رسالة في المسح علىٰ الرجلين.

٧) اللف والنشر في طبقات المدرسين تحت قبة النسر[1].

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٦٨٨) وشيخ الشام جمال الدين القاسمي، للأستنبولي (ص٥٥-٧٥).

وهذه المجموعات لم يتحدد تاريخها وذلك بسبب فقدها من مكتبته، ولذا لم يستطع الباحث إعطاء موجز مختصر عن الكتاب(١).

ويمكن القول أن مؤلفات القاسمي الكثيرة والمتنوعة قد أبرزت فكره التربوي المتعدد الجوانب؛ وكذا غزارة علمه، وجهده التربوي.

وفي ضوء استقراء ما تسير من مؤلفات القاسمي تبيّن أنها احتوت علىٰ المضامين والتوجيهات التّربوية التي ينبغي الإفادة منها في مجال التربية والتعليم. الأمر الذي يدعو للوقوف علىٰ هذه التّوجيهات التّربوية المتناثرة في مؤلّفاته، ودراستها وتنظيمها علىٰ نهجٍ تربويٍ، يمكن الاستفادة منها في المواقف التربوية.

وهذا ما ستكرّسه الفصول القادمة -بإذن الله تعالىٰ- من خلال مباحثها المتعدّدة حول الجوانب التربوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي، والتي يتقدّمها مفهوم ومسؤولية ومعوقات التربية لديه.

❊ ❊ ❊

(١) هذه الكتب ورد ذكرها في مجلة المنار: (٨/ ٦٢٨-٦٣٠).

المبحث الثاني

عصر القاسمي من الناحية
السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية

لاشك أن العصر الذي يعيش فيه الفرد له تأثير مباشر علىٰ شخصيته وفكره وعقيدته. ومن هنا فإنه يجدر الوقوف علىٰ أهم النواحي السياسية والعلمية والدينية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه القاسمي بغية الوصول إلىٰ المؤثرات التي أثرت في شخصيته وثقافته وفكره التربوي.

المطلب الأول
الناحية السياسية

عاش الشيخ القاسمي في الفترة ما بين (١٢٨٣-١٣٣٢هـ) أي أنه عاش بين نهاية القرن الثالث عشر إلىٰ نهاية الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

وهذه المدة التي عاشها الشيخ القاسمي هي فترة ضعف الدولة العثمانية التي كانت تمثل خلافة الدولة الإسلامية آنذاك.

وقد استغلت الدول الصليبية فترة ضعف الدولة العثمانية، فأخذت تطالب بالاستقلال من حكم الدولة العثمانية. ففي عام (١٢٩٤هـ) اندلعت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وانتهت بمعاهدة (سان استيفانو) إلا

أن الدول الأوربية خشيت من تعاظم نفوذ روسيا، واستيلائها علىٰ المضايق، فعدلت تلك المعاهدة بمعاهدة (برلين).

وكان من أهم بنودها:

استقلال بعض الدول الأوربية من حكم الدولة العثمانية، وكان من الدول التي استقلت: رومانيا، والصرب والجبل الأسود، وبلغاريا، والجزء الشمالي من بلغاريا[(١)].

كذلك استغلت الدول الصليبية هذه الفترة العصيبة التي أصابت الدولة العثمانية، فأخذت تستولي شيئا فشيئا علىٰ الدول العربية التي كانت تحت خلافة الدولة العثمانية، حتىٰ باتت الدولة العثمانية تفقد الدول العربية الواحدة تلو الأخرىٰ وفي أزمنة متتالية.

ففي عام (١٨٣٠م) استولت فرنسا علىٰ الجزائر، كما استولت إنجلترا علىٰ عدن في عام (١٨٣٩م).

وبعد مضي أربعة عقود أي في عام (١٨٨١م) احتلت فرنسا تونس، وبعده بسنة احتلت إنجلترا مصر، وبعد ذلك بثلاثين عاما أي في عام (١٩١٢م) استولت إيطاليا علىٰ طرابلس الغرب، ثم خرجت الدول العربية من حوزة الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولىٰ.

وبعد الحرب العالمية الأولىٰ حصلت فرنسا علىٰ حق الانتداب علىٰ سوريا -موطن الشيخ القاسمي- ولبنان، وانتزعت أجزاء من سوريا

---

(١) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر (٨/ ١٩٣-١٩٧) العثمانيون والروس، لعلي حسون، (ص١٤٠-١٤٢) والبلاد العربية والدولة العثمانية، لساطع الحصري (ص١٠) وتاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان (ص٥٨٨-٥٨٩).

وضمت إلىٰ لبنان باسم لبنان الكبير، ثم تلا ذلك تقسيم آخر في ظل هذا الانتداب هو انتزاع فلسطين من سوريا وإخضاعها للانتداب الإنجليزي بناء علىٰ ما قرره مؤتمر سان ريمو في إبريل عام ١٩٢٠م، ونص في صك الانتداب علىٰ أن تعمل إنجلترا لتحقيق وعد بلفور بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود[١].

وكانت الشام -(سوريا) موطن الشيخ القاسمي- في ظل هذه الوقائع والأحداث تحت ولاية الدولة العثمانية، حيث تعاقب علىٰ ولايتها عدد من الولاة معظمهم من بني باشا الذين عيّنَتْهم الدولة العثمانية، واستمر تعيين الولاة علىٰ هذا الحال، حيث كانت تعين واليا، ثم بعد بضعة أشهر تَصْرِف هذا الوالي وتستبدل غيرهم به؛ وكل ذلك لإشغال الناس عن أمور الدولة، ويَحدث التنافس بين الولاة علىٰ الحكم، وبالتالي تقع الحرب بين الطرفين.

وفي ظل هذه الوقائع والحروب نشأ نظام الانكشارية[٢]، واستولىٰ علىٰ زمام الشام، وتَبِع ذلك فساد في أمور الإدارة، ودبت الفوضىٰ في الحكومة المركزية. إلىٰ أن جاء إبراهيم باشا[٣] واستغل هذه الظروف

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي (٥/ ٥٠٠) وما بعدها وتاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان (ص٧٩٥) وما بعدها.

(٢) هم مجموعة من الجنود الذين أنشأهم العثمانيون علىٰ شكل ونظام خاص، وأغلبهم من النصارىٰ، من غلمان البلاد المفتوحة الذين فقدوا آباءهم، فربوهم تربية عسكرية حتىٰ يكون لهم جيشا إذا دعت الحاجة إليه. مصر العثمانية، لجورجي زيدان (ص٦٥-٦٦).

(٣) هو إبراهيم بن محمد علي باشا، ولد سنة ١٢٠٤هـ، قائد بعيد المطامح، من ولاة مصر، قاد كثير من الحروب، منها: حملة الحجاز، وحرب المورة، وحلب وعكا ودمشق، توفي سنة ١٢٦٤هـ. الأعلام (١/ ٧٠).

التي مرت بها الشام، واستطاع بذكائه أن يصل ولاية الشام، حيث عقد الاتفاق مع الأمير بشير الشهابي[(١)] علىٰ فتح دمشق، فاجتمع الجيشان، وتقدموا نحو دمشق لمقاتلة الأكراد والدمشقيين التابعين لنظام الإنكشارية، وحصل بينهم قتال انتهىٰ بانتصار إبراهيم باشا. وكان لولاية إبراهيم باشا الشام أثر كبير في تحسين الحالات السياسة والاجتماعية والعلمية. ففي عهده حدثت مجموعة كبيرة من الإصلاحات، حيث قام بتنشيط الفلاحة، وتحسين الأمور التجارية، وإعادة نهضة علوم اللغة العربية، وتحسين الموارد المالية.

ثم تعاقب عدد من ولاة آل باشا، وانتهت ولايتهم بسقوط آخر وال لهم وهو رأفت بك[(٢)] سنة (١٣٣٧هـ) حيث دخلت جيوش الإنجليز، واستولوا علىٰ دمشق[(٣)].

ومما لاشك فيه أن لهذه الاضطرابات السياسية للدولة العثمانية أثرًا بالغًا علىٰ النُظم، والإدارات الحكومية التابعة للشام. وبالتالي كان له الأثر علىٰ الفكر والثقافة والإعلام علىٰ تلك البلاد. فالحكومة المركزية تميل أحيانا إلىٰ استرضاء الوالي، وتبقيه في منصبه تحت بعض الشروط، وتجنح أحيانا إلىٰ الشدة، وتأمر ولاة الولايات المجاورة بإرسال حملات عسكرية للتأديب وإخضاع أوامر السلطة، والذي ينجح من الولاة في التأديب يقتطع له مكافأة علىٰ ذلك[(٤)]، كما كان الحكام يحاولون تفكيك

---

(١) هو بشير بن قاسم بن عمر الشهابي، ولد سنة ١١٧٣هـ، من أكابر الأمراء الشهابيين، تولىٰ إمارة لبنان سنة ١٢٠٣هـ، توفي سنة ١٢٦٦هـ. الأعلام، للزركلي (٢/ ٥٧).

(٢) لم أقف علىٰ ترجمته.

(٣) منتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (٢/ ٢٥٥-٢٧٠).

(٤) البلاد العربية والدولة العثمانية، لساطع الحصري (ص٤٧-٤٨) والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر (٨/ ١٢١).

وتفريق الناس عن الاجتماع علىٰ كلمة واحدة حتىٰ يسلم حكمهم ويستمر، وينشغل الناس بالاختلاف فيما بينهم حتىٰ لا ينظروا إلىٰ أوضاع الحكام وضعفهم[١]، ناهيك عن العدالة فقد كادت تكون مفقودة لفساد نظام القضاء، وانتشار الرشوة عَلنًا بين موظفي السلطة العامة والمواطنين[٢].

وبالجملة كان هذا العصر يعيش في جو سياسي فوضوي مما أدىٰ إلىٰ التأخر في المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية، وابتعاد المجتمع الإسلامي عن دينه القويم.

(١) منتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (٢/ ٨٠٣).

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٥).

المطلب الثاني
الناحية الدينية

لا شك أن للضعف السياسي الذي دبّ في دولة الخلافة ارتباطًا قويًا بالحالة الدينية. فقد طغت الأفكار الدخيلة من العقائد الفاسدة كالماتريدية والأشعرية، والبدع الضالة كالطرق الصوفية علىٰ جسد الدولة العثمانية؛ مما أوقع في نفوس المسلمين الوهن والكسل، وأشغلهم عن مبادئ دينهم بسخافات وخرافات باطلة، والركون إلىٰ الأماني والأوهام الكاذبة، مما دفع الأعداء إلىٰ أن يطمعوا في استعمارهم، والاستيلاء علىٰ أراضيهم وممتلكاتهم، يقول ظافر القاسمي[١] مبيّنًا الحالة الدينية في ذلك العصر: «وقد كانت الطرق في ذلك العصر في أوج انتشارها، يعتنقها بعض رجال الدين، ويجمعون العامة حولهم، ويشغلونهم عن العمل النافع لإقامة المجتمع الإسلامي الصالح. وقد تعددت هذه الطرق، تعدد الأحزاب السياسية في هذه الأيام، وقامت بين زعمائها خصومات واتهامات لا يكاد يصدقها العقل[٢]».

ومن ناحية أخرىٰ ظهر في هذا العصر بعض المبادئ الغربية، والتيارات الفكرية الهدامة كالعلمانية والقومية والاشتراكية والرأسمالية . . . مما أدىٰ إلىٰ التشكيك بالعقيدة، وزعزعة الدين من نفوس المسلمين، والانبهار بالحضارة الغربية[٣].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٧).

(٣) جاهلية القرن العشرين، لمحمد قطب (ص٤٢).

ونتيجة لذلك الاتجاه الضار علىٰ العقيدة الصحيحة هب المصلحون والعلماء ينادون بالرجوع إلىٰ الدين الحنيف، والعقيدة السلفية الصافية، والتحذير من التيارات الهدامة، والبدع.

ويُعَدّ جمال الدين القاسمي من أولئك الذين لهم دورهم التربوي الفعّال في مواجهة تلك التيارات، والأفكار الهدّامة؛ إذ أخذ يقاوم جميع هذه المظاهر، ويرد علىٰ شبهات الملحدين بكل ما أتيح له من وسيلة.

ولقد ألف الكتب التي تحارب تلك البدع والخرافات، وترد علىٰ شبهات الملحدين(١).

كما اعتمد القاسمي في مواجهة تلك التيارات بنشر الكتب السلفية وطبعها، وحَثّ المصلحين علىٰ ذلك، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن محبي السلف من الواجب عليهم الآن أن ينهضوا لإحياء آثارهم، ونشرها بواسطة الطبع، وأن يجاروا غيرهم من الذين ينشرون تلك الكتب التي لا تزيد إلا خبالا وضعفا في العقيدة . . . فما هذا التواني؟ إن أمثالنا ليحترق ألمًا حينما يرىٰ كتب الأشعرية والحنفية(٢)، وغيرهم امتلأت منها المخازن ولا يرىٰ للأحمديين(٣)

(١) مثل كتاب دلائل التوحيد، وكتاب إصلاح المساجد في بدع العوائد، وكتاب النصائح الكافية.

(٢) ولعل القاسمي يقصد بقوله: الكتب الحنفية تلك الكتب التي تحوي علىٰ عقيدة الماتريدية؛ وإلا فإن كتب الحنفية الفقهية فيها من الفوائد الفقهية الكثيرة مما يستبعد من القاسمي أن ينكر عليها.

(٣) أي أتباع الإمام أحمد بن حنبل، وقد خصهم القاسمي لأن الغالبية من أتباع الإمام علىٰ المذهب السلفي، ولو اكتفىٰ القاسمي بالتعبير عن السلفيين لكان أفضل، إذ فيه من الشمولية والتعميم أكثر من تخصيصه بأتباع الإمام أحمد، حيث يدخل بهذا التعبير الأئمة والعلماء من أي مذهب آخر.

ولا للسلفيين إلا ما ندر، فأين الغيرة؟![١]».

كذلك صرف رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ معظم وقته للتعليم، وبذْل النصح للناس حتىٰ يبين لهم الدين الحق.

كما اهتم رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ بتربية النشء التربية الصحيحة، واعتنىٰ بتلاميذه أيما عناية حتىٰ غدوا علماء صالحين مصلحين[٢].

كما انتشر بين العلماء داء التعصب المذهبي الذي أدىٰ إلىٰ انكبابهم علىٰ كتب المذهب الحنفي، ومنع الاجتهاد، وإعمال الذهن في استنباط الأدلة الشرعية، والإبداع العلمي في البحث والتحقيق والتدقيق في المسائل الفقهية. وكل ذلك أثّر في ضعف الحركة العلمية في ذاك العصر.

ومما ساعد علىٰ هذا التوجه أن السلطان في ذاك العصر يَعُدّ مَن خرج عن المذهب الحنفي جريمة توجب التحقيق والعقوبة[٣].

وبالرغم من انتشار هذا الداء العضال في المجتمع إلا أن هناك ثلة من العلماء المجتهدين كأمثال الشيخ الجزائري[٤] والبيطار[٥]

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: (ص٥٨٥-٥٨٦).

(٢) انظر: المطلب الثالث تحت عنوان: تلاميذه من هذه الرسالة، ففيه بيان لدور تلاميذ القاسمي في الإصلاح.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٤٣-٦٩).

(٤) طاهر بن محمد بن صالح المشهور بالجزائري، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨هـ، مصلح، من أركان النهضة العربية الحديثة، وعضو المجمع العلمي العربي له مؤلفات كثيرة، منها مدخل الطلاب إلىٰ فن الحساب، تدريب اللسان علىٰ تجويد البيان، وكتاب التمرين علىٰ البيان والتبيين، توفي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ في عام ١٣٣٨هـ. معجم المؤلفين، للكحالة (١١/٢)، وتاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، لنزار آباظة (٣٦٦/١-٣٨٠).

(٥) تقدمت ترجمته.

والقاسمي وغيرهم[١] ممن نادوا بالأخذ بالدليل من الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة في الأحكام الفقهية، والمسائل العقدية، أخذوا يوضحون للناس أهمية اتباع الدليل والأخذ به، وكان لهم الأثر البالغ في تصحيح المفاهيم الخاطئة، والعودة بالأمة إلىٰ جادّة الصواب.

وأما عن الولايات الدينية من: الإمامة، والقضاء، والإفتاء، والخطابة، فإنها صارت أمرًا وراثيًّا يرثها الابن عن الأب العالم، ويوسد لهذا الابن تلك الولايات الدينية وإن لم يكن مؤهلًا للقيام بتلك الوظائف[٢].

ولقد أدت هذه السياسة التي نهجتها الحكومة العثمانية إلىٰ بروز ظاهر التعالم، ونقل المعلومات الخاطئة، وانصراف الناس عن طلب العلم، وقتل طموحات النابغين من أفراد المجتمع، وبالتالي نتج عن ذلك عدم تقدير العلم وأهله.

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٤٣-٦٩).
(٢) خطط الشام، لمحمد كرد علي(٤/ ٧٠-٧١) ومنتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (٢/ ٨٠٣).

المطلب الثالث
الحياة الثقافية

تدنت الحركة الثقافية في الفترة التي عاشها القاسمي، وصار الناس يتهاونون بالعلم والتعليم -إلا من رحم الله- وذلك لسوء الحالة السياسية والاجتماعية التي حلت بالدولة العثمانية في أواخر عهدها.

وهناك معوقات أخرىٰ أدت إلىٰ عزوف المجتمع عن الثقافة والمعرفة، ومن أهمها ما يلي:

١) وجود المدارس الحكومية التابعة للدولة العثمانية التي تعني بتدريس اللغة التركية، وإهمال اللغة العربية ومواد التربية الإسلامية، حتىٰ إن قواعد اللغة العربية كانت تشرح باللغة التركية![١].

وهذه السياسة التعليمية للدولة العثمانية أضْعفت إقبال أبناء العرب علىٰ الدراسة في تلك المدارس؛ مما أدىٰ إلىٰ ظهور الجهل، وتضاعف ظاهرة الأمية في تلك البلاد.

ومن هنا استغل المسيحيون هذه الفترة الحالكة، فسارعوا إلىٰ فتح المدارس النظامية التي تعني بتدريس اللغة العربية، وقواعدها، وآدابها، وغيرها من اللغات، وبدأت تنشر آراءها ومبادئها الفاسدة في جسد الأمة الإسلامية، مما نجم عن ذلك زعزعة في المعتقد، وفساد في الأخلاق، وازدواجية في التربية[٢].

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق، لتقي الدين الحصني (١/ ٣١٣-٣١٤).

(٢) خطط الشام، لمحمد كرد علي (٤/ ٧١-٧٢) والإدارة العثمانية في ولاية سورية، لعبدالعزيز عوض (ص٢٦٦).

ورغم وجود الكتاتيب، والحلقات العلمية في الجوامع، والدروس الخاصة في البيوت التي كانت تقوم بتثقيف الناس، وتنوير مداركهم، إلا أنها ذات نطاق ضيق إذ لم يستفد منها إلا قلة من الناس[١].

ويتبين مما سبق دور المدارس النظامية في تثقيف المجتمع، ونشر المعارف، وإيجاد الملكات الصالحة في الأبناء.

وأيضًا يفيد ما سبق أن علىٰ الأمة التي تريد أن ترتقي إلىٰ أوج الحضارة لابد لها من تشييد المدارس، وتقوية مناهجها بالعلوم الشرعية، واختيار المعلمين الأكفاء حتىٰ يربوا الأجيال تربية صالحة نافعة.

٢) قلة المطابع: أما المطابع فقد انتشرت في الشام خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، حيث أنشأ النصارىٰ الأمريكيون مطبعة لهم في عام ١٢٥٠هـ، كما أنشأ اليسوعيون مطبعة أخرىٰ عام ١٢٦٤هـ؛ تخدم أهدافهم التنصيرية، وتدعو إلىٰ ثقافتهم الهدامة[٢].

ولذلك كانت الكتب العلمية عزيزة لا يكاد يملكها إلا أصحاب المال الوفير، وبالتالي نتج عن ذلك ابتعاد الناس عن القراءة والمطالعة، بل كانت الأمية ضاربة أطنابها في المجتمع «... حتىٰ لتصل الرسالة إلىٰ أحد الناس في الحي، فيبحثون عمن يقرؤها فلا يجدون إلا واحدًا أو اثنين، أو لا يجدون، وكثيرًا ما يكون القارئ غائبًا فلا بد من انتظاره. وتصل الجريدة إلىٰ أحد المتعلمين في الحي، فيتحلق حوله الناس في المقهىٰ، أو أمام إحدىٰ الدكاكين، أو في [سهراتهم]؛ ليقرأ

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٦).

(٢) خطط الشام، لمحمد علي كرد (٤/ ٨٦).

لهم ما فيها قراءة ركيكة، ويشرح لهم مضامينها علىٰ مقدار فهمه وإدراكه[١]».

ثم تكاثرت المطابع بعد ذلك، وانتشرت فن الطباعة. وقد أدىٰ ظهور المطابع وتكاثرها إلىٰ تفعيل الحركة الثقافية نوعًا ما في المجتمع، حيث ظهرت الصحافة، وانتشرت في البلاد، وأصدرت الحكومة جريدة (سورية) عام ١٢٩٧هـ، ثم صدرت بعد ذلك جريدة الشام، وبعدها أصدر محمد كرد[٢] مجلة (المقتبس)، ثم كثرت الصحف والمجلات[٣].

٣) انعدام الاجتماعات الثقافية: أما الاجتماعات الثقافية كالندوات والمحاضرات والجمعيات الخيرية؛ فشبه معدوم؛ بل إن الاجتماع علىٰ مذاكرة العلم، ومدارسة الكتب بعيدة عن التعصب المذهبي يعد جريمة توجب العقوبة لمن مارسها؛ وذلك بسبب الجمود علىٰ المذهب الحنفي، ومنع الاجتهاد، والخروج عن المذهب، كما أن الحكام يخافون من اجتماع كلمة أهل العلم؛ لأن فيها كشفًا لعيوب الدولة وأسرارها؛ والخروج عن حكمهم[٤]؛ ولذلك ابتعد الناس عن مثل هذه الحلقات العلمية، ونأوا عن تلك المجالس.

وهذا التفرق أدىٰ بالمجتمع إلىٰ عدم التآلف والمشاركة الفعالة فيما بينهم، وترك تبادل الآراء الفكرية والعلمية، والثقافية، وغياب التعاون في قطاعات المجتمع، وكذا انعدام التكافل الاجتماعي.

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٦).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) خطط الشام، لمحمد علي كرد (٤/ ٨١-٨٤).

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٤٨-٦٩).

كل ما سبق بيانه من عوامل وأسباب أدت إلىٰ تقييد العقول، وانغلاق الثقافة، والجمود في الفكر، وقتل الملكات الأدبية، والحرية في البحث والتدقيق، وانتشار الجهل في ربوع المجتمع حينذاك.

المطلب الرابع
الناحية الاجتماعية

لم تكن الحالة الاجتماعية بأفضل من غيرها من الحالات؛ إذ هي نتيجة حتمية للحالات السابقة. فالاضطرابات السياسية، وتعدد الولاة، وضعف الحالة الثقافية، والدينية، كل ذلك عكست طبيعتها علىٰ المجتمع بالضعف، والانحلال، والانحطاط، والتأخر في جميع قطاعاته، ومناشطه.

فالمجتمع يعيش في تفرقٍ -إلا من رحم الله- لا يعرف للتعاون طريقًا، ولا للترابط والتآلف سبيلًا، وليس فيه من اللقاءات الاجتماعية إلا ما كان في أوقات المناسبات كالولائم، والجُمع، والجماعات، والسهرات التي كان يسميها أهل الشام بـ (الدور)[١].

وأما عن الحالة الأخلاقية فقد وصلت إلىٰ درجة سيئة، حيث انتشر الفساد، وفسدت الأخلاق والآداب، وانتشرت الرذائل وكثرت بيوت الملاهي[٢].

يقول الألوسي[٣] وهو يصف الحالة الاجتماعية في رسالته التي أرسلها إلىٰ القاسمي: «... وتوالت علينا فتنة بعد فتنة بعد أخرىٰ وبلاء بمثله مقرون فلم يبق لنا الآن ثقة ببقاء بلد أو الثبات علىٰ حال، وامتلأت بلاد المسلمين من الفسق والفجور واللهو واللعب وهم يحسبون أنهم

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص١٨)
(٢) مجتمع مدينة دمشق، يوسف جميل نعيسة (ص٧١٦-٧١٧).
(٣) تقدمت ترجمته.

يحسنون صنعا، اللهم يا محول الأحوال حول حالنا إلىٰ أحسن حال[١]».

وهذا الفساد نشأ بسبب ترك المجتمع للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح، والنصيحة، ولهذا نوه القاسمي بأهميته فقال: «من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الإنسان كافة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين نوهت الشرائع بعلو شأنهما وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الأمة وتشييد دعائم هيئتها الاجتماعية[٢]». وكذلك كان المجتمع حينذاك يفتقر إلىٰ الكثير من التنظيمات الإدارية، والمقومات التوجيهية، والأهلية في أمور السلطة؛ فقد انتشر الجور والظلم بين المجتمع لفقد الرقابة الإدارية، وفساد النظام القضائي، وانتشار الرشوة بين موظفي الدولة والمواطنين[٣].

وهذا الفساد الإداري سببه يعود إلىٰ توظيف من ليس بأهلٍ للقيام بالأعمال الإدارية، وليس عنده مؤهلات تساعده في أداء عمله؛ ولذلك لابد للوالي أن يحسن اختيار الموظفين، فيختار من يحسن علم الحقوق، ويعرف حركة المجالس النيابية عند الأمم الراقية، ويحسن تاريخ أمته واجتماعها، ويكون قادرا علىٰ الاستخراج من كتب السياسة والإدارة والقضاء، وجامعا بين العلم وعلو الهمة وحسن الإدارة والتنزه عن التحزب والأغراض[٤].

---

(١) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي والألوسي، جمعها محمد ناصر العجمي: (ص٢٣٤).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٤).

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص١٥).

(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١١٦-١١٧).

وبعد هذا العرض يتبين أن القاسمي قد عاش في فترة تاريخية تعتبر من أعظم فترات الدولة العثمانية أحداثًا، من أبرزها التقلبات السياسية، والتأخر في المجالات العلمية، والضعف في النظام الاجتماعي، «والتي أثرت لاشك في الحياة التربوية والعلمية مثلها في ذلك مثل أي جانب ثقافي آخر ابتكره المجتمع وتأثر بالقوىٰ والعوامل المختلفة فيه[(١)]».

ويمكن القول إن النواحي: السياسية، والثقافية، والدينية، والاجتماعية أثرت في فكر القاسمي، وكانت لها الأثر الواضح في تكوين شخصيته الثقافية والاجتماعية والدينية.

كما أنها أثرت في موقفه التربوي، ونتاجه العلمي. فكان كتابه «جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب» عناية بالناشئة بما يكسبهم الأخلاق الحسنة ولا سيما أن عصره كان يموج بالفساد والمنكرات الأخلاقية[(٢)]، حيث بيّن فيه الآداب الاجتماعية، والآداب المنزلية، والآداب العلمية، وبعضًا من القوانين الصحية، ثم ختم الكتاب ببعض من الأبيات التي ترشد إلىٰ التحلي بالأخلاق الحسنة.

كما أن كتابه «دلائل التوحيد» كان ردًّا لفكر الملاحدة الذين ينكرون الخالق، حيث فنّد شبهاتهم، وأثبت بعشرات من الأدلة العقلية الدالة علىٰ وجود الله سبحانه وتعالى[(٣)].

كذلك جاء كتابه «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» تبيانًا للبدع التي أحدثت في المساجد في عصره، فقد التزم رحمه الله إقناع المبتدعين

---

(١) المدرس في المدرسة والمجتمع، لأبي الفتوح رضوان وآخرون (ص٥).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٣).
(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، لمحمود الاستنبولي (ص٥٩).

ببطلان هذه البدع من نصوص الفقهاء والعلماء مع دعم ذلك بأدلة من الكتاب والسنة[١].

ولما فشا بين العامة في عصره كثرة الحلف بالطلاق، وجريانه علىٰ ألسنتهم[٢]، ألّف كتابه «الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس»، فبيّن فيه آداب التطليق المستنبطة من الكتاب والسنة، وخطورة الحلف بالطلاق، بالإضافة إلىٰ إيضاح بعض المسائل المتعلقة بالطلاق.

ولما احتاج الناس إلىٰ كتاب مختصر يذكرهم بأحكام الدين وشيء من الأخلاق الإسلامية يُقرأ عليهم بعد الصلوات المفروضة[٣] وغيرها من الأوقات المناسبة للدرس العام فقد ألّف القاسمي رحمه كتابًا مختصرًا سماه «موعظة المؤمنين» وكتابًا آخر سماه «الوعظ المطلوب»؛ بيّن فيه جملة من الآداب الإسلامية وشيء من أحكام العبادات والمعاملات.

كذلك لما كثرت أسئلة الناس في عصره عن حكم المسح علىٰ الجوربين في الوضوء، وحاجتهم إليه ولاسيّما في فصل الشتاء، حيث تحصل المشقة من غسل الرجلين، وما يعتريهم من جرّاء الغسل من التشقق والتقرح؛ بما أدىٰ بالجهّال منهم إلىٰ ترك الصلوات المفروضة[٤] كل ذلك استدعىٰ القاسمي إلىٰ أن يؤلف رسالة في حكم المسح علىٰ

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، لمحمود الاستنبولي (ص٦١).

(٢) الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس، للقاسمي (ص١٥).

(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٠-٤١) والوعظ المطلوب من قوت القلوب، له أيضا (ص١٧).

(٤) المسح علىٰ الجوربين، للقاسمي (ص١٦-١٧).

الجوربين في الوضوء؛ بيّن فيها جواز المسح علىٰ الجوربين بالأدلة من الكتاب والسنة.

وغيرها من المؤلفات التي أُلّفت لإصلاح المجتمع، وبيان لهم في أمور عباداتهم ومعاملاتهم[١].

وفيما سبق دلالات تربوية علىٰ اهتمام القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ بعصره من جميع نواحيه، بما يعيد الناس إلىٰ طريق الحق وجادة الصواب.

وخلاصة القول أن اضطراب الحالات: السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية قد عكست آثارها علىٰ المجتمع في ذاك العصر، ونتج عنها التأخر في كثير من مجالات الحياة وقطاعات المجتمع ومناشطها، الأمر الذي دعا المصلحون من أمثال القاسمي وغيره إلىٰ ضرورة القيام بالإصلاح التربوي والتوجيه والدعوة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة، والتحذير من البدع والضلالات والانحرافات.

❊ ❊ ❊

(١) انظر بالتفصيل عن أبرز مؤلفات القاسمي (ص٣٥).

الفصل الأول

التربية عند القاسمي: مفهومها ومسؤوليتها ومعوقاتها

المبحث الثالث: أخلاقيات العمل المهني ٥٠٧
أولًا: استصحاب النية الحسنة عند العمل المهني ٥٠٨
ثانيًا: الأمانة ٥٠٩
ثالثًا: الإتقان ٥١٢
رابعًا: السماحة في التعامل ٥١٣
خامسًا: توخي الكسب الحلال ٥١٥
الخاتمة ٥١٩
أولًا: الخلاصة ٥٢١
ثانيًا: النتائج والتوصيات ٥٢٣
١- النتائج ٥٢٣
٢- التوصيات ٥٣٢
فهرس المصادر والمراجع ٥٣٩
فهرس الموضوعات ٥٦٨

❊ ❊ ❊

الإخراج الفني: حسام الدين قاسم
٠٠٢٠١٠٦٢٤٨٨٨٨٤

المبحث الأول

مفهوم التربية

أولًا: مفهوم التربية لغة:

أشار القاسمي ﷺ إلىٰ مفهوم التربية لغةً عند معرض تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] فقال: «الرب يطلق علىٰ السيد المطاع وعلىٰ المصلح وعلىٰ المالك. تقول: ربّه يَرُبُّه فهو ربّ كما تقول: نمّ عليه ينُم فّهو نمّ(١)».

وقد احتوىٰ هذا النص الذي عرضه القاسمي لتفسير الآية علىٰ دلالات لغوية لمفهوم التربية، وهي:

(١) السيادة. (٢) والإصلاح. (٣) والملك.

وقد جاء في المعاجم اللغوية ما يؤيد هذه الدلالات اللغوية، ففي لسان العرب جاء في مادة (ربب):

ربّ الشيء إذا أصلحه. وربْبْتُ القوم أي: سُسْتَهم. ورَبَّه يَرُبّه رَبًّا: ملكه(٢).

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٢٢٢).
(٢) (٥/ ٩٥).

وبالنظر إلىٰ كتب المعاجم اللغوية يتبين أن مادة (التربية) تزخر بمعطياتٍ لغوية أخرىٰ، منها:

- أنها مشتقة من (ربا يربو) بمعنىٰ زاد ونما[١]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ ... [الرُّوم: ٣٩].

وكذلك هي مشتقة من (رَبِيَ يَرْبَىٰ علىٰ وزن خَفِي يَخْفىٰ) بمعنىٰ نشأ وترعرع؛ وعليه قول الشاعر:

فَمن يك سائلًا عني فإني ... بمكة منزلي وبها رَبَيْت[٢]

وهذا يعني أن من معاني التربية في اللغة: النشأة والزيادة والسيادة والإصلاح والملك.

ثانيًا: مفهوم التربية اصطلاحا:

إن المتأمل في الكتب التربوية عند علماء المسلمين يجد أنهم قد استخدموا بعض المصطلحات التي تعطي مدلولًا تربويًا. حيث استعملوا كلمة الأدب[٣]، والأخلاق[٤]، والتعليم[٥]، والتأديب[٦]. وغيرها بدلا من كلمة التربية.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور: (٥/ ١٢٦).

(٢) مجمل اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٠٤) ولسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٢٨)، والمصباح المنير (ص٢١٤).

(٣) مثل: كتاب الأدب المفرد للبخاري وكتاب أدب الدنيا والدين للماوردي.

(٤) مثل: كتاب الأخلاق والسير لابن حزم وكتاب الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب البغدادي.

(٥) مثل: كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي.

(٦) مثل: كتاب تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليه مؤدبو الأطفال للهيثمي.

كما أن هناك تعريفات اصطلاحية للتربية ذكرها العلماء السابقون[١]، واختار القاسمي من بين هذه التعريفات تعريف البيضاوي[٢] وهو: «تبليغ الشيء إلىٰ كماله شيئًا فشيئًا»[٣].

ولهذا التعريف من المميزات ما يلي:

١. أنه بيّن أن العملية التربوية تقوم علىٰ التدرج.

٢. كما وضح التعريف بأن العملية التربوية تهتم بالمربَّىٰ حتىٰ توصله درجة الكمال الإنساني من كل الجوانب.

وقد لوحظ علىٰ هذا التعريف عدم تحديد المحور الذي تتمركز حوله العملية التربوية ألا وهو الإنسان، حيث دخل في عموم قوله: **(تبليغ الشيء)**: الإنسان والحيوان والنبات، كذلك لم يصبغ التعريف بصبغة إسلامية إذ لم يبين فيه الهدف التربوي، والمنهج التربوي المستقىٰ منه[٤].

ويمكن أن يجاب علىٰ هذه الملاحظة أن الذين عرّفوا هذا التعريف لم يقصدوا بذلك تعريف التربية من حيث الاصطلاح، وإنما قصدوا تعريفها من حيث اللغة.

وكذا يمكن أن يقال أن السبب في عدم تقييد التعريف بمحددّاتٍ شرعية يعود إلىٰ أن الثقافة في عهد السابقين لم تتأثّر كثيرًا بأفكار مخالفةٍ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: (١/ ٧).

(٢) عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، قاض، عالم بالفقه والتفسير، من مؤلفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحفة الأبرار، توفي سنة ٦٨٥هـ. طبقات الشافعية، للسبكي (٥/ ٥٩).

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي: (١/ ٢٢٢).

(٤) الجوانب التربوية الإسلامية الأساسية لمقداد يالجن (ص٢٢).

للمنهج الإسلامي؛ لذا فإنه لم يُقيّد التعريف بتلك المحددات، وإلا فمن المعلوم بالضرورة أن العملية التربوية لا تكون إلا في المحور الأساس وهو الإنسان، وأن مصدرها الكتاب والسنة.

وأما المتأخرون فقد اختلفت وجهات نظرهم حول مفهوم التربية، فمنهم من يرىٰ أن التربية تعني منهج مقررات المواد الإسلامية التي يدرسها الطالب في أي مؤسسة تربوية. والبعض يرىٰ أنها دراسة تاريخ التعليم أو تاريخ المؤسسات التعليمية أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي. وآخرون يرون أنها مجرد تعليم العلوم الإسلامية دون النظر إلىٰ العملية التربوية. وهناك مجموعة من المربين يرون أنها نظام تربوي مستقل ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأصيلة(١).

وبالنظر إلىٰ هذه المفاهيم يتضح أن المفهوم الأخير هو الأقرب للصواب؛ للأسباب التالية:

أ- أنه مفهوم شامل للعملية التربوية، فهو لا يركز علىٰ التعليم فحسب؛ بل ينظر إلىٰ التربية بمنظار متكامل يشمل التعليم والتربية معًا.

ب- أن هذا المفهوم أصيل المصدر؛ إذ أن تعاليمه مستقاة من التوجيهات الإسلامية.

ج- كما أن هذا المفهوم شامل للميدان التربوي فهو لا يخص العملية التربوية في البيئة المدرسية، بل يشمل الوسائط التربوية الأخرىٰ.

---

(١) دراسات في التربية الإسلامية لأحمد سعيد الغامدي (ص٢٠-٢٣) وأهداف التربية الإسلامية وغايتها لمقداد يالجن (ص١٧).

وعلىٰ ضوء المفهوم الأخير يمكن تحديد مصطلح التربية الإسلامية بالآتي:

التربية هي: تنشئة المسلم في جميع جوانبه الشخصية وفق المنهج الإسلامي لتحقيق العبودية لله ﷻ[1].

فهذا التعريف له من المميزات ما يلي:

(١) وضّح هذا التعريف أن العملية التربوية تقوم علىٰ التدرج بالمربَّىٰ حتىٰ يصل إلىٰ درجة الكمال الإنساني.

(٢) أن التعريف شمل جميع مراحل النمو الإنساني؛ إذ لم يقيد بمرحلة معينة من مراحل النمو الإنساني؛ وهذا يدل علىٰ خاصية استمرار التربية الإسلامية ودوامها.

(٣) أنه اعتنىٰ بجميع جوانب الشخصية الإنسانية: العلمية، والعقدية، والتعبدية، والفكرية، والخلقية، والجسمية، والمهنية، وغير ذلك حيث لم يحصرها في جانب دون آخر.

(٤) فيه إبراز للمنهج التربوي الصحيح المستقىٰ من الكتاب والسنة، والذي يتميز بالأساليب والوسائل التربوية الموافقة لطبيعة المربين وميولهم؛ وعليه فيخرج التربيات القائمة علىٰ المناهج الفاسدة والمنحرفة.

(٥) وعلىٰ ضوء التعريف يتضح الهدف الحقيقي من التربية هو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(١) أصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي (ص١٩).

[الذاريات: ٥٦]. فهذا الهدف وهو عبادته تعالىٰ بما أمر علىٰ لسان رسوله لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين إلا به[١].

❊ ❊ ❊

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٣٤٩).

المبحث الثاني

المسؤولية التربوية

إن المسؤولية التربوية شاملة لكل من توفّرت فيهم الأهلية للقيام بمهمة التربية والتّكاليف الشّرعية، والوعي بالواجبات المنوطة بهم.

فقد حَمّل الله سبحانه وتعالى الإنسان المسؤولية، وكلَّفه بتطبيق شريعته، وتحقيق العبودية له، ورتَّب على ذلك الجزاء والمحاسبة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

وقد حدّد المنهج الإسلامي لكل فرد من أفراد الأمة واجبه التربوي الذي يتناسب مع إمكاناته، وأهليّته، ومكانته الاجتماعية؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كُلّكُمْ رَاعٍ وَكُلّكُم مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِه، الإمَامُ رَاعٍ؛ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِه، وَالرّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ؛ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ؛ وَمَسْؤُولةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيّدِهِ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**[(١)]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ﴾ (ص٥٥٧) برقم (٢٧٥١) ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل . . . (٣/١٤٥٩) برقم (١٨٢٩)، واللفظ للبخاري.

فهذا الحديث يوضح شمولية المسؤولية التربوية في جميع مجالات الحياة، وقطاعات المجتمع، وأنها لا تقتصر علىٰ فردٍ دون آخر، وإنما تتدرج هذه المسؤوليات التربوية من: المسؤولية التربوية للأسرة، إلىٰ المسؤولية التربوية للحاكم[١] . . . ، فكل واحد منهم مؤتمن علىٰ ما يليه، يأمرهم بالنصيحة فيما يلونه، ويحذرهم أن يخونوا فيما وكّل إليهم منه[٢].

وفيما يلي بيان لمجالات المسؤولية التربوية -كما يراها القاسمي-:

أولًا: المسؤولية التربوية الذاتية:

فالمسؤولية التربوية الفردية -في نظر القاسمي- تعني إصلاح الفرد نفسه، واعتنائه بتهذيب خُلُقه، وتطهير نفسه من المساوئ والرذائل، ووقوفه عند حدود الأوامر والنواهي الشرعية بعد معرفة الحلال والحرام بالعلم والتعلم، ومقاومته للشهوات النفسانية، ورعاية جسمه وصحته، وصرف قواها إلىٰ صالح الأعمال الدينية والدنيوية، الكافلة لسعادة الإنسان في المعاش والمآل؛ حتىٰ يغدو محمود الأقوال والأفعال، مثالا للفضيلة والكمال، وأداةً في ارتقاء أمته علىٰ منصات الحضارة، وبلوغها ما تطمح إليه من الآمال العظام[٣]؛ والذي بصلاحه تصلح الأمة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعْد: ١١].

---

(١) التربية علىٰ المسؤولية، لعباس محجوب، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٢٤٢) صفر (١٤٠٥هـ، ص٢٩).

(٢) معالم السنن، للخطابي: (٣/٣).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي (ص١٣) و(ص١٣٤).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنىٰ الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلىٰ أضدادها[(١)]»، وبالتالي فإنه يقع علىٰ الفرد مسؤولية إصلاح وتهذيب ذاته حتىٰ يحظىٰ بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم.

ثانيًا: مسؤولية الأسرة التربوية:

تبدأ المسؤولية التربوية للأسرة بحسن التهيئة لاختيار الزوجين؛ ذلك أن حسن الاختيار من أولىٰ الدعائم التي ترتكز عليها الحياة الزوجية الهنيئة؛ فكلما أحسن الزوجين اختيار صاحبه؛ كانت نسبة نجاح الحياة الزوجية أكبر؛ والعكس بالعكس[(٢)].

ولقد بيّن المنهج الإسلامي الصفات المرغبة في اختيار الزوجة وهي: المال، والجمال، والحسب، والدين؛ وأكد الاختيار المبني علىٰ الدين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُنْكَحُ الـمُرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِها، وَجَمَالِهاَ، وَلِدِيْنِهَا، فَاَظْفَرْ بِذَاتِ الدَّيْنِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**[(٣)]».

فالحديث أرشد إلىٰ اختيار ذات الدين؛ لأنها تعين الزوج علىٰ

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٤٣٥).

(٢) بناء الأسرة المسلمة، لسهيلة زين العابدين (ص٣٥-٣٦) وأضواء علىٰ نظام الأسرة في الإسلام، لسعاد إبراهيم، (ص٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، (ص١١٠٥) برقم (٥٠٩٠) ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦).

طاعة الله، وتحفظه في عرضه وماله وأبنائه؛ وكل ذلك يساعد علىٰ استقرار الحياة الزوجية، ويعين علىٰ أداء المسؤولية التربوية.

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي عند معرض حديثه علىٰ الخصال التي يراعىٰ عند اختيار الزوجة: «أن تكون صالحة ذات دين؛ فهذا هو الأصل، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها، وسودت بين الناس وجهه، وشوست بالغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه ... ولهذا بالغ رسول الله ﷺ في التحريض علىٰ ذات الدين فقال: «**تُنْكَحُ المُرْأَةُ لأرْبَعٍ: لمالِهَا، وَلِحَسَبِها، وَجَمَالِهاَ، وَلِدِيْنِهَا، فاَظْفَرْ بِذَاتِ الدَّيْنِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**[1]»[2].

كذلك من المسؤولية التربوية للأسرة أن يقوم الزوج بتعليم زوجه الأحكام الشرعية، وتهذيب أخلاقها، وحملها علىٰ طاعة ربها، ومعاشرتها بالمعروف، وحسن الخلق معها، والنظر في أحوالها ثم معاملتها بما يصلحها كما يقتضي حالها، واحتمال الأذىٰ منها، وعدم فتح باب المساعدة علىٰ المنكرات، بل إن رأىٰ منها ما يخالف الشرع والعادات تدّرج في تأديبها، والأخذ بها إلىٰ الصواب[3]؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

يقول القاسمي في معنىٰ الآية الكريمة: «﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾

(١) تقدم تخريجه.
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٦٤-١٦٥).
(٣) المصدر السابق (ص١٦٨-١٧١).

بترك المعاصي، وفعل الطاعات، والقيام علىٰ تأديب الأهل، وأخذهن بما تأخذون به أنفسكم[(١)]».

أما الزوجة فمن أهم مسئولياتها «... أن تحفظ بعلها في غيبته وحضرته، وتطلب مسرّته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ... وتكون قانعة من زوجها بما زرق الله، وتقدم حقه علىٰ حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظّفة في نفسها، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشفقة علىٰ أولادها ...[(٢)]» ومربية لهم.

فإذا قام كل من الزوجين بحقوق الآخر تم التآلف بينهم وحصل التعاون علىٰ القيام بمسئولية تربية الأبناء؛ وبخاصة في المراحل الأولىٰ من عمرهم، لأن الطفل في هذه المرحلة سريع التأثر، قليل الخبرة، «... قابل لكل ما نقش، ومائل إلىٰ كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعُلِّمه نشأ عليه، ... وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه[(٣)]».

وقد بينت السنة النبوية مدىٰ تأثير الأسرة علىٰ فطرة الناشئ وسلوكه؛ فقال ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**[(٤)]».

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٧/ ١٤٠).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٤-١٧٥).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٨).
(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (ص٢٧٢) برقم (١٣٨٥).

فهذا الحديث الشريف بيّن مدىٰ تأثير المربى علىٰ فطرة الناشئ؛ «. . . وأنه كما يكون الأهل يكون الطفل في الغالب، فإن كانوا ذوي نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك؛ لما عُلِم من أنه ميّال للتقليد والمحاكاة، وإن كانوا جهلاء أغبياء وذوي خمول أو ضعف في العزيمة شب الطفل علىٰ ذلك . . .[١]».

ومن هنا يتبيّن أهمية دور الأسرة في التربية، وأنها إما أن تكون منشأ خير للأبناء، أو معول هدم للدين والقيم الأخلاقية. كما يستفاد من الحديث السابق أن الفطرة السليمة[٢] موجودة في أصل خلقة الطفل، وعليه فإنه يسهل علىٰ المربي توجيه الطفل بدافع فطرته إلىٰ محاسن الأمور، وما عليه إلا أن يعمل جاهدا علىٰ تعميقها، وتركيزها في نفسه[٣].

ولذلك فإن علىٰ الأسرة الكثير من المسؤوليات التربوية نحو أبنائها، ومن أهمها: أن يؤدّبهم ويهذّبهم، ويعلّمهم تعاليم الدين، ويحفظهم من قرناء السوء، ويتابع شؤونهم الصحية، ويربيهم علىٰ الاعتماد علىٰ النفس، والاستقلال بأن يستعدوا للعمل وطلب الرزق[٤] وغيرها.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٥).

(٢) فسرت الفطرة بعدة تفسيرات، ومنها: الإسلام، وقيل: الإيمان، وقيل: معرفة وجود الله. وكل هذه المعاني تدل أن نشأة الطفل في بدايته تكون علىٰ الخير والصلاح. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٣٥٩-٣٦٠ و٣٦٧-٣٦٨).

(٣) مسؤولية الأب المسلم، لعدنان باحارث (ص١٠٣).

(٤) جوامع الآداب وأخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٧) وموعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٨-٢٧٩).

ثالثًا: مسؤولية العلماء التربوية:

كما يرىٰ القاسمي أن علىٰ العلماء مسؤولية تربوية عظيمة، فهم أمناء الشرع، ونور سراجه، ومصابيح علومه، وحفّاظ سياجه، ولذا يتأكد عليهم أن يجالسوا الناس بالعلم، ويحدثوهم به، ويبثوه لهم، ويحثوهم علىٰ العمل به، ويأمروا بالأخلاق الكريمة، ويزجروا عن المساوئ الذميمة، ويخاطبوهم علىٰ قدر عقولهم، وينزلوا لإرشادهم إلىٰ لغتهم؛ ليرتقوا بهم إلىٰ ما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة[١].

رابعًا: مسؤولية المجتمع التربوية:

إن علىٰ مجموع الأمة القيام بواجب النصح كلٌ علىٰ حسب استطاعته حتىٰ يغدو المجتمع متماسكًا علىٰ الخير والصلاح، بعيدا عن الفساد والتفرق؛ قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي: «من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الإنسان كافة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين نوهت الشرائع بعلو شأنهما وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الأمة وتشييد دعائم هيئتها الاجتماعية[٢] . . .».

وفي هذا العصر يحتاج المربون أن يعتنوا ببيان أهمية الشعور بالمسؤولية التربوية لأفراد الأمة، والإحساس بقيمتها، والتبصر بأثرها

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٩-٤٠).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٧٤).

الفعال في إنجاح العملية التربوية -ولا سيما فقد فَقَد بين الناس -إلا رحم الله- هذا الشعور والإحساس بأهميته.

ومن هنا فإن علىٰ أفراد الأمة أن يعلموا أنه: «كلما عظم الشعور بالمسؤولية لدىٰ الأفراد، وعظم إدراكها في النفس؛ صلح أمر الفرد، وصلح المجتمع بصلاحه؛ ولذلك كان رقي الأمم مرتبطًا بدقة هذا الشعور، وسمو الإدراك به عند أبنائها، ولا سيما عند الذين يتصدرون مراكز التوجيه، ويملكون أزِمّة الحكم، ويتولون مقاليد الأمور[(١)]».

وبالجملة فإن كل فرد من أفراد الأمة ممن توفرت فيهم الأهلية للقيام بالمهام التربوية فإنه يتحمّل تبعاتها، كلٌّ حسب استطاعته وقدراته، وهذا الشعور بالمسؤولية، والعمل علىٰ تحقيقها كفيلان -بإذن الله ﷻ- بأن يأخذا بالأمة إلىٰ أوج الحضارة والتقدم.

❋ ❋ ❋

(١) من المسؤول الأول عن تربية النشء، لأحمد محمد أحمد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٦٨) السنة الرابعة عشرة، ذو الحجة ١٣٩٨هـ (ص١٠٣).

المبحث الثالث

المعوقات التربوية

إذا كانت العملية التربوية بأساليبها وطرقها لها أهمية بالغة في إعداد الفرد المسلم الصالح الذي بصلاحه يصلح المجتمع الإسلامي، ويرتقي بالأمة إلىٰ ذرا المجد والتقدم؛ فمما لاشك فيه أن لهذه العملية مقوّمات تساعد علىٰ نجاحها؛ ومعوّقات تعيق سيرها.

ومن هنا فإنه لا يكفي أن يعرف المربّون المقوّمات والوسائل التربوية التي تعينهم في إنجاح عملهم التربوي دون أن يقفوا علىٰ المعوقات التربوية؛ إذ عِلْم المربين بالمقومات دون المعوقات لا يقيلهم من العثرات في سيرهم التربوي، وكذا حصول العقبات في سبيل الوصول إلىٰ الأهداف التربوية وغايتها.

فتبيّن أنه لابد للمربين أن يقفوا علىٰ المعوقات التربوية وهم يؤدون عملهم التربوي حتىٰ لا يتعثّر سيرهم التربوي، بالإضافة إلىٰ أن الوقوف علىٰ المعوقات يساعدهم علىٰ معرفة أسبابها، بما يسهل لهم البحث عن سبل العلاج المناسب لها.

كما لابدّ لأي مربٍّ أن يعلم أن هذه المعوقات لها آثار إيجابية، متىٰ ما شعر بها المربون زادهم إيمانًا ويقينًا بربهم ﷻ، ودفعهم إلىٰ أن يزدادوا دافعيةً لأدائهم التربوي.

ومن تلك الآثار:

١. أن يَعْلم المربون أن هداية التوفيق بيد الله ﷻ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

قال القاسمي في معنىٰ الآية: «أي لا تقدر أن تُدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ أي أن يهديه فيدخله في الإسلام بعنايته ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي القابلين للهداية لاطلاعه علىٰ استعدادهم وكونهم غير مطبوع علىٰ قلوبهم[(١)]». فإذا علم المربون أن الهداية بيد الله ﷻ فإنه لا يصيبهم الإحباط واليأس في عملهم التربوي إذا لم يروا إقبال المتربين واستجابتهم، بل إنّهم يجتهدون في النصح والتأديب، ويُعّلِقون أملهم ورجاءهم بالله وحده في حصول ما يرجون من الهداية والصلاح للمتربين.؛ مع الأخذ بأسباب وطرق الهداية.

٢. التمحيص والاختبار؛ قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العَنكبُوت: ١-٣]. فالمعوقات تكشف الذي يصبر علىٰ الأداء التربوي، وتزيده ثباتًا في هذه الوظيفة التربوية دون تضجّر أو تأفف، وكل ذلك يُعوّد المربي علىٰ إخلاص العمل لله ﷻ، والصبر علىٰ الأذىٰ فيه ﷻ.

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٥/ ٤٢٧).

٣. أن وجود المعوقات في طريق المربي سنة من سنن الله الكونية، فإذا علم بذلك المربي كان هذا أدعىٰ لاستمراره في طريق التربية؛ لأنه يعلم أن هذا هو طريق المربين والمصلحين من قبله، وعلىٰ رأسهم الأنبياء والمرسلون، ولذلك جاءت الوصية إلىٰ رسول الله ﷺ بهذا المعنىٰ في غير ما آية في كتاب الله تعالىٰ، منها قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].

٤. أن وظيفة التربية لا تظهر قوتها إلا بمدافعة المعوقات؛ فالمربي إذا وقفت أمامه المعوقات فإنه يخطط وينظّم ويبحث عن الأساليب العلاجية لها، وبالتالي يعظم أجره عند الله ﷻ.

٥. تعليم المربي صدق اللجوء إلىٰ الله ﷻ؛ فإنه كلما تعرض له معوق أمام عمله التربوي لجأ إلىٰ ربه ﷻ وتضرع إليه بأن ييسر له سبيل العلاج لذلك الداء.

وأما عن المعوقات التربوية التي يراها - القاسمي رحمه الله فهي كالآتي:

أولًا: معوقات تتعلق بالأسرة:

١. فقدان القدوة المثالية في البيئة الأسرية:

فالمربىٰ عينه معقودة علىٰ تحركات والديه وأفعالهما، ويحاول أن يحاكيهما في جميع تصرفاتهما، وبالتالي فهو يكتسب الكثير من الأخلاق والمبادئ والمثل منهما بطريقة لا شعورية؛ وعليه إذا ما لحق بالبيئة الأسرية أي خلل أو فساد فإنه ينعكس علىٰ سلوك المربَّىٰ وتكوينه الشخصي.

يقول القاسمي منوّهًا علىٰ أثر القدوة السيئة في البيئة الأسرية علىٰ المربَّىٰ: «إذا لحظ المرء ما ينجم من التربية المنزلية يجد أنه كما يكون الأهل يكون الطفل في الغالب، فإن كانوا ذوي نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك، لما عُلِم من أنه ميال للتقليد والمحاكاة، وإن كانوا جهلاء أغبياء وذوي خمول أو ضعف في العزيمة شب الطفل علىٰ ذلك، فمن هذا يعلم أن تربية البيت إما أن تكون عضدًا وساعدًا في المدارس، وإما أن تكون عقبة كئودًا في سير التربية المدرسية[(١)]».

ولذا علىٰ الأسرة أن تحافظ علىٰ القدوة المثالية؛ لما لها من دور كبير في التربية الإسلامية؛ «لأن الطفل يقتدي بمن يراه، ويقلده في أعماله وسلوكه[(٢)]».

٢. إهمال أفراد الأسرة للمسئولية التربوية الملقاة علىٰ عاتقهم:

لاشك أن إهمال الأسرة للمسؤولية التربوية له أثر سلبي علىٰ سلوك المربىٰ؛ لأنه إذا أهمل التربية تعوّد علىٰ الشر وتأصّل ذلك فيه؛ مما يصعّب علىٰ الأسرة تقويم سلوكه.

قال القاسمي ﷺ مبينا أثر إهمال أفراد الأسرة للتربية «إنْ أهمل حتىٰ يعتاد بما تميل إليه طبيعته مما أغل عليها أو عود أشياء رديئة مما ليس طبيعته، ثم أخذ بالأدب بعد غلبة تلك الأمور عليه عسر انتقاله مع الذي يؤذيه، ولم يكد يفارق ما جرىٰ عليه . . .[(٣)]».

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٤٥).

(٢) القدوة وأثرها في التعليم والتعلم في منهج التربية الإسلامية، لطارق عبدالله حجار (ص٩٠).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٦).

ولذا فإن علىٰ الأسرة العناية بالمربىٰ، ومتابعته في جميع تصرفاته، وتقويم ما فسد من أخلاقه قبل أن يتأصل فيه الشر والفساد.

٣. وجود عامل الوراثة الفاسدة في أحد الوالدين أو في كليهما:

من المعوقات التربوية وجود عامل الوراثة الفاسدة في أحد الوالدين أو في كليهما. فالولد يرث من الوالدين بعضا من الصفات الجسمية والخلقية؛ فإن كانا ذا طبائع خلقية حسنة كان كذلك والعكس بالعكس.

ولقد «أكدت جميع الأبحاث التي أجراها علماء النفس والتربية أهمية عامل الوراثة في تكوين الكائن البشري، وما يولد به من قدرات واستعدادات وخصائص فطرية لها أبلغ الأثر في نمو شخصيته(١)» وأن الأبناء «كما ترث من أصولها جانبا من الصفات الجسمانية كذلك ترث منها كثيرًا من الطبائع الخلقية، فلقد تجد أولاد الرجل الأبله كأبيهم، وأبناء العاقل الداهية كذلك(٢)».

ومما يدل علىٰ أثر العامل الوراثي في السلوك الإنساني(٣): ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال: «نعم». فقالت لها عائشة: تربت يداك وَأَلّتْ(٤)، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**دَعِيْهاَ، وَهَلْ يَكُوْنُ الشَّبَه**

---

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص١٥٤).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٥).

(٣) انظر بالتفصيل الأدلة الشرعية الدالة علىٰ ذلك: النمو الإنساني ومراحله في المنهج الإسلامي، لعلي الزهراني وآخر (ص٧١-٧٣).

(٤) أي صاحت لما أصابها من شدة هذا الكلام، وروي بضم الهمزة مع التشديد، أي طعنت وهي الحربة العريضة النصل.

قال ابن الأثير: وفيه بعد لأنه لا يلائم لفظ الحديث. (النهاية، لابن الأثير ١/ ٦٢).

إِلّا مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ؟ إِذَا عَلاَ مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلاَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ(١)».

ولذلك وجه القاسمي المربي «أن يهذب منها -أي الوراثة الفاسدة- ما فسد، ويقَوّم ما اعوج وإن احتاج إلىٰ عناء زائد، وجهد كبير شريطة أن يتدارك ذلك قبل أن تتمكن تلك الوراثة الفاسدة وتصير ملكة(٢)».

ومن هنا تأتي مسؤولية الوالدين في حسن اختيار أحدهما للآخر، وأنّ عليهما أن يراعيا في الاختيار: الدين، والخلق، والنسب، والصحة الجسمية؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُم، أَنْكِحُوا الأَكِفَّاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِم**(٣)».

ثانيًا: معوقات تتعلق بالمجتمع:

إن للمجتمع بهيئاته المختلفة أثر كبير علىٰ سلوك الفرد وقيمه. وبقدر ما يكون المجتمع صالحًا متماسكًا متلاحمًا، بقدر ما يشد الفرد إلىٰ الارتباط به ويدفعه علىٰ الحفاظ علىٰ تماسكه وصلاحه وحمايته من التفكك والانحلال(٤). ومن المعوقات المتعلقة بالمجتمع:

١. رفقاء السوء:

إن الرفقة السيئة تؤثر في انحراف المربىٰ وفساد سلوكه وتصرفاته؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الحيض، باب وجوب الغسل علىٰ المرأة بخروج المني منها (١/ ٢٥٠) برقم (٣١٤).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح، باب الأكفاء (١/ ٦٣٣) برقم (١٩٦٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ٥٦-٥٧) برقم (١٠٦٧).

(٤) أسس التربية في السنة النبوية، للزنتاني (ص١٦٤-١٦٥).

إذ أن المربىٰ يكتسب من الرفقة السيئة الأخلاق الفاسدة، ويتلقن منها العادات القبيحة، يقول القاسمي موجها النصيحة للمربي، ومبينا خطر الرفقة السيئة وأثرها علىٰ الطفل: «... ويمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري علىٰ لسانه شيء من ذلك؛ فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء[(١)]».

ومن هنا جاءت السنة مؤكدة علىٰ تأثير الرفقة السيئة علىٰ الفرد؛ فعن أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيْرِ. فَحَامِلُ المِسْكِ إِمّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الكِيْرِ إِمّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ رِيْحًا خَبِيْثَةً**[(٢)]».

فالحديث السابق يوضح التأثير التربوي في وسط الرفقة؛ فهم إن كانوا صالحين تأثر الفرد بهم وبسلوكهم، وأخلاقهم، وإن كانوا أصحاب سوء قادوه معهم إلىٰ الانحراف والزيغ.

لذلك فإن علىٰ المربي أن يوجه النشء إلىٰ اختيار الصحبة الصالحة والرفقة الحسنة، ويحذّرهم من مصاحبة رفقاء السوء حتىٰ لا يؤثروا في معتقداتهم وأخلاقهم وعاداتهم.

يقول القاسمي رحمه الله: «ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولىٰ، وصيانته بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء[(٣)]».

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٨٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح، باب المسك (ص١١٩٥) برقم (٥٥٣٤).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٨-٢٧٩).

وقال في موضع آخر محذرا الأب عن الرفقة السيئة: «وأن يحفظ عن الصبيان الذين عُودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يُسمعه ما يرغبه فيه . . .[1]».

٢. الضعف العلمي لدىٰ الذين يتصدرون المجالس العلمية:

لاشك أن الطالب الذي يأخذ العلم عن الذين يدّعون العلم، فإنه يتأثر بمبادئهم الباطلة، ويتلقىٰ منهم الأفكار الضالة، وبالتالي سينشأ نشأة غير سليمة، ويظن أن المعلومات الخاطئة صوابًا، ومن ثم سيصعب عليه إذا تأصّلت فيه تلك المبادئ أن يرجع إلىٰ الحق.

قال القاسمي ﷺ: «لا شيء أضر علىٰ الدين والدنيا من إشراك العامة فيما هو من شأن الخاصة، ومن تَصدُّر الصغير في مكان الكبير، وإنزال الجاهل منزلة العالم[2]».

ولذلك فإن علىٰ أولياء الأمور أن يكلوا أمر تربية أبنائهم إلىٰ العلماء الربانيين: «. . . الذين يطبعون في فطرة الناشئ أصول الفضائل وآداب الشريعة، ويلقنونه دروس الحياة، ويرقون عواطفه، ويربون شعوره . . .[3]».

كما يجب علىٰ الولاة أن يأخذوا علىٰ أيدي هؤلاء المتعالمين، ويمنعوهم من التدريس وإفادة الناس حتىٰ لا يفسدوا عليهم دينهم وعقيدتهم.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٧٩).

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٦٨).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٤).

الفصل الثاني

التربية العلمية عند القاسمي

تمهيد

رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلم، ونوّه بعلوّ منزلة العلماء، وأعلىٰ من مكانتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

كما أشاد الرّسول ﷺ بالعلم، وأثنىٰ علىٰ العلماء؛ قال ﷺ: «... **مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بَه طَرِيْقًا إِلَىٰ الجَنّة** (١)».

وفي قدر العلماء ومكانتهم؛ قال ﷺ: «... **إن العُلَمَاء وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَالأَنْبِيَاءُ لَمَ يُوَرّثوُا دِينَارًا وَلاَ دِرْهمًا، وَإِنّما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**(٢)».

والعلماء هم الذين يُبَصِّرون النّاس بطريق الحقّ، ويعلّمونهم أمور دينهم، ويرشدونهم إلىٰ طريق الخير والفلاح، ويحذّرونهم من الشرّ والفتن والشّهوات والشّبهات؛ فهم سراج الأمة، ونبراسها.

ولما كان العلماء لهم مكانتهم العلمية بين المجتمع؛ فإن الأمر يتطلب منهم أن يتحلّوا بالصفات الطيبة والأخلاق الحسنة ومعالي الأمور

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن: (٤/ ٢٠٧٤) برقم: (٢٦٩٩).

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة: (ص٦٠٩) برقم: (٢٦٨٢) وابن ماجه في سننه: المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، واللفظ له: (١/ ٨١) برقم: (٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١٠٧٩) برقم: (٦٢٩٧).

التي تتناسب مع شرف العلم الذي يحملونه في صدورهم؛ لأنه بقدر تطبيقهم للصّفات الحميدة يتحقّق لهم النجاح في عمليّتهم التربوية والدعوية.

وفي المقابل فإن علىٰ المتعلّمين أن يتحلّوا بآداب العلم وطرق التّعلم حتىٰ يترقّوا في السلّم التّعليمي علىٰ الوجه الصّحيح؛ لأن اكتساب العلم وتحصيله مرهون بتطبيق المتعلّم لآداب العلم وأخلاقه.

ولكي تتم العمليّة التعليميّة بنجاح فإنّه لابد من مراعاة القواعد التربويّة التّعليميّة التي تساعد المعلم علىٰ أداء وظيفته التعليمية علىٰ الوجه الأكمل، وكذا تعين المتعلم في الحصول علىٰ العلم بأوفر الحظ والنصيب.

وانطلاقًا من مكانة العلم وأهميته، ورغبةً في التعرف علىٰ آداب المعلم والمتعلم، والوقوف علىٰ أهم القواعد المعينة علىٰ تفعيل عملية التعلم؛ كان هذا الفصل لدراسة آراء القاسمي حول التربية العلمية من خلال المباحث الآتية:

- مفهوم العلم وفضله.
- صفات المعلم.
- آداب المتعلم.
- أهم القواعد التعليمية التربوية.

وفي المباحث التالية إيضاح لما دوّنه القاسمي في مؤلفاته عن التربية العلمية:

المبحث الأول

مفهوم العلم وفضله

المطلب الأول
مفهوم العلم في اللغة والاصطلاح

العلم: مصدر من عَلِم يَعْلم، وهو نقيض الجهل، ويدل علىٰ أثرٍ بالشيء يتميّز به عن غيره. ومن معانيه في اللغة: المعرفة واليقين[١].

وأما عن ماهية العلم من حيث الاصطلاح فقد رأىٰ بعض العلماء أن العلم لا يتصوّر حقيقته؛ لأنه أعمّ من أن يكون له حد أو رسم[٢]؛ إذ «العلم أبْيَن من أن يبيّن[٣]».

والذين رأوا تعريف العلم اختلفت عباراتهم[٤] فيه؛ ومُحصّلها:

أن العلم: هو إدراك المعلوم علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

ويتّضح من خلال التعريف أن العلم ينْبَني علىٰ تصوّر المعلومات

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس: (٤/ ١٠٩) ولسان العرب لابن منظور: (٩/ ٣٧١).

(٢) شرح لقطة العجلان، للقاسمي (ص٥٩).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/ ١٤١).

(٤) انظر هذه التعريفات: الورقات، للجويني: (ص٨) والتعريفات، للجرجاني: (ص: ١٥٥) والإحياء، للغزالي: (١/ ٢٩٨)، الأصول في علم الأصول، لابن عثيمين: (ص١٣)

الصّحيحة تصوّرًا حقيقيًّا دون وجود الاحتمالات غير الجازمة من: شكٍّ، أو ظنٍّ، أو وهمٍ(١).

والقاسمي رَحِمَهُ اللهُ يرىٰ أن «... العلم إنما يراد لمعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أخلاق النّفس المذمومة والمحمودة، وكيفيّة علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل، وكل علم يراد للعمل؛ فلا قيمة له دون العمل(٢)».

كما يرىٰ أن العلم الحقيقي هو: «ما يعرف به العبد ربَّه ونفسه، وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر(٣)».

والقاسمي برأيه هذا يوضح النظرة الواسعة لحقيقة العلم في الإسلام، فالعلم في الإسلام، يشمل المعرفة بكل نافع من الأمور، إنه المعرفة بالله، ورسله، واليوم الآخر، وبالأنفس، وبما وراء الكون، وبالأخلاق التي تقوّم السلوك(٤).

وبهذا يتضح قصور اتجاهات الفلسفة الغربية التي تحصر المعرفة علىٰ «التجربة والخبرة الحسية، بما ينتهي إليه من إلغاءٍ لقيمة أي معرفةٍ تصدر من سوىٰ هذه الخبرة الحسية، ومن إنكار وجود ما لم تثبت هذه الخبرة وجوده، واعتباره وهمًا لا حقيقة له(٥)»؛ ولذا يرون أن «التربية

(١) الأصول في علم الأصول، لابن عثيمين: (ص١٣).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٨٨).

(٣) المصدر السابق: (ص٣٦٦).

(٤) النظرية التربوية في الإسلام، لجميل خياط (ص١٤٧).

(٥) مصادر المعرفة وموقف الإسلام منها، لعبدالرحمن الزنيدي (٤٧٠).

الحقة هي التي تُعلي من الطريقة العلمية، وأن الهدف الأسمىٰ للتربية إعداد المجتمعات التي تسودها النظرة العلمية[١]».

وبالتّأمل لرأي القاسمي يتّضح أنه ركّز علىٰ قضية التطبيق العملي للعلم، وأهمية ذلك؛ وأنه لا قيمة للعلم بدون العمل؛ لذا انتقد القاسمي الأصناف التي لم تفهم حقيقة العلم وهي[٢]:

أولًا: الذين أحكموا علوم الشريعة، وأهملوا تفقد جوارحهم عن المعاصي، وقلوبهم من الصفات الذميمة كالكبر والحسد والرياء وغيرها.

ثانيًا: الذين أحكموا علوم الآلات[٣] وتعمّقوا فيها، وأعرضوا عن معرفة أحكام الشريعة والعمل بها.

ثالثًا: الذين ادّعوا علم المعرفة والكشف ومشاهدة الحق، وظنّوا أنهم بذلك صاروا من المقربين إلىٰ الله ﷻ.

وبهذا الرأي يتبيّن خطأ ما يعيشه غالبية واقعنا التربوي من: عدم إدراك أهمية التطبيق العملي للعلم، وجعل الغاية من التعلم نيل الشهادة العلمية، والحصول علىٰ الوظيفة، والانقطاع عن الحياة العلمية بحصول تلك المطالب الدنيوية.

كما يتضح من خلاله زلة المنهج الذي يركز علىٰ مجرّد الكميّة وحشو المعلومات وتلقينها دون التركيز علىٰ التطبيق العملي، والاستفادة منها[٤].

---

(١) التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، عبدالرحمن صالح عبدالله (ص١٢).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٨٨-٣٩٣).

(٣) مثل: علم النحو واللغة والشعر وغيرها.

(٤) أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: (ص١٥٢) ومنابع مشكلات الأمة الإسلامية =

وكل ذلك أدىٰ إلىٰ انعدام بعض طلاب العلم عن الشعور بمسؤولية العلم، وحقه من الدعوة إليه، ونشره بين المجتمع.

وعليه فيتوجب علىٰ المعلمين أن يربّوا أبناءهم الطلاب علىٰ الشعور بالمسؤولية تجاه ما تعلّموا، ويُذّكروهم بأمانة العلم، وحقّه من: الجدة في التحصيل، والإخلاص في الطلب، والعمل بما فيه من الخير، ونشره بين الناس.

والعلم الشرعي بمفهومه الواسع يدخل تحت مضامينه العلوم الكونية والصناعية وغيرها، بشرط أن تفيد في بناء المجتمع الإسلامي ولا تهدم العقائد وتسيء إلىٰ الأخلاق[(١)]؛ ولذا أشار القاسمي إلىٰ أهمية تعلم تلك العلوم في كتابه: (الفتوىٰ في الإسلام):

تحت مبحث بعنوان: (حاجة المفتين إلىٰ معرفة العلوم الرياضية) حيث قال: «لكن من عَنىٰ بجمع العلوم الرياضية عَلِم مسيس الحاجة إليها . . . وكم توقّف القضاء والإفتاء في النّوازل علىٰ الإلمام بهذه الفنون» ثم قال بعد ذلك: «وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الأرض أو مقادير السّقيا من الأنهار أو الدِّمْن[(٢)] يتوقف علىٰ فن الهندسة والمقاييس[(٣)]».

= والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها، لمقداد يالجن: (ص٦٠).

(١) الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي للسعدي: (لمجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي ١/ ٢٩٩).

(٢) **الدِّمن**: جمع الدمنة، وهي بقية الماء في الحوض. (لسان العرب: ٤/ ٤١١).

(٣) (ص١٤٤-١٤٥).

وفي هذا تنبيه علىٰ أهمية دراسة العلوم الكونية والصناعية وغيرها، بما يؤكد ضرورة توجيه مجموعة من الناشئة إلىٰ دراسة تلك العلوم بشرط أن تكون مبنيّة علىٰ الدّين حتىٰ يستفاد منها في خدمة المصالح الدنيوية والدينية.

المطلب الثاني
فضل العلم

إن العلم من أهم ما ينبغي العناية به، فإنه حياة القلب، وروح الإيمان، ومصدر عز الأمة، وبه يعرف الإنسان ربه، ويتزود من إيمانه، ويقف علىٰ ما أُمر ونُهي من شريعة دينه، بل يعينه علىٰ ما يحتاجه في شئون حياته.

كذلك فإن «العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليه حياة الأمة، بمجموعها وآحادها، فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها، بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلت حال الأمة إلىٰ الفساد[١]».

لهذا فإن التربية الإسلامية تؤسس أهدافها ومناهجها وأساليبها وقواعدها علىٰ أساس متين من العلم والدليل الشرعي؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

ومن هنا فإن القاسمي -كغيره من المربين- يشيد بفضل العلم ومكانته، ويحث علىٰ تعلّمه وتعليمه. فيقول: «العلم! العلم! ما سادت أمة إلا بالعلم، ولا ارتفعت إلا بالعلم، ولا استفحل شأنها إلا بالعلم، ألا فأعملوا هممكم علىٰ اكتساب العلم، والازدياد من العلم، والاجتهاد في التعلم والتعليم[٢]».

(١) العلم ضرورة شرعية، لناصر العمر (ص٣).
(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص٢٢٤).

ولقد استدل رَحِمَهُ اللَّهُ بأدلة من الكتاب والسنة علىٰ فضل العلم في كتابه موعظة المؤمنين، ووضح أهميته، وفيما يلي ذكر لبعض الأدلة التي استدل بها القاسمي علىٰ فضل العلم مع بيان وجه الدلالة علىٰ ذلك:

أولًا: الأدلة من القرآن:

١. قال الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ففي الآية «استشهد سبحانه بأولي العلم علىٰ أجل مشهود عليه وهو توحيده، وهذا يدل علىٰ فضل العلم وأهله[(١)]».

قال القاسمي: «فانظر كيف بدأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفسه وثنى بالملائكة وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا[(٢)]».

٢. قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]. «أي يرفع المؤمنين بامتثال أوامره، وأوامر رسوله، والعالمين بها، الجارين علىٰ موجبها بمقتضىٰ علمهم، درجات دنيوية وأخروية[(٣)]».

وهذه الرفعة تكون في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، وفي الآخرة بعلو المنزلة في الجنة[(٤)].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (١/ ٥٠) وقد استنبط ابن القيم من هذه الآية عشرة أوجه علىٰ فضل العلم.

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٢).

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي: (٧/ ٥٢).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر: (١/ ١٤١).

٣. قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وفي هذه الآية نفت التسوية بين أهل العلم وغيرهم، فهذا يدل علىٰ غاية فضلهم وشرفهم[١].

٤. قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه ما يخشاه إلا العالمون به ﷻ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، وهذا دليل علىٰ فضيلة العلم؛ فإنه داعٍ إلىٰ خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته[٢].

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١. عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ**[٣]».

فهذا الحديث بيّن أن من أسباب الحصول علىٰ الخير التفقه في الدين؛ لأن الفقه في الدين يقود المرء إلىٰ التزام الطاعات، واجتناب المعاصي، وهذا يدل علىٰ شرف العلم وفضله.

قال بعض العلماء: «يترتّب علىٰ هذا من الفقه أن مَنْ مَنّ عليه بأحد هذين الوجهين فليستبشر بالخير العظيم والفضل العميم؛ إذ أن الشارع عليه السلام قد جعل لك علامة علىٰ من أراده إليه للخير ويسره إليه

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم: (١/ ٥١).
(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للسعدي: (٦٨٩).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين: (ص٢٠-٢١) برقم: (٧١) ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة: (٢/ ٧١٩) برقم: (١٠٣٧).

وكيف لا تحق لهم البشارة وبهم يرسل الله الغيث ويرحم البلاد والعباد[١]».

٢. وعن أبي الدرداء[٢] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوْا دِيْنَارًا وَلَا دِرْهمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ**[٣]».

دل الحديث علىٰ فضل العلم وأهله؛ فإن الأنبياء هم خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان الموروث ينتقل ميراثه إلىٰ مورثه -إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده- ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوه به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم[٤].

قال القاسمي مبيّنًا وجه الدلالة علىٰ فضل العلم بعد أن ساق الحديث: «ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة[٥]».

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بَهَ طَرِيْقًا إِلَىٰ الجَنّةِ**[٦]».

---

(١) بهجة النفوس، لابن أبي جمرة: (١/ ١٠٧).
(٢) هو عويمر بن قيس بن زيد الخزرجي الأنصاري، كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم، آخي رسول الله بينه وبين سلمان الفارسي، توفي سنة ٣٢هـ وقيل ٣٣ وقيل ٣٩ وقيل غير ذلك. أسد الغابة (٤/ ١٩٥-١٥٠).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (١/ ٧٠).
(٥) موعظة المؤمنين: (٤٢-٤٣).
(٦) تقدم تخريجه.

في الحديث بشارة لمن مشىٰ في طلب العلم، وأن من طلبه سهل الله له طريقا إلىٰ الجنة.

قال بعض الشراح: «وفيه فضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي[(١)]».

* * *

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٧/ ٩).

المبحث الثاني

صفات المعلم

يعتبر المعلم أحد أبرز العملية التعليمية، وله الدور الفعال في البناء التربوي للمجتمع، فهو الذي يقوم بتعليم الأمة أمر الدين، ومعالي الأمور، وجميل العادات، وإرشادها إلىٰ ما فيه صلاحها في الدنيا والمعاد.

وغير خاف أن العملية التعليمية لا تتم علىٰ الوجه الأكمل إذا لم يشاركها المعلم في إدارتها؛ ولهذا قد أثبتت التجارب أنه: «مهما استحدثنا في التعلم من طرق ووسائل، ومهما أضفنا إليه من موضوعات جديدة، أو طورنا في مناهجه، ورصدنا له من مال، وأقمنا له أفخم المباني، وزودناه بأحدث الأجهزة والوسائل التعليمية والأثاث المناسب، . . . فإن كل ذلك لا يمكن أن يحقق نفسه، ولا نستطيع أن نترجمه إلىٰ مواقف موضوعية وعلاقات وتفاعلات وخصائص سلوكية إلا عن طريق المعلم[(١)]».

ولذلك فإن علىٰ المعلم أن يتحلّىٰ بالصفات الحسنة التي تتناسب مع شرف العلم الذي يحمله، ومكانته العالية في المجتمع، حتىٰ يؤدي دوره كمعلم علىٰ أكمل وجه وأتمه.

---

(١) قراءات في التربية المعاصرة، لمحمد عبد الهادي عفيفي وآخر: (ص٧٠).

ولقد أدرك القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دور المعلم في تفعيل عملية التعليم، وأنه بقدر ما يتحلىٰ من الصفات الذاتية والمهنية؛ يتحقق له النجاح في عمليته التعليمية، ولهذا ركز القاسمي علىٰ ضرورة اختيار المعلمين الصالحين. فقال: «. . . لذلك كان من أهم واجبات الأمة التي تجعل بلوغ مثل هذه الأمنية نصب عينيها أن تكل أمر تربية أبنائها وتعليمهم إلىٰ رجال الدين(١) الذين يطبعون في فطرة الناشئ أصول الفضائل وآداب الشريعة . . . فإذا فارقت الآباء هذا المبدأ فوسدت الأمر إلىٰ غير أهله، وأسندت وظائف التعليم إلىٰ غير أكفائه من أعداء دينها، فلا تلبث أن يلم بمزاج مجموعها ما يضعفه وينمي جراثيم الداء فيه . . .(٢)».

كما بين القاسمي ضرورة عزل غير الأكفّاء من المعلمين، وأن هذا الأمر لازم لحماية الدين. فقال: «أفبعد هذا نصبر علىٰ جهل الجاهلين، ونتركهم في مناصب العلم يأخذون الرواتب، ويدّعون حماية الدين، وقد هتكوا حرمة الدين؟!؛ ولذلك أرىٰ أن عزل كل جاهل من منصبه، ونصب أولي الفضل والعلم مكانهم أمر لازم، وفرض عين(٣)».

---

(١) التعبير برجال الدين هو التعبير السائد في عصر القاسمي، ويعنون بذلك المتخصصين في العلوم الشرعية؛ إلا أن الصواب أن يُعبر بـ «العلماء الربانيين»؛ بدلا من التعبير به؛ لأن التعبير به معناه أن رجال الدين لا يصلحون لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعهم عن الناس والعمل، وليس الأمر كذلك في مفهوم الإسلام الذي لا يعترف بأن هناك رجل دين له نفوذ واختصاص، فكل مسلم رجل دين ودنيا.
انظر: معجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد: (ص٢٩٠).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٤٤).
(٣) إصلاح المساجد من البدع والعوائد، للقاسمي: (ص١٥٧).

وتأكيدًا لما سبق أرشد القاسمي المتعلم إلىٰ حسن اختيار المعلم، حتىٰ يستفيد من علمه وخلقه في مسيرته التعليمية، فقال: «من أهم آدابه -أي المتعلم- أن يسترشد بمعلم خبير ناصح حكيم، سمح بعلمه، متأن في تعليمه[١]».

وفيما يلي ذكر لأهم الصفات التي ينبغي أن يتحلىٰ بها المعلم الناجح كما يراه القاسمي:

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٦).

المطلب الأول
الصفات الذاتية

أولًا: الإخلاص:

إن صفة الإخلاص من الصفات التي ندب لها الشرع، ودعا إليها، بل وجعلها شرط من شروط صحة العبادة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنية الصالحة هي أول العمل الصالح، وهو مكان الجزاء، وإنما يكون للعبد من ثواب الأعمال علىٰ حسب ما يهب الله تعالىٰ له من النيات[١]».

والتعليم من أهم العبادات التي يجب أن يخلص العبد فيه لله تعالىٰ؛ فمن هنا ينبغي للمعلم أن يستحضر النية الصالحة عند التعليم، ويقصد بتعليمه وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتىٰ يبارك الله له في علمه.

يقول أبو يوسف[٢] تلميذ أبي حنيفة -رحمهما الله-: «يا قوم، أريدوا بعلمكم الله تعالىٰ . . . والعلم عبادة من العبادات، وقربة من القرب، فإن خلصت النية؛ قُبل وزَكا وتمت بركته؛ وإن قصد به غير الله

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص٢٥٤).

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، عالم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، فقيه أصولي محدث وحافظ، ولد عام ١١٣هـ وتوفي عام ١٨٢هـ، له من المصنفات: كتاب الخراج، وكتاب الجوامع، والمبسوط في فروع الفقه.
انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي (ص٢٢٥) وتاج التراجم لابن قطلوبغا (ص٨١).

تعالىٰ حبط وضاع وخسرت صفقته[١]».

ولأهمية الإخلاص عقد القاسمي في بعض مؤلفاته بابًا في بيان فضيلته وحقيقته[٢]، وأسهب في توضيح ذلك. قال ﷺ مبينا الطرق الموصلة إلىٰ الإخلاص: «وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قلّ أم كثر إذا تطرق إلىٰ العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه. فإن الخالص من العمل هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالىٰ . . . ولذلك كان علاج الإخلاص: كسر حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك علىٰ القلب[٣]».

وعندما يتحلىٰ المعلم بالإخلاص في جميع أعماله، ومنها التعليم فإنه يحقق الكثير من الفوائد التربوية، والتي منها:

* أن الإخلاص يقوّي العزيمة والإرادة لدىٰ المعلم، بما يعزز في سلوكه القيم الأخلاقية والعقدية السامية.

* وكذلك فَإِنّ الإخلاص يكسب المعلم القدرة علىٰ تحمل المسئولية والمحاسبة المستمرة للذات.

* بالإضافة إلىٰ أن الإخلاص من الأسباب التي تطرح البركة علىٰ العلم والتعليم[٤].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة: (ص٦٩).
(٢) انظر: كتاب موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٣٩-٤٤٣) وكتاب الوعظ المطلوب، له أيضا (ص٢٥٤-٢٥٧).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٤٣).
(٤) آداب المعلم المسلم وواجباته خلال الموقف التعليمي، لمحمد علي أبو رزيزه (ص٧٣-٧٥).

ثانيًا: التواضع:

ومن الصفات الحميدة التي يجب توفرها لدىٰ المعلم التواضع، وهو خفض ولين الجانب[١]. وهذا المبدأ العظيم حث الإسلام عليه، وأمر بالاتصاف به؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحِجر: ٨٨].

«أي تواضع لمن معك من فقراء المدينة وضعفائهم. وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء[٢].».

وقال ﷺ حاثا عليه: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيّ أَنْ تَوَاضَعُوْا حَتّىٰ لاَ يَفْخَرَ أُحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَبْغي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**[٣]».

ولقد بيّن القاسمي المفهوم الصحيح للتواضع وهو: «أن يتواضع في غير مذلة وتخاسس[٤]».

وزاده توضيحًا بضرب المثال الآتي: «... والعالم إذا دخل عليه دنيء فتنحىٰ له عن مجلسه، وأجلسه فيه، ثم تقدم وسوىٰ له نعله، وغدا إلىٰ باب الدار خلفه، فقد تخاسس وتذلل، وهو أيضا غير محمود، بل المحمود عند الله العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته، فأما تواضعه للسوقي؛ فبالقيام، والبشر في الكلام، والرفق في السؤال، وإجابة دعوته، والسعي

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: (٣٢٩/٢).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي: (٤٩٨/٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٢١٩٩/٤) برقم: (٢٨٦٥).

(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٧٧).

في حاجته، وأمثال ذلك، وأن لا يرىٰ نفسه خيرا منه، فلا يحتقره، ولا يستصغره، وهو لا يعرف خاتمة أمره[(١)]».

كما وضح القاسمي بعض الصور التي يجب علىٰ المعلم أن يتواضع فيها. فقال: «فمن أهم آدابه التواضع ومجانبة العجب، فإن التواضع عطوف، والعجب منفر، وأن يدع التكلف لما لا يحسن، وأن لا يستنكف من تعلم ما ليس عنده، وأن يستقل ما أوتيه ليستزيد، وأن لا يتصنع بما أدرك، وأن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها، ولا يتجاوز بها قدر حقها[(٢)]».

وقال في موضع آخر: «وإن أعجب برأيه وعلمه وعقله؛ منع ذلك من الاستفادة، ومن الاستشارة، والسؤال، فيستبد بنفسه ورأيه، ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه، وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له، فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره، فيصر عليه، ولا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلىٰ غيره بعين الاستجهال، ويصر علىٰ خطاياه[(٣)]».

ويمكن من خلال هذا العرض تحديد بعض صور التواضع لدىٰ المعلم في النقاط التالية:

١- أن يستزيد من العلم، ولا يستنكف من الاستفادة والتعلم من غيره.

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٧٧).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٤).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٧٨-٣٧٩).

٢- أن يعرف نفسه، فيضع لنفسه حدا يعرف به مبلغ علمه، ولا يتكلم إلا بما يعلم.

٣- أن يرجع إلىٰ الحق والصواب إذا أخطأ، ولا يتكبر ويتعالم، ويكون مع الحق أينما كان.

٤- أن يرفق بالمتعلم، ويسعىٰ في حاجته العلمية والدنيوية.

وما سبق قوله يؤكد أهمية اتصاف المعلم بصفة التواضع؛ ذلك أن التواضع يكسبه الود والمحبة والإجلال بين أوساط الطلاب؛ بما يساعده علىٰ إنجاح عمليته التعليمية. كما أن التواضع مما يعين علىٰ الاستزادة من العلم والتوسع في المعرفة؛ لأن تواضع المعلم يدفعه إلىٰ أن يأخذ العلم من غيره ويستفيد منهم دون تكبر ولا تعالم.

ثالثًا: العمل بالعلم:

إن ثمر العلم النافع هو العمل بمقتضاه، والانتفاع به؛ ولهذا كان السلف -رحمهم الله- يهتمون بالعلم ويستعينون علىٰ الاستزادة به وحفظه بالعمل به. يقول أحدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين علىٰ طلبه بالصوم[(١)]».

والعلم الذي لا ينفع صاحبه ولا يعمل به عِلمٌ لا قيمة له، وفي هذا المعنىٰ قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العلم إنما يراد بمعرفة الحلال والحرام، وأخلاق النفس المذمومة والمحمودة، وكيفية علاجها، والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل، وكل علم لا يراد للعمل فلا قيمة له دون

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: (١/ ٧٠٩) وقواعد التحديث، للقاسمي: (ص٣٩٨-٣٩٩).

العمل[١]» ولهذا وجه القاسمي المعلم بأن: «يكون من شيمته العمل بعلمه، وحث النفس علىٰ أن تأتمر بما يأمر به[٢] . . .»؛ وذلك لأن حصول أجر العلم مرتبط بالعمل به.

ولقد جاء الوعيد الشديد لمن يخالف عمله قوله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصَّفِّ: ٢].

وفي الخبر: «**يُجاءُ بِالرّجُلِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُه في النَّارِ، فَيَدُوْرُ كَمَا يَدُوْرُ الحِمَارُ بِرَحَاه، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُوْلُوْنَ: يَا فُلَان!ما شأنك؟ أَلَيسَ كنتَ تَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهاناَ عَنِ المُنْكَرِ؟ قال: كُنْتُ آمُرُكم بِالمَعْرُوْفِ وَلاَ آتِيْهِ، وَأَنْهاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيْهِ**[٣]».

قال القاسمي موضحا الوعيد الشديد لمن لا يعمل بعلمه: «وقد ورد في من لا يعمل بعلمه ما فيه أشد الترهيب؛ كقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجُمُعَةِ: ٥]. فأي خزي أعظم من التمثيل بالحمار؟![٤]».

وبما أن المعلم عليه أن يتمثل بعلمه فإنه أيضا لابد أن يغرس في نفوس أبنائه الطلاب المثابرة علىٰ العمل بالعلم، والاستفادة مما تعلم[٥].

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تحث المتعلم علىٰ العمل

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (٣٨٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٤).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدأ الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ص٦٦٧) برقم: (٣٢٦٧)
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (٣٨٨).
(٥) إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، لعبد الله عبد الحميد: (ص١٣٧).

بالعلم: «يا بني، هل عملت بما سمعت؟ فقال: لا والله، يا أماه، قالت: يا بني، ففيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك[(١)]».

ولقد أطنب علماء التربية في الحديث عن ضرورة التزام المعلم بتطبيق ما يعلمه لتلاميذه؛ لأنه هو المحرك الأساس والقوىٰ لدفة المنهج التربوي، وعليه يتوقف نجاح المنهج أو فشله في الوصول إلىٰ الأهداف وبلوغ الغايات؛ ومن هنا يجب علىٰ المعلم أن يكون عاملا بما تعلم، فلا يأمر المتعلمين بشيء ولا يعمل به، ولا ينهاهم عن شيء وهو يرتكبه[(٢)].

وما سبق يؤكد خطأ ما يعيشه غالب واقعنا التربوي من: عدم إدراك أهمية التطبيق العملي للعلم، وأنه هو الهدف الأساس من التعلم؛ وجعل الغاية من التعلم نيل الإجازات والشهادات العلمية، وترك التزود من العلم بحصول تلك الشهادات. الأمر الذي يدعو إلىٰ أن يكثّف المعلمون والمربون من بيان أهمية العمل بالعلم، وسوء عاقبة من لا يعمل بعلمه من خلال الدروس العلمية والمواقف التربوية المتنوعة.

رابعًا: القدوة:

«مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل، ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية واستنفاد طاقاته علىٰ أكمل وجه.

---

(١) أخلاق العلماء، للآجري: (ص٩٨).

(٢) تربية المراهق في المدرسة الإسلامية لمحمد جمال الدين محفوظ: (ص١٨٨).

مهما يكن من ذلك كله؛ فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مرب يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي، كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها[١]».

وإلىٰ ضرورة مراعاة المعلم للقدوة يقول القاسمي: «فمن أخص واجبات معلميهم والحالة هذه أن يكونوا قدوة حسنة لهم وأن يقووا فيهم -وهم في بدء نشأتهم- حب العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة . . . حتىٰ يكونوا أعضاء حية نافعة في جسم المجتمع الذي يعيشون فيه[٢]».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر وهو يوجه المعلم: «وأن يكون لهم مثال العقل ونموذج الوقار والصلاح[٣]».

ولهذا كان السلف -رحمهم الله- يوصون المعلمين بأن يكونوا قدوة حسنة لطلابهم. يقول أحدهم لمؤدب ابنه: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بني إصلاح نفسك؛ لأن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت[٤]».

إن التزام المعلم بالقدوة الحسنة يساعده في أداء مهمته التربوية علىٰ أكمل وجه؛ لأن الطلاب ينظرون إليه، ويقتدون به في أقواله وأفعاله. فإذا ما تمثّل المعلم بهذه القدوة، وطبّقها في حياته العملية والتربوية؛ فإنه يمثّل بهذا واقعًا حيًّا مَعِيشًا يعطي لأبنائه الطلاب القناعة بأن بلوغ معالي

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوي: (ص٢٢٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٣).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٤-٢٥).
(٤) البيان والتبيين، للجاحظ: (٢/ ٧٣).

الأمور من: الجدية في طلب العلم، والتخلق بالأخلاق الحسنة، وغيرها . . . من الأمور الممكنة؛ بما يحفزهم إلىٰ أن يترجموا هذه القناعة إلىٰ تطبيق عملي.

المطلب الثاني
الصفات المهنية

أولًا: الغزارة العلمية:

دلت بعض الدراسات التربوية أن من أهم العوامل المؤثرة في تحسين العملية التعليمية وجاذبية الطلاب نحو الدراسة والمعلم اتساع ثقافة المعلم وتنوعها[(١)]؛ لأن المعلم الذي يتمتع بالغزارة العلمية يستطيع أن يجيد الموضوع الذي يدرسه للطلاب، ويضفي عليه شيئا من الجدة والطرافة، بحيث يُشعر الطلاب أنهم أضافوا جديدا إلىٰ معارفهم.

كما أن المعلم المتقن «... سيجد الوقت الكافي لمتابعة الطلاب والنظر إلىٰ مشكلاتهم، ومراعاة الفروق الفردية فيما بينهم؛ لعدم انشغاله بترتيب المادة العلمية أو استرجاعها أو جمع المعلومات أثناء الدرس[(٢)]».

وهذا يتطلب من المعلم متابعة طلب العلم، والاستزادة من المعرفة، والاطلاع الدائم، والاستفادة من أهل العلم. ولهذا وجه القاسمي المعلم بأن: «لا يستنكف من تَعَلُّم ما ليس عنده، وأن يستقل ما أوتيه ليستزيد ...[(٣)]» وأن «... يقرأ من متون كل فن أبلغها عبارة، وأجمعها قواعد، وأوضحها مقاصد ... وأن ينظر في الشروح المطولة والحواشي نظرة المطالع تقوية للفهم ... وأن ينقب طول حياته عن أهم

(١) علم النفس التربوي، لعبد المجيد نشواتي: (ص٢٣٤-٢٣٥).
(٢) إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، لعبد الله عبد الحميد: (ص٢٦٨).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٤).

المؤلفات، وأقربها فائدة، وأبدعها أسلوبا..[(١)]».

وقد افتقد المعلمون هذه الخاصية في هذا العصر -إلا من رحم الله- وصاروا يتخصصون في مجالات ضيقة محدودة لا يخرجون عنها إلا نادرا؛ ومن هنا يجب علىٰ المعلم أن يستفيد من وقته بقراءة «... ما هو خاص بمادته أو ماله علاقة بها أو ما يتصل بالعلوم المساعدة علىٰ التدريس وماله صلة بذلك؛ ... ولضمان ذلك فإن الإلزام يحتاج من المسؤولين إلىٰ متابعة وعناية قد يكون في صورة حضور الندوات أو المحاضرات أو عقد الدورات التدريبية وغيرها، مما يساعد المعلم علىٰ أن يكون قريبا من حلقات العلم والعلماء[(٢)]».

ثانيًا: مراعاة الفروق الفردية:

يقصد بالفروق الفردية بأنها: «تلك الصفات التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجية أم في سلوكه النفسي والاجتماعي[(٣)]».

ولقد أثبتت الدراسات النفسية أهمية مراعاة الفروق الفردية وخطورتها في العملية التعليمية؛ إذ أن الطلاب تختلف أفهامهم ومداركهم قوة وضعفا، ونشاطًا وخمولًا، وهذا يتطلب من المعلم تطوير أسلوبه التعليمي أو تعديله بما يتلاءم واحتياجات المتعلم ومطالب التعلم[(٤)].

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٤).
(٢) إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، لعبد الله عبد الحميد: (ص٢٧٥-٢٧٦).
(٣) الفروق الفردية، لعبد الحميد الهاشمي: (ص٧).
(٤) أسس التربية الإسلامية، لعبد الحميد الزنتاني: (ص١٤٦).

ولهذا وجه القاسمي المعلم أن يعتني بالفروق الفردية التي بين الطلاب فـ «. . . يخاطبهم علىٰ قدر عقولهم، ويتنزل لإرشادهم إلىٰ لغتهم، ويعاشر بالنصح، ويخالطهم لتأليف قلوبهم[(١)]».

ويجب علىٰ المعلم أن يتعرّف علىٰ الفروق الفردية بين التلاميذ حتىٰ يستغل تلك القدرات وينمّيها ويوجهها إلىٰ ما يناسبها حتىٰ لا يتعرض التلاميذ للفشل الدراسي، وذلك من خلال إجراء الاختبارات وتطبيق المقاييس والقيام بالمقابلات الشخصية المتقنة[(٢)]؛ ولهذا كان السلف يختبرون الطلاب قبل أن يتحمّلوا عنهم الحديث؛ فعن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني[(٣)] قال: «حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلىٰ أبي بكر المقرئ[(٤)] لأسمع منه ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قُرئ فإنه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ (سورة الكافرون) فقرأتها، فقال: اقرأ (سورة التكوير) فقرأتها، فقال لي غيره: اقرأ (سورة المرسلات) فقرأتها، ولم أغلط فيها. قال ابن المقرئ: سَمّعوا له والعهدة علَيّ[(٥)]».

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٥).
(٢) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، للسمالوطي: (ص١٦٢-١٦٣).
(٣) هو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن البكري الوائلي الأصبهاني، المعروف بابن اللبان، فقيه شافعي قاض، توفي سنة ٤٤٦هـ. طبقات الشافعية، للسبكي (٣/ ٢٠٧).
(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم أبو بكر المقرئ، حافظ ثقة، رحال، له من المؤلفات: الفوائد، المعجم الكبير، الأربعين حديثا. توفي سنة ٣٨١هـ. تاريخ بغداد للخطيب (١/ ٤١١) وطبقات المحدثين، لمحمد عبدالهادي الدمشقي (٣/ ١٥٥/ ١٥٦).
(٥) مقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح: (ص٣١٥).

ثالثًا: اختيار الكتاب المناسب للطلاب:

ينبغي علىٰ المعلم أن يتوخىٰ الكتاب الذي يتناسب مع مستوىٰ الطلاب العقلي حتىٰ يستطيعوا أن يستوعبوا ما فيه من المعلومات.

قال القاسمي مبينا ضرورة مراعاة المعلم للكتاب المناسب: «وأن يقصد -أي المعلم- التآليف القديمة؛ لأنها أسهل موردًا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد، وبعدها عن المشاغبات اللفظية، وليترك الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت وأن يتجنب منها ما هو كالألغاز والأحاجي وما يحوج إلىٰ عناء في حل تراكيبه وعلله . . .[1]».

وبالتأمل إلىٰ ما وجهه القاسمي للمعلم يتضح أنه قد بين بعض السمات التي لابد أن تتوفر في الكتاب المقرر للطلاب:

١- غزارة المادة العلمية للكتاب بحيث يستفيد الطالب منه وينتفع به.

٢- كون الكتاب واضحا في صياغته العلمية، وسهلا في أسلوبه، بعيدا عن التكلف، متدرجًا في بناء محتواه العلمي حتىٰ يستطيع الطالب أن يفهمه ويستوعب ما فيه.

٣- اختيار الكتاب الذي يتناسب مع مستوىٰ الطالب الذهني، ويتلاءم مع قدراته العقلية.

٤- التركيز علىٰ كتب السلف؛ لما تتميز به من خصائص علمية.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي (ص٢٤).

ويمكن إضافة ميزة أخرىٰ علىٰ ما قاله القاسمي:

أن يحتوي الكتاب علىٰ التمارين والأمثلة التي تقرب ذهن الطالب إلىٰ فهم محتوىٰ الكتاب، وتساعده علىٰ ضبط المسائل[(١)].

وما سبق قوله يؤكد أهمية اختيار المحتويات العلمية المناسبة لمستوىٰ عقليات الطلاب، وبما يوافق قدراتهم العقلية وحاجاتهم واستعداداتهم وميولهم ومهاراتهم حتىٰ يستوعبوا ما يلقىٰ عليهم من الدروس العلمية ويستفيدوا منها.

رابعًا: تحضير الدرس قبل الإلقاء:

يركز القاسمي رحمه الله علىٰ تحضير الدرس من قبل المعلم، وذلك بأن: «يحضر درسه قبل إلقائه، فيراجع ما يحتاج لمراجعته من الكتب؛ لتصحيح ألفاظ، وتحقيق بحث ...[(٢)]» فـ«ينظر في الشروح المطولة والحواشي نظرة المطالع تقوية للفهم لا قصد الدراسة، ... وينقب طول حياته عن أهم المؤلفات وأقربها فائدة وأبدعها أسلوبا ...[(٣)]».

وذلك لأن تحضير الدروس العلمية قبل إلقائها يعطي المعلم تصورًا عما يجب تقديمه في الحلقة العلمية، ويمكنه من المادة العلمية، وتقليل فرص الخطأ والنسيان، وكذلك يساعده علىٰ توزيع أجزاء الموضوع علىٰ زمن الحصة المتاحة بشكل صحيح، كما يعينه علىٰ تحديد الأهداف التعليمية المرغوبة، وتحديد المعلومات التي يود أن يلقيها بحيث يجعله

---

(١) المربي والتربية الإسلامية، لمحمد أحمد عبد الهادي: (ص١١٢).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٥).
(٣) المصدر السابق: (ص٢٤).

منظمًا ومرتبًا، وملمًا بكل صغيرة وكبيرة عن موضوع الدرس، وأيضًا يجعل المعلم أقدر علىٰ حل التساؤلات والمشكلات التي تواجهه أثناء التدريس مما يبعده عن الارتباك والحيرة، وزد علىٰ ذلك الهيمنة علىٰ الطلبة فلا يجد صعوبة في ضبط الصف[١].

خامسًا: استخدام طريقة الحوار والمناقشة في التدريس:

تعتبر طرق التدريس من أول الأوليات التي لابد للمعلم أن يلتزم بها؛ لأنها هي ركن مهم من أركان العملية التربوية، وعنصر أساس من عناصر المنهج؛ وعليه فإنه يمكن القول بأن مكانة الطريقة من المنهج مكانة الروح من الجسد[٢].

ويرىٰ القاسمي أن طريقة الحوار والمناقشة هي من أحسن الطرق التي يستعملها المعلم في التدريس؛ لأن بها يصل المتعلم إلىٰ المطلوب ويحي فيه قوة التأمل والتعقل حتىٰ تصير ملكة راسخة[٣].

وأسلوب هذه الطريقة في نظره: «... أن لا يلقن المعلم الطلبة ما يريد من الأحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب، أو يقلدوه مجرد تقليد في فهمها، ولكن لا يزال معهم في أخذ ورد وبحث وتمثيل حتىٰ يصل بهم إلىٰ ما يريد، وأن يمرنهم أيضا علىٰ القدرة علىٰ التعبير عما يدركونه بعد إيضاح الموضوع لهم إيضاحًا تامًا، وأن يمرنهم علىٰ إثبات المدعىٰ بالبرهان الصحيح الثابت الذي لا يقبل النقض[٤]».

---

(١) المرشد النفيس إلىٰ أسلمة طرق التدريس، لمحمد صالح جان: (ص٣٩١-٣٩٧).
(٢) المصدر السابق: (ص٤٢٤).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٥).
(٤) المصدر السابق: (ص٢٥).

ولقد وضع علماء التربية بعض الشروط التي لابد من توفرها عند استخدام أسلوب المناقشة حتىٰ تؤتي ثمارها ومنها:

(١) أن تكون الفرصة متاحة لاستخدام أسلوب المناقشة.

(٢) أن يعد المعلم الأسئلة المناسبة التي يرىٰ أن يدور حولها موضوع الدرس إعدادا متقنا بحيث تكون مبسطة ومتتابعة وهادفة ومن النوع الذي يدفع إلىٰ التفكير والاستفسار وحب الاستطلاع.

(٣) أن تكون من النوع الذي يؤدي إلىٰ تنمية قدرة الطلاب علىٰ إدراك العلاقات ومسايرة الدرس.

(٤) أن يكون الطلاب علىٰ قدر من الدراية والعلم بالموضوع المراد مناقشته[١].

وما ذهب القاسمي إليه من أن أسلوب الحوار -حسب الموقف التعليم الذي يتناسب مع ذلك- من أنجع طرق التعليم ولا سيما في التعليم العالي هو ما ذهبت إليه الآراء التربوية المعاصرة؛ لأن الحوار التربوي ينمي في الناشئة الانفتاح الفكري، والزيادة في الاستيعاب، وتثبيت المعلومة، كما أنه يضفي علىٰ الجو الدراسي روح التفاعل والمشاركة العلمية بما يحسّ الطالب بمكانته ودروه في المجلس العلمي.

سادسًا: استخدام أسلوب الثواب والعقاب:

إن النفس البشرية جبلت علىٰ حب كل ما ينفعها، وترك كل ما

(١) **التدريس**: نماذجه ومهاراته لكمال عبد الحميد زيتون: (ص٣٥٤).

يضرها؛ ولهذه الميزة البشرية تأثير بالغ في العملية التعليمية[١]. ومن هنا فمن الضرورة أن يستخدم المعلم أسلوب الثواب والعقاب حتىٰ يحفّز الطلبة علىٰ الجد والمثابرة، ويبعدهم عن الكسل وارتكاب المخالفات والأخطاء.

ولأهمية هذا الأسلوب التربوي يقول القاسمي منوهًا علىٰ ذلك: «تهتم المدارس العليا لوضع أنواع المكافأة للمجتهدين من طلبتها في مقابلة إحسانهم رغبة في حملهم علىٰ النشاط والمثابرة علىٰ العمل، وفي إحداث الغيرة في نفوس التلامذة؛ لأن المتعلم المجتهد حريص علىٰ الارتقاء، ومن طبعه مقارنة نفسه بغيره[٢]...».

وقال في موضع آخر: «كما دعت الضرورة إلىٰ وضع أنواع للمكافأة الحسنة... كذلك هنالك ضرورة إلىٰ وضع أنواع للمجازاة علىٰ الإساءة حذر الوقوع في مخالفة القوانين المدرسية...[٣]».

ولقد مثل القاسمي بعضًا من أنواع الثواب فقال: «فمن المكافآت: ترفيع الأماكن، وتوجيه الامتيازات المدرسية، وإهداء تحف، وقطع أدبية والمدح والثناء[٤]».

أما عن أسلوب العقاب فقد مثل بالآتي: «... اللوم والتعزير والمنع من الفسح والرياضة والتكليف بحفظ شيء أو كتابته جملة...[٥]».

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني: (ص٦٤٧).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣٤).
(٣) المصدر السابق: (ص٣٤).
(٤) المصدر السابق: (ص٣٤).
(٥) المصدر السابق: (ص٣٤).

ويرىٰ القاسمي أن علىٰ المعلم أن يراعي عند استخدام هذا الأسلوب بنواحيه المتعددة عدة ضوابط[١]، أهمها ما يلي:

١. عدم الفرط في الثناء والمدح حتىٰ لا تعدم قيمته التربوية أو يعكس السلوك السيئ لدىٰ المتعلم من الغرور والتفاخر فيما بينهم.

٢. مراعاة التدرج في استخدام أسلوب العقاب ولا ينتقل من أسلوب إلىٰ آخر حتىٰ يتيقن من عدم جدواه[٢].

٣. مراعاة النزاهة وعدم الفحش في الكلام والاستهزاء بالمتعلم وفي ذلك يقول القاسمي: «ويجب علىٰ المعلم أن يكون حكيمًا في مجازاته أديبًا في عباراته مجانبًا فحش الكلام وبذاءته في الزجر[٣]» ثم بين علة ذلك بقوله: «فإن لذلك أضرارًا منها: اعتياد التلميذ علىٰ حفظها فيشيب علىٰ ما شب عليه، ومنها إيراث الغل والحقد، ... ومنها انقباض نفسه عند رؤية المعلم والاجتماع به، مما يدعو إلىٰ الخيبة وعدم النجاح بسبب عدم استفادتهم منه[٤]».

٤. عدم اللجوء إلىٰ أسلوب العقاب من الهفوة الأولىٰ بل يتغافل عنها ويعطىٰ له الفرصة أن يرجع عن الخطأ، ويعتذر عما فعل، وإن عاد نصح سرا حتىٰ يعود إلىٰ رشده.

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي: «فإن خالف ذلك في بعض

(١) للاستزادة من الضوابط راجع: كتاب الثواب والعقاب، لعدنان محمد مغربل: (ص٣٤-٣٧).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (٣٤).
(٣) المصدر السابق: (ص٣٤).
(٤) المصدر السابق: (ص٣٤-٣٥).

الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره . . . وإن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرًا . .[١]».

٥. عدم الإسراف في العقاب والعتاب حتىٰ لا تسقط قيمته التربوية، ويقود ذلك إلىٰ عدم مبالاته بالعقاب وركوب القبائح دون خوف ولا استحياء. هذا ما يؤكده القاسمي بقوله: «ولا تكثر القول عليه بالعقاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه . . .[٢]».

وهذا الذي ذهب إليه القاسمي متوافق لما تقرره الدراسات النفسية المعاصرة، حيث أثبتت أن الإكثار من العقاب قد يؤدي إلىٰ كبت السلوك وليس إلىٰ محوه أو إلغائه بما يؤدي إلىٰ ظهور الاستجابات التي عوقبت من قبل بنفس قوتها السابقة وأكثر[٣].

ولابد من الإشارة هنا إلىٰ «أن الدعوة إلىٰ تجنب العنف والشدة والدعوة إلىٰ معاملة المتعلمين بالحسنىٰ لا تعني التهاون في معالجة القضايا، ولا داعي للتردد والحيرة في اتخاذ القرارات الملائمة، فالحلم والرأفة والشفقة صفات طيبة تتحد مع القوة ولا تتعارض معها[٤]».

سابعًا: النظر في شئون التلاميذ:

ليست وظيفة المعلم -عند القاسمي- الاقتصار علىٰ التعليم فحسب، بل وظيفته أيضا أن «. . . ينظر في شئون تلامذته، ويمهد لهم

---

(١) موعظة المؤمنين للقاسمي (ص٢٧٩-٢٨٠).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٨٠).
(٣) علم النفس التربوي، لفؤاد أبو حطب (ص٣٦٩).
(٤) **التربية العملية**: أهدافها ومبادئها، عبدالرحمن صالح عبدالله (ص٩٨).

سبيل المجد والارتقاء . . . وأن ينصح لهم، ويرفق بهم، ويبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم . . .[١]».

وبالنظر إلىٰ رأي القاسمي يتبين خطأ المفاهيم التي تقوم علىٰ الاعتقاد بأن رسالة التربية هي نقل المعلومات إلىٰ الأجيال دون النظر إلىٰ شئونهم وتفقد أحوالهم؛ والسبب في ذلك يعود إما إلىٰ التهرب من الالتزام بمزيد من المسئوليات والأعباء التربوية، أو للنقص في التأهيل التربوي، أو قلة خبرة في معالجة الموضوعات الإنسانية[٢].

ولقد دلت بعض الدراسات التربوية علىٰ أن بعضًا من الطلاب يَشْكُون من أن المدرسين لا يهتمون بمشكلاتهم مما أدىٰ إلىٰ تعثرهم في الدراسة[٣].

وهذا يؤكد مسؤولية المعلم في النظر في شئون التلاميذ، وتقديم العون لهم، وحل مشكلاتهم؛ ومن هنا أدرك السلف أهمية ذلك وطبقوا ذلك في مسيرتهم التعليمية، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك؛ فعن أبي يوسف[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل الحال، فجاء إلي أبي وأنا عند الإمام[٥]، فقال لي: يا بني، لا تمد رجلك معه، فإن خبزه مشوي وأنت محتاج إلىٰ المعاش. فقعدت عن كثير من الطلب واخترت طاعة والدي.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٤-٢٥).

(٢) العلاقة بين الطالب والمعلم، لمحمود عمار (ص٤٤).

(٣) مشكلات طلبة المرحلة الإعدادية، لإبراهيم العمار: (ص١٣٦-١٣٧).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) يقصد به أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

فسأل عني الإمام وتفقدني، وقال: «ما خلّفك عنا؟» «قلت: طلب المعاش، فلما رجع الناس، وأردت الانصراف دفع إلي صرة فيها مائة درهم، فقال: «أنفق هذا، فإذا أتم أعلمني، والزم الحلقة، فلما مضت مدة دفع إلي مائة أخرىٰ، وكلما نفد كان يعطيني بلا إعلامي، كأنه كان يخبر عني بنفادها حتىٰ بلغت حاجتي من العلم. أحسن الله مكافأته وغفر له[1]».

والنظر في شئون التلاميذ وتفقد أحوالهم له آثاره التربوية من خلال:

* استشعار الطلاب بالتقارب مع معلميهم، وزيادة الصلة والروابط الأخوية بينهم، بما يعزز فيهم الثقة بالنفس وحب الآخرين والتفاعل مع أفراد المجتمع نتيجة المعاملة التربوية الضافية التي اكتسبوها من التطبيقات التربوية والممارسات العملية أثناء التلقي العلمي.

* بالإضافة إلىٰ تعرف المعلمين إلىٰ أسباب مشكلات الطلاب ومعوقاتهم التعليمية، بما يساعد علىٰ تقديم العون لهم وعلاج مشكلاتهم.

* * *

(١) مناقب أبي حنيفة، لحافظ الدين الكردري: (٢/ ١٢٢).

المبحث الثالث

آداب المتعلم

لاشك أن المتعلم أحد العناصر التعليمية المهمة، بل هو بيت القصيد في هذا الباب؛ لأن التعليم لم يقم أساسا إلا لأجله، ونجاحه مرتبط بمدىٰ إتقانه المادة العلمية، واستفادته منها، وتطبيقه لها في سلوكه.

ولهذا فمن الأهمية بمكان توضيح الآداب التي يجب أن يتحلىٰ بها المتعلم؛ حتىٰ يترقىٰ في السلم التعليمي علىٰ الوجه الصحيح؛ لأن النجاح في العلم والمقدرة العلمية مرهونة بتطبيق المتعلم لآداب العلم وطرق تحصيله.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي -بعد أن ذكر وعدّد آداب المتعلم-: «وجدير بمن درس هذه الآداب، وتحلىٰ بها، أن لا يمضي عليه ردح من الدهر حتىٰ يصبح رجلًا في العزم والقول والعمل، واقفا علىٰ أسرار الحياة علىٰ ما لم يكن ليعرفه، ناشئًا علىٰ أمتن الدعائم التي أسس عليها بناء الشريعة السمحاء، عاملًا بما علمه من ثمار آدابها ...[(١)]».

وفي موضع آخر نوّه رحمه الله علىٰ أهمية تحلي طلاب العلم بالأخلاق الفاضلة؛ فقال: «يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو إجازات المدرسين

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٣١).

أو شهادات المدارس فحسب، وذلك لأن العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيمًا في قومه، نافعًا لأمته ووطنه، فإن العلم آلة تديرها الأخلاق. فإذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّ به ولا ينفع، فالرجل لا يكون عظيما إلا بعلومه ... وأخلاقه وأعماله الفاضلة[(١)]».

ونظرا لمكانة وأهمية آداب المتعلم -في رأي القاسمي- فإنه اعتنىٰ بها، وفصّل القول فيها، وأطنب في بيانها في كتابه: (جوامع الآداب).

وفيما يلي بيان لآداب المتعلم: نحو نفسه، ونحو معلمه، ونحو زملائه:

---

(١) المصدر السابق: (ص١١).

المطلب الأول
آداب المتعلم نحو نفسه

أولًا: الإخلاص في الطلب:

غير خافٍ أن الإخلاص من أوجب ما ينبغي علىٰ المتعلم أن يتصف به، ويحرص علىٰ معرفة طرقه؛ حتىٰ يوفقه الله في طلبه، ويبارك له في علمه، وييسر له ذلك.

ولهذا وصّىٰ القاسمي المتعلم بـ: «... أن يكون الباعث له في الطلب مرضاة مولاه ...[١]» كما حذره من الوقوع فيما يشوب الإخلاص ويكدره، وذلك بأن: «لا يطلبه لمِرَاء أو رياء؛ فإن المماري به منبوذ لا ينتفع، والمرائي مرذول لا يرتفع[٢]».

إن تركيز القاسمي علىٰ المتعلم بأن يطلب العلم لأجل مرضاة الله ﷻ يعتبر من أساليب الدوافع المهمة التي لابد أن تُعمّق في نفس المتعلم؛ وذلك أن هذا الدافع عامل قوي لاستمرار المتعلم في تعلمه، حيث أنه إذا طلب العلم ابتغاء مرضاة الله شَعُر بسعادة روحية كبرىٰ، تذلل له الصعاب، وتحفزه إلىٰ بذل الجهد والطاقة لأجل الحصول علىٰ الأجر الجزيل من الله ﷻ[٣].

وما سبق قوله يؤكد أهمية دور المعلم في الربط بين الإخلاص

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٦).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٦).
(٣) آداب المتعلم في الفكر التربوي، لأحمد محمد فلاته: (ص٤٧).

والتحصيل العلمي، وذلك من خلال إشعار المتعلم بأن دراسته وانضباطه في الفصل وأداء واجباته المدرسية من العبادة التي يؤجر عليها إذا تأسست علىٰ نية صالحة.

ثانيًا: العمل بمقتضى العلم:

مما لا شك فيه أن العلم النافع هو الذي يطبقه صاحبه، ويترجمه إلىٰ سلوك عملي؛ ولذا: «فلا قيمة له دون العمل به[(١)]».

ومن هنا فإنه ينبغي علىٰ المتعلم -في نظر القاسمي أن يجعل من أهدافه لطلب العلم العمل به. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ -وهو يعدد أهم آداب المتعلم-: «... وأن يرغب في العلم رغبة متحقق بفضائله، واثق بمنافعه، وأن يكون الباعث له طلب مرضاة مولاه، والعمل بوصاياه ...[(٢)]».

والعمل بالعلم وسيلة نافعة لترسيخ المعلومات في الذهن؛ لأن المتعلم إذا تعلم بنية العمل به اهتم بالمعلومات، وكررها خوفًا من أن يكون هناك نقص أو غموض في المعلومات؛ فتؤدي إلىٰ نتائج خاطئة[(٣)].

ولقد أورد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «قواعد التحديث» بعضًا من أقوال السلف تؤيد ذلك:

فقد نقل عن الثوري[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه

(١) موعظة المؤمنين للقاسمي: (ص٣٨٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٦).
(٣) توجيه المتعلم إلىٰ منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، لمقداد يالجن: (ص١٦١).
(٤) سفيان بن سعيد مسروق الثوري، ولد سنة ٩٧هـ، أمير المؤمنين في الحديث، وكان آية في العلم، توفي سنة ١٦١هـ. تاريخ بغداد، للخطيب (٩/ ١٥١).

وإلا ارتحل[(١)]».

وكذلك نقل عن الشعبي[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به[(٣)]».

ثالثًا: الصبر على التعلم:

يُعتبر الصبر من أهم عوامل النجاح في كل عمل يقوم به الإنسان؛ لأن به تقوىٰ العزيمة علىٰ تحمل المشاق والصعاب، وتضبط النفس عن التشكي والتواني.

ومن هنا فإن المتعلم أحوج ما يكون إلىٰ الصبر في التعلم حتىٰ يبلغ مقاصده، ويدرك مراميه؛ ولذلك وجه القاسمي المتعلم بقوله: «ومن أهم ما يوصي به -أي المتعلم- الثبات والصبر، وعدم التقلب والتضجر، وكل عمل في الوجود فهو محتاج للثبات بنسبة ما فيه من المشاق، وما يحول دونه من العوائق التي لا يزيلها إلا المثابرة عليه والثبات له[(٤)]».

ومن الصبر علىٰ التعلم -في نظر القاسمي- الصبر علىٰ المذاكرة العلمية وصعوبتها؛ فلا يدعه «... ما استصعب عليه إلىٰ تركه[(٥)] ...»

---

(١) قواعد التحديث، للقاسمي (ص٣٩٨).

(٢) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي، تابعي كوفي، قال ابن خلكان: «جليل القدر وافر العلم، عالم الكوفة»، توفي بالكوفة سنة ١٠٣هـ، وقد أدرك خمسمائة من الصحابة.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧٩)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ٢٢٩)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٤٥).

(٣) قواعد التحديث، للقاسمي (ص٣٧٩).

(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٧).

(٥) المصدر السابق: (ص٢٦).

بل عليه أن: «يكثر من المذاكرة ليستفيد ما لم يعلم، ويحفظ ما علم، وأن لا يؤيسه تبلد ذهنه، ونبو فطنته، فإن الدأب يذلل الصعاب، ويدك الهضاب[١] . . .».

وبالتدريب والتدرج يستطيع المتعلم أن يتغلب علىٰ ملل المذاكرة وصعوبتها، مع تحديد الأهداف العليا من المذاكرة، وهي إرادة إتقان العلم من أجل نشره وتعليمه الناس ابتغاء مرضاة الله ﷻ[٢].

رابعًا: العناية بحسن الهيئة:

إن النفس البشرية تميل إلىٰ النظافة، وتنشرح إلىٰ الزينة؛ ولهذا كان من تعاليم الإسلام أن يتخذ المؤمن الزينة الحلال عند دخول المسجد وفي كل حال؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن هنا يلزم المتعلم أن يهتم بنظافة مظهره، ويعتني بجمال هيئته، وحسن هندامه؛ حتىٰ يكون محبوبا ومقبولا من رفقائه وأساتذته وغيرهم، فيكتسب بذلك احترامهم وتقديرهم[٣].

ولهذا وصىٰ القاسمي المتعلم بـ: «. . . أن يكون نظيف الوجه والعينين واليدين وسائر البدن والثياب . . .[٤]».

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٦).
(٢) الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم وآثارها علىٰ النجاح والتقدم العلمي، لمقداد يالجن: (ص٦٤).
(٣) المصدر السابق: (ص٧٠)
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٣٣).

وعلىٰ المتعلم أن يعكس اهتمامه بالنظافة -في نظر القاسمي-، فيحسن استعمال أدواته، فلا يمسح: «... الحبر بثوبه لئلا يقذره، ولا بفمه لئلا يحصل له ضرر لما عساه يوجد فيه[١] ...». وكل ذلك حتىٰ يكون المتعلم جميل المظهر، حسن الهيئة، غير بغيض، مقبولا بين الناس، محبوبا بين زملائه، عاملا بوصية المصطفىٰ ﷺ.

ويجدر التنبيه أنه ليس من ظهور المتعلم بالمظهر الحسن يعني الغلو فيه إلىٰ درجة الكبر والعجب علىٰ زملائه وأساتذته وغيرهم، ولكن الاعتدال هو الشيء المطلوب في الملبس أو في غيره[٢].

---

(١) المصدر السابق: (ص٣٣).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٣٣).

المطلب الثاني
آداب المتعلم نحو معلمه

للعلاقة القوية التي تربط المعلم بالمتعلم أثر كبير في التحصيل العلمي للمتعلم، واستمراريته في التعلم. فالمعلم هو الذي يطبع في فطرة المتعلم أصول الفضائل، وآداب الشريعة، ويلقنه دروس الحياة، ويرقي عاطفته، ويربي شعوره علىٰ الخير.

وغير خافٍ أنه لا يمكن للمتعلم أن يتعلم بدون معلمٍ يرشده ويأخذه بيديه إلىٰ الصواب؛ ولهذا من المهم أن يحسن المتعلم الأدب مع شيخه حتىٰ لا يُحرم بركة العلم، والاستفادة منه.

وهناك آداب يجب علىٰ المتعلم أن يتأدب بها، وهذا ما سيفصّله القاسمي في هذا المبحث:

أولًا: احترام المعلم وتقديره:

ومن أدب المتعلم مع معلمه أن يحترمه ويجله، ويعترف بفضل علمه، ويبادر إلىٰ كل ما يدل علىٰ احترامه.

ومن صور تقديره -في نظر القاسمي- ما يلي:

١- أن يبدأ المتعلم شيخه بالسلام والتحية قبل غيره(١).

٢- وأن يحسن الاستماع والإصغاء إلىٰ الدرس؛ فـ: «ينظر إلىٰ الأستاذ حين إلقائه، وأن ينظر في الكتاب إذا قرأ منه . . . وأن يجتنب

(١) المصدر السابق: (ص٢٨).

الالتفات ساعة الإلقاء يمنة أو يسرة . . . ، وليهتم بشرح أستاذه وتفهمه حرصًا أن لا يتفلت بغفلته شيء منه، . . . وأن يحذر مسابقة الأستاذ في إلقائه إذا وقف لتنفس أو تأمل . . . ، وأن يدافع النوم مدافعة العدو الألد» .(١).

٣- كما عليه أن يلتزم الهدوء والنظام في محفل الدرس فـ: «يقل بين يديه الكلام . . . ، ولا يلتفت إلىٰ ورائه، ولا يشتغل بمحادثة غيره . . . ، ولا يشاور جليسه، ولا يناجيه في مجلسه، ولا يلتفت إلىٰ الجوانب . . . وليحذر الانبساط معه وإن آنسه، والإدلال عليه وإن تقدمت له صحبه، . . . وأن لا يضحك بلا داع، ولا يبدي مضحكا، ولا يتغامز مع أحد ولا يمزح معه، ولا يسوق حكاية أو نادرة أو أمرًا مما جرىٰ له، . . . وأن يقفل باب الخصام والشحناء مع أخيه، وأن لا يكلم غير أستاذه، ولا يسمح له بمخاطبة غيره(٢)».

٤- كذلك عليه أن يراعي الجلسة الصحيحة أمام أستاذه فـ «. . . يجلس بين يديه في غاية الأدب والانتباه والإصغاء والسكوت، لا يلعب بيديه، لا يخبط برجليه . . .(٣)» ويجلس منصب القامة غير منحنٍ، وهذه الجلسة المستقيمة تساعد علىٰ الفهم الجيد والتيقظ وتطرد النوم والكسل(٤).

(١) المصدر السابق: (ص٢٩).
(٢) المصدر السابق (ص٢٨-٣٠).
(٣) المصدر السابق: (ص٢٨).
(٤) الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم وآثارها علىٰ النجاح والتقدم العملي لمقداد يالجن: (ص٦٢).

٥- كما عليه أن يحسن سؤال معلمه فـ: «يسأل في الموضوع بأدبٍ استفهامًا لا جدلًا..[(١)]» ويمكن له أن يعيد المسألة مرارًا بأدب وعقل[(٢)].

٦- كذلك عليه أن يتأدب في المناقشة والحوار فـ: «يجتنب الاعتياد علىٰ كثرة الجدال والحوار ...، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يقول عند المعارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيري أنه أعلم بالصواب من أستاذه[(٣)]».

ثانيًا: مدارسة الكتاب على المعلم:

من المبادئ التعليمية المهمة: أن يقرأ الطالب كتابه علىٰ المعلم حتىٰ لا يقع في الخطأ والتصحيف، ويفهم المعلومة علىٰ غير الصواب؛ لأنه «... يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بروغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب ...، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة ... فهذه كلها معوقة عن العلم ...[(٤)]».

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣٠).
(٢) المصدر السابق: (ص٣٠).
(٣) المصدر السابق: (ص٢٨ و٣٠).
(٤) إتحاف السادة المتقين، للزبيدي: (١/ ٦٦-٦٧).

ومن هنا تأتي أهمية قراءة الكتاب علىٰ المعلم، ولها آداب -في نظر القاسمي- لابد أن يراعيها المتعلم:

١- إذا قرأ المعلم من كتابه؛ فينبغي علىٰ المتعلم أن ينظر في الكتاب، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة[١].

٢- أن يراعي المتعلم حالة الأستاذ النفسية؛ فلا يكثر عليه القراءة عند ملله[٢].

٣- أن يتدرج في مدارسة الكتاب فـ: «يستمر في تلقي الكتاب الذي ابتدأ فيه علىٰ الأستاذ الذي شرع في تلقيه عنه حتىٰ يتمه، وأن لا ينتقل إلىٰ أرقىٰ منه قبل إكماله[٣] . . .».

ثالثًا: كتابة الدرس الذي يلقيه المعلم وتجويدها:

ومن تمام أدب المتعلم مع معلمه -في رأي القاسمي أن: «يكتب ما ألقاه الأستاذ بإذنه[٤] . .» فـ: «يحرص علىٰ كتابة كل ما يسمعه من تحقيق في بحث وحكمة في تشريع ونكتة غريبة في بابها وقصة بديعة . . . وأن لا يغفل عن تقييد نفائسه بالكتابة ثقة بما استقر في ذهنه، فإن الشك معترض، والنسيان طارئ[٥]» بل يرىٰ القاسمي أن يكتب طالب العلم الفائدة من أي شخص كان، فيصحب معه في كل وقته دفترا يقيد

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٩).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٨).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٨).
(٤) المصدر السابق: (ص٣٠).
(٥) المصدر السابق: (ص٢٦-٢٧)

الفوائد والشوارد العلمية[١].

ولكي تكتمل فائدة ما كُتب؛ فإن علىٰ المتعلم أن يجود خطه ويحسنه؛ لأن رداءة الخط يؤدي إلىٰ تحريف المعنىٰ، وتصحيف الكلمات؛ ولهذا وجه القاسمي المتعلم بأن: «... يعتني بإجادة خطه[٢] ...».

وهذا التوجيه من القاسمي له أهميته بمكان؛ حيث إن كثيرا من المعلمين يشتكون من رداءة خطوط بعض الطلاب، وضعف كتاباتهم، وعدم ضبطها؛ مما يترتب عليه صعوبة معرفة المضمون، وتغير المعنىٰ، بالإضافة إلىٰ ما يسببه ذلك للأستاذ من ضيق وتبّرم[٣].

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٦-٢٧).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٦).
(٣) آداب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي لأحمد فلاتة: (ص١٢٧).

المطلب الثالث
آداب المتعلم مع رفقائه

أولًا: اختيار المتعلم لرفقائه:

إن «رفقاء الفتىٰ في المحلة وفي المكتب والمدرسة هم أقرب الناس إليه بعد والديه وأقاربه . . .[١]» ويؤثر بعضهم علىٰ البعض في السلوك والأخلاق والدراسة.

ولقد أثبتت الدراسات النفسية أن جزءًا كبيرًا من السلوك الأخلاقي يكتسبه المتعلم عن طريق الصحبة والاقتداء بها، حيث إن المتعلم يلاحظ سلوك زميله، ثم يبدأ في تقليده ومحاكاته[٢].

ولهذا يلزم المتعلم أن يحسن اختيار رفقائه؛ لأن الأصدقاء هم ثروة الإنسان الحقيقية وذخيرته التي يجابه بها في هذه الحياة؛ وعليه فلابد أن ينتقي ثروته ويطرد منها الزائف ويفحص ذخيرته قبل أن ينزل بها لمعترك الحياة[٣].

وطالما أن الرفقة لها أثر خطير في حدوث الانحراف الخلقي للمتعلم، فالأمر بتطلب منه ومن والديه أو الوصي عليه أو غيرهما من أهل الإصلاح اختيار الرفقة الصالحة؛ وهذا الذي دعا القاسمي إلىٰ

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣١).
(٢) نظريات التعلم، لجورج غازدا وآخرون (ص١٤٦).
(٣) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، لمحمد جمال الدين محفوظ (ص٢٠٦).

توضيح المعايير التي علىٰ ضوئه ينبغي اختيار الرفقة؛ وإجمالها فيما يلي[١]:

١- **العقل**: فلا خير في صحبة الأحمق؛ فهو إلىٰ القطيعة والوحشة أقرب منه إلىٰ الألفة والمودة، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك.

٢- **حسن الخلق**: فلا يصحب من ساء خلقه، وهو من لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة؛ حتىٰ لا يتأثر بسلوكه، وتسوء أخلاقه.

٣- **الصلاح**: فلا يصحب الفاسق، فإنه لا يخاف الله، ولا تؤمن غوائله، بل يتغير بتغير الأعراض والأحوال، بل مشاهدته تهون أمر العصية علىٰ النفس.

٤- **الزهد**: فلا يصحب الحريص علىٰ الدنيا؛ فإنه سم قاتل، ومجالسته تحرك في النفس حب الدنيا والحرص عليها.

٥- **الصدق**: فلا يصحب كذّابًا، فإنك منه علىٰ غرور، فإنه مثل السراب، يقرب من البعيد، ويبعّد منك القريب.

ثانيًا: إحسان المتعلم لرفقائه:

ومن تمام أدب المتعلم مع رفقائه -في نظر القاسمي- أن يبذل في الإحسان إليهم، فـ «. . . يعاشرهم بالمعروف ليدخل عليهم السرور برؤيته، وتنشرح صدورهم من ملاقاته، ويكلمهم بالمعروف، ويقابلهم

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص١٩٩-٢٠٠) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٥١).

بالبشاشة واللطف، ويساعدهم علىٰ دفع المضرة وجلب المنفعة بالطرق الحسنة، ولا يقابلهم بمكروه، ولا يتكلم في حقهم بما يكدر الخاطر، ولا يسلط عليهم مؤذيا . . .[(١)]».

ومن كمال إحسان المتعلم أن يتفقد إخوانه، فيسأل عن الغائب من زملائه، فيعاد إذا مرض، ويهنّأ إذا فرح، ويعزىٰ إذا أصابه مكروه، ويشاطره الأسىٰ والحزن[(٢)].

ومن الإحسان أن يسدي النصيحة لرفقائه، فيرشدهم إلىٰ ما هو فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم[(٣)].

وما أحوج الطلاب إلىٰ مثل هذه النصائح فيما بينهم؛ ولاسيما في هذا العصر الذي تموج بالفتن والشهوات؛ حتىٰ يعين بعضهم البعض علىٰ الخير والبر والتقوىٰ.

ثالثًا: أدبيات المتعلم مع رفقائه في مجلس العلم:

إن لمجالس العلم منزلتها العالية في نفوس المتعلمين، ولهذا فإن علىٰ المتعلم أن يحترم مجلس العلم، ويلتزم الهدوء والنظام.

ولهذه المجالس أدبيات لا بد أن يراعيها المتعلم، منها:

١- إذا حضر المتعلم مجلس العلم، ووجد أن زملاءه قد سبقوه؛ فيجلس حيث انتهىٰ به المجلس[(٤)].

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣١-٣٢).
(٢) المصدر السابق (ص٣١).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣٢).
(٤) المصدر السابق: (ص٣٢).

٢- وإذا كان المتعلم في مجلس العلم، وقدم أحد رفقائه ورغب في الجلوس: «أن يفسح للقادم، ويبش له، ولا يجمد في وجهه ...[١]».

٣- ثم إذا سأل زميله المعلم فعليه: «أن يصغي لمن سأل إصغاء تاما[٢] ...» حتىٰ يعي السؤال، ويستفيد من جواب المدرس.

٤- كذلك إذا سأل زميله الأستاذ فأخطأ في صياغة السؤال فعليه: «... أن يتجنب الهزء بمن زل في سؤال ...[٣]».

٥- ومن آدابه: «... أن يسكن لمن استعاد شرح الأستاذ، ولم يتفطن للبحث ولا يتضجر منه[٤]».

٦- كذلك من آدابه: أن لا يتحدث مع زملائه في مجلس العلم ولا يشير إليه؛ بل إذا استوضحه عن مسألة فلا يجيبه بل يستمهله إلىٰ فراغ الدرس[٥].

٧- وأيضا من الآداب: إذا زجر المعلم أحد زملائه في مجلس العلم فـ: «... لا يشمت به، ولا يحقد عليه ...[٦]».

---

(١) المصدر السابق (ص٢٩).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٩).
(٣) المصدر السابق: (ص٢٩).
(٤) المصدر السابق: (ص٢٩).
(٥) المصدر السابق: (ص٢٩-٣٠).
(٦) المصدر السابق (ص٢٩).

رابعًا: المذاكرة والمناقشة العلمية:

إن من أهم الوسائل لتثبيت المعلومات وترسيخها في الأذهان استخدام وسيلة المذاكرة والمناقشة العلمية سواء كانهذا بين المعلم والمتعلم أو بين المتعلم وزملائه[١].

كما أنها من الوسائل المهمة في تصحيح المعلومات التي استفاد منها المتعلم من أستاذه؛ ولهذا وجه القاسمي المتعلم بأن: «. . . تكون له مذاكرة مع أقرانه، ومباحثة علمية[٢] . . .».

ونتيجة لما قد تحدث أثناء المناقشة العلمية من الخلافات، فقد وضع القاسمي بعض الأدبيات التي لابد من توفرها عند المناقشة العلمية:

١- التلطف واستعمال الأدب عند المناقشة، وعدم طعن الآخر لزميله بنسبة الجهل إليه والقصور في العلم[٣].

٢- التثبت وإتقان المادة العلمية المراد مناقشتها؛ حتىٰ تؤدي إلىٰ نتائج قيمة ومفيدة[٤].

٣- إرادة الحق عند المناقشة، والخروج منها بفائدة علمية، فمن ظهر خطؤه فعليه أن يقبل الحق ولا يعاند ولا يكابر[٥].

---

(١) توجيه المتعلم إلىٰ منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي لمقداد يالجن: (ص٩٦).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٣٢).
(٣) موعظة المؤمنين للقاسمي: (٢٨٥) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: (ص٣٢).
(٤) نقد النصائح الكافية، للقاسمي (ص٢١).
(٥) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (٢٨٥) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: (ص٣٢).

وهذه الأدبيات مهمة أثناء المناقشة العلمية؛ لأن مراعاتها تساعد علىٰ المحافظة علىٰ العلاقات الجيدة والمتينة بين المتعلمين، وفي المقابل فإن إهمالها تؤدي إلىٰ الخصومة والتحاسد والتباغض؛ وكل هذا مما لا يدعو إليها الدين الإسلامي فضلًا عن أن يكون ذلك بين طلاب العلم.

كما أنها تعين علىٰ الاستفادة العلمية، وقبول الصحيح من الأقوال بعيدًا عن التكبر وبطر الحق.

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع

أهم القواعد التعليمية التربوية

القواعد: مفردها قاعدة، وهي: أسس الشيء وأصوله، حسيا كان ذلك الشيء: كقواعد الدار، أو معنويا: كالقواعد الفقهية[(١)].

ولقد ورد في القرآن الكريم القواعد بمعنىٰ الأسس[(٢)]؛ قال تعالىٰ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

قال القاسمي في تفسير الآية: «أي قلع بنيانهم من قواعده وأسسه، فهدمه عليهم حتىٰ أهلكهم[(٣)]».

والعملية التعليمية لها قواعد ومبادئ لابد من مراعاتها أثناء التعليم؛ حتىٰ تثمر تلك العملية وتؤتي جهودها، ويتحقق الغرض المنشود منها، وتستفاد من ثمارها علىٰ الوجه الأكمل.

وهذه القواعد هي تلك المبادئ المساعدة للمعلم في تعليمه، والمتعلم في طلبه حتىٰ تتم العملية التعليمية علىٰ الوجه الصحيح، وتصل إلىٰ غايتها بكل وضوح.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور: (١١/ ٢٣٩) والقواعد الفقهية، لعلي الندوي (ص٣٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: (ص٤١٠).
(٣) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٥١٢).

ومن أهم القواعد التعليمية التربوية التي دعا إليها القاسمي ما يلي:

القاعدة الأولى: التشجيع على طلب العلم:

إن من القواعد العملية التعليمية المهمّة: إبراز أهمية العلم ومكانته للمتعلمين؛ حتىٰ يستشعروا قيمته، ويدركوا منزلته، ويتبصّروا دوره الكبير في ترقية المجتمع وبنائه.

ولقد بيّن القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دور العلم في سيادة الأمة وتمكينها، وطلب من الأمة الإسلامية أن يزدادوا من العلم، ويهتمّوا بنشره.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم! العلم! ما سادت أمة إلا بالعلم، ولا ارتفعت إلا بالعلم، ولا استفحل شأنها إلا بالعلم، ألا فأعملوا هممكم علىٰ اكتساب العلم، والازدياد من العلم، والاجتهاد في التعلم والتعليم[(١)]».

إن إبراز أهمية العلم يولّد في نفس المتعلم حب العلم، ويدفعه إلىٰ الرغبة في اكتسابه، والازدياد منه[(٢)]، وهذا يؤدي إلىٰ التفاعل العلمي ونجاحه، وانتشاره بين المجتمع.

ومن هنا جاء المنهج الإسلامي بأساليب عديدة تشوق المتعلم إلىٰ العلم، وتحفزه إلىٰ طلبه، ومنها:

- بيان أن العلم سبب -بعد رحمة الله- في دخول الجنة؛ قال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيْقًا إِلَىٰ الجَنّة**[(٣)]».

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص٢٢٤).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص٩٠).
(٣) تقدم تخريجه.

فهذا الحديث فيه ترغيبٌ لطالب العلم، ووعدٌ له بأنه إذا سلك طريقا لأجل طلب العلم سهل الله به طريقا إلىٰ الجنة.

- إخبار القرآن الكريم بعلوّ منزلة العلماء في الدنيا والآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال القاسمي في تفسير الآية: «أي يرفع المؤمنين بامتثال أوامره، وأوامر رسوله، والعالمين بها، الجارين علىٰ موجبها، بمقتضىٰ علمهم، درجات دنيوية وأخروية[(١)]».

- بيان أن العلماء هم ورثة الأنبياء؛ قال ﷺ: «**إنّ العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إنّ الأَنْبِيَاءُ لَمَ يُوَرّثوُا دِينَارًا وَلاَ دِرْهمًا، إِنّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**[(٢)]».

ولقد تضمن الحديث حفز المتعلم علىٰ طلب العلم؛ لأن مقتضىٰ الوراثة من الأنبياء، يلزم طلب العلم والاستزادة منه.

- حصول الخيرية لمن طلب العلم؛ قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقّهْهُ فِي الدِّيْنِ**[(٣)]».

فهذا الحديث قد بيّن حصول الخيرية لمن طلب الفقه في الدين؛ وهذا مما يحفّز المتعلّم لطلب مزيد من العلم؛ لنيل ذلك الأجر العظيم.

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٧/ ٥٢).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.

القاعدة الثانية: توقير العلماء:

للعلماء مكانة خاصة عند الله ﷻ، فقد رفع الله منزلتهم في الدنيا والآخرة فقال عزّ مِنْ قائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. كما قرن الله شهادته علىٰ التوحيد بشهادة أهل العلم؛ وهذا دليل علىٰ شرفهم وعلو منزلتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

كما أن للعلماء شرف الرتبة بعد الأنبياء؛ لأنهم يأخذون إرث النبوة؛ قال ﷺ: «**إن العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَالأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**(١)».

قال القاسمي بعد أن سرد الحديث: «ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة(٢)».

ولهذا يرىٰ القاسمي أن «من سعادة الأمة أن يكون لديها من العلماء طائفة مهتمة، يختص عملها بتنوير عقولهم بالمعارف الحقة، وتحليتها بالعلوم الصافية بكمال الدقة . . . فإن لم يكن في الناس معلم حكيم قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه، . . . وحرم سعادة الدارين، وفارق هذه الدنيا علىٰ أتعس الحالات(٣)».

ولما كان للعلماء هذا الشرف العظيم؛ فإنه ينبغي للمتعلمين وغيرهم

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٢).
(٣) قواعد التحديث، للقاسمي: (ص٣٥).

من أفراد الأمة أن يقدّروهم ويجلّوهم ويعرفوا لهم مكانتهم[١]؛ ولهذا قال القاسمي موجّها المتعلم بذلك: «إن أستاذك هو الذي أنقذك من مصيبة الجهل . . . فيلزمك أن تحترمه وتعظّمه، بأن تجلس بين يديه متأدّبًا منتبهًا مصغيًا معتبرًا بنصائحه[٢] . . .».

ولقد كان السلف رحمهم الله يتمثلون هذا التوجيه بالتطبيق العملي، فهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما مع عظم شأنه وعلو مرتبته أخذ بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا[٣].

وقال أحد السلف لشيخه: «لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه[٤]».

وهذا التوجيه له أهميته بمكان؛ لأن من لا يحترم معلمه يحرم بركة العلم، ولا ينتفع به. ويزداد هذا الأمر أهمية في هذا العصر لظهور بعض المظاهر السيئة من عدم احترام المتعلمين للمعلمين سواء كان هذا في مجلس العلم أو خارجه؛ مما يتوجب إيضاح مكانة المعلم، والإشادة بمنزلته السامقة.

القاعدة الثالثة: إلزامية التعليم والتعلم:

إن العلم أشرف العبادات وأجلها؛ فهو مفتاح الخير والسعادة، وطريق الفلاح والنجاح؛ ولهذا اهتم الإسلام بالعلم، وألزم العلماء بأن

---

(١) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل تحت المطلب الثاني: بعض صور احترام المتعلم للمعلم.
(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص٣٥٥).
(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة (ص٨٧).
(٤) المصدر السابق (ص٨٧-٨٨).

يعلّموا الناس دينهم؛ لكونهم محتاجين إليه في عباداتهم وشئون حياتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فالآية بينت: «وجوب إظهار الحق، وتحريم كتمانه، فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوىٰ والشهادات وغير ذلك مما يجب إظهاره(١)».

وقال عز من قائل عليما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

جاء في تفسير الآية: «هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله . . . فإن الله أخذ الميثاق علىٰ أهل العلم بأن يبينوا للناس ما مَنّ به عليهم من علم الكتاب، ولا يكتموه . . .(٢)».

وفي هذا يقول القاسمي: «ولما كانت عظة العوام بإيقافهم علىٰ جواهر دين الإسلام وإعلامهم محاسن الدين . . . من أوجب الواجبات، وآكد المفروضات؛ لما أخذ الله علىٰ العلماء من الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر . . . فلزم الداعي إلىٰ تعالىٰ أن يجتهد في دعوته . . . .(٣)».

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٢/ ١٩٠).
(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للسعدي (ص٧٧).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (٣٩-٤٠).

كذلك فإن من واجبات الدين وفرائضه -في نظر القاسمي- تَعلُّم العلم الذي به «تُعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل، . . . [و] تُعْلَم به أحوال القلب ما يحمد منها كالصبر والإخلاص والصدق . . . وما يذم كالحقد والحسد . . .[(١)]».

إن توضيح القاسمي لمفهوم إلزامية التعليم والتعلم علىٰ المعلمين والمتعلمين يقوّي لديهم الإحساس بأهمية العلم وأمانته، وينمي في العلماء الشعور بأمانة العلم الذي يحملونه، وأنه ليس مجرد مهنة يقومون بها مقابل الرواتب أو غيرها من الأمور الدنيوية؛ بل عليهم أن يعلموا الطلاب بكل إخلاص وصدق وأمانة ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالىٰ، ورفع شأن الأمة من الجهل.

القاعدة الرابعة: تحديد الأهداف التعليمية:

قد تغدو الممارسات التربوية السائدة في المؤسسات التعليمية المتنوعة ممارسات آلية تثمر نتائج سلبية إن لم توجهها مجموعة من الأهداف، وتدفع بها في اتجاهات معينة تحقق الغايات التي تنشدها العملية التربوية عموما، والعملية التعليمية بشكل خاص[(٢)].

ولهذا تأتي أهمية تحديد الأهداف التعليمية للمعلم والمتعلم والعملية التعليمية بكاملها حتىٰ تحدد مسارات العمل التربوي؛ وبالتالي تحفز إلىٰ المزيد من العطاء والنجاح.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٧).
(٢) علم النفس التربوي، لعبد المجيد نشواتي: (ص٤٧).

فالأهداف نقطة الانطلاق والعودة لأي عمل تربوي، وهي النبراس الذي تسير علىٰ ضوئه العملية التربوية[١].

وتهدف العملية التعليمية -في نظر القاسمي- إلىٰ الآتي:

١- أن تكون العملية التعليمية مبنية علىٰ ابتغاء مرضاة الله ﷻ[٢].

ولهذا الهدف آثار بالغة في إضفاء الجدية في التعليم، فهو يزيد من عطاء المعلم في التعليم، ويضفي لدىٰ المتعلم الرغبة الأكيدة في اكتساب العلم، بل يبارك لهما في ذلك[٣].

٢- أن تهدف العملية التعليمية إلىٰ إدراك معرفة الله ﷻ ومعرفة ما فرضه من الأحكام الشرعية وغيرها، وعلىٰ ضوء هذه المعرفة يترجم المتعلم علمه إلىٰ سلوك عملي إيجابي[٤].

وهذا الهدف الذي بينه القاسمي مطابق لما يناديه علماء النفس التربوي، حيث يرون أن من الأهداف التعليمية: أن تؤدي إلىٰ تغيير سلوك المتعلم نحو الأفضل، إلا أنهم يختلفون في السلوك المرغوب فيه[٥].

القاعدة الخامسة: التحلي بآداب العلم:

إن نجاح المعلم والمتعلم في عمليتهما التعليمية مرتبط بأمرين أساسين:

---

(١) الأهداف التربوية مصادر اشتقاقها وطرق صياغتها في البلد المسلم لمحمد صالح جان (ص٩).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٦).
(٣) علم النفس الدعوي، للنغيمشي: (ص١٦).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٨٨).
(٥) علم النفس التربوي لعبد المجيد نشواتي: (ص٤٧).

الأمر الأول: حسن الخلق مع جميع أفراد الناس؛ ذلك أن اتصافهما بحسن الخلق يجعلهما محبوبين ومحترمين ومزينين في أعينهم جميعا، وبه يكسبا ثقتهم.

الأمر الثاني: الإحاطة بطبيعة العلم، وعليهما أن يتقدما في مسارين:

الأول: مسار التقدم الأخلاقي مع البيئة التعليمية، وتشمل الزملاء والمرافق والمكتبات . . .

الثاني: مسار التقدم العلمي، ويتم ذلك بمعرفة أفضل طرق التعليم بالنسبة للمعلم وآداب التعلم بالنسبة للمتعلم(١).

ومن هنا ركز القاسمي علىٰ قضية آداب العالم والمتعلم، ودعاهما إلىٰ التخلق بها. قال ﵀ -بعد أن عدد آداب المعلم، وآداب المتعلم في: نفسه، ومع أستاذه، وفي محفل الدرس، ومع رفقائه-: «وجدير بمن درس هذه الآداب وتحلىٰ بها أن لا يمضي عليه ردح من الدهر حتىٰ يصبح رجلًا في العزم والقول والعمل، واقفًا من أسرار الحياة علىٰ ما لم يكن ليعرفه، ناشئًا علىٰ أمتن الدعائم التي أسس عليها بناء الشريعة السمحاء . . .(٢)».

كما نوّه ﵀ علىٰ أهمية التحلي بالأخلاق والاتصاف بها، ولاسيما للمعلمين والمتعلمين بقوله: «يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها

(١) الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم وآثارها علىٰ النجاح والتقدم العلمي، لمقداد يالجن: (ص٥٧-٥٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٣١).

أو إجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب، وذلك لأن العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيما في قومه، نافعًا لأمته ووطنه، فإن العلم آلة تديرها الأخلاق. فإذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّ به ولا ينفع، فالرجل لا يكون عظيما إلا بعلومه . . . وأخلاقه وأعماله الفاضلة[١]».

وما أشار إليه القاسمي له من الأهمية بمكان؛ إذ نجاح المعلم في التعليم مرتبط باتصافه بأخلاق العلماء وصفاتهم الحميدة، كما أن نجاح المتعلم في تعلمه مرهون بتطبيقه لآداب العلم وأخلاقه.

القاعدة السادسة: التدرج في العملية التعليمية:

يقصد بالتدرج: تعليم المتعلم صغار العلم قبل كباره حتىٰ يصل المتعلم إلىٰ ما قُدر له من العلم والمعرفة. وهذه القاعدة من أهم عوامل النجاح في العملية التعليمية؛ لأن «إغفال المعلم لمبدأ التدرج في تعليمه يجعل المتعلم يبتعد عن التعليم وينحرف عن قبوله نظرًا لصعوبة ذلك العلم عليه حيث بدأ به معلمه من الدقائق والتفصيلات التي لم يمهد لها بالأصول والمجملات العامة[٢]».

كما إن إهمال المتعلم لمبدأ التدرج يؤدي به إلىٰ فوات العلم عنه، وعدم إدراكه له علىٰ الوجه الصحيح ومن هنا وجه القاسمي المتعلم بأن: «يبتدئ بأوائل العلوم ليتدرج إلىٰ آخرها . . .[٣]» وفي هذا المعنىٰ يقول

(١) المصدر السابق: (ص١١).
(٢) الفكر التربوي عند الشيخ عبدالرحمن السعدي، لعبدالعزيز الرشود (ص٤٠٠).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٦).

ابن خلدون[١]: «اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان علىٰ التدريج شيئًا فشيئًا وقليلًا وقليلًا، يلقي عليه أولًا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها علىٰ سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول ما يرد عليه حتىٰ ينتهي إلىٰ آخر الفن[٢]».

ومن مقتضىٰ هذا التدرج -في نظر القاسمي- أن لا يأتي المعلم في أثناء الدرس بما يهوّش الفهم «فلا يغرب بالإكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بالاحتمالات . . . وأن لا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر إلا ما جاء عرضًا وتوقف عليها فهم المقام . . .[٣]».

وما أشار إليه القاسمي من الابتعاد عن غريب الألفاظ وخلط المسائل له قيمته التربوية؛ لأن هذه الأمور من الأسباب التي تصعّب عملية الفهم، وتداخل المعلومات التي قد تؤدي إلىٰ عدم استيعابها، وسرعة نسيانها.

ولقد دلت التجارب أن وضوح المادة العلمية أحد العوامل المهمة التي تسهل عملية التعلم، وتزيد من القدرة علىٰ الاحتفاظ بالمادة العلمية[٤].

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي المعروف بابن خلدون، ولد سنة ٧٣٢هـ، عالم، أديب، مؤرخ، له من المؤلفات: تاريخ ابن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، شفاء السائل لتهذيب المسائل، توفي سنة ٨٠٨هـ (شذرات الذهب، لابن العماد (٧/ ٧٦-٧٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون: (١/ ٧٣٤).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٥).

(٤) أساسيات علم النفس التربوي، لمحي الدين توق وآخر، (٢٢٤).

القاعدة السابعة: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يكون هناك تباين في المدارك عند الناس، واختلاف في التصور، وتفاوت في القدرات العقلية[(١)]؛ حتىٰ يحقق لهم حياة مشتركة تقوم علىٰ المشاركة والتعاون؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومن هنا فإنه ينبغي علىٰ المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين الطلاب في نظر القاسمي فـ «يرفق بهم، ويبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، وأن لا يحقر ناشئًا ولا يستصغر مبتدئًا، ... وأن يوجه ذهن الطالب إلىٰ تعقل المسائل وفهم المعاني من أقرب الوجوه..[(٢)]» «ويخاطبهم علىٰ قدر عقولهم، ويتنزل لإرشادهم إلىٰ لغتهم[(٣)] ...».

ولقد ورد علىٰ لسان السلف ما يدل علىٰ أهمية مراعاة الفروق الفردية بين المخاطبين؛ قال علي ﷺ: «حَدِّثُوا الناس بما يعرفون أتحبّون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله[(٤)]».

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[(٥)]».

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره لظافر القاسمي: (ص٣٦٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٥).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٠).
(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (ص٣٣).
(٥) رواه مسلم في صحيحه: المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع (١/ ١١) برقم (٥).

وتأتي أهمية وضرورة مراعاة الفروق الفردية في العملية التعليمية أنها تساعد علىٰ تقريب المادة العلمية لمستوىٰ أذهان الطلاب، وتعين علىٰ الإدراك الجيد، والإلمام بالموضوعات العلمية، كما أنها تساعد علىٰ شحذ همم الطلاب وتشجيعهم علىٰ الاستمرارية في التعلم برغبة وطموح صادق(١).

إن عملية التعليم ينبغي أن تعرض علىٰ الطلاب علىٰ نحو يوائم قدراتهم العقلية، وبما يناسب أذهانهم ومستوياتهم؛ حتىٰ يدركوا العلم علىٰ الوجه الصحيح، وإلا ربما أخطأوا في الفهم وبنوا علىٰ ذلك أمورا تخالف ما قصد المعلمون من التوجيهات والتعليمات.

القاعدة الثامنة: الحذر من المعوقات العلمية:

هناك معوقات علمية -في نظر القاسمي- لابد للمتعلم أن يقف عليها حتىٰ يجتنبها، ولا تكون سببا في إعاقة مسيرته العلمية؛ ومن تلك المعوقات:

١- **سيطرة شهوة المال أو الجاه**: فالعلم أعز من أن ينال مع غيره أو أن يزاحم غيره سبيله؛ «ولذلك ترىٰ كثيرا من الناس لا ينالون العلم قدرًا صالحًا يعتد به لاشتغالهم عنه بطلب المنصب ... وهم يطلبونه دائمًا، وكان ذكرهم وفكرهم تحصيل المال والجاه(٢) ...». ولهذا وجه القاسمي المتعلم بأن «لا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده، ولا نفوذ أمر

(١) مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، لصالح البقعاوي: (ص٢٨٥).
(٢) أبجد العلوم، لصديق حسن خان: (ص٢٣٦).

وعلو منزلة، فإن من نفذ أمره فهو إلىٰ العلم أحوج[١] . . .».

ويستثنىٰ من ذلك ما يطلبه المتعلم لتحقيق كفايته والاستغناء عن الناس؛ يقول أبو الدرداء[٢]: «من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته[٣]».

٢- كثرة الأشغال: يحتاج المتعلم حتىٰ يجيد العلم الذي يطلبه إلىٰ ذهنٍ صاف وعقل نظيف لا تشوبه الشواغل والصوارف؛ لأن «الفكرة متىٰ توزعت قصرت عن إدراك الحقائق[٤]».

ولهذا وصّىٰ القاسمي المتعلّم أن لا يني في طلب العلم، وأن ينتهز الفرصة به، فربما شَحّ الزمان بما سمح، وضَنّ بما منَح، وأن لا تصدّ شئون كسبه عن العلم[٥]، كلّ ذلك حتىٰ يقطع المتعلّم العلائق الشاغلة عن العلم.

٣- إضاعة الأوقات فيما لا يفيد: ولهذا وصىٰ القاسمي المتعلم بأن: «لا يصرف أوقاته مع رفقائه إلا بما يعود علىٰ نفسه وعليهم بالمنفعة، ولا يترك درسه . . . لأجل أن يبسط رفقاءه؛ فإنه يكون كالبخور يعطّر الناس ويحرق نفسه[٦] . . .» بل عليه أن يحرص علىٰ الوقت في طلب العلم حتىٰ في أوقات الفراغ من العمل، وعليه أن يقرأ

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٦).
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: (١/١٠٧).
(٤) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة: (ص٢٥).
(٥) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي: (ص٢٦).
(٦) المصدر السابق: (ص٣٢).

«كتب الآداب والحِكَم ومطالعة الصحف والمجلات العصرية والمذاكرة في الأندية بالمباحث العلمية والاقتصادية مما يفيد تبادل الأفكار فيه . . . كل ذلك ضَنًّا علىٰ الوقت أن يبذل في سبيل اللهو واللغو والأحاديث التافهة[١] . . . ».

٤- **التعصب والجمود**: فالتّعصب والجمود الفكري يمنعان من الاستزادة في العلم؛ لأن الذي يتعصب لفكرٍ معيّن لا يأخذ من غيره الفائدة، وبذلك فقد حرم نفسه الكثير من العلم والفوائد.

قال القاسمي موجها المعلم: «وأن يقتلع جذور التعصب من قلوب المتعلمين ويحببهم إلىٰ الإنصاف؛ فإن التعصب سبب تفريق الناس بعضهم عن بعض، وجذوة حجب العقول عن الحق[٢]».

وقال في موضع آخر: «ما أقبح جمودًا ينتهي بصاحبه إلىٰ جهل يظنه علمًا، ويفرقه عن علم يخاله جهلًا[٣]».

٥- **الكبر والعجب**: فالكبر من معوقات العلم؛ لأن المتكبر يتعالم علىٰ بعض المعلمين، أو يحكم علىٰ بعضهم قبل معرفته بهم، وسماعه منهم، فيحرم بذلك الاستفادة من غيرهم[٤].

قال القاسمي: «وما أسرع الكبر إلىٰ بعض العلماء، فلا يلبث أن يستشعر في نفسه كمال العلم، فيستعظم نفسه، ويستحقر الناس ويستجهلهم، ويستخدم من خالطه منهم، وقد يرىٰ نفسه عند الله تعالىٰ

(١) المصدر السابق: (ص١٣٢).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٥).
(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص٣٦٤).
(٤) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص٨٧).

أعلىٰ وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف علىٰ نفسه[١] . . .».

وكل ما سبق بيانه من معوّقات العلم دعوة من القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الاستزادة من العلم، والبعد عن كل ما يُعيق المتعلّم من الاستفادة والتزوّد بالمعرفة، وذلك بالبعد عن ما يشغله عن الطّلب، وما يحجّر عقله من التّعصب المقيت والتّقليد غير الواعي.

القاعدة التاسعة: الأمانة العلمية (تقديم المعلومات الصحيحة):

من القواعد العملية التعليمية: أن يتأكّد المعلّم من صحّة المعلومات التي يقدّمها، وأن يطهّر المنهج من جميع المخالفات، فيتأكّد من صحّة مقدّماته واستنتاجه[٢].

ولهذا وجّه القاسمي المعلم بأن «يدع التّكلف لما لا يحسن، . . . وأن لا يتصنّع بما أدرك، وأن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بها قدر حقها[٣]».

وهذا التّوجيه له أهميته بمكان؛ لأن المعلّم إذا تكلّف الشّيء الذّي لا يحسنه ربمّا أعطىٰ شيئًا خاطئًا، وعلّم أمرًا غير صحيح؛ وعليه يبنىٰ المتعلّم عِلْمه، وربمّا يعمل به؛ فيكون الوِزْر علىٰ المعلّم.

ثم إنّ هذه الأخطاء العلميّة التّي تكلّف بها المعلّم قد تقلّل من ثقة الطّلاب بمعلّمهم، ممّا قد يؤدي إلىٰ استهتارهم به، والشكّ فيما يعلّمهم إيّاه[٤].

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٦٦).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص٨١).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي: (ص٢٤).
(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوي: (ص١٥٧).

وعلىٰ ضوء هذه القاعدة فإنّه من الأهمية بمكان توجيه المعلّمين إلىٰ التّوقّف في المسائل العلميّة التي يجهلونها، وصَرْف عِلْم ذلك إلىٰ الله تعالىٰ بقولهم: «الله أعلم» أو «لا أدري».

ولهذه الأهمية بوّب القاسمي في كتابه (الفتوىٰ في الإسلام) بابًا بعنوان: «ما رُوي من تهيّب السّلف للفُتيا[١]»، ثم نقل تحت هذا الباب بعضًا من أقوال السّلف التي تدلّ علىٰ تأدُّبهم مع المسائل التي يجهلونها بقولهم: «لا أدري».

وممّا نقل رحمه الله:

رواية الأثرم[٢] قال: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يُكْثر أن يقول: «لا أدري».

وقال أحد السلف: شهدت مالكًا سُئل عن ثماني وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: «لا أدري».

ولهذا التوجيه فوائده التربوية، والتي منها:

- تنشئة المتعلمين علىٰ احترام العلم وعدم التقوّل علىٰ الله بغير علم.

- زرع الثقة في نفوس الطلاب بمعلّمهم نظرًا لتوقفه عن القول بلا علم.

---

(١) ص (٤٤-٤٥).

(٢) هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أبو بكر الأثرم، من تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، وكان من حفاظ الحديث، له من المؤلفات: كتاب العلل، مسائل الإمام أحمد، توفي سنة ٢٧٤هـ. طبقات الحنابلة، لحسين بن أبي يعلىٰ (١/٦٦).

- أن أخذ المعلم بهذا المبدأ يجعله قدوة عملية لتلاميذه بأن يطبقوا هذا السلوك في حياته التعليمية.

- تنشيط التلاميذ علىٰ روح البحث والاستنباط والإفادة بذلك[١].

وما سبق بيانه يؤكد أهمية اقتصار المعلّم علىٰ ما يُتقنه حتّىٰ يُقَدّم مادةً علميةً صحيحةً، والتّوقف في المسائل التّي يجهلها، وصَرْف علم ذلك إلىٰ الله ﷻ، والاجتهاد في طلب العلم والاستزادة منه حتى يكون مهيّئًا للإجابة علىٰ تساؤلات الطلاب بعلمٍ مبنيٍّ علىٰ أدلةٍ شرعيّةٍ صحيحةٍ.

* * *

(١) الفكر التربوي عند الشيخ عبدالرحمن السعدي، لعبد العزيز الرشودي (ص٤٠٩-٤١٠).

الفصل الثالث

التربية الإيمانية عند القاسمي

تمهيد

للإيمان أهمية عظمى في حياة الأفراد والمجتمعات، فهو يحقّق السعادة، ويغذّي الرّوح، ويهذّب النفوس، ويهديها إلىٰ طريق الحقّ والرّشاد.

فالإيمان إذا رسخ في نفس الفرد؛ فإنه يقوّي قلبه، ويثبّت عند الشدائد والمصائب جنانه، ويمنح له الطّمأنينة والرّاحة النّفسية، ويمنعه من اقتراف المعاصي وركوب المنكرات . . .

كذلك للإيمان أهميّة بالغة علىٰ مجموعة الأفراد، فهو يحقّق لها الأمن الاجتماعي، ويبثّ روح التآخي والألفة بينها، ويمدّها بالقوّة والعزّة والمنعة . . .

ومن هنا كانت التربية الإيمانية من أهمّ الجوانب التربويّة التي ينبغي العناية بها، والوقوف علىٰ معالمها، ودراسة مفهومها الصّحيح، وأهمّيتها التّربوية، والوسائل المعينة علىٰ تحقيقها، وآثارها التّربوية علىٰ حياة الفرد والمجتمع.

وانطلاقًا من أهمّيّتها؛ فإنه سيتمّ في هذا الفصل دراسة آراء القاسمي حول مفهوم الإيمان، مع توضيح بعضٍ من الجوانب التي تبرز أهميته في حياة المسلم، ثم دراسة بعضٍ من وسائل التربيّة الإيمانيّة التي من خلالها يستطيع المسلم أن ينمّي إيمانه ويزكّيه، ويبعده عمّا ينقصه ويشينه، ثم يتلوها المبحث الثّالث: آثار التربيّة الإيمانيّة، وهو لبّ الفصل ومُصَاصه، ففيه بيان لأبرز الآثار التربويّة الإيمانيّة علىٰ الفرد والمجتمع المسلم؛ كل ذلك يتخلّلها بعض التّوجيهات والدّروس والتّطبيقات التّربوية.

المبحث الأول

مفهوم الإيمان وأهميته

المطلب الأول
مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح

ورد في المعاجم اللغوية تعريف الإيمان لغةً بعدة تعريفات[(١)]:

فقيل: الثقة، وقيل: الطمأنينة، وقيل: الصدق.

ويرىٰ بعض العلماء أن الإيمان في اللغة ليس هو التصديق فحسب، وإنما هو تصديق متضمّن للطّمأنينة والثقة؛ لأن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضدّ الخوف، فآمَنَ أي صار داخلًا في الأمن، فهو متضمّن مع التصديق معنىٰ الائتمان والأمانة؛ ولهذا قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم كما جاء في قوله تعالي: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يُوسُف: ١٧] أي لا تقرّ لنا بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئنّ إليه، ولو كنّا صادقين[(٢)].

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه القاسمي بقوله: «فإن الإيمان قول

(١) مجمل اللغة، لابن فارس: (١/ ١٠٢). والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: (٣٥-٣٦) ولسان العرب، لابن منظور: (١/ ٢٢٣-٢٢٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية: (٧/ ٢٩٢).

وعقد وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١]».

وهذا التعريف مطابق لما عرّفه السلف -رحمهم الله-؛ قال أحدهم: «اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب علىٰ جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[٢]».

وبهذا المفهوم الصحيح للإيمان يتضح علىٰ ضوئه خطأ من يعتقد أن الإيمان هو مجرد تصديق القلب، أو تصديق القلب والنطق باللسان؛ وأن الأعمال لا تدخل في مسمىٰ الإيمان[٣]؛ إذ الإيمان الصحيح «لو حلّ في القلوب لتأثر منه البدن، وظهر عليه مصداقه من الأعمال الصالحة، والبعد من ركوب المناهي؛ فإن لكل حقٍّ حقيقة، ولكل دعوىٰ شاهد[٤]».

فالإيمان إذا وقر في القلب؛ صدقّه العمل، فكلّما قوي الإيمان في نفس المؤمن ظهر الأثر الإيجابي في سلوكه وتصرفّاته، فتجده «ميّالًا للخير، متحليًا بالصفات الحميدة، ملتزمًا في سلوكه وتصرفاته التزامًا ذاتيًا مستمرًا بالخُلُق الكريم، عاملًا علىٰ مساعدة الآخرين، محبًا للتعاون، ذا نفس مطمئنّة ومتفائلة يقبل علىٰ الحياة بروحٍ إيجابيّة، وعزيمة متوقدة، لا يعجز إن اعترضت سبيله العقبات[٥]».

---

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي (٢٤٠).
(٢) الشريعة، للآجري: (ص١١٩).
(٣) شرح لقطة العجلان، للقاسمي (ص١٣٣).
(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٣٠٩).
(٥) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص ٣٢٦).

وفي المقابل فإن الذي يعتقد أن الإيمان مجرّد تصديقٍ بالقلب، فإنه لا يشعر بلذّة الإيمان وحلاوته، ولا يظهر أثر هذا الإيمان في سلوكه، وليس هناك واقع عمليّ يترجم عمّا وَقَرَ في قلبه من الإيمان.

ولهذا جاء في التّوجيهات الإسلامية اقتران الإيمان بالعمل:

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يُونس: ٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البُرُوج: ١١][1].

قال أهل العلم: «وقد يعطف الله علىٰ الإيمان الأعمال الصّالحة . . . للحاجة إلىٰ ذكر المعطوف؛ لئلا يظنّ الظانّ: أن الإيمان يُكتفىٰ فيه بما في القلب . . . فالأعمال الصّالحات من الإيمان، ومن لوازم الإيمان، وهي التي يحقّق بها الإيمان[2]».

ومن السنّة: قوله ﷺ: «**الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتّونَ شُعْبَة، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَه إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيْقِ.**

---

(١) انظر غيرها من الآيات: سورة هود آية: (٢٣) والكهف آية رقم: (٣٠) وآية رقم (١٠٧)، وسورة مريم آية رقم: (٩٦) وسورة لقمان آية رقم: (٨)، وسورة فصلت آية رقم: (٨) وسورة البينة آية رقم (٧).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي (ص٩٣-٩٤).

وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ[١]».

فهذا الحديث يدل صراحة علىٰ أن الإيمان يشمل أقوال اللسان، وأعمال الجوارح، والاعتقادات، والأخلاق، والقيام بحق الله، والإحسان إلىٰ خلقه. فجمع هذا الحديث بين أعلاه وبين أدناه[٢]؛ وكل ذلك يدل علىٰ أن الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان.

ومن الأدلة: قوله ﷺ: «**أَتَدْرُوْنَ مَا الإِيْمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوْا: اللهُ وَرَسُوْلُه أَعْلَم، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَه إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَان، وَأنْ تُعْطُوا المَغْنَمَ الخُمُسَ . . .**[٣]».

فهذا الحديث -أيضًا- فيه دليل صريح علىٰ إدخال الشرائع الظاهرة من: صلاة، وزكاة، وصيام، وإعطاء الخمس في مسمىٰ الإيمان. وكل هذا يفسر تفسيرًا يزيل الإشكال، وأنه كما تدخل فيه العقائد القلبية، فتدخل فيه الأعمال البدنية فكل ما قرّب إلىٰ الله من: قول، وعمل، واعتقاد؛ فإنه من الإيمان[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (ص٦) برقم: (٩) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (١/٦٣) برقم: (٥٨) واللفظ له.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي (ص٩٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أداء الخُمُس من الإيمان (ص١٥) برقم: (٥٣) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ ورسوله وشرائع الدين (١/٤٦) برقم: (٢٣) واللفظ للبخاري.

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، (ص١٠٠).

المطلب الثاني
أهمية الإيمان

ما من ريب أن الإيمان له أهمية تربوية بالغة في بناء وتكوين شخصية الإنسان؛ لأن به يشعر الإنسان بسعادة غامرة في الدنيا والآخرة؛ قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فالفرد المسلم إذا كان قلبه ممتلئًا بالإيمان تجده من أقوىٰ الناس قلبًا، وأصدقهم لهجةً، وأثبتهم جنانًا، وأنقاهم سريرةً، وأصلبهم عزيمةً، وأبعدهم عن الفساد والمنكرات والشهوات(١)؛ لأن الإيمان هو الذي يوجه سلوكه، ويدفعه إلىٰ فعل الخير، والانتهاء عن الشر.

«كذلك فإن مجموعة الأفراد عندما يُخضِعون علاقاتهم فيما بينهم وسلوكهم وسيرتهم إلىٰ الإيمان بفكرة مشتركة بينهم، مشتملة علىٰ أمور ربانية صحيحة؛ فإنهم يؤلّفون أمة ذات حضارة متجانسة متجاوبة مع عقيدتها ودينها. وتكون العقيدة الصحيحة هي الموجه لحياة الأفراد الشخصية؛ فيحصل تناسق بين حضارة الأمة ونظمها الاجتماعية، ... فيصبح المجتمع المؤمن كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا(٢)».

قال القاسمي رحمه الله: «دين الأمة هو مدرسة أخلاقها، ودستور عقولها، ومصباح حياتها، وقانون وجودها، فلا تشرف عواطف الأمة،

---

(١) سلوك المسلم، لتوفيق الواعي (ص٧٣).

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوي: (ص٧٠-٧١).

وتتهذب أميالها، وتتزكىٰ سرائرها، إلا بالعقائد الصحيحة. ولا يصان نظامها من الخلل والتفرق إلا بالدين. ولا يندفع خطر الفوضىٰ التي تهوي بالشعوب من الهلكة إلىٰ مكان سحيق إلا بالإيمان الصحيح، فبقدر تمكّن العقيدة من نفوس أفراد الأمة تكون سعادتهم وقوام حياتهم . . .[١]».

ويمكن تحديد بعض جوانب أهمية الإيمان في النقاط التالية:

أولًا: النزعة الفطرية نحو الإيمان وحاجة البشر إليه:

من سنن الله في خلقه أن فطر هم علىٰ الإيمان به تبارك وتعالىٰ، وجبلهم علىٰ ذلك، وجعله كامنا في نفوسهم؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

قال القاسمي: «فالله تعالىٰ فطر الخلق كلهم علىٰ معرفته فطرة توحيد، حتىٰ من خُلِق مجنونًا مطبقًا مصطلمًا لا يفهم شيئًا ما يحلف إلا به، ولا يلهج لسانه بأكثر من اسمه تعالىٰ المقدس، فطرةً بالغةً[٢]».

ولهذا احتج الله ﷻ علىٰ الكفار بهذه الفطرة التي فطر عليها الإنسان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي: (ص١٣٢-١٣٣).

(٢) الفضل المبين علىٰ عقد الجوهر الثمين، للقاسمي: (ص١٦٦).

جاء في تفسير القاسمي لهذه الآية: «والقصد من الآية الاحتجاج علىٰ المشركين بمعرفتهم ربوبيته تعالىٰ معرفة فطرية، لازمة لهم لزوم الإقرار منهم والشهادة[(١)]».

وهذه النزعة الفطرية تؤكد حاجة البشر إلىٰ الإيمان بالله ﷻ والتدين بالدين، ولا يمكنها أن تستغني عنها مطلقًا مهما بلغت من النهضة الفكرية والتقدم العلمي[(٢)]؛ «إذ الناس جميعهم يشعرون بأنهم متعلقون بإله عظيم، ومربوبون لرب أزلي قديم، وهذا الشعور . . . لا يمكن للمرء أن ينتزعه من فؤاده لامتزاجه به امتزاجًا يغلب كل وسواس[(٣)]».

وأكثر ما تظهر هذه الفطرة ويتجلّىٰ هذا الشعور والإحساس في ساعات الشدة والخطر، حينما ينقطع الرجاء من المخلوق ويتعلق الأمل بالله[(٤)]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

ومن هنا يبرز دور الإيمان في التأثير علىٰ حياة الأفراد والمجتمعات؛ لكونه هو الأصل في فطرة البشر، وأن الناس يشعرون بحاجة ماسة إليه؛ ويتطلبون إشباعه نفسياً وسلوكياً؛ وكل هذا يتطلب العناية بالتربية الإيمانية، والاهتمام بها، حتىٰ تُحقّق تلك المطالب علىٰ الوجه الصحيح.

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٣/ ٦٦٤).
(٢) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني: (ص٣٢٠).
(٣) دلائل التوحيد، للقاسمي: (ص٥٩).
(٤) منهج السلوك الإنساني، لموسىٰ محمد الأسود (١/ ٧).

ثانيًا: أن الإيمان شرط في قبول العمل:

كل عمل يعمله الإنسان في هذه الحياة الدنيا من العبادات وغيرها لا يقبله الله ﷻ منه إلا بالإيمان الصحيح الخالي من الشرك، مع موافقته لشرع الله ﷻ؛ ولهذا ذكر الله هذين الشرطين في كتابه؛ فقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

جاء في تفسير القاسمي لهذه الآية: «أي فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمر الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقر بوحدانية الله، مصدق وعده ووعيده، متبرئ من الأنداد والآلهة؛ فلا كفران لسعيه، بل يشكر الله عمله هذا، ويثيبه ثواب أهل طاعته[(١)]».

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. والسعي للآخرة: هو العمل بكل ما يقرب إليها من الأعمال التي شرعها الله ﷻ. فإذا تأسّست علىٰ الإيمان، وأنبتت عليه؛ كان السعي مشكورًا مقبولًا مضاعفًا، وأما إذا فقد العمل الإيمان فلو استغرق العامل ليله ونهاره فإنه غير مقبول[(٢)]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]. أي بطل ثواب عمله في إسلامه، وإن مات قبل العودة إلىٰ

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٥/ ١٧٦).
(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي (ص١٢٤-١٢٥).

الإسلام فهو قطعًا من الخاسرين بإلقائهم في نار جهنم خالدين فيها أبدًا[١].

وعليه تأتي أهمية الدعوة إلىٰ الإيمان، وتربية الأفراد علىٰ العقيدة الصحيحة حتىٰ تُزكىٰ أعمالها، وتُبارك في جهودها، ويقبل عند الله مسعاها.

ثالثًا: أن نعمة الإيمان من أفضل النعم وأجلها:

لا ريب أن نعم الله ﷻ علىٰ عباده كثيرة لا تحصىٰ، وآلاءه علىٰ مخلوقاته تَتْرىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وإن من أعظم النعم وأجلها وأفضل المنن وأعلاها هو نعمة الإيمان بالله ﷻ والعمل بمقتضاه.

قال القاسمي: «ومن أفضل النعم نعمة الإيمان ثم دوامه؛ لأن دوام الشيء نعمة ثانية ...[٢]».

وقال في موضع آخر: «فلا نعمة لله علىٰ عباده أعظم من الإيمان[٣]».

وفي هذا المعنىٰ يقول أحد السلف رحمه الله: «ومن المعلوم أن أجل نعمة علىٰ عبده نعمة الإيمان به، ومعرفته، ومحبته، والرضا به، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والتزام عبوديته ...[٤]».

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (ص٢٧٨).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص١٤٠).
(٣) مجموعة الخطب، للقاسمي (ص٥٥).
(٤) طريق السعادتين وباب الهجرتين، لابن قيم الجوزية (١/ ١٦٣).

وإنما كانت نعمة الإيمان بهذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية؛ لأنه هو السبب -بعد رحمة الله- في دخول المرء الجنة، ونجاته من النار؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ١٠٣].

وعليه فحريّ بالعبد أن يسعىٰ لزيادة إيمانه وتنميته بأن يجتهد في الأعمال الصالحة، ويبذل الوسع في إرضاء الرب سبحانه وتعالى؛ حتىٰ يكون بذلك محققًا لشكر هذه النعمة العظيمة.

رابعًا: بالإيمان يحصل التمكين في الأرض:

وعد الله سبحانه وتعالى عباده الصالحين بأن يمكّن لهم في الأرض إنْ هم أقاموا الإيمان في أنفسهم، ودعوا إليه، وتركوا الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النُّور: ٥٥].

قال القاسمي رحمه الله: «أي يورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم. أو خلفاء من الذين لم يكونوا علىٰ حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المؤمنة برسلها التي أهلك الله عدوها، وأورثها أرضها وديارها[(١)]».

فالاستخلاف في الأرض، والتمكين، وتحقيق الأمن والنصر

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٥/ ٣٢٤).

والغلبة . . . كل ذلك مرهون بالدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك بالله.

وبهذا المعنىٰ قال القاسمي: «فالعقيدة مركز جميع الفضائل، وقوة الشرائع ومفزعها، وعماد الملوك، ونصرة الشعب[(١)]».

ولهذا من الأهمية بمكان أن يركّز المربون والدعاة والمصلحون علىٰ منهج التربية الإيمانية حتىٰ يكون لهم التمكين في الأرض، ويتحقّق لهم الأمن، وبالتالي يستطيعون أن يقيموا شرع الله فيها علىٰ أتم الوجوه، ويحقّقوا العبودية لله ﷻ علىٰ أكملها.

خامسًا: حصول ولاية الله للمؤمنين:

من الجوانب التي تدل علىٰ أهمية الإيمان ومكانته: حصول ولاية الله ﷻ للمؤمنين في الدنيا والآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

أي أن الله سبحانه وتعالىٰ هو حافظهم وناصرهم، وهو الذي يخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي إلىٰ نور الإيمان الحق الصحيح[(٢)].

وهذه الولاية من الله جل جلاله تحصل بالإيمان والتقوىٰ؛ «فمن كان أكمل إيمانًا وتقوىٰ، كان أكمل ولاية لله. فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ[(٣)]»؛ قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٦٣).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي: (١/ ٦٠٣).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٢٦٤).

إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وبتأمل الآية الكريمة يتضح خطأ مفهوم الولاية عند فئة من الناس حيث يعتقدون أن الولي هو الأهبل المغترب من الحياة، العاجز عن العمل، القانع بالذل والفاقة والعجز والقذارة، وإذا أهلكه الجوع والمرض والجهل أقيم له النصب والأضرحة، وأصبح ملاذ كثير من الناس. ولاشك أنه كان وراء هذا التشويه لمعنىٰ الولاية عقليات ماكرة من سلالات المترفين الذين سلبهم الإسلام نفوذهم علىٰ الناس، فعملوا علىٰ استرجاع ما فقدوه من امتيازات من خلال التشويه الثقافي والتربوي للمصطلحات والمبادئ وأنماط السلوك الإسلامية بعد أن عجزوا عن استرجاعها بالوسائل العسكرية[١].

وعليه فإن علىٰ المربين أن يوضحوا حقيقة الولاية ومفهومها الصحيح للناشئة وغيرهم؛ وأن حصولها بالإيمان والتقوىٰ، لا بإظهار الزهد الكاذب والتكاسل والقذارة والفاقة؛ وذلك من خلال المحاضرات العلمية والدروس التربوية.

* * *

(١) أهداف التربية الإسلامية، لماجد الكيلاني: (ص٢١٠).

المبحث الثاني

طرق التربية الإيمانية

من خلال العرض السابق لمبحث مفهوم الإيمان وأهميته اتضح أن الإيمان هو اعتقادٌ في القلب تصدر عنه الأقوال والأفعال، وأن مجرد تصديق القلب دون ترجمانه إلىٰ أعمالٍ وأقوالٍ ليس بالمسلك الإيماني الصحيح؛ للارتباط القوي بين صحة الاعتقاد والأقوال والأعمال؛ فكلما قوي الإيمان في قلب المؤمن ظهر أثره في سلوكه وتصرفاته.

كما تبين أن الإيمان له أهمية عظيمة في بناء شخصية الفرد وتكوينه؛ لأنه هو الموجه لسلوك الإنسان في حياته، والدافع له إلىٰ سلوك طرق السعادة التي تثمر له الحياة الطيبة المطمئنة؛ قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعليه فمن الأهمية بمكان، التعرف علىٰ طرق التربية الإيمانية التي تزيد من إيمان الفرد، وتقيه من الوقوع في حبائل الشرك والشهوات التي تنقصه، وتعالج من وقع في تلك الحبائل والرذائل.

وطرق التربية الإيمانية علىٰ ثلاثة أنماط:

أولًا: التربية الإنمائية.

ثانيًا: التربية الوقائية.

ثالثًا: التربية العلاجية.

وفيما يلي تفصيل لأبرز طرق التربية الإيمانية من خلال ما سطره القاسمي في مؤلفاته مع دعم ذلك بالأدلة وأقوال أهل العلم:

المطلب الأول
التربية الإنمائية

ويقصد بها كل وسيلة تساعد في تنمية الإيمان وتقويته وترسيخه في نفوس المؤمنين؛ ومن أهم جوانبها ما يلي:

أولًا: طلب العلم:

العلم أصلٌ لكل خير، ومفتاحٌ لكل طاعة، ودليلٌ يهدي إلىٰ السعادة؛ ولذا فإن «العلم يؤدي إلىٰ الإيمان ويشده[(١)]» ويزيده ويرسخه.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ويَقْوىٰ بالعلم ويضعف بالجهل[(٢)]».

وقال في موضع آخر: «سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الإيمان ... وإنما يتم ذلك بالوقوف علىٰ ما يقوي الفطرة من قواطع الدلائل ومسالح البراهين، والبرهان سلاح الإيمان، يتقىٰ به غرة الشيطان[(٣)]».

والعلة في أن العلم يُقوّي الإيمان، والجهل يُضْعفه: هي أن العلم الصحيح النافع يعرّف المؤمن بربه جَلَّ جَلَالُهُ وما يتصف به من الصفات الجليلة والنعوت الجميلة، بما يورث المرء الخشية والهيبة، ويمنحه التواضع،

(١) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، لماجد الكيلاني: (ص٦٣).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص٢٤٠).
(٣) دلائل التوحيد، للقاسمي: (ص١٢).

ويدفعه إلىٰ فعل الطاعات[١]؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وكل هذه الصفات دليل إلىٰ الإيمان، ووسيلة إلىٰ تنميته وتقويته.

وفي المقابل فإن الجهل من أهم الأسباب التي تعين علىٰ ارتكاب الظلم والعدوان والفواحش، واقتراف المنكرات والمنهيات، وكل ذلك مؤثر في الإيمان وقادح في كماله.

قال أهل العلم: «كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة[٢]».

وقال بعض السلف: «اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصىٰ الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره[٣]».

وهذا يؤكد أهمية العلم ومكانته[٤]، وأنه من أهم الأسباب التي تزيد من إيمان المرء. الأمر الذي يدعو إلىٰ الاهتمام به وتوعية الناشئة بذلك، وإرشادهم إلىٰ تلقّيه والاستفادة من العلماء الربانيين؛ حتىٰ ينمّوا بذلك إيمانهم وتقواهم.

ثانيًا: قراءة القرآن الكريم بتدبر:

أنزل الله ﷻ كتابه الكريم علىٰ عباده شفاءً وهدىٰ ورحمةً للعالمين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٦٦).
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري: (٦/٥٠٧).
(٣) المصدر السابق: (٦/٥٠٧).
(٤) تقدم بالتفصيل عن أهمية العلم وفضله في (ص٧٨-٨١).

وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولهذا أمر الله ﷻ عباده بتدبر القرآن، والتفكر في آياته، والتأثر بوعده ووعيده؛ قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال القاسمي في تفسير الآية: «إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن، وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان، ليعلموا كونه من عنده تعالىٰ بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق، والنص الناطق، بنفاقهم المحكي علىٰ ما هو عليه(١)».

وتدبر القرآن وتفهمه عند القراءة يزيد الإيمان وينميه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ومن هنا فإن من تمام العناية أن يقف المؤمن علىٰ الأمور التي تساعده علىٰ تدبر القرآن والاستفادة منه. ولقد ذكر القاسمي في ثنايا كتبه بعض هذه الأمور، والتي منها:

- **تعظيم المتكلم وهو الله** ﷻ: فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، وأن مولاه يخاطبه بالكلام، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، فبالتفكر في هذا يحصل بإذن الله التدبر.

- **التخصيص**: بمعنىٰ أن يُقَدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٢/ ٤٠٠).

من فاتحته إلىٰ خاتمته؛ فإن سمع أمرًا أو نهيًا قُدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكذلك؛ وبالتالي يحاول أن يطبق ذلك في حياته.

- **تفهم معاني القرآن**: وهو أن يستوضح عن كل آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل علىٰ ذكر صفات الله ﷻ، وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء، وأحوال المكذبين، فيتأمل هذه المعاني؛ لينكشف له أسرارها، وبالتالي يحصل له التدبر.

- **حضور القلب عند القراءة**: وذلك بترك حديث النفس، والتجرد له عند القراءة، وصرف الهَمّ إليه عن غيره(١).

ثالثًا: قراءة سيرة النبي ﷺ والتأمل فيها:

ومما يقوي الإيمان وينميه قراءة سيرة النبي ﷺ ودراستها، والتأمل فيما ذكر من صفاته العظيمة، ونعوته الكريمة، وشمائله الطيبة.

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي رحمه الله: «فإن أحق ما يتلىٰ في المجامع، علىٰ المسامع، ما اهتدت به الأفئدة، وعظمت فيه الفائدة، وقوّىٰ شعب الإيمان، ووثق عرىٰ الإيقان، ألا وهو الهدي النبوي، والصراط السوي، الذي شرع طرق الخيرات، وقاد إلىٰ غاية السعادات . . . ورفع كل لَبْس، وأفاد كل لبيب ونشر كل علم . . .(٢)»

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ في كتابه الكريم بأنه صاحب خُلُق عظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) موعظة المؤمنين للقاسمي: (١٣١-١٣٤) والوعظ المطلوب له أيضا: (٦٠-٦٤).
(٢) شذرة من السيرة المحمدية، للقاسمي: (ص٢-٣).

قال بعض العلماء: «وأقسم تعالىٰ بكمال هذا الرسول وعظمة أخلاقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فهو ﷺ أكبر داعٍ للإيمان في أوصافه الحميدة، وشمائله الجميلة، وأقواله الصادقة، وأفعاله الرشيدة(١)».

ومن كانت تلك نعوته وشمائله فخليقٌ بالمؤمنين أن يقتدوا بأفعاله، ويأخذوا من سنته وأقواله؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

كذلك جدير بهم أن يربوا الجيل علىٰ تعظيم الرسول ﷺ والاقتداء به وحبه ودراسة سيرته العطرة؛ والسير علىٰ نهجه المبارك.

رابعًا: الأعمال الصالحة:

ومن الوسائل التي تقوي الإيمان وتزيده: الأعمال الصالحة؛ فإن المؤمن إذا قام بالأعمال الصالحة مما شرعها الله ﷻ، وأخلص نيته فيها لله سبحانه؛ فإن الإيمان يزيد ويقوىٰ؛ لأن «الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٢)».

ولهذا فإن التوجيهات الإسلامية تربط بين الإيمان والعمل المراد توجيه الإنسان إليه؛ لأنه كلما كثرت الأعمال الصالحة زاد الإيمان وقوي(٣).

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي: (ص١١١).
(٢) الوعظ المطلوب للقاسمي: (ص٢٤٠).
(٣) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص٥٧).

والأعمال الصالحة علىٰ أقسام[١]:

القسم الأول: عمل القلب: كالإخلاص لله، والمحبة له، والتوكل علىٰ الله، وغير ذلك.

قال أبو الدرداء[٢] رضي الله عنه: «ذروة الإيمان: الإخلاص، والتوكل، والاستسلام، للرب عز وجل[٣]».

القسم الثاني: عمل اللسان: وهو العمل الذي لا يؤدىٰ إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتهليل والتكبير وغير ذلك.

وفي الحديث: أن أعرابياً قال: يا رسول الله إن شرائع الإيمان قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبثّ به؟ قال: «**لاَ يَزَالُ لَسَانُكَ رَطْبًا مَنْ ذِكْرَ الله** عز وجل[٤]».

قال القاسمي مبيّنا الذكر النافع، وموضحا أثره في تنمية الإيمان وتقويته: «هو الذكر علىٰ الدوام مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوىٰ . . . وللذكر أول وآخر: فأوله يوجب الأنس والحب، وآخره يوجب الأنس والحب. والمطلوب ذلك الأنس والحب[٥]».

---

(١) معارج القبول، للحكمي: (٢/ ٥٨٩-٥٩١).
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص١٦٢).
(٤) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٢/ ١٢٤٦) برقم: (٣٧٩٣) واللفظ له، والحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء والتكبير: (١/ ٦٧٣) برقم: (١٨٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٥) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص١٣٨).

القسم الثاني: عمل الجوارح: كالصلاة والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، وكل هذه الأعمال مما يزيد الإيمان ويقويه.

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

ففي هذه الآيات فسّر الله ﷻ الإيمان بجميع هذه الخصال. فإنه أخبر بفلاح المؤمنين ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلىٰ آخر الآيات المذكورة. فمن استكمل هذه الأوصاف فهو المؤمن حقاً. ومضمونها: القيام بالواجبات الظاهرة والباطنة، واجتناب المحرمات والمكروهات(١).

وما سبق يظهر بجلاء الأثر العظيم للطاعات والعبادات علىٰ الفرد المسلم؛ سواء كان في تنمية إيمانه، أو صيانته من الخلل والنقص؛ بما يؤكد أهمية بيان ذلك من خلال المواقف التعليمية المتعددة.

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، المرجع السابق: (ص٩٣).

المطلب الثاني
التربية الوقائية

وهذه الطرق تعتني بوقاية المؤمن من الوقوع في الأمور التي تضعف الإيمان وتنقصه، وتقدح في كماله. ومن أهم التوجيهات الوقائية ما يلي:

أولًا: الابتعاد عن الذنوب:

فإنه كما أن المؤمن مطالب بتحصيل جميع الطرق التي تنمي الإيمان وتقويه فإنه في الوقت نفسه مطالب بوقاية الإيمان مما يفسده أو يضعفه.

وغير خافٍ أن الذنوب تضر بالإيمان، وتسيء إليه، وتقدح في كماله، وتهلك صاحبه. ولهذا فإن من الوسائل المهمّة لوقاية الإيمان: الابتعاد عن الذنوب، واتقاء المعاصي والمنكرات. وقد دلت السنة النبوية علىٰ أن الذنوب تؤثّر في كمال الإيمان؛ قال ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**[1] . . . الحديث».

قال القاسمي رحمه الله موضحًا دلالة الحديث: «وذلك لكون الزنا مبعدًا عن الله تعالىٰ، موجبا للمَقْت كسائر المعاصي؛ لأنها للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان، فكما أنها تغير مزاج الإنسان، ولا تزال تجتمع حتىٰ تفسده فيموت دفعة، كذلك تعمل سموم الذنوب بروح

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب إثم الزناة، (ص١٤٢٩) برقم: ٦٨١٠) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي . . . إلخ (١/ ٧٦) برقم: (٥٧).

الإيمان عملًا تحقّ الكلمة عليه بأنه من الهالكين[١]».

ومما يعين علىٰ ترك الذنوب والمعاصي والابتعاد عنها -في نظر القاسمي- هو العلم بضرر الذنوب، والوقوف علىٰ أخطارها، وما يتولد منها من مفاسد وعواقب وخيمة؛ لأنه إذا عرفها المؤمن «... معرفة محققة بيقين غالب علىٰ قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب ...، وإذا غلب هذا الألم علىٰ القلب واستولىٰ انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرىٰ تسمىٰ إرادةً وقصدًا إلىٰ فعلٍ له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان مُلابِسًا، وأما بالاستقبال فبالعزم علىٰ ترك الذنب ...، وأما بالماضي فبتلافي ما فات من الخير، والقضاء إن كان قابلًا للخير[٢]».

وحتىٰ تتم معرفة الذنوب علىٰ حقيقتها وتفاصيلها؛ فإن القاسمي رحمه الله قد وضح أمهات الذنوب ومنابعها حتىٰ يقف المؤمن عليها، وبالتالي يحاول الابتعاد عنها، وهي كالآتي[٣]:

- **النزوع إلىٰ الصفات الربوبية:** مثل الكبر، والعجب، والفخر، وحب المدح والثناء، وحب دوام البقاء، وطلب الاستعلاء علىٰ الكافة، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب.

- **الصفات الشيطانية:** ويتشعب منها الحسد، والبغي، والحيلة، والخداع، والأمر بالفساد والمنكر، والغش، والنفاق، والدعوة إلىٰ البدع والضلال.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٩٩-٤٠٠).
(٢) المصدر السابق: (ص٣٩٨).
(٣) المصدر السابق: (ص٤٠٣-٤٠٤).

- **الصفات البهيمية:** ويتشعب منها الشره، والحرص علىٰ قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا، واللواط، والسرقة، وأكل مال الأيتام، وجمع الحطام لأجل الشهوات.

- **الصفات السبعية:** ويتشعب منها الغضب، والتهجم علىٰ الناس بالضرب والشتم والقتل، واستهلاك الأموال.

وعليه يتبين أن الذنوب من الأسباب التي تضعف الإيمان وتبعد صاحبها من الله ﷻ؛ ولذا فإن من الأهمية أن تُدرس تلك الأسباب، ومن ثمّ تحذير الناس من مغبة الوقوع فيها؛ عن طريق الدروس التربوية والمواقف التعليمية.

ثانيًا: اتقاء الشبهات:

إن ترك الشبهات وقاية للمؤمن من الوقوع فيما ينقص الإيمان ويضعفه؛ لأن مباشرة الشبهات قد يوقع المؤمن في المحرمات، وإذا اعتاد ذلك، ولم يتورع عنها كان له سجية(١).

ولهذا كان من التوجيهات الإسلامية اتقاء الشبهات، والتورع عنها، حتىٰ يستبرئ المؤمن لدينه وعرضه. قال ﷺ: «**إِنَّ الحَلاَل بَيّنٌ وَإِنّ الحرَاَم بَيّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمِنِ اتَّقَىٰ الشُّبَهَاتِ اسْتَبْرأَ لِدِيْنِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ. كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ يُوْشِكَ أَنْ يَرْتَعَ فِيْهِ. أَلاَ وَإِنّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ . . .**(٢)».

---

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، بات الحلال بين والحرام بين، وبينهما =

قال القاسمي: «من يطلب الشبهة ويدمن عليها، ويستكثر منها يسرع الوقوع في الحرام[(١)]».

ومن هنا فإن من تمام الوقاية أن يتعرف المؤمن علىٰ هذه الشبهات ويدرسها، ويقف عليها حتىٰ لا يقع فيها. ولها علامات ومثارات[(٢)]، منها:

المثار الأول: الشك في السبب المحلِّل والمحرِّم:

وهذا علىٰ أقسام:

القسم الأول: أن يكون التحريم معلومًا من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها.

القسم الثاني: أن يعرف الحل ويشك في المحرم؛ فالأصل الحل.

القسم الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب، فإن استند غلبة الظن إلىٰ سبب معتبر شرعًا فهو حلال، والأولىٰ اجتنابه؛ وإلا فلا.

مثاله: أن يرمي إلىٰ صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوىٰ سهمه، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو سبب آخر، فالمختار أنه حلال؛ لأن الجرح سبب ظاهر.

القسم الرابع: أن يكون الحل معلومًا ولكن يغلب الظن طريان

= مشتبهات (ص٤٠٥) برقم: (٢٠٥١) ومسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩-١٢٢٠) برقم: (١٥٩٩). واللفظ له.

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص٣٤٠).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص١٩١-١٩٣).

محرمٍ بسبب معتبر في غلبة الظن شرعًا فيرفع الاستصحاب[١] ويقضي بالتحريم. مثاله: أن يؤدي اجتهاده إلىٰ نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد علىٰ علامة معينة توجب غلبة الظن، فتوجب تحريم شربه.

المثار الثاني: شك منشؤه الاختلاط:

وهو أن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز. وهذا علىٰ أنواع:

النوع الأول: أن يقع الخلط بعدد محصور، كما لو اختلطت ميتة بعشر مُذكّاة فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع.

النوع الثاني: أن يقع الخلط بين حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد.

النوع الثالث: أن يقع الخلط بين حرام لا يحصر بحلال لا يحصر، كحكم الأموال في هذا الزمان فإنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيئًا بعينه احتمل أنه حلال وأنه حرام؛ إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل علىٰ أنه من الحرام.

المثار الثالث: أن يتصل بالسبب المحلل معصية:

ومثاله: كالبيع في وقت النداء، والذبح بالسكين المغصوبة؛ فإن الامتناع من جميع ذلك ورع؛ لأن تناول الحاصل من هذه الأمور مكروه. والكراهة تشبه التحريم.

---

(١) **الاستصحاب**: هو بقاء الحكم علىٰ ما هو عليه نفيا أو إثباتا حتىٰ يقوم الدليل علىٰ تغيير الحال. إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية: (١/٣٧٨).

ثالثًا: الحذر من مجالسة أهل الأهواء والفسق:

للرفقة دور كبير في إصلاح الفرد أو إفساده؛ إذ إن وسط الرفاق يؤثر فيه تأثيرًا عظيمًا؛ فإن «كانوا أخيارًا تطبّع الفرد بحسن أخلاقهم وسلوكهم وقلّدهم في الجد وطلب المعالي، وإن كانوا أشرارًا قادوه معهم إلىٰ الفساد والضلال . . .[(١)]».

ومن هنا فإن من الوسائل الوقائية المهمة للإيمان أن يحذر المؤمن من مجالسة أهل الأهواء والفسق حتىٰ لا يتلقّن أفكارهم ويتأثر بعاداتهم، بل عليه أن يجالس الرفقة الصالحة التي تعينه علىٰ الخير وترشده إلىٰ البر والصلاح.

قال القاسمي: «اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان . . . ولابد أن يتميز بخصال وصفات يُرغّب بسببها في صحبته. وجملتها أن يكون عاقلا حسن الخلق ولا حريص علىٰ الدنيا. أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في صحبة الأحمق . . . وأما حسن الخلق فلابد منه، فإن من غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن وأطاع هواه فلا خير في صحبته. وأما الفاسق المصر علىٰ فسقه فلا فائدة في صحبته، بل مشاهدته تهوّن أمر المعصية علىٰ النفس، وتبطل نفرة القلب عنها . . .[(٢)]».

---

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني: (ص١٦٦).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص١٩٩-٢٠٠).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**المَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلْ**[١]».

قال بعض العلماء في شرح الحديث: «وهذا معناه -والله أعلم- أن المرء يعتاد ما يراه من أفعال مَن صَحِبه؛ ... فلهذا أمر ألا يصحب إلا من يرىٰ منه ما يحل ويجمل فإن الخير عادة ...[٢]».

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب حديث الرجل علىٰ دين خليله (ص٥٤٢) برقم: (٢٣٧٨) والحاكم في مستدركه: كتاب البر والصلة (١٨٩/٤) برقم: (٧٣١٩ و٧٣٢٠) واللفظ له.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر: (٧٥١/٢).

المطلب الثالث
التربية العلاجية

وهذه الطريقة تعين الذين وقعوا في حبائل الشهوات والشبهات، ومهاوي الزلل الخلقية علىٰ الرجوع إلىٰ جادة الإيمان والصواب. ومن أهم تلك الطرق ما يلي:

أولًا: محاسبة النفس:

ومن أبرز الطرق العلاجية التي تعين المؤمن علىٰ الإقلاع من الذنب وترك الشهوات محاسبة المرء لنفسه، والنظر فيما اقترفه من السيئات، ومعاتبتها علىٰ ذلك؛ لأنه «كلما حاسب المرء نفسه تنبه لأخطائه، وأقلع عنها، فكأنها بمثابة العلاج له[(١)]».

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم، وعرضكم علىٰ ربكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفىٰ عليه منكم خافية[(٢)].

وصورة المحاسبة في نظر القاسمي: «أن يكون للمرء في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها علىٰ جميع حركاتها وسكناتها . . .

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص٧٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (ص١٤٦٧).

فيحاسبها علىٰ الفرائض أولا فإن أداها علىٰ وجهها شكر الله تعالىٰ عليه ورغبها في مثلها، وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط . . .[١]».

وتأتي أهمية المحاسبة لمن ارتكب الشهوات والمعاصي؛ أنها طريقة نافعة في تنمية الشعور لدي الفرد بالتوبة والاستغفار. فالعبد إذا حاسب أعماله، ونظر فيما قدم؛ فإنه يشعر بالندم علىٰ ما فرّط تجاه ربه، وبالتالي يشرع إلىٰ التوبة وطلب المغفرة من الله ﷻ.

ثانيًا: التوبة النصوح:

إن النفس البشرية جبلت علىٰ حب الشهوات، فكل: «بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهمّ بالذنوب بالقلب، فإن خلا في بعض الأحوال عن الهمّ . . . فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص[٢]» في الإيمان.

ومن مميزات المنهج الإسلامي أنه يعطي الفرصة لمن وقع في حبائل الشهوات وارتكب الذنوب أن يعود إلىٰ ربه، ويتوب إليه، ويصلح خطأه بإرادته، ويزكيها بطوع اختياره[٣].

فـ «التوبة تطهير النفس من الذنوب والخطايا، . . . وهي المدخل

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٥٣).
(٢) المصدر السابق: (ص٤٠٠).
(٣) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني: (ص٣٤٠-٣٤١).

إلىٰ طلب المغفرة، وهي التي تسمح بإيجاد مصرف للمشاعر الثائرة التي أوجدها الفعل الذي يتنافىٰ مع القيم الأخلاقية . . . وأوامر الدين ونواهيه[(١)]».

ولهذا فإن من التوجيهات الإسلامية العظيمة المبادرة إلىٰ التوبة في كل حال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أهمية التوبة ومكانتها في الدين: «ولا يخفىٰ علىٰ الخبير، أن من سبر كثيرًا من جزئيات الطاعات، يرىٰ أن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرع التوبة والاستغفار في خواتيم أعمالها[(٢)]».

وللتوبة النصوح -كما بيّنها السلف- شروط لابدّ من توفرها حتىٰ تكون مقبولةً:

١- ترك الذنب الملابَس في الحال.

٢- العزم علىٰ ترك الذنب في المستقبل.

٣- الندم علىٰ ما سلف من الذنوب.

٤- رد المظالم إلىٰ أهلها[(٣)].

---

(١) فن التدريس للتربية الإسلامية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية، لمحمد صالح سمك (ص٦٢٥).

(٢) سر الاستغفار عقب الصلوات، للقاسمي (ص٢٧)، ضمن مجموعة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام (الجزء ٨-٢١).

(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٠٦-٤٠٧).

وهناك أمور تعين علىٰ التوبة كما بيّنها القاسمي(١):

- تَذُكّر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وما ورد في الأخبار في ذم المعاصي ومدح التائبين.

- الوقوف علىٰ قصص الأنبياء والسلف الصالحين وما جرىٰ عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم، فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في القلوب.

- إخبار المذنبين أن تعجيل العقوبة متوقع علىٰ الذنوب، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب المعصية. قال ﷺ: «**وإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بَالذَّنْبِ يُصِيْبُهُ**(٢)».

- ذِكْرُ ما ورد من العقوبات علىٰ آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة وغير ذلك.

ثالثًا: إتباع السيئة الحسنة:

لا يخلو المرء في حياته من الخطأ، والوقوع في العصيان والذنوب؛ ولذا عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والرجوع إلىٰ الله، ويبادر إلىٰ إصلاح الخطأ، وتقويم المُعْوجّ.

وليس معنىٰ التوبة أن يترك المرء السيئات فحسب، بل عليه أن يبادر إلىٰ فعل الحسنات التي تمحو آثار تلك المعاصي والذنوب.

---

(١) المصدر السابق: (ص٤١٢-٤١٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه: المقدمة (١/ ٣٥) برقم: (٩٠) والحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، (١/ ٦٧٠) برقم ١٨١٤) واللفظ له. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ولهذا جاء التوجيه النبوي الكريم إلىٰ ذلك. فقال ﷺ: «**اتّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتبِعِ السّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**[١]».

ولقد بيّن القاسمي رحمه الله مجالات فعل الحسنات المكفرة للسيئات بقوله: «فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ... فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلىٰ الله تعالىٰ في سؤال المغفرة والعفو، ويتذلل تذلل العبد الآبق[٢]، ويخفض من كبره فيما بين العباد، وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم علىٰ الطاعات. وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار ... وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات[٣]».

❊ ❊ ❊

(١) رواه الحاكم في مستدركه: كتاب الإيمان (١/ ١٢١) برقم: (١٧٨) وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٢) أي الشارد. لسان العرب، لابن منظور: (١/ ٤٧).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤١٠).

المبحث الثالث

آثار التربية الإيمانية

لا جرم أن الإيمان له أهمية بالغة. فهو مِن أجَلّ نعم الله علىٰ عباده المؤمنين؛ إذ حاجة الناس إليه فوق كل حاجة؛ فلا حياة ولا راحة ولا نعيم ولا طمأنينة إلا به.

كما أن الإيمان مِلاك الدين، وشرط أساس لقبول الأعمال الصالحة، وسر التمكين في الأرض والاستخلاف فيها، ومناط حصول ولاية الله للعبد، والموجه لسلوك الفرد في حياته، والدافع له إلىٰ سلوك سُبل الخير والفلاح.

والإيمان مع أهميته البالغة في بناء وتكوين الشخصية، فإن له مع ذلك آثارًا تربوية علىٰ الفرد. فالمؤمن في ظلال الإيمان يشعر بالسعادة الحقة، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره. كما أن الإيمان يُثبّته عند الشدائد والمصائب، ويبعده عن الوقوع في الفواحش والمنكرات.

كذلك فإن الإيمان له آثار عظيمة علىٰ المجتمع المسلم؛ إذ هو يحقق الأمن الاجتماعي، ويؤلف بين أفراد المجتمع، ويحقق لهم التآخي والتحاب، إضافة إلىٰ ذلك فإنه يحقق القوة والعزة والغلبة للمسلمين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

وفيما يلي بيان لآثار التربية الإيمانية علىٰ الفرد والمجتمع علىٰ ضوء ما سطره القاسمي في مؤلفاته مع دعم ذلك بالأدلة وأقوال العلماء بالإضافة إلىٰ المراجع التربوية:

المطلب الأول
آثار التربية الإيمانية على الفرد

للإيمان آثار متعددة تنعكس علىٰ الفرد في سلوكه وحياته ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: الحياة الطيبة:

إن السعادة التي يبحث عنها الإنسان في حياته، ويطلبها في معاشه «. . . ليست في وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة، ولا في العلم المادي[1]».

السعادة شيء يشعر به الإنسان في ضميره وكيانه، فيحس بانشراح الصدر، وطيب العيش، وراحة البال، وطمأنينة النفس . . . ولو لم يكن ذا مال وفير، ولا صاحب جاه وسلطة.

إن السعادة الحقة «شجرة وارفة الظلال تضرب جذورها في قلب الإنسان وتحيىٰ وتثمر بالإيمان، وهو طعمها وغذاؤها[2]»؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٩٧].

جاء في تفسير القاسمي لهذه الآية: «هذا وعد منه تعالىٰ لمن عمل صالحًا - وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من ذكر أو أنثىٰ، وهو ثابت علىٰ إيمانه إلىٰ الموت بأن يحييه الله تعالىٰ حياة طيبة . . .

---

(١) الإيمان والحياة، للقرضاوي: (ص٧٢).

(٢) منهج السلوك الإسلامي، لموسىٰ محمد الأسود (١/ ٣٣).

وعندي أن الحياة الطيبة هي الحياة التي فيها ثلج الصدور، بلذة اليقين وحلاوة الإيمان، والرغبة في الموعود، والرضا بالقضاء، وعتق الروح مما كانوا يستعبدون له، والاستكانة إلىٰ معبود واحد . . . ، وغير ذلك من مزاياه المقررة في مواضعها. هذا في الدنيا. وأما في الآخرة فله الجزاء الأحسن، والثواب الأوفىٰ[(١)]».

ومما يعين علىٰ تحقيق الحياة الطيبة معرفة حقيقة الدنيا وغرورها، وحقيقة الآخرة وما فيها من النعيم المقيم؛ إذ المؤمن إذا عرف حقيقة الدنيا لم يركن إليها، ولم يحزن علىٰ شيء فاته منها، كما أنه إذا عرف الآخرة علىٰ حقيقتها ثار من قلبه شدة الرغبة فيها وما أعد الله فيها من النعيم[(٢)].

قال بعض السلف: «رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله ﷻ والإقبال علىٰ الدنيا. وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته[(٣)]».

ولا يمكن معرفة حقيقة الدنيا والآخرة إلا من خلال المنهج الإسلامي الذي بيّن حقيقتهما علىٰ ضوء الكتاب والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ [الحديد: ٢٠، ٢١].

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٤/ ٥٤٦).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٨٣).
(٣) صيد الخاطر، لابن الجوزي: (ص٢٩٦).

وفي هذه الآية ضرب الله مثل الحياة الدنيا كالزرع الذي نبت من الغيث فأعجب زارعه، ثم هاج واصفر بعد ما كان مخضرًا نضرًا، ثم يكون بعد ذلك كله يبسًا متحطمًا. هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: أي هي متاعٌ فانٍ غارٍ لمن ركن إليه[1]. ثم أمر الله بالمسابقة إلىٰ مغفرته وجنةٍ عرضها السماوات والأرض، وذلك بالسعي بأسباب المغفرة من فعل الحسنات، والبعد عن الذنوب، والرجوع إلىٰ الله بالتوبة والاستغفار، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ومن السنة: قوله ﷺ: «**لَوَ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوْضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**[2]».

وجاء في حديث آخر: «**ماَ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إَلاَّ مثْل مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليّمِّ فَلْيَنْظُر بِمَاذَا تَرْجِعُ؟**[3]».

وعلىٰ ضوء ما سبق يتبين أهمية الإيمان في إشاعة النفس بالسعادة والطمأنينة والراحة؛ بما يؤكد ضرورة تربية الناشئة علىٰ الإيمان، ودراسة الأساليب والوسائل التي ترسخه وتثبته.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١٤٤٧).

(٢) رواه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ (ص٥٣١) برقم: (٢٣٢٠) وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) رواه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب منه حديث: ما الدنيا في الآخرة . . . إلخ . . (ص: ٥٣٢) برقم: (٢٣٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثانيًا: تحصين الفرد المسلم من المعاصي:

دل الكتاب والسنة علىٰ أن من المعاصي كبائر وصغائر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] أي إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة(١).

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]. واللمم: الصغائر من الذنوب(٢).

ومن السنة: قوله ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ -ثلاثًا- قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُوْلَ الله، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوْقُ الوَالِدَيْنِ، -وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ- فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّوْرِ، وَشَهَادَةُ الزُّوْرِ ...**(٣)».

وجاء في حديث آخر: «**الصّلوَاتُ الخَمْس، وَالجُمْعَةُ إِلَىٰ الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرُ**(٤)».

ومن المعلوم أن البشر لا يخلو من المعاصي ولا سيما الصغائر؛ لأن النفس البشرية جبلت علىٰ الخطأ والنسيان، وحب الشهوات؛

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (ص٣٤٠).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي: (٦/ ٣٧٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (ص١٢٧٣) برقم (٥٩٧٦) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (١/ ٩١) برقم (٨٧) واللفظ للبخاري.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس ...، (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣).

قال ﷺ: «**كُلّ ابْنِ آدَمَ خَطّاءٌ وَخَيْرُ الخَطّائين التّوابُوْن**[١]».

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي: «... إن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتىٰ يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات، فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك غاية البعد[٢]».

والإيمان الصحيح إذا استقر في سويداء قلب المؤمن فإنه يورث فيه الحياء من الله ﷻ والخوف من عذابه، والرجاء لرحمته وعفوه، وهذه كلها تمنع صاحبه من اقتراف المعاصي، ومواقعة الذنوب والفواحش.

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرِبُ الخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِن**[٣]».

فهذا الحديث دل علىٰ «أن الإيمان إذا صحبه -عند وجود أسباب هذه الفواحش- فإن نور إيمانه يمنعه من الوقوع فيها؛ فإن النور الذي يصحب الإيمان الصادق، ووجود حلاوة الإيمان، والحياء من الله -الذي هو من أعظم شعب الإيمان- بلا شك يمنع من مواقعة هذه الفواحش. ومن وقعت منه فإنه لضعف إيمانه وذهاب نوره[٤]».

---

(١) رواه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب في استعظام المؤمن لذنوبه (ص٥٦٨-٥٦٩) برقم: (٢٤٩٩) وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٢/ ١٤٢٠) برقم (٤٢٥١) واللفظ للترمذي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٣١) برقم (٤٥١٥).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٤٠٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي: (ص١٣٦).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا دور الإيمان في حماية الفرد المسلم من المعاصي والذنوب: «انظر إلىٰ من ألمَّ الإلحاد بقلوبهم، وتولت الأهواء نفوسهم، كيف يكونون أجرّاء علىٰ الرذيلة . . . إذ لا زاجر من الإيمان يؤنبهم، ولا وازع يمنعهم من اقتراف المنكرات، والسعي بالفساد، واجتراح السيئات. أين هؤلاء ممن تمثلت أمامهم الموبقات، وزينت نفوسهم الشهوات، كان لهم من الفضيلة زاجر، ومن قوة اليقين وازع؛ لصحة إيمانهم بالله، وما جاء من عنده . . .(١)».

وكما أن الإيمان يحصن الفرد من المعاصي فإنه أيضًا يعين المبتلىٰ بالذنوب علىٰ المبادرة إلىٰ الإقلاع عنها، وفعل الحسنات التي تمحو آثار تلك الذنوب والمعاصي؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ففي هذه الآية ذكر الله تعالىٰ علامة المتقين، وأنهم إذا أحسوا بذنب، ومسهم طائف من الشيطان فأذنبوا بفعل محرم أو ترك واجب؛ تذكروا من أي مدخل دخل الشيطان عليهم، وتذكروا ما أوجب الله عليهم، وما عليهم من لوازم الإيمان، فأبصروا واستغفروا الله تعالىٰ، واستدركوا ما فرطوا فيه بالتوبة النصوح، وفعل الحسنات الكثيرة(٢).

ثالثًا: حصول الطمأنينة:

إن الإنسان ليشعر بالخواء الروحي الذي يبعده عن الطمأنينة والاستقرار ما لم يكن هناك إيمان يملأ ذلك الخواء؛ ذلك أن «الإيمان

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي: (ص١٣٣).

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (ص٣١٣).

بالله هو الذي يمنح الطمأنينة والاستقرار ويحرر الإنسان من الخوف والأوهام والخرافات[١]» قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

فالمؤمن يرضىٰ بقضاء الله وقدره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويصبر علىٰ المصائب، ويشكر علىٰ النعمة، ويؤمن أن جميع الأمور بيد الله سبحانه وتعالى. فهذا الرضا والصبر واليقين يثمر له: «سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مُفْزِعٍ مُهْلِعٍ من أمور الدنيا . . .[٢]».

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال القاسمي رحمه الله: «فإن من عرف أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالىٰ، وأن كل محجوب عنه شقي لا محالة، محول بينه وبين ما يشتهي، محترق بنار الفراق ونار الجحيم، وعلم أن لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات، ولا مقرب من لقائه إلا الإقبال علىٰ الله بدوام ذكره . . . فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلىٰ القرب . . . وهكذا الإيمان الحاصل عن البصيرة[٣]».

وغير خاف أن سكون النفس واستقرارها هو الدافع لأي عمل إيجابي، فالفرد إذا شعر بطمأنينة النفس والأمن في الحياة فإنه يَقْدم علىٰ

(١) أصول الفكر التربوي في الإسلام، لعباس محجوب (ص٩٤).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص١٧٤).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص٣٩٩).

العمل والإنتاج بروح متوقدة وعزيمة أكيدة. كما أنه إذا عاش في مناخ الأمن النفسي فإن القدرات الذهنية تنمو لديه، وتتجه نحو الإبداع، والقدرات الإنجازية تتضاعف وتنشط. وفي المقابل إذا أحسّ بالقلق وشعر بالهم النفسي فإن قدراته تنكمش عن النمو، وتضعف عن الأداء[(١)].

رابعًا: الصبر والثبات عند الشدائد:

إن الثبات علىٰ المبدأ والصبر عند الشدائد والرضا والتسليم لأقدار الله سمة من سمات أهل الأيمان.

قال القاسمي: «ثم التوكل عليه في تسليم الحكم والرضا به . . . وكذلك التوكل في تسليم الأقدار حلوها ومرها، وخيرها وشرها من الله حكمة وعدل؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ حَتّىٰ العَجْز وَالكَيْس**[(٢)]»[(٣)] وكما قال الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣] فالعلم بهذه الأشياء وطمأنينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها من فرائض الإيمان . . .[(٤)]».

فالمؤمن يثبت عند الشدائد؛ لعلمه أن الله قدر ذلك وكتبها في اللوح المحفوظ، فهو مع تلك المصائب والشدائد يعيش حياة مطمئنة لا يشوبها الكدر، بل إنه يجد فيها حلاوة ولذة؛ لأنه يشعر بصبره ورضاه

---

(١) الإيمان بالله وأثره في الحياة، لعبد الله النجار: (ص١٧٣).

(٢) الكيس: أي الخفة والنشاط. لسان العرب (١٢/ ٢٠١).

(٣) أخرج نحوه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٥٥).

(٤) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص١٦٤).

وثباته عليها أنه مأجور عليها ومثاب علىٰ صبره. قال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنّ أَمْرهُ كُلُّهُ خَيْرٌ . . . إِنْ أَصَابَتْهُ سَرّاءَ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**[١]».

وجاء في حديث آخر: «**مَا يُصِيْبُ الـمُؤْمِنُ مِنْ وَصَبٍ**[٢]**، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ حَتّىٰ الهَمّ يَهُمّه إِلّا كُفّر بِهِ مِنْ سَيّئَاتِهِ**[٣]».

فالإيمان يحمل صاحبه علىٰ الشكر في حال السراء، والصبر في حال الضراء، وعليه فالمؤمن في كل أحواله علىٰ الخير؛ لأنه يعلم متىٰ ما صبر علىٰ الشدائد وشكر علىٰ النعمة؛ فإنه مأجور ومثاب علىٰ ذلك؛ وهذا الذي يدفعه إلىٰ أن يهون وطأة المصيبة ويخفف حمله عليها، كما أن ذلك يدفعه في حال السراء إلىٰ أن يشكر النعمة ولا يكفرها[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (٤/ ٢٢٩٥) برقم: (٢٩٩٩).

(٢) أي: دوام الوجع ولزومه، وقد يطلق علىٰ التعب والفتور في البدن. النهاية لابن الأثير: (٥/ ١٩٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب ما جاء في كفارة المريض، (ص١٢١٤) برقم: (٥٦٤١و٥٦٤٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك . . . (٤/ ١٩٩٣) برقم: (٢٥٧٣) واللفظ له.

(٤) البيان والتوضيح لشجرة الإيمان، للسعدي، المرجع السابق: (ص١٣٢-١٣٣).

المطلب الثاني
آثار التربية الإيمانية على المجتمع

أولًا: تحقيق الأمن الاجتماعي:

لن يستقر المجتمع، ويستحكم أساسه، ويقوىٰ بناؤه، إذا لم يكن هناك أمن اجتماعي يسود بين الأفراد، ولن يتحقق هذا الأمن إلا إذا حقق أفراد المجتمع الأمن في أنفسهم بالإيمان الصادق، المقرون بالأعمال الصالحة؛ لأنه إذا حل الأمن في نفس الأفراد -الذين هم لبنة من لبنات المجتمع- انعكس ذلك في المجتمع.

فالإيمان عامل أساس في تكوين مجتمعٍ آمن؛ إذ هو ينمي في الفرد معالي الأمور، ويورث فيه جميل الإحسان وحسن المعاملة، ويزرع فيه حب الخير، والتعاون علىٰ البر.

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**[١]».

فالحديث دل علىٰ ترابط سلوك الإنسان وأخلاقه بالإيمان، فالمؤمن ترتقي أخلاقه وتكتمل صفاته بقدر تمكن الإيمان من قلبه، وفي مقابل ذلك يسوء سلوكه وتنحرف أخلاقه إذا ضعف إيمانه[٢].

---

(١) رواه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه (ص٦٦١) برقم (٤٦٨٢) وصححه الألباني في صحيحه الجامع (١/٢٦٦) برقم (١٢٣٠)

(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي: (ص١١٣).

قال القاسمي مبينًا دور الأخلاق في تحقيق الأمن الاجتماعي: «فإن علىٰ الأخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران، وترقي الإنسان، وصلاح البلدان، ونمو مدارك العلم والعرفان، كما أن بالأخلاق السيئة الهلاك والدمار، والخزي والعار، إذ هي السموم القاتلة، والمهلكات العاجلة..(١)».

وكما أن التربية الإيمانية تهتم بتنمية الأخلاق الحسنة وتهذيب السلوك فإنها في الوقت نفسه تقي الفرد من ارتكاب الجرائم والشرور، وتحصنه من الاعتداء علىٰ الآخرين، وتبعده عن الوقوع في مهاوي الرذيلة، وكل ما سبق مُعين علىٰ تحقيق الأمن الاجتماعي.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي: «لا ريب في أن الدين مطلقًا هو سلك النظام الاجتماعي، ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة. فإن الدين يقيد النفوس عن التدهور في التأثم، وعن الاندفاع إلىٰ أنواع العدوان من: قتل، وسلب، وهتك عرض، ويحجز عن الغدر، والخيانة، وفعل كل خبيثة، وعن الوقوع في كل رذيلة ...(٢)».

ثانيًا: تحقيق التآخي الاجتماعي:

إن الإيمان يؤسس في النفس الإنسانية معنىٰ الإيثار، ويبني فيها

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي (ص٧).

(٢) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص١٣٣).

روح التعاون، ويولد لديها بغض العصبيات والتحزب، وكل هذه المعاني تعين علىٰ تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ولهذا فإن الرابطة الأخوية الإيمانية هي من أهم القواعد التي يقوم عليها المجتمع المسلم؛ لأنها تجمع بين أفرادها علاقة حقيقية تزيد علىٰ علاقة النسب وتَفْضُلها، وتؤلف بين قلوبها، وتوحد صفوفها، فلا كراهية ولا حسد ولا بغض ولا غش ولا خصام، ولا تفرق. ومن هنا فإنه «... كلما كان المجتمع صحيحًا قويًا في اعتقاده حصل بين سلوك أفراده انسجام؛ لأن المصدر واحد، والباعث واحد، والهدف واحد، وكلما ضعف الجانب الإيماني تسلطت الأهواء والنزعات، وظهرت العنصريات ...[1]».

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

قال القاسمي معلقًا علىٰ هذه الآية الكريمة: «ذكّر الله ﷻ عباده المؤمنين نعمته عليهم في الدين، إذ ألف بينهم بعد أن كانوا متفرقين، فأصبحوا بنعمته إخوانا، بالألفة متفقين، وعلىٰ البر والتقوىٰ متعاونين، ثم ضم التذكرة بالنعمة عليهم إلىٰ تقواه، وأمر بالاعتصام بحبله وهداه، ونهىٰ عن التفرق إذ جمعتهم الدار، وقرن ذلك بالمنة منه عليهم إذ أنقذهم

(١) أصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي (ص١١١).

من شفا حفرة من النار، وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه ﷻ، وسبله الواصلة بالهداية إليه . . .[١]».

وجاء في الحديث الصحيح عن المصطفىٰ ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحمُهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسّهَرِ وَالحُمّىٰ**[٢]».

فهذا الحديث مع بيانه لما يجب عليه المؤمنون من التواد والتعاطف . . . مع ذلك بيّن أمرًا مهمًّا، ألا وهو أثر هذه الأخوة القائمة علىٰ الإيمان في ترابط المجتمع وتماسكه وقوته، حيث شبّه مجتمع المؤمنين بالجسد الواحد الذي يهتم سائر أفراده لما يحصل لبعضهم من خلل أو خطر ويتكاتفون لصده[٣].

ولقد ضرب السلف أروع الأمثلة في تحقيق معنىٰ الأخوة في الله.
ومن تلك الأمثلة ما نقله القاسمي في بعض كتبه:

أن «سعيد بن أبي عروبة[٤] كان يعلق كل ثوب عنده علىٰ الحبل، ويظهر كل صنف من الطعام فيصفه، وربما اشترىٰ المسلوخ فيعلقه،

---

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص٢٧٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (ص١٢٧٩) برقم: (٦٠١١) ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين (٤/ ١٩٩٩-٢٠٠٠) برقم: (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٣) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله الجربوع: (ص٤٦٤).

(٤) هو مهران العدوي مولىٰ بني عدي بن يشكر أبو النضر البصري كان رحمه الله من المحدثين روىٰ عنه جمع من الرواة، توفي سنة ١٥٥ وقيل ١٥٦ وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٢٧-٣٢٨).

ويفتح بابه ويدخل عليه إخوان في الله ﷻ فكان من أراد طعاما أكل، ومن اشتهىٰ لحما قطع وشوىٰ أو طبخ، ومن احتاج إلىٰ ثوب لبس من غير إذن ولا مؤامرة، قد عرفوا ذلك من أخلاقه رحمه الله[(١)]».

وقال أحد السلف: «كان الرجل يجيء إلىٰ منزل أخيه من حيث لا يعلم، فيقول لأهله: هل عندكم دقيق؟ ألكم زيت؟ تحتاجون إلىٰ كذا؟ فإن قالوا: ليس عندنا. اشترىٰ لهم مصالحهم. قال: ولم يكن يفرق الأخ بين عياله وعيال أخيه، يقاسمهم المؤونة. قال: ويلقىٰ أخاه فلا يعلمه بشيء من ذلك[(٢)]».

ومن هنا جاء المنهج التربوي الإسلامي بتوجيهات رشيدة تهدف إلىٰ تحقيق التآخي والتآلف بين المجتمع. فقد جعل من علامات المؤمنين الصادقين: المؤاخاة في الله ﷻ قال ﷺ: **«أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيْمَانِ: المُوَالاَةُ فِي اللهِ، وَالمُعادَاةُ في الله، والحُبُّ فَي اللهِ وَالبُغْضِ فِي اللهِ[(٣)]»**.

قال القاسمي رحمه الله: «وقد كانت المؤاخاة في الله تعالىٰ، والصحبة لأجله، والمحبة له في الحضر والسفر طرائق للعاملين؛ لما في ذلك من الفضل، ولما جاء فيه من الأمر والندب؛ إذ كان الحب في الله ﷻ من أوثق عرىٰ الإيمان[(٤)]».

---

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي: (ص٢٩٦).
(٢) المصدر السابق: (ص٢٩٦).
(٣) رواه الطبراني في الكبير: (١٠/ ٢١١) والطيالسي في مسنده: (٣٧٨).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٠/ ٢٦١): رجاله رجال الصحيح غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره وفيه ضعف. وصححه الألباني بمجموع طرقه. (السلسة الصحيحة ٤/ ٣٠٦-٣٠٧) برقم: (١٧٢٨).
(٤) الوعظ المطلوب للقاسمي (ص٢٧٧).

كما اهتم المنهج الإسلامي بالآداب الاجتماعية التي تعين علىٰ تحقيق الترابط ووحدة المجتمع، ومن ذلك: حقوق المسلم علىٰ أخيه[١]، وحقوق الوالدين[٢]، وحقوق الجار[٣]، والحقوق الزوجية[٤]، وحق الضيف[٥]، وغير ذلك.

وجميع هذه الآداب الاجتماعية إذا التزم أفراد المجتمع بها وطبقوها في حياتهم ساد بينهم التحاب والتآلف، وانقطعت طرق التفرق والخصام والخلاف، وتحقق لهم معنىٰ الأخوة.

ثالثًا: تحقيق العزة والقوة للمجتمع:

لا يستطيع الإنسان أن يحيي في نفسه القوة والعزة إن لم يكن لديه إيمان يدفعه إلىٰ ذلك؛ لأن المؤمن بالله يستشعر قدرة الله علىٰ جميع المخلوقات، ويؤمن بإرادته الكلية ومشيئته النافذة، كل ذلك مما يورث في نفسه الشعور بالعزة والغلبة.

والمتأمل في الإنجاز الحضاري الذي تم علىٰ يد المسلمين في وقت قصير جدًا من ظهور الإسلام يتيقّن يقينًا تاماً أن السر وراء هذا

(١) انظر: موعظة المؤمنين (ص٢٠١-٢١٦) والوعظ المطلوب (ص٢٧٧-٣٠٤).
(٢) انظر: موعظة المؤمنين (ص٢٣٠) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٣٧).
(٣) انظر: موعظة المؤمنين (ص٢٢٨-٢٢٩) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٥٣).
(٤) انظر: موعظة المؤمنين (ص١٦٧-١٧٥) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٤٢).
(٥) انظر: موعظة المؤمنين (ص١٥٤-١٦٠) وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٦٥-٦٦).

النصر هو إيمانهم بالله ﷻ الذي حررهم من أصناف العبودية، وآمنهم من ضروب الخوف، فانطلقوا في عزة وقوة، فكانت الغلبة والنصر لهم(١).

ولقد جاء في القرآن الكريم من الآيات ما يدل على أن العزة والغلبة للمؤمنين، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

ففي هذه الآية وعد الله ﷻ الأمة المؤمنة النصر وهي «لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والأمن التام عند نزولها، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل لهم الأمن التام . . . ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله . . .(٢)».

وقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

جاء في تفسير القاسمي: «أي الغلبة والقوة لمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين. وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين(٣)».

---

(١) الإيمان بالله وأثره في الحياة، لعبد المجيد النجار: (ص١٧٤-١٧٥).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (ص٥٧٣).
(٣) محاسن التأويل، للقاسمي: (٧/ ١٠٨).

وإن الناظر إلىٰ التاريخ الإسلامي يجد أن أصحاب الرسول ﷺ ضحوا بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله، والذود عن الدين الحق، وانتصروا علىٰ أقوىٰ دولتين آنذاك: الفرس والروم، ونقلوهم من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد. والسر في ذلك كله هو الإيمان العميق في نفوسهم الذي دفعهم إلىٰ السمو والعزة(١).

وفي المقابل فإن المتأمل إلىٰ الأمة الإسلامية في واقعها الحاضر ليجدها في ضعف وانهزام وتبعية للمستعمرين؛ لأنها أضاعت مصدر عزها، وسر قوتها ألا وهو الإيمان.

ولن ترجع هذه القوة والعزة إلا إذا أقاموا الإيمان في قلوبهم، وترجموه في حياتهم الفعلية والقولية، ونصروا دين الله ﷻ؛ قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

ولهذا قيّد الله ﷻ حصول العلو والغلبة بالإيمان؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ لأن الإيمان يوجب قوة القلب، والثقة بصنع الله تعالىٰ، وعدم المبالاة من الأعداء(٢).

ومن أجل ذلك فلابد من تربية المسلمين علىٰ الإيمان، وتعميقه في القلوب حتىٰ يترجموه عملياً في الواقع، وحين ذاك يعيد المسلمون مجدهم وعزهم، ويدحروا أعداءهم.

---

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، لمقداد يالجن (ص١٤٤-١٤٥).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي: (٢/ ١٤٢).

وبهذا يتضح أن للإيمان آثارًا تربوية عظيمة علىٰ الفرد والمجتمع، بما يؤكد علىٰ المربين الوقوف علىٰ الأسباب التي تنمي الإيمان وتزيده، ودراستها بتعمّق، ثم القيام بواجبات الإيمان ومستلزماته المتمثلة في نشر فضائله وثمراته والدفاع عنه بشتىٰ الوسائل والسبل.

كما أن من واجباته علىٰ المربين غرس الإيمان في نفوس الناشئة وتربيتهم عليه، وإيقافهم علىٰ ثمراته التربوية العظيمة من خلال الدروس والمواقف التربوية.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع

التربية التعبدية عند القاسمي

تمهيد

خلق الله سبحانه وتعالى - الخَلْق لعبادته، وامتثال أوامره، وأرسل لهم الرّسل ليبيّنوا لهم أمور دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ولهذا جاءت دعوة الرسل جميعا بعبادة الله تعالىٰ، ونادت بتحقيقها، والقيام بلوازمها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولقد وضع المنهج التربوي الإسلامي للعبادة أسسًا واضحة تنير للمسلم الطريق الصحيح لكيفية أدائها، حتىٰ يعبد المسلم ربه عز وجل علىٰ نور وهداية في مَعْزل عن الإحداث والغلو.

والعبادات بضروبها المختلفة وألوانها المتعددة لها آثار تربوية علىٰ المسلم، فهي تهذب سلوكه، وتبني عواطفه وإرادته علىٰ الخير، وتكوّن شخصيته المسلمة. كما أنها تربي في المجتمع مبدأ التعاون والإيثار، وتحيي فيهم روح النشاط والحيوية، وتحرّره من رق الشهوات والمساوئ، بما يحقق له الرقيّ والمجد والتقدم في جميع مجالات الحياة.

ولكي تتضح الرؤية حول التربية التعبدية عند القاسمي فإنه يتطلّب بيان مفهوم العبادة، مع بيان أهميتها التربوية، ثم بيان الأسس والركائز التي تعين المسلم علىٰ أداء العبادات بطريقة صحيحة وفق منهج الكتاب

والسنة، إضافة إلىٰ بيان آثارها التربوية علىٰ سلوك المسلم وحياته العملية، وكذا آثارها علىٰ مجموعة الأفراد؛ وفق المباحث الآتية:

- مفهوم العبادة وأهميتها.
- أسس التربية التعبدية.
- الآثار التربوية للعبادة.

وفيما يلي بيان وتوضيح لما دوّنه القاسمي حول التربية التعبدية:

المبحث الأول

مفهوم العبادة وأهميتها

المطلب الأول
مفهوم العبادة في اللغة والاصطلاح

أشار القاسميّ إلىٰ مادّة العبادة في الّلغة عند معرض تفسيره لقوله -تبارك تعالىٰ-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] فقال: «العبد لغة: الإنسان مطلقًا والمملوك، والعُبوديّة: الذّلّ والخضوع والرّقّ والطّاعة، كالعبادة والعُبودة[(١)]».

وعلىٰ ضوء ما قاله القاسمي يتبيّن أن العبادة في اللغة تأتي لعدة معانٍ: الذلّ، والخضوع، والرّق، والطّاعة.

وقد جاء في المعاجم اللغويّة ما يؤيّد هذه المعاني:

ففي المفردات في غريب القرآن: «العبّوديّة: إظهار التّذلّل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التّذلّل ...[(٢)]».

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٥٦٣).

(٢) للأصفهاني (ص٣٢٢).

وجاء في الصحاح: «العبادة: الطّاعة ...[١]».

وفي المصباح المنير: «عبدتُ الله أعبُدُه عبادةً وهي الانقياد والخضوع..» وفيه أيضًا: «العبد خلاف الحرّ ...[٢]» أي رقيق مملوك.

وأمّا عن مفهوم العبادة في نظر القاسمي فهي «القيام بما أوجبه الله علىٰ عباده؛ ممّا يقودهم إلىٰ سعادة الدّنيا والآخرة ...[٣]».

وهذا التّعريف الذي ذكره القاسمي يطابق ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميّة في تعريف العبادة؛ من حيث شمول العبادات الواجبة وعدم تقييدها بأي نسك، إلاّ أنّ تعريف ابن تيميّة أشمل، حيث يتناول النوافل وغيرها من الأمور المباحة من شئون الدنيا إذا صلحت النية، وقصد به وجه الله ﷻ؛ فالعبادة في -نظره-: «اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظّاهرة ...[٤]».

وعلىٰ ضوء هذا المفهوم يتّضح أن للعبادة أفقًا رحبًا ودائرةً واسعةً، فهي تشمل الفرائض والواجبات من: الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ ... كما تشمل ما زاد علىٰ الفرائض من أنواع النّوافل كتلاوة القرآن والدّعاء والاستغفار والصّدقات ...

وهي تشمل أيضا المعاملات والسّلوك كبِرّ الوالدين وصلة الأرحام والإحسان لليتيم والرّحمة بالضّعفاء والصّدق والأمانة والوفاء بالعهد ... إضافة إلىٰ ذلك كلّه فإنّها تتناول جميع الأمور المباحة كالنّوم والأكل

---

(١) للجوهري (٢/ ٥٠٣).
(٢) للفيومي (ص٣٨٩).
(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: (ص٣٢٠).
(٤) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

والشّرب وغيرها من شئون الدّنيا إذا تأسّست علىٰ نية خالصة لله، وقصدٍ مشروع، بل مفهوم العبادة يشمل حياة الإنسان وشئونه كلّها؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] أي أن صلاتي وطوافي وذبحي للهدايا في الحجّ والعمرة أو عبادتي كلّها، وما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلىٰ الممات كلها خالصة لله رب العالمين(١).

وبهذا يتبيّن خطأ من يحصر العبادات علىٰ مناسك التّعبّد المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج . . . ويظنّ أنّها مجرّد إقامة الشّعائر المعروفة دون غيرها؛ فالعبادة تتناول ألوان النّشاط الإنساني بضروبه المختلفة حيث يجعل المسلم طاعة الله ومحبّته والخضوع له والانقياد لأمره وعبادته وحده هي غاية الحياة التّي يسعىٰ إليها(٢)؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وانطلاقًا من هذه النّظرة الشّموليّة فإنّه يجب علىٰ المسلم أن يسخّر حياته كلّها في عبادة الله ﷻ، فهو حين يربّي أولاده التّربية الصّالحة،

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (ص٣/ ٤٨٠).

(٢) أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك، لأسماء علي محمد فضل (ص١٢)، الأخلاق في ضوء السنة النبوية، هدىٰ بود محسن عبدالمنان، (ص١٣)، ومشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، لوليد شلاش شبير (ص١٨٤) ومعالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، لعبدالرحمن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٠٥-١٠٦-١٤١٧هـ) وأثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة، لمناع القطان، مجلة أضواء الشريعة عدد (٩/ ١٣٩٨هـ) (ص٣٧٧-٣٧٨)، معرفة الله وعبادته وأثرهما في تربية الفرد وتنظيم المجتمع، لمحمد صالح محي الدين، مجلة هذه سبيلي، (العدد الخامس ١٤٠٣هـ) (ص٢٤٠-٢٤١).

وينشّئهم التّنشئة الحسنة، ويهتمّ بشئونهم، فإنّها تدخل ضمن دائرة العبادة التّي أمر الله تعالىٰ بها، ومن لا يدرك هذا المفهوم قد يضيّع تربية أبنائه، وينشغل بما هو دونها من نوافل العبادات.

وكذلك تتّسع دائرة العبادة لتشمل أنواعًا كثيرةً من السلوك، كقضاء حوائج النّاس، ومساعدة المساكين والضعفاء، وإكرام الضّيف، والوفاء بالعهد، والإحسان إلىٰ الجار، والصّدق في القول.

وهذا المفهوم الشامل والواسع للعبادة يحقّق للمجتمع الإسلاميّ التّفعيل التّربوي لمقاصد الشّريعة، والذي يثمر العزّة والمنعة، والرُّقيّ والتّقدّم؛ والتّعاون والتّرابط.

المطلب الثاني
أهمية العبادة

إنّ للعبادة في الإسلام أهميّةً بالغةً، ومكانةً عظيمةً سامقةً، بلْ هي من أعلىٰ المنازل، وأسمىٰ المقاصد؛ فإنّ الله ﷻ ما خَلَق الخَلْق إلاّ لطاعته، ولا أوجدهم إلا لعبادته؛ قال الله تعالىٰ مبينًّا ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

كما أنه جَلَّ جَلَالُهُ ما أرسل الرّسل، ولا بعث الأنبياء إلا لتحقيق العبوديّة الخالصة له ﷻ؛ قال تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولهذا جاءت الرسل بإخلاص العبادة لله ﷻ، ودعت إلىٰ تحقيقها، والقيام بلوازمها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والعبادة إذا التزم بها الفرد المسلم، وطبّقها في حياته العمليّة، وسلوكه، وتصرّفاته، وأخلاقه، وتمسّك بها، وحافظ عليها، وقام بها علىٰ الوجه المشروع؛ فإنّها كفيلة -بإذن الله- بأن تسمو بحياته إلىٰ حياةٍ سعيدةٍ راقيةٍ تليق بالإنسان الذي كرّمه الله ﷻ وفضّله علىٰ سائر المخلوقات.

كما أنها تأخذ بالمجتمع الإسلاميّ إلىٰ الرقيّ، وتصل به إلىٰ ذرا المجد، وترفع من شأنه ومكانته؛ إذ إنّها تبعث في أفراده النّشاط، وتحيي فيهم القوّة والعزّة، وتحرّرهم من عبوديّة الشّهوات والأهواء، وتطهّرهم

من منابع الإثم والفحشاء، وتقودهم إلىٰ معالي الأمور، وتدفعهم إلىٰ كل خير، وتعينهم علىٰ الترابط والتعاون.

ومما يدلّل علىٰ أهمية الجانب التعبدي ما يأتي:-

أولًا: أن الله خلق الخلق لعبادته:

أوضح الله ﷻ في كتابه العزيز أنه ما خَلَق الخَلْق إلا لعبادته، وما أوجدهم في هذه الحياة الدنيا إلا لطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. جاء في تفسير القاسمي لهذه الآية: (﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (أي لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالىٰ بما أمر علىٰ لسان رسوله؛ إذ لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين إلا بها[1]».

وفي هذا المعنىٰ يقول بعض المفسرين: «هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه ... فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم ....[2]».

وعليه فإن للعبادة مكانتها العظيمة ومنزلتها الرفيعة؛ إذ هي الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان، ومن أجلها أوجدهم في هذه الحياة، ومن هنا يصبح من الواجب علىٰ المعلمين والمربين أن يربوا الجيل علىٰ تحقيق هذا الهدف المنشود، وأن يعمّقوا فيهم هذه الغاية السامية،

---

(١) (٦/ ٣٤٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (ص٨١٣).

ويأخذوا بجميع الأساليب التربوية المناسبة لتحقيقها، كما أن علىٰ منهج التربية الإسلامية أن يتناول المواد والمقرّرات علىٰ أساس أنها تهدف إلىٰ خدمة هذه الغاية، حتىٰ تغدو واضحةً، ومستنيرةً لديهم، وعندها تسمو أخلاقهم، وتعلو هممهم، وينضبط سلوكهم.

ثانيًا: العبادة وظيفة الأنبياء:

من حكمة الله الباهرة أنه ما ترك الخلْق هملًا، ولا خلقهم عبثًا؛ بل أرسل الرسل وبعث الأنبياء؛ ليبيّنوا لهم أمر دينهم حتىٰ لا يكون للنّاس علىٰ الله ﷻ حجّة بعد الرّسل، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

قال القاسمي معلقا علىٰ هذه الآية: «أشارت الآية إلىٰ بيان حاجة البشر إلىٰ إرسال الرسل، وإلىٰ وظيفتهم عليهم السلام[(١)]».

فالله جل جلاله بعث الرّسل إلىٰ أممهم؛ لأجل أن يعبدوه سبحانه وتعالى، وأرسلهم ليدعوا الناس إلىٰ تحقيق العبودية له تعالىٰ؛ قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عز من قائل عليما: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فكل نبيّ بعثه الله يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له[(٢)]، ولهذا جاءت جميع الرّسل بالعبوديّة، ودعوا أمّتهم إلىٰ تحقيق العبادة لله سبحانه وتعالى،

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي: (٢/ ٦٠٤).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٥٠).

فقد جاء بها نوح عليه السلام؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ودعا إليها إبراهيم عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

كما جاء بها هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال جل جلاله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وبها توجه الرسول ﷺ إلىٰ الناس كافة؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) [البقرة: ٢١].

ولا شك أن هذه الآيات المتضافرة التي بينت وظيفة الأنبياء عليهم السلام وهي الدعوة إلىٰ تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى لدليل واضح علىٰ مكانة العبادة، وبرهان ساطع علىٰ أهميتها؛ إذ إن الرسل ما أُرْسِلوا بشيء إلاّ وله شأن عظيم، وما دعوا إليه إلا لأمر فخيم.

وعليه، فإن علىٰ المربين والمعلمين بجميع تخصصاتهم غرس حب التعبد لله في نفوس الناشئة من خلال تلقيهم للعلم بأنواعه المختلفة، وأن

(١) فلسفة التربية الإسلامية، لماجد الكيلاني (ص٧٨-٧٩) ومفهوم الحرية في التربية بين الشرع والوضع، لعلي الزهراني (ص٨٣-٨٤).

يقصدوا بذلك رفع الجهل عن أنفسهم وعن أمتهم، وأن يسدوا ثغرة من ثغرات المسلمين؛ كما أن عليهم أن يوضحوا أن وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام هي الدعوة إلىٰ تحقيق العبودية لله ﷻ، وبفعلهم هذا يكونون قد اقتدوا بالرسل، واقتفوا منهجهم التربوي.

ثالثًا: من أجل العبادة شرعت الهجرة[١]:

ومما يدل علىٰ أهمية العبادة أن الله ﷻ شرع للمؤمنين الهجرة -وهي الانتقال من بلاد الشرك إلىٰ بلد الإسلام[٢]-؛ حفاظًا علىٰ دينهم وعقيدتهم، ومراعاة للشعائر والفرائض الدينية حتىٰ يؤدونها وهم مطمئنون آمنون بعيدون عن الفتنة والاضطهاد؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

جاء في تفسير القاسمي: «هذا خطاب لمن لم تمكنه عبادته تعالىٰ وحده في أرضه؛ لإيذائه في الله، واضطهاده في جانبه أن يهاجر عنها إلىٰ بلدٍ ما يقدر أنه فيه أسلم قلبًا وأصح دينًا وآمن نفسًا، وأن يتجنب المقام في بلده علىٰ تلك الحالة كيلا يفتنه الكافرون أو يعرض نفسه للتهلكة، وقد جعل له منها مخرج[٣]».

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]. «أي بلاده كثيرة. فمن تعسر عليه التوفر علىٰ الإحسان في وطنه فليهاجر إلىٰ حيث يتمكن منه . . . ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية، لماجد الكيلاني: (ص٧٩)

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (١/٧٢).

(٣) (٥/٤٥٣).

علىٰ مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير مكيال. تمثيل للكثرة[(١)]».

ولهذا ذم الله ﷻ وتوعد بالعذاب الأليم من لم يهاجر من بلاده إلىٰ بلد آمن وهو مستضعف، لا يستطيع أن يقيم دين الله فيها؛ لوجود الكفار والطغاة الذين يصدونه عن القيام بالعبادة علىٰ أكمل وجه، وليس له عذر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٨].

قال بعض المفسرين: «نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر علىٰ الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراما بالإجماع، وبنص هذه الآية ...[(٢)]».

وعليه، فإن علىٰ المربين أن يبينوا خطورة الخروج إلىٰ بلاد الكفار من غير حاجة ولا ضرورة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلىٰ التأثر بعاداتهم، وعقائدهم، وعباداتهم، والانصهار في بوتقتهم.

كذلك علىٰ المؤسسات التربوية أن تولي الاهتمام والعناية بالمبدعين والموهوبين، وتوفر لهم فرص العمل حتىٰ تسلم الأمة الإسلامية من خطر ما يسمىٰ بهجرة العقول البشرية.

ثم إنه من مقتضيات مفاهيم الهجرة أن يبين المربون للجيل خطر

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ١١٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص٣٨٤).

رفقاء السوء، وأهمية هَجْرهم، والابتعاد عن مخالطتهم؛ حفاظا على دينهم وسلوكهم.

رابعًا: بها نعت الله ﷻ صفوة خلقه:

ومن السمات الدالة على أهمية العبادة أن الله وصف أولياءه الصالحين بها، ونعتهم بالعبودية له؛ فقال في وصف ملائكته الكرام: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

كما وصف بذلك أنبياءه، فقال عن نوح عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩-٨١].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١١].

ونعت بها موسى وهارون عليهما السلام فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٠-١٢٢].

وقال في وصف إل ياسين عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠-١٣٢].

كما نعت الله سبحانه وتعالى رسول الهدى وخليله المصطفى ﷺ بالعبودية في أشرف المقامات وأعلاه، فقال في مقام الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

جاء في تفسير القاسمي: «والمراد بعبده: خاتم أنبيائه محمد ﷺ وفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلىٰ ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه علىٰ اختصاصه به ﷻ وانقياده لأوامره ما لا يخفىٰ[(١)]».

وقال في مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وقال في مقام التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وبهذا الوصف تتضح أهمية التربية علىٰ الاعتدال والقصد في إظهار محبة الرسول، وعدم تجاوز حدود الشريعة في ذلك، من الإطراء الزائد، والتعظيم المبالغ فيه؛ فهو عبد الله ورسوله، كرمه الله بالوحي، وفضله علىٰ العالمين بالرسالة، وهو الذي وصف نفسه بالعبودية محذرا قومه من الغلو فيه والإطراء عندما نعتوه بالسيادة والخيرية، كما في الحديث الصحيح: «أنّ رَجُلًا قال: يَا مُحَمّد، يَا سَيّدَناَ، وابْنَ سَيّدِنَا، وَخَيْرِنا، وَابْنَ خَيْرِنَا، . فَقَالَ: **ياَ أَيّهَا النَّاسُ، قُوْلُوْا بِقَوْلِكِم، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنّكُم الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمّد بْنِ عَبْدِ الله؛ عَبْدُ الله وَرَسُوْلُه، وَاللهِ مَا أُحِبّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي التي أَنْزَلَنِي اللهُ ﷻ**[(٢)]».

---

(١) (٤/ ٥٦٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٣و ٢٤١و٢٤٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٨٨) برقم (١٠٩٨).

خامسًا: أن بعض العبادات الدينية من مباني الدين:

ومن المميزات التي امتاز بها الجانب التعبدي أن الله جعل الفرائض الخمس من مباني الإسلام، ودعائمه العظام، التي يتركز عليها الدين[١].

قال القاسمي: «اعلم أن مباني الإسلام خمسة: أولها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت[٢]»؛ جاء في الحديث الشريف: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خمَسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَه إِلاّ اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامِ الصّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَان[٣]»**.

فالصلاة «عماد الدين، وعصام اليقين، وسيدة القربات، وغرة الطاعات[٤]» وهي صلة بين العبد وربه، فيها تخشع النفس وتسكن الجوارح، وبها يتقوىٰ الجسم ويرتاح الفؤاد، كما أنها «تعود النفس علىٰ أداء عمل معين في وقت معين[٥]» . . .

والزكاة تطهير النفس من صفة البخل والشح، وتنميتها علىٰ حب التعاون والخير للناس. .

(١) أصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي (ص١١٨).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٤٢).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: : دعاؤكم إيمانكم، (ص٦) برقم (٨) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (١/ ٤٥) برقم (١٦) واللفظ للبخاري.
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (٦٣).
(٥) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (ص١٢٠/ ١).

وفي الصوم قهر للنفس من الشهوات والملذات، ودرس في التحمل والصبر، وعلاج للأمراض والآفات . . .

وأما الحج فهو «التربية العملية علىٰ حب الله وطاعته، وخروج النفس من أعز ما تحبه وتحرص عليه؛ طاعة لله وامتثالا لأمره . . .[(١)]»، كما أنها عبادة اجتماعية روحية بدنية تنمي لدىٰ الفرد حب التعاون والتواضع والزهد وغيرها . . . .

* * *

(١) منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد (٢٥٦).

المبحث الثاني

أسس التربية التعبدية

من خلال العرض السابق للمبحث الأول تبيّن أن مفهوم العبادة شامل لجميع نشاطات الإنسان، ومتعايش معه في كل أوقاته وحياته، كما اتضحت أهمية الجانب التعبدي في المنهج التربوي الإسلامي؛ إذ هو جزء أساس منه، فبه يسعد المؤمن، وتطيب حياته، وينشرح قلبه، ويرتقي مجتمعه، ويقوىٰ بناؤه، ومن هنا فإن من الأهمية بمكان أن يضع المنهج الإسلامي التربوي للعبادات أسسا متينة تُحدد كيفية العبادات، وتُقيم طرائقها، وتُبين منهجها، وتُوضّح مفهومها؛ كل ذلك حتىٰ يعبد الفرد المسلم ربه علىٰ بصيرة دون ابتداع، أو إحداث بعيدًا عن المغالاة والإجحاف التي تَحُول دون القيام بحقها علىٰ الوجه الصحيح، وفق ما شرعها الله ﷻ.

مفهوم أسس التربية التعبدية:

والأسس جمع أساس، وأساس الشيء هو أصله وقاعدته(١)؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(١) لسان العرب، لابن منظور (١/ ١٤١).

«أي من أسس بناء دينه علىٰ قاعدة قوية محكمة وهي تقوىٰ الله ورضوانه خير ممن أسس دينه علىٰ ضد ذلك وهو الباطل والنفاق[(١)]».

ويقصد بأسس التربية التعبدية: الركائز التي تعين الفرد المسلم علىٰ التطبيق العملي للعبادات بطريقة صحيحة وفق الكتاب والسنة.

وفيما يلي بيان لأبرز الأسس التربوية التعبدية من خلال كتب القاسمي، وتوضيحها بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف -رحمهم الله- مع بيان بعض الأخطاء الشائعة في فهم تلك الأسس:

الأساس الأول: إخلاص النية لله سبحانه وتعالى:

لهذا الأساس أهمية بالغة في العبادات؛ إذ هو شرط رئيس لقبول العمل وصحة الطاعات[(٢)].

قال القاسمي رحمه الله: «يحتاج في أول العمل أن يصبر علىٰ تصحيح النية، وعزم العقود، والوفاء بها حتىٰ تصح الأعمال؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوىٰ . . .**[(٣)]» وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥][(٤)]».

هذا، وليست النية محصورة فقط علىٰ الطاعات والقربات، بل قد

(١) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٤٠٣).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص١١٦) وأعلام السنة المنشورة، للحكمي (ص٣١-٣٢) والإقناع في التربية الإسلامية لسالم جبار (ص٢٢٤).

(٣) أخرج نحوه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (ص١) برقم (١) ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: **إنما الأعمال بالنية** . . . (٣/ ١٥١٥-١٥١٦) برقم (١٩٠٧).

(٤) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٢٩).

يكون العبد عابدا لله وهو يمارس الأمور الدنيوية المباحة إذا أحسن النية وأصلح الطوية؛ ولذا «ينبغي أن يكون للعبد في كل شيء نية حسنة حتىٰ في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ونومه، ونكاحه[(١)]» وفي شئون حياته كلها حتىٰ يكتب له الأجر علىٰ ذلك.

قال بعض العلماء: «من سره أن يكمل عمله فليحسن نيته؛ فإن الله ﷻ يأجر العبد إذا حسنت نيته حتىٰ باللقمة[(٢)]».

هذا، «ولو لم يكن في تجديد النية وتفقد الهمة العالية إلا أن صاحبها لا يزال عاملًا من عمال الله تعالىٰ بقلبه وهمه -وإن لم يساعده القدر علىٰ الأفعال بجوارحه- لكفىٰ[(٣)]» بذلك منزلة ومكانة للنيات في هذا المقام.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: «**إنَّ بِالمدِيْنَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيْرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوْا مَعَكُمْ**» قالوا: يا رسول الله، وَهُمْ بِالمَدِيْنَةِ؟! قَالَ: **وَهُمْ بِالمَدِيْنَةِ، حَبَسَهُم العُذْرُ**[(٤)] [(٥)]».

قال أحد السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت الخير كله يجمعه حسن النية، فكفاك به خيرًا وإن لم ينصب[(٦)]».

---

(١) المصدر السابق (ص٢٥٤).
(٢) المصدر السابق (ص٢٥٧).
(٣) المصدر السابق (ص٢٥٦).
(٤) العذر: أي المرض. كما في رواية مسلم في صحيحه: (٣/ ١٥١٨).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب (٨٢) (ص٩١٣) برقم (٤٤٢٣) ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر (٣/ ١٥١٨) برقم (١٩١١) واللفظ للبخاري.
(٦) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٥٧).

ومن هنا، فإن من المهم أن تُربىٰ الناشئة علىٰ تصحيح النية، وحسن المقصد، وأن تُعَمّق في نفوسهم أهمية استحضارها عند أداء العبادات ولا سيما في التعلم والتعليم، وكذلك عند القيام بأمر من الأمور المباحة حتىٰ تُبارك أعمالهم، ويقبل عند الله مسعاهم، ويكتب لهم الأجر في كل أحوالهم.

الأساس الثاني: موافقة الشرع:

لا يكفي لقبول العبادات أن تكون خالصة لله ﷻ فحسب، بل لابد أن تكون موافقة لما شرعه الله ﷻ، وبالكيفية التي ارتضاها، كما في كتابه العزيز، وسنة رسوله ﷺ(١)؛ «لأن التعبد بالأحكام الشرعية لا يجب إلا بإيجاب الله أو رسوله [صلىٰ الله عليه وسلم] وإلا فليس بشرع(٢)».

جاء في كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي: «لا يخفىٰ أن مدار العبادات إنما هو علىٰ المأثور في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الإخلاص في القلب وصحة التوجه إلىٰ الله تعالىٰ . . .(٣)».

وفي الحديث الصحيح: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**(٤)».

---

(١) إعلام السنة المنشورة، للحكمي (ص٣٢) والعبادة في الإسلام، للقرضاوي (ص١٦٥) والإقناع في التربية الإسلامية لسالم جبار (ص٢٢٤).

(٢) تنبيه الطالب إلىٰ معرفة الفرض والواجب، للقاسمي (ص٢٩).

(٣) (ص١٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود (ص٥٤٠) برقم (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٣/١٣٤٣) برقم (١٧١٨).

وفي رواية: «**مَنَ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**[(١)]».

فدل الحديث علىٰ أن «كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود علىٰ عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء[(٢)]».

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولكل مسلم الحق في إنكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها، فقد أخبرنا الله تعالىٰ في كتابه بأنه أكمل لنا ديننا وأتم علينا به نعمته[(٣)]، فكل من يزيد فيه شيئًا فهو مردود عليه . . .[(٤)]».

وبالنظر إلىٰ ما سبق من الأدلة وما بينه القاسمي يتبين أهمية اعتماد العبادات علىٰ ما شرعه الله في كتابه العزيز أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، من غير ابتداع أو تغيير أو تبديل؛ حتىٰ تكون مقبولة عند الله ﷻ، وأن علىٰ المؤمن عدم الاكتراث بما استجد من هفوات المبتدعين وسقطات المنحرفين الذين نأوا عن جادة الفهم الصحيح في قضايا العبادات وغيرها.

ولقد توعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالفتنة أو العذاب الأليم كل من أحدث في العبادة، وابتدع في الدين؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٤) برقم (١٧١٨).

(٢) جامع العلوم الحكم لابن رجب (١/ ١٧٦).

(٣) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾.

(٤) إصلاح المساجد في البدع والعوائد، للقاسمي (ص١٦).

«أي فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك . . .[(١)]» .

وعليه؛ فإنه يلزم لذلك أن تهتم العملية التربوية بما يغرس في الناشئة محبة الرسول ﷺ، وأن يوضح لهم المفهوم الصحيح للمحبة، المتمثلة في اتباع ما جاء به ﷺ، وامتثال ما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] بحيث لا تخرج من دائرة الاعتدال في إظهار محبته، وأن الخروج عن منهجه الذي رسمه لنا بدعة في الدين لا يقبلها الله ﷻ، مع ما فيها من الوعيد الشديد لمن ابتدعها وسنها.

الأساس الثالث: كمال الحب مع كمال الذل:

لا تسمىٰ العبادة عبادةً حقيقةً إلا إذا توفر فيها أمران: كمال الحب وغايته مع كمال الذل والخضوع، «فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة، وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدو أو غرق أو حرق أو نحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة. .[(٢)]» .

وعن هذا يقول القاسمي: «لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١٠٤٦).
(٢) معارج القبول، للحكمي (٢/ ٤٥٧).

الحب، فلابد أن يكون محباً للإله المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلًا له كمال الذل، وهما لا يصلحان إلا لله وحده . . .»[(١)].

قال الله تعالىٰ في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦] وقال الله تبارك وتعالىٰ في وصف خضوعهم وخشيتهم لربهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

وقد جمع الله هذين الأمرين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبهذا الأساس العظيم يتبين خطأ صنفين من الناس:

الصنف الأول: الذين غلوا في دعوىٰ المحبة حتىٰ صرفوها لغير الله ﷻ من الأولياء والصالحين.

والصنف الثاني: الذين نفوا المحبة، وظنوا أنها تنافي أدب العبودية، وأنها لا تَتحقّق من العبد لله، وإنما المطلوب منه الطاعة والخضوع[(٢)].

والصحيح أن المحبة لا تنافي الخضوع والتذلل، بل الخضوع دليل لازم للمحبة، كما أن المحبة دليل علىٰ التعظيم.

ثم إن ادّعاء محبة الله يقتضي أن يكون المدعي معظما لشريعة الله ﷻ ومستسلما لأوامره ونواهيه، ومتبعا لسنة رسوله ﷺ؛ قال تعالىٰ علىٰ لسان رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٢٢٣).

(٢) العبادة في الإسلام، للقرضاوي (ص٣٦-٣٨).

تعد تنشئة المتربين علىٰ محبة الله تعالىٰ والذل له بالأساليب التربوية المختلفة عملية ذات أهمية تكتسبها من أهمية القضية وعمقها الشرعي.

وهنا تأتي أهمية المنهاج الدراسي الذي يؤكد هذه الغاية ويوضحها في صور وأمثلة تتناسب مع المرحلة التعليمية. إضافة إلىٰ الدور الريادي الذي يقوم به المعلم من استمالة قلوب الطلاب نحو محبة الله تعالىٰ بتذكيرهم النعم التي يسبغها عليهم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا.

وفي نفس الوقت يربيهم علىٰ الخوف من عذاب الله وعقابه حتىٰ ينمي في نفوسهم معنىٰ الذل والخضوع لله ﷻ.

الأساس الرابع: الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة:

إن الخوف والرجاء يتحكمان في سلوك الإنسان، ويحددان أهدافه ومسعاه، فالمرء يحجم عن الشيء إذا عرف أن مصيره إلىٰ الموت، كما أنه يقدم علىٰ الشيء إذا رجا منه الخير ... فهو علىٰ قدر ما يخاف ونوع ما يخاف ... وعلىٰ قدر ما يرجو ونوع ما يرجو ... يتخذ لنفسه منهجًا لحياته، ويحدد علىٰ ضوئه أهدافه وغاياته(١).

ومن هنا فإن المنهج التربوي الإسلامي بيّن المسار الصحيح لهذين الخطين في العبادات، وهو أن يوقع عليهما معًا، ويجمع بينهما سوياً دون إفراط ولا تفريط.

فـ «الرجاء والخوف جناحان، بهما يطير المقربون إلىٰ كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود

---

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (١/ ١٢٨).

إلىٰ قرب الرحمن إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم إلا سياط التخويف . . .[(١)]».

ولهذا جمع الله ﷻ في وصف عباده المؤمنين بين هذين الوصفين؛ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. أي رغبا فيما عندنا، ورهبا مما عندنا[(٢)].

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يجمعوا في دعائهم وعبادتهم بين الخوف والرجاء؛ فقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

جاء في تفسير القاسمي: «معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء، وإن اجتهدتم فيهما[(٣)]».

ومن هنا كان السلف -رحمهم الله- ينهون عن الغلو في أحدهما أو الإفراط في جانب دون آخر، قال أحدهم: «من عَبَد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبَده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد[(٤)]».

ولعل من أبرز السلوكيات الخاطئة عند البعض ذلك الفهم الخاطئ

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٢٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص٩٦٧).
(٣) (٣/ ٥٧٤).
(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٠/ ٢٠٧).

للخوف والرجاء، حيث يُغلب البعض الرجاء في حياته حتىٰ يهمل القيام بالكثير من العبادات، ويُسوِّف في عمل الخير، وينخرط في سلك الانحرافات.

وفي الجانب الآخر يُغلِّب البعض جانب الخوف، ويقنط من رحمة الله، راهبًا في عباداته، لا حظ له في الأمور الدنيوية المباحة؛ كل ذلك مما يؤكد الأهمية التربوية العظمىٰ لما يجب أن تقوم به المؤسسات التربوية من واجب علمي نحو بيان هذه المفاهيم الخاطئة، وتبصير الناس بأخطارها الأخروية والدنيوية؛ إضافة إلىٰ ما يجب علىٰ المعلمين من إدراك لهذه القضية، وتصحيح مسارها من خلال الدروس التربوية.

الأساس الخامس: المداومة على العبادة وإن قلت:

ومن الأسس المهمة التي لابد أن يراعيها المؤمن في التطبيق العملي للعبادات: الدوام علىٰ العبادة وإن قلت دون انقطاع، وفي هذا المعنىٰ يقول القاسمي: «لا يكفي في نيل السعادة الموعودة علىٰ حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك علىٰ الدوام . . .[(١)]».

وعلة ذلك: أن المداومة علىٰ فعل الطاعات وإن قلت خير من الكثير المنقطع؛ إذ بها تدوم القربات، ويستمر صاحبها علىٰ العبادة، ويكون مقبلا علىٰ الله في كل وقته؛ فعن هذا يكون ثوابه أكثر، وأجره أغزر من الكثير المنقطع.

جاء في الحديث الصحيح: «. . . **إن أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ مَا**

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧١).

دُوْوِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلّ[١]» وفي رواية: «**أَحَبُّ الأَعْمَالَ إلىٰ اللهِ تَعَالى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**[٢]».

وفي هذا الحديث: حث علىٰ المداومة علىٰ العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال علىٰ الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد علىٰ الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة[٣].

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يثبت علىٰ الطاعة وأن يداوم عليها حتىٰ يوافيه الأجل؛ قال ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩]. أي «دم علىٰ العبادة ما دمت حيًّا[٤]».

وقال تعالىٰ في موضع آخر: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مَريَم: ٦٥] أي اثبت لها علىٰ الدوام، واصطبر علىٰ مشاقها[٥].

قال أحد السلف عندما تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾: «يا قوم، المداومة، المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت[٦]».

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (١/ ٥٤٠-٥٤١) برقم (٧٨٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (ص١٣٦٥) برقم (٦٤٦٤) ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (١/ ٥٤١) برقم (٧٨٣)؛ واللفظ له.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٦/ ٧٤).

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٥٠٠).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٨٧).

(٦) المحجة في سير الدلجة، لابن رجب (ص٧١).

ولذا ذمّ الله تعالىٰ من اعتاد عبادة ثم فرط فيها[١]؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد: ٢٧].

أي بالَغوا في العبادة، وقصروا في أداء حقها من جهتين: من جهة ابتداعهم في الدين، ومن جهة عدم التزامهم بما فرضوه علىٰ أنفسهم[٢].

ومن هنا، فالواجب علىٰ العبد المسلم الحذر من متقلبات الأحوال التي قد تؤدي به إلىٰ الفتور؛ وعليه أن يدعو الله ﷻ أن يثبته علىٰ الحق، وأن يديمه عليه، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوْبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِيْنِكَ**[٣]».

الأساس السادس: القصد في العبادة:

الاقتصاد أمر مطلوب في حياة المسلم، في: أكله، ومشربه، ومنامه، وملبسه، وعبادته . . .

ولقد وصف الله المؤمنين المتقين بالوسطية في الإنفاق والاعتدال في الإعالة؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

قال القاسمي: «والذي يدل علىٰ أن المطلوب هو الوسط . . . أن السخاء خلق محمود شرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٦/ ٧٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١٤٤٩).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (ص٤٩٢) برقم (٢١٤٠) وقال: وهذا حديث حسن صحيح.

أثنىٰ الله تعالىٰ عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ . . . وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١](١)».

والتوسط في العبادة يكون بعدم تقصير العبد فيها فيما أُمر به، وتجنب تحمل نفسه منها ما لا يطيقه(٢).

والقصد في العبادة مهمّ في التطبيق العملي للعبادات، لأن ذلك يساعد علىٰ مداومة العمل؛ إذ المؤمن إذا اقتصد في عبادته وتوسط فيها، وعبد الله بما يستطيعه، لم يشق عليه فعلها، وبذلك ينشرح قلبه، وترتاح نفسه، فيستمر علىٰ المداومة، بخلاف ما إذا شق علىٰ نفسه بما لا يستطيعه، وتعاطىٰ من الأعمال والعبادات بتعمّق وغلو؛ فإنه سرعان ما يتركه كله أو بعضه أو يفعله بتكلف ومشقّة، ولا يدوم علىٰ ذلك.

وفي الحديث الصحيح: «**سَدِّدُوْا وَقَارِبُوْا وَأَبْشِرُوا. فَإِنَّهُ لا يُدْ خلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُه**(٣)».

«يعني أن من مشىٰ في طاعة الله علىٰ التسديد والمقاربة فليبشر؛ فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال، فإن طريق الاقتصاد

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٠).
(٢) المحجة في سير الدلجة، لابن رجب (ص٥١).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (ص١٣٦٦) برقم (٦٤٦٧) ومسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالىٰ (٤/ ٢١٧١) برقم (٢٨١٨)؛ واللفظ للبخاري.

والمقاربة أفضل من غيرها، فمن سلكها فليبشر بالوصول . . .»[١].

وجاء في حديث آخر: «**ياَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيْقُونَ، فَإِنّ اللهَ لاَ يَمَلّ حَتّىٰ تمِلّوا** . . .»[٢].

أي ما تطيقون الدوام عليه بلا ضرر ولا مشقّة. وفي الحديث حثّ علىٰ الاقتصاد في العبادة، واجتناب التعمّق[٣].

وهذا القصد والتوسط يجعل الأوامر والنواهي ميسّرة مقبولة لدىٰ النّفس البشريّة، فلا مشقّة ولا نصب فيها، بحيث تملّها النفس، ثم تيأس منها، وفي المقابل لا إفراط في سهولتها بالدّرجة التي تجعل النّفس تتهاون في أمرها، وتهمل القيام بحقها. فأداء العبادات وسط بين الشدّة والتعمّق المقيت وبين الإفراط والتهاون.

وبهذا التوازن الدقيق يتبين خطأ غلو بعض العُبّاد الذين لا يرون في الحياة إلا الجد المُرهِق والعمل المتواصل دون النظر إلىٰ شئون الدنيا من التكسب للمعيشة وترويح النفس بالحلال، بحيث يضيّعون من يعولون، ويُفَوّتون حق أنفسهم، ولربما لا يستمرون علىٰ ذلك؛ لأن النفس جبلت علىٰ طلب الراحة والميول إلىٰ الترويح.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «دخل علي رسول الله ﷺ فقال: **ألم أخبر أنّكَ تَقُوْمُ اللّيلَ وتَصُوْمُ النَّهَار؟** قلتُ: بَلَىٰ. قَالَ: **فَلاَ تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنّ لِعَيْنِكَ حقًّا، وَإِنّ لزَوْرِكَ**

(١) المحجة في سير الدلجة، لابن رجب (ص٥٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (١/ ٥٤٠) برقم (٧٨٢).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٦/ ٧٣).

عَلَيْك حقاً، وَإِنّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنّك عَسَىٰ أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمر، وإنّ من حَسْبَكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلّ شَهْرٍ ثَلاَثَة أَيّام، فَإِنّ بِكُلّ حَسَنَةٍ عَشر أَمْثَالِهَا، فَذلكَ الدّهْر كُلّه، قَالَ: فَشَددت فشُدد علي. فقلت: فَإِني أُطِيْقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: **فَصُمْ مِنْ كُلّ جُمْعَةٍ ثَلاَثَة أَيام**. قال: قُلْتُ: فَإنّي أُطِيْقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ: **فَصُمْ صَوْمَ نَبِيّ اللهِ دَاود**، قُلْتُ: وَمَا صَوْم نَبي اللهِ دَاود؟ قال: **نِصْف الدّهْر**[(١)]».

قال القاسمي: «فاقتضت حكمة الحكيم، وهو الرؤوف بعباده الرحيم، أن يدعونا بوحيه الحق، علىٰ لسان رسول الصدق، . . . أن نجدّ في الصلاح، ولا نبغي في الأرض الفساد، وأن نقوم بالقسط في الأعمال، وأن نعتبر بما سلف من الأجيال . . .[(٢)]».

وعلىٰ ضوء هذا الأساس تتجلىٰ أهمية التربية علىٰ الانضباط الواعي في أداء العبادات والتوازن فيه، بحيث لا يطغىٰ جانب علىٰ آخر، مع النظر إلىٰ متطلبات الحياة من السعي في طلب المعيشة[(٣)]، ومعاشرة الناس ومخالطتهم، والصبر علىٰ أذاهم.

الأساس السابع: ترويح النفس بين العبادات:

غير خاف أن النفس البشرية متعددة الطبائع، متنوعة السلوك، مختلفة السجايا، فهي في بعض الأحايين تحب الجد والحزم، وفي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب حق الضيف، (ص١٣٠٠) برقم (٦١٣٤).

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٩٥).

(٣) للاستزادة انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الكتاب والسنة النبوية، للزنتاني (ص٧٤٢-٧٤٣)، وأصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي (ص٤٩-٥٠).

فترات أخرىٰ تميل إلىٰ الدعة واللطافة، كما أنها في بعض الفترات تراها فرحة جَذِلة، وفي ساعات أخرىٰ تراها غضبىٰ أسِفَة، فهي بين خطين مختلفين، ودائرة بين مزاجين متضادين.

ومن هنا فإن الإسلام جاء ملبيًا لحاجات النفس المتعددة، ومراعيًا لمتطلباتها المختلفة، فشرع ألوان الترفيه والترويح التي من شأنها نفي السآمة وطرد الملل عن النفس وفق ضوابط شرعية(١).

فالمؤمن إذا مارس العبادة وأداها قد ينتابه بعض من الجَهد والمشقة، فيحس بالكراهة والمَذَل، ويشعر بالضجر والسآمة، فإذا روّح علىٰ نفسه بالترفيه المباح، رجع إلىٰ فعل الطاعات بنفسٍ نشطة، وصدرٍ رحب، وعَزْمٍ قوي؛ ولذا فلابدّ من مراعاة التّرويح المباح بين كلّ عبادة حتىٰ يكون فاعلًا في النّفس نحو الاستمرارية في العبادات بعيدة عن السآمة والفتور؛ وعن هذا يقول القاسمي: «وأما الاستئناس والإيناس فهو مستحب لأمر الدين . . . ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإن القلوب إذا كربت عميت، والنفس لا تألف الحق في الدوام ما لم تروح، وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة . . .(٢)».

قال الله ﷻ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القَصَص: ٧٧].

---

(١) يراجع للاستزادة حول الترويح وضوابطه الشرعية: كتاب التربية الترويحية في الإسلام أحكامها وضوابطها الشرعية لأحمد أبو سمك، وكتاب الترويح التربوي رؤية إسلامية، لخالد بن فهد العودة.

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٣٤).

أي افعل الخير فيها من أصناف الواجب والمندوب، وتزود من الآخرة، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مما أباح الله فيها من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه[١].

وجاء في الحديث الصحيح: أن حنظلة[٢] جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ **وما ذاك؟** قال: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنا رأيُ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: **وَالذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ إن لَو تَدُوْمُوْنَ عَلَىٰ مَا تَكُوْنُوْنَ عِنْدي وَفِي الذّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائكِةُ عَلَىٰ فُرُشِكُم وَفِي طُرُقِكُم وَلَكِنّ يَا حَنْظَلَة سَاعةً وَسَاعةً -ثلاث مرات-[٣]**».

وفي الحديث: «**ليُصَلّ أَحَدُكُم نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُد[٤]**».

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١١٠٩).

(٢) هو حنظلة بن ربيعة بن أكثر التميمي، كان كاتبا للنبي ﷺ، بعثه الرسول إلىٰ الطاف، وهو ممن تخلف في موقعة الجمل، ثم انتقل إلىٰ قرقيسيا ومات بها. أسد الغابة، لابن الأثير (٢/ ٥٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر، (٤/ ٢١٠٧) برقم (٢٧٥٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، (ص٢٢٦) برقم (١١٥٠) ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك (١/ ٥٤٢) برقم (٧٨٤). واللفظ للبخاري.

فالحديث «فيه الحث علىٰ الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمّق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط[(١)]».

وقد ورد التنبيه علىٰ أهمية الترويح بعد أداء الطاعات علىٰ لسان السلف -رضوان الله عليهم-:

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة[(٢)]».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أريحوا القلوب، فإن القلب إذا كره عمي[(٣)]».

وقال أحد السلف: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق؛ كانوا هم الرجال[(٤)]».

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أن المرء مع ممارسته للترويح المباح فإن عليه أن يستحضر النية الحسنة، ويقصد بذلك الترويح التقوي علىٰ العبادة، واستعادة النشاط، حتىٰ يكون ترفيهه وترويحه لا يخرج عن إطار العبادات؛ فإنه مطلوب أن تكون حياته كلها في عبادة لله تعالىٰ.

ومن هنا، تأتي أهمية التربية الترويحية، ودراسة ضوابطها الشرعية، حتىٰ تلبّي حاجات النّفس البشريّة مع مراعاة الفائدة والنّفع دون إهدار للوقت.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٣٧).
(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٢/ ٢٠٣).
(٣) المصدر السابق، (٢/ ٢٠٤).
(٤) الأدب المفرد، للبخاري (ص٢٦٦)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، (١/ ٧٩٧) برقم (٤٣٥).

الأساس الثامن: ترتيب الأولويات في أداء العبادة:

ومما يدل علىٰ أهمية مراعاة الترتيب وتقديم الأولويات في العبادة أن الرسول ﷺ قد راعىٰ ذلك. ويتجلىٰ هذا الأمر في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلىٰ اليمن: «**إنّكَ سَتَأْتِيْ قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهُدُوا أَنْ لاَ إِلَه إَلا الله، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُوْلُ الله. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِم خمس صلوات في كلّ يَوْمٍ وَلَيْلَة. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقة تؤخذ من أغنيائِهِم فَتُرَد عَلَىٰ فُقَرَائِهم. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعْوَةِ المَظْلَومِ فَإِنّه لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ الله حِجَابٌ**[(١)]».

قال أهل العلم مبينا علة ذلك: «بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب؛ لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة . . .[(٢)]».

ومن هنا، فإن من فقه العبادة -كما يراه القاسمي- «أن يبتدئ العبد المراقب فينظر بيقظته في أدنىٰ وقت: هل لله ﷻ فيه فرض من أمر أو نهي فيبدأ بذلك حتىٰ يفرغ منه؟ فإن لم يجد فإنه لا يخلو من نوادب وفضائل فيبتدئ بالأفضل، فإن لم يمكن عمل في أدنىٰ الفضيلتين فيأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته[(٣)]».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (ص٢٩٨) برقم ١٤٩٦) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠) برقم (٢٩)؛ واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٣٥٩).

(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٩٧).

وبالتأمل في هذا الرأي يتبين أن المؤمن في كل وقت لا يخلو من أحد ثلاثة معان، يكون مراعاة الترتيب علىٰ ما يأتي:

أولها: أن يكون في فرض من الفرائض سواء كان هذا الفرض أمرًا أو نهيًا، فيقدمه علىٰ غيره من المعاني.

والمعنىٰ الثاني: في أمر مندوب، فيختار الأفضل والأكثر ثوابا علىٰ غيره، وهذا يأتي بعد المعنىٰ الأول.

والثالث: في شيء مباح فيه صلاح دينه ودنياه، ويأتي في الأخير بعد أن يؤدي المؤمن الواجبات، وشيئا من المندوبات، وهذا المعنىٰ معين عليهما، وبه استقامة العبد فيهما.

ولهذا صنّف القاسمي أولئك الذين لم يقفوا علىٰ فقه العبادة، وحرصوا علىٰ النوافل ولم يعظموا الفرائض في عداد المغترين بالعبادة، فقال -بعد أن عدد أصناف المغترين بالعبادة-: «وفرقة حرصت علىٰ النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض، ترىٰ أحدهم يفرح بصلاة الضحىٰ وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل، ولا يجد للفريضة لذة، ولا يشتد حرصه علىٰ المبادرة بها في أول الوقت، وينسىٰ قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**ما تقرّبَ المُتَقَرّبُونَ إِلَيّ بِمِثْل أَدَاء مَا افْتَرضت عَلَيهم**[(١)] ...»[(٢)].

ولذلك قال بعض السلف: «من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[(٣)]».

---

(١) أخرج نحوه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع (ص١٣٧٢) برقم (٦٥٠٢).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٩٢).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٥١).

وكذلك من لوازم تقديم الأولويات أن يبدأ المؤمن بالأهم والأكثر نفعا عند مزاحمة العبادات، فيقدمه علىٰ غيره، وعن هذا يقول القاسمي: «اعلم أن الأوراد والأذكار المروية والوظائف الليلية والنهارية إنما تستحب للمتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلًا بحيث لو ترك العبادة لجلس بطالًا، وأما العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوىٰ أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد، فإنه يحتاج إلىٰ المطالعة للكتب وإلىٰ التصنيف والإفادة . . . فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها، . . . وأما العامي والمتعلم فحضوره مجالس العلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد، وكذلك المحترف الذي يحتاج إلىٰ الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة . . .[١]».

وبالنظر إلىٰ ما سبق بيانه تتضح أهمية التربية علىٰ تنظيم الأوقات والحرص عليها، والبدء بالأولويات في الأعمال، وإعطاء كل ذي حق حقه، فلا يغلب جانب نوافل العبادات وينسىٰ جانب المعيشة؛ بل إن طلب أسباب الرزق من العبادات إن أحسن النية، وفي هذا تأكيد علىٰ أهمية الأخذ بالأسباب، وعدم التواكل والاقتصار علىٰ الطاعات دون غيرها من الأسباب المعيشية.

كما أن ترتيب أولويات العبادة يربي في المسلم المتبصر العناية بترتيب الأمور والقضايا بحسب أولوياتها القائمة علىٰ ميزان الأهمية والدرجة.

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي: (ص١٤٤-١٤٥).

الأساس التاسع: تجنب العجب عند فعل الطاعات:

ذم الله ﷻ في كتابه العزيز صفة العجب؛ فقال في معرض الإنكار علىٰ الذين أُعجبوا بكثرة العدد والعدة يوم حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

كما حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من تزكية النفس التي منبعها العجب بفعل الطاعات أو بغيرها؛ فقال سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

والعجب داء عضال قد يعتري بعض المغترين عند القيام بفعل الطاعات، فيأتيه الشيطان فيغريه، ويزين له أعماله، وبالتالي «يستعظمها ويمنّ علىٰ الله بفعلها، وينسىٰ نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا أعجب بها عمىٰ عن آفاتها؛ وذلك أن المعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه، ويخرجه العجب إلىٰ أن يثني علىٰ نفسه، ويحمدها ويزكيها[(١)]».

كذلك فإن من آفات العجب أنه يدعو إلىٰ نسيان الذنوب وإهمالها؛ فبعض المعجبين لا يذكر ذنوبه ولا يتفقدها؛ لظنه أنه مستغن عن ذلك، وما يتذكره منها يستصغره، فلا يجتهد في إزالته، بل يظن أنه قد غفر له[(٢)].

(١) موعظة المؤمنين للقاسمي (ص٣٧٨).
(٢) المصدر السابق (ص٣٧٨).

وبهذا يتبين أن الصّلَف مهلك للإنسان، والعجب محبط للأعمال والطاعات، وسبب في حجب المرء عن الرجوع إلىٰ الله ﷻ والإنابة إليه.

جاء في الحديث الشريف: «**ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِه**[(١)]».

وقد كان السلف -رحمهم الله- يحذّرون الأمة من أن يصابوا بشيء من العجب في الأعمال؛ فيحبطوها بذلك. قال ابن مسعود رضي الله عنه «الهلاك في اثنتين: القنوط، والعجب[(٢)]».

قال القاسمي معلقا علىٰ هذا الأثر: «وإنما جمع بينهما؛ لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي، والطلب، والجد، والتشمر، والقانط لا يسعىٰ ولا يطلب، والمعجب قد يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعىٰ . . .[(٣)]».

وقال أحد السلف: «لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا[(٤)]».

(١) أخرجه البزار -كما في كشف الأستار عن زوائد البزار علىٰ الكتب الستة، للهيثمي-، باب في المنجيات والمهلكات (١/ ٦٠) برقم (٨١) والبيهقي في شعب الإيمان، باب الخوف من الله تعالىٰ (١/ ٤٧١) برقم ٧٤٥). والحديث بمجموع طرقه حسن.
انظر: الترغيب والترهيب، للمنذري: (١/ ٣٦٢)، والسلسلة الصحيحة للألباني (٤/ ٤١٦) برقم (١٨٠٢).

(٢) موعظة المؤمنين للقاسمي (ص٣٧٨).

(٣) المصدر السابق (ص٣٧٨).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٩٠).

ومما تقدم يظهر بجلاء أهمية التنشئة على محاسبة النفس، ومراقبة الله عند أداء الطاعات، وإخلاص النية لله سبحانه عند فعلها، وإشعار المرء بأن ابتداء الأعمال كلها نعمة من الله ﷻ، وأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله؛ كما ورد في الحديث: «**لن يدخل الجنة أحدًا عمله**[١]» كل ذلك حتىٰ لا يعجب بأعماله، ولا يغتر بأفعاله.

❋ ❋ ❋

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث

الآثار التربوية للعبادة

لاشك أن العبادة بمفهومها الشامل والواسع تستوعب الكيان الإنساني بأجمعه، وتهدف إلىٰ بناء شخصية متكاملة: خلقيًّا، واجتماعيًا، نفسيًا، وفكريًا، وعمليًا.

فالعبادات بحكم استمراريتها وشمولها لجميع مناشط الإنسان وضروبها، وجوانب حياته كلها لها الأثر البيّن في تربية الفرد، وتهذيب سلوكه، وتكوين شخصيته، وبناء عواطفه ومشاعره وإرادته نحو الخير والصلاح.

والتربية التعبدية جزء أساس في تنمية جوانب شخصية المسلم، فهي من أهم وسائل إصلاح الفرد، وتوجيهه توجيهًا أخلاقيًّا حسنًا، وغرس الوازع الديني الذي يبعده عن سلوك مساوئ الأخلاق وركوب الفواحش والمنكرات، إضافة إلىٰ إشاعتها في النفس الطمأنينة والسعادة والأنس.

ولهذا بيّن القرآن الكريم في مواضع عدة أثر العبادات علىٰ الفرد:

قال تعالىٰ مبينًا أثر الصلاة في إبعاد المسلم عن رذائل الأخلاق: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وفي الزكاة وضّح أهم الغاية منها، وهي تطهير المسلم وتزكيته فقال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وبيّن القرآن الكريم أن من أهداف الحج السمو بأخلاق المسلم عن المساوئ والرذائل، فقال: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٧٩].

كما وضّح أن الذكر يشيع الطمأنينة في قلب المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وتأتي العبادات أيضًا في مقدمة الوسائل والأساليب التي تعين علىٰ تحقيق مجتمع متقدم مزدهر متطور؛ فهي تُعد الفرد بحيث يكون قادرا علىٰ حمل مسؤولية التغير والتطور الاجتماعي، والتغلب علىٰ المشكلات التي تواجه المجتمع في شتىٰ الميادين: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها، فهي تكسب المسلم الصبر علىٰ المكاره والشدائد، وتحرره من التواكل والتّبعيّة، وبذلك يستطيع المسلم أن يتغلب علىٰ ما يواجهه من عقبات تحول بينه وبين الوصول إلىٰ ما يرجوه من أهداف تحقق له السعادة، ولمجتمعه التقدم والازدهار[١].

وهذا المعنىٰ أكّده القاسمي بقوله: «وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم -علىٰ اختلاف أجناسها ومللها ونحلها- علىٰ أن التقرب إلىٰ رب العالمين، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير ......[٢]».

وفيما يلي بيان لأهم الآثار التربوية للعبادات في نظر القاسمي:

(١) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير محمد جابر (ص٢٢٩).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٤٧٣).

أولًا: الشعور بالسعادة:

لا خفاء أن العبادات هي مصدر السعادة، وصمام الأمان الذي يعيد للإنسان توازنه في هذه الحياة؛ فالمسلم بعباداته دائما مع ربه، وثيق الصلة به، فإذا ما نزلت به المصائب، وادلهمت به الخطوب؛ فإنه يلجأ إليه، ويركن إلىٰ خالقه الذي يزيل عنه همومه ومصائبه، وبذلك يجد الراحة والأنس، وينال مراده وبغيته.

ومن هنا فإن «التقرب إلىٰ رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلىٰ خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، وما استجلبت نعم الله، واستدفعت نقمة الله بمثل طاعته، والتقرب إليه والإحسان إلىٰ خلقه، وقد رتب الله -سبحانه- حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول السرور في الدنيا والآخرة -في كتابه- علىٰ الأعمال . . .[(١)]».

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في هذه الحياة آمنًا مطمئناً، مسرورًا سعيدًا، ولا يمكن له أن يؤدي مصالحه الدنيوية علىٰ أكمل وجه، ولا يستطيع أن يدفع متاعب الحياة ومصائبها إذا لم يكن لديه منهج يبين طرق الوصول إلىٰ ذلك، حتىٰ يسير واثقًا بخطواته إلىٰ حيث يريد، ولا يتحقق له ذلك إلا إذا اتصل بالله ﷻ، واسترشد بهدي الدين، ومارس العبادات وانتفع بحِكَمها، فعند ذلك يشعر بالسعادة والراحة.

قال القاسمي بعد ما بين حال الكفار وحيرتهم وقلقهم في الدنيا: «وأما المسترشد بهدي الدين الإلهي؛ فقد كفىٰ هذا العناء، واستراح من

(١) المصدر السابق (١/ ٤٧٣).

تلك الحيرة، حيث تكفل له من لا ينطق عن الهوىٰ ببيان طريق الوصول إلىٰ السعادة المطلوبة علىٰ أحسن ما يرام، من كل ما فيه كمال النظام، فالدين هو الداعي إلىٰ سبيل الرشد، وطرق السعادة البشرية، ليهتدوا بها إلىٰ المصالح التي تقوم بها حياتهم، ويُقوّم معوج عملهم، وينتظم في هذه الحياة الدنيا شأنهم. ويظهر جوهر كمالهم الذي يهيئهم للترقي في سلم المدنية، والتوصل إلىٰ السعادة الأبدية . . .[(١)]».

والعبادات بأنواعها المختلفة من أعظم الوسائل التي تعين علىٰ تحقيق السعادة والبهجة والسرور في نفس الإنسان.

فالصلاة «صلة العبد بربه، وغذاء قلبه، وراحة روحه، فهي وجبات روحية متكررة تتغذىٰ بها الأرواح، وتحيا بها القلوب[(٢)]»، وهي من «أكبر عون علىٰ مهمات الحياة ومصائبها، يلجأ فيها العبد المكروب، فيجد راحته، ويحس بتأييد الله له، ورحمته به[(٣)]».

قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣].

جاء في تفسير القاسمي: «بيّن تعالىٰ أن أجود ما يستعان به علىٰ تحمل المصائب في سبيل الله: الصبر والصلاة . . .[(٤)]».

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٥].

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص١٣٢).
(٢) الإسلام والتربية الروحية للشباب، لطه جابر العلواني (ص١٧).
(٣) منهج الإسلام في تزكية النفس لأنس كرزون (١/ ٢٢٥).
(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٣٩٨).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: «﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ أي على الوفاء بالعهد. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي التي سرها خشوع القلب للرب، فإنها من أكبر العون على الثبات في الأمر[١]».

فالمصلي يبدأ صلاته بالتكبير، فيشعر بأن الله أكبر من كل شيء، ويقرأ الفاتحة فيجد فيها تغذية للشعور بنعمة الله عندما يتلو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ١] فيفهم أن معناها «أن الشكر لله؛ إذ النعم من الله، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكره لا من حيث أنه مسخر من الله ﷻ ففي تسميته وتحميده نقصان[٢]»، وتغذية للشعور بعظمة الله وعدله عندما يتلو قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: ٣] وطلبا للهدى، وبعدا عن الانحراف حين يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣].

جاء في الحديث: أن الرسول ﷺ قال: «**قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْن، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالى: حمَدِنَي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: أثنىٰ علي عبدي، وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **قَالَ: مَجّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **قال: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا

(١) المصدر السابق (١/ ٢٨٧).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٧٨).
(٣) الأثر التربوي للعبادات، لسهير جابر (ص١٥٧).

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**[١]».

وغير خاف أن هذه المناجاة محطات روحية يتزود منها المسلم؛ ليزكي نفسه، ويقوي إيمانه، ويغذي روحه؛ وبذلك تتحقق السعادة والراحة والأنس.

وأما الزكاة فإنها تنمي شخصية الإنسان، وتبني معنوياته فـ «الإنسان الذي يسدي الخير، ويصنع المعروف، ويسهم في مساعدة المحتاجين، ومعونة المعوزين، وينهض في الدين والإنسانية، ويقوم بحق الله عليه، يشعر بالسعادة النفسية والرضا والطمأنينة والارتياح[٢]».

قال القاسمي رحمه الله: «الوقت الذي تمضيه في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع؛ لأن حب الغير، ومعاونته، والعمل علىٰ نشر العلم وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة[٣]».

فالنفس بطبيعتها البشرية تهتز للكرم، وتفرح بالجود، وتسعد في مساعدة المحتاجين، وتجد الراحة والاطمئنان في مواساة الغير، ومن هنا فإن سعادة المرء بماله تتوقف علىٰ اندماجه في مجتمع يتجاوب معه بالبذل والعطاء، ويتبادل معه البهجة والسرور عندما يتفاعل في إيصال الخير لأفراده، ويحيا معه حياة التعاون[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (١/ ٢٩٦) برقم (٣٩٥).

(٢) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير جابر محمد (ص١٦٠).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٦).

(٤) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير جابر محمد (ص١٦٠).

كذلك فإن في عبادة الذكر أنس وسعادة، وراحة للضمير، وطمأنينة للنفس.

قال أحد العلماء: «وللذكر ثمرات ونتائج يجدها من واظب عليه بوصف الأدب والحضور، أقلها أن يجد في نفسه من الحلاوة واللذة ما يستحقر في جنبه كل ما يعرفه من اللذات الدنيوية . . .[١]».

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

أي بذكره دون غيره تسكن القلوب أنسًا به، واعتمادًا عليه، ورجاء منه، وقيل: بذكر رحمته ومغفرته، وقيل: بقراءة القرآن؛ لأنه آية بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها[٢].

ومن هنا تأتي أهمية استحضار القلب عند ذكر الله ﷻ حتىٰ تؤتي أكله، وتجلب ثماره: من الأنس بالله والسكينة والطمأنينة؛ لأن الذكر «النافع هو الذكر علىٰ الدوام مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوىٰ . . . .[٣]».

وعلىٰ ضوء ما سبق بيانه يتضح أن للعبادات دورًا كبيرًا في إشاعة الطمأنينة والسرور والأنس في النفوس؛ الأمر الذي يؤكد ضرورة بناء المناهج والدراسات النفسية علىٰ أساس توضيح أثر العبادات علىٰ النفس البشرية، ولاسيما أن أغلب الدراسات النفسية «لم توضح مصدر السعادة

---

(١) الأوراد المأثورة، للقاسمي (ص٥٥).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/٤٤٨).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٣٨).

ولم يربطوا مؤشراتها ومرتكزاتها بعبودية الله ﷻ[١]».

ثانيًا: التربية على مكارم الأخلاق:

لقد اهتم الإسلام بالأخلاق، واعتنىٰ بها، وحث عليها، ودعا إلىٰ تحقيقها، والتحلي بها.

ولقد حظيت الأخلاق في ديننا بالاهتمام الخاص، وذلك من خلال النصوص المتضافرة التي تبين مكانتها ومنزلتها في الإسلام[٢].

فالإسلام يسخر كل الوسائل والأساليب التي تعين علىٰ تحقيق هذا الهدف النبيل.

وتأتي العبادات التي افترضها الإسلام في مقدمة هذه الوسائل والأساليب التي تعين علىٰ تحقيق هذه الغاية السامية.

فالعبادات لها صلة وثيقة بالأخلاق، بل هي عند المؤمن نوع من الأخلاق؛ لأنها باب الوفاء لله، والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل، والصدق علىٰ الإيمان[٣].

ولقد بيّن المنهج الإسلامي أن من أهداف العبادة تحقيق السمو بأخلاق المسلم، وإبعاده عن الرذائل، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) الطريق إلىٰ الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس، عبدالعزيز بن عبدالله الأحمد (ص٩٤).

(٢) وسيأتي الحديث عن أهمية الأخلاق في فصل «التربية الخلقية تحت المبحث الأول بعنوان أهمية الأخلاق».

(٣) الفساد الخلقي في المجتمع، لناصر التركي (ص٨).

وقال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] (١).

فالمسلم في عباداته مرتبط بخلق الصبر، فهو يحتاجه في أول عباداته وفي أثناء العبادة وفي نهايتها.

ففي أول العمل عليه أن يصبر علىٰ تصحيح النية، وعزم العقود والوفاء بها حتىٰ تصح الأعمال، وفي أثناء العمل حتىٰ تتم ويقبل، وفي نهاية العمل حتىٰ يكتمها ويترك التظاهر بها؛ ليخلص من الرياء والسمعة(٢).

وكل ذلك ينمّي في نفسه صفة الصبر، والتعود عليه، والتخلق به.

والصلاة تمنح الإنسان التواضع والخشوع، فالمصلي إذا ركع وسجد تذكر عظمة الله وكبرياءه -سبحانه-، فيشعر بضعفه، واحتياجه لربه، وهذا يورثه التواضع وعدم الكبر.

كما أن اعتداله بالقيام في صلاته، والوقوف علىٰ هيئة الخاشع تنبيها علىٰ إلزام القلب للتواضع والتذلل والتبرؤ من الترؤس والتكبر(٣).

كما تغرس الصلاة في نفس المسلم صفة الشكر وعاطفة الرحمة، فهو كلما ردد في صلاته: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] فهم أن مقتضىٰ الآية أن يشكر الله علىٰ نعمه، وأن لا يصرفها لغيره، وإذا قرأ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢] اتضح له سعة رحمة الله

(١) المرجع السابق (ص٨).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٢٩).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٧٦).

لعباده، فنمّىٰ شعوره بعاطفة الرحمة والعطف علىٰ الضعفاء والمحتاجين(١).

وأيضًا تمنح الصلاة الإنسان الصبر والثبات والجلد؛ وذلك ليقينه بالله تعالىٰ، وتوكله عليه، فلا يجزع أو يهلع، عندما تحل به مصاعب الحياة ومتاعبها(٢).

ولهذا «نعت الله عباده المصلين الذين استثناهم من الجزع والهلع؛ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢٢](٣)».

وأما الزكاة فهي وسيلة لتعويد المؤمن علىٰ الكرم والبذل والتضحية ومساعدة المحتاجين، وتطهيره من البخل والشح والطمع؛ وهذا المعنىٰ أكده القاسمي بقوله: «وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس علىٰ مفارقته حتىٰ يصير اعتيادًا، والزكاة بهذا المعنىٰ طهرة أي تطهر صاحبها من البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله، وبقدر فرحه بإخراجه، واستبشاره . . .(٤)».

كما أن الزكاة تربي في نفس المؤمن الاعتراف بالجميل، وتذكر النعمة، وأنه مطالب بشكر هذه النعمة التي أنعم الله عليه.

قال القاسمي -بعد أن عدد سر كون الزكاة من مباني الإسلام-: «المعنىٰ الثالث: شكر النعمة، فإن لله علىٰ عبده نعمة في نفسه وماله،

---

(١) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير محمد جابر (ص١٨٩).
(٢) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص٣٨٦).
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٠٧).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٩٤).

فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، المالية شكر لنعمة المال . . .[١]».

والصوم يقوي عزيمة المؤمن علىٰ التحمل والصبر، والثبات عند الشدائد والصعاب، ففيه: «حبس النفس عن الهوىٰ وإيقافها وحبسها علىٰ أمر المولىٰ . . . ومنع النفس عن ملاذها وشهواتها من الطعام والشراب . . .[٢]».

«وفي الحج أيضا تنشئة علىٰ الفضائل الخلقية؛ لأنه يتطلب من المسلم أن يكف عن السلوك السيء أثناء حجه إن كان في سلوكه اعوجاج[٣]»؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعاني المثبتة أمر الله تعالىٰ بتنزيه شعائره ومناسكه منها؛ لأنها مشتملة علىٰ الآثام، وهن أصول الخطايا والإجرام[٤]».

وجاء في الحديث الشريف: «**مَنْ حَجّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمّهُ**[٥]».

وبهذا التوجيه من الكتاب والسنة يربي في نفس الحاج حب

(١) المصدر السابق (ص٩٤).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٨٣).
(٣) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٢٦).
(٤) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٣١).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (ص٣٠٣) برقم: (١٥٢١) ومسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) واللفظ للبخاري.

الفضائل والتعود عليها، والابتعاد عن مساوئ الأخلاق، كما أنه يعوده علىٰ ترك المعاصي.

ومن هنا فإن من علامة قبول الحج: أن يترك العبد المعاصي، ويبدلها بالحسنات(١).

وهكذا يتضح أن العبادات في مقدمة الوسائل الفعالة لتوجيه النفس البشرية توجيهًا خلقيًا بناءً، وتنشئتها علىٰ الفضائل والمكارم، وتهذيبها من السلوك الفاسد.

ثالثًا: الوقاية من المنكرات:

عندما يمارس الفرد المسلم العبادات، ويتعايش معها، ويستشعر عظمة المعبود ولذّة الطاعة؛ فإنّ ذلك يورث لديه الوازع الديني الذي يمنعه من اقتراف المحرمات، والانزلاق في مهاوي الرذيلة، وركوب الفواحش والمناهي.

كما أن ممارسة العبادات «يؤدي إلىٰ تكوين عادات سلوكية قويمة، وانضباط خلقي عظيم في حياة الفرد والجماعة . . .(٢)».

فالمواظبة علىٰ الصلوات المفروضة، وإقامتها علىٰ هيئتها المطلوبة من: خشوع، واستكانة، وحضورٍ للقلب، وتفهّمٍ لمعاني الأذكار الواردة في الصلاة، والإقبال علىٰ الله، كل ذلك يعين المصلي ويحمله علىٰ ترك الفواحش والمنكرات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٢٦).

(٢) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، للنحلاوي (ص٤٩).

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «واعلموا أن قوام الصلاة الخشوع، وروحها المراقبة والخضوع، وعمادها تدبر الذكر والتلاوة. واعلموا أن المصلي هو من تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر . . .[(١)]».

وقال في موضع آخر: «وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي أثناء الصلاة تمنعه عن الفحشاء والمنكر . . .[(٢)]».

ولذلك كان من «علامة قبول الصلوات أن تنهاه في تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر . . .[(٣)]».

فالذي يصلي بخشوع «إذا تلا وقف همه مع المتكلم ماذا أراد، واشتغل قلبه بالفهم عنه والانبساط منه. فإن ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم، ولا يكون قلبه أعظم من الله -تعالىٰ- وحده . . . وإن سجد سما قلبه في العلو فقرب من الأعلىٰ . . . وإن دعا نظر إلىٰ المدعو وكان هو المرجو . . . وإن استغفر فكر في أوصاف التوبة وأحكام التائب وتفكر ما سلف من الذنوب، فعمل في تصفية الاستغفار، وإخلاص الإنابة والاعتذار، وجدد عقد الاستقامة، فيكون له بهذا الاستغفار من الله تحية وكرامة . . .[(٤)]».

وبهذا الخشوع والتدبر والتفكر تكون صلاته وقاية له من الانحدار في هاوية الرذائل[(٥)].

---

(١) مجموع خطب، للقاسمي (ص٢٤).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٧٣).
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٠٨).
(٤) المصدر السابق (ص٢٠٦).
(٥) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٢٩).

وأما الصوم فهو وسيلة لتربية النفس علىٰ الطاعات وتهذيبها علىٰ ترك المنكرات؛ لأنه يبعث علىٰ تقوىٰ الله وخشيته، وهذا يقضي علىٰ ما تحمله النفوس من الشرور والآثام.

فحقيقة الصوم ليست في الإمساك عن الطعام والشراب فحسب وإنما الصوم -بالإضافة إلىٰ ذلك- أن يكف الإنسان جوارحه عن الحرام، فيغض البصر، ويكف عن الاتساع في النظر إلىٰ كل ما يذم ويكره، وإلىٰ كل ما يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله، ويمسك لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والمراء، ويكف أذنه عن سماع المحرمات ويمسك يده عن إيذاء الناس، ويكف رجله عن ركوب المناهي[(١)]، وبذلك يكون صومه وقاية للنفس عن الشهوات، وحصنا منيعا في صد المنكرات.

وإذا كان الصوم عصمة ووقاية لصاحبه من الشرور والآثام فإنه من طرف آخر كاسر للشهوات، فالصائم عندما تكون بطنه خالية من الطعام والشراب فإنه تنكسر شهوته، وتنخفت غزيرته الجنسية؛ ولذا أرشد النبي ﷺ الشباب الذين لا يستطيعون الزواج إلىٰ أن يصوموا حتىٰ يكون لهم علاجا ناجعا لكسر شهوتهم؛ قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضُّ لَلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنّ لَهُ وِجَاء**[(٢)]».

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٠٩) والوعظ المطلوب له أيضا (ص٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم (ص١٠٠٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤون بالصوم (١٠١٨/٢) برقم (١٤٠٠) واللفظ للبخاري.

ومن هنا فإن علىٰ الصائم «أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار . . . وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره . . . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوىٰ لتقوىٰ النفس علىٰ التقوىٰ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلىٰ العشاء حتىٰ هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها، وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت علىٰ عادتها، فروح الصوم وسره تضعيف القوىٰ التي هي وسائل الشيطان في العود إلىٰ الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالقليل . . .[١]».

وبهذا يؤتي الصوم ثماره ويؤدي نتائجه ويخرج بصاحبه وقد ازداد عزيمة وامتلأ ثقة واكتسب قوة تدفعه إلىٰ الإيمان الصحيح الذي يحصنه من الشهوات، فإذا ما حدثته نفسه بمعصية خالفها، وإذا مالت نزعاته إلىٰ إثم قاومها وحاربها، وكأنه فرغ نفسه، وهيأها للاندماج والاستسلام لأمر الله، ولذلك كان الصوم من أركان هذا الدين، وطريقا من طرق الوصول إلىٰ حقيقة التقوىٰ التي هي التعبير العملي عن أخذ المسلم نفسه بالإسلام[٢]؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

وأما الزكاة فهي «تطهر الإنسان من أدواء خلقية كثيرة، كالبخل والشح والأثرة وتقيه حب المادة[٣]»؛ وإلىٰ هذا أشار القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٠٩-١١٠).
(٢) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير محمد جابر (ص٢٠٩).
(٣) تربية الرسول ﷺ لأصحابه، للصديق عمر أحمد فضل الله (ص١٦١).

أن عدّد سر كون الزكاة من مباني الإسلام: «المعنىٰ الثاني: التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس علىٰ مفارقته حتىٰ يصير اعتيادًا، والزكاة بهذا المعنىٰ طهرة، أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك . . .[1]».

كما أن الزكاة تعمل علىٰ محاربة الفساد الخلقي في المجتمع، فـ «المجتمعات لا تخلو من فقير ومسكين، وعن عاجز ومريض، لا يستطيعون الكدح والكسب، ولا يجدون ما يقيم أودهم، فإذا لم يجدوا في المجتمع أيد تمتد نحوهم لتسد فاقتهم قد ينحرفون[2]».

فبأداء الزكاة تُسد حاجاتهم، وترفع أحقاد أهل الفاقة علىٰ من فضلوا عليهم في الرزق، وبذلك تستقر الطمأنينة في نفوسهم، وتنغلق أبواب الفساد في المجتمع[3].

جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدّقَنّ اللّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدّثُونَ: تُصُدّق اللّيْلَة عَلَىٰ زَانِيَة. قَالَ: اللّهُمّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ زَانيةٍ. لأَتَصَدّقَنّ بِصَدَقَة. فَخَرَجَ بِصَدَقتِه فَوَضَعَهَا في يَدِ غَنِيّ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدّثُونَ: تُصدّق عَلَىٰ غَنِيّ. قَالَ: اللّهُمّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ غَنِيّ. لَأَتصدَقَنّ بِصَدَقَة. فَخَرَجَ بِصَدَقَةٍ فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ. فَأَصْبَحُوْا يَتَحَدّثُونَ: تُصُدّق**

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٩٤).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٣١).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١١٢).

عَلَىٰ سَارِقٍ. وَقَالَ: اللّهُمّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ زَانِيةً وَعَلَىٰ غَنِيّ وَعَلَىٰ سَارِقٍ فَأتي فَقِيْلَ لِهُ: أَمّا صَدَقَتك فَقَدْ قُبِلَت. أَمّا الزّانيَة فَلَعَلّهَا تَسْتَعفِف بِهَا عَنْ زِنَاهاَ، وَلَعَلّ الغَنِيّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مماّ أَعْطَاهُ الله، وَلَعَلّ السَّارِقُ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ[١]».

ففي القصة إشارة إلىٰ أن الصدقات والزكوات من أهم الأسباب التي تمحو جريمة السرقة والزنا؛ لأن السارق والزانية لم يرتكبا هذه الجريمة -مع ضعف الإيمان- إلا للحاجة والفقر، فإذا ما تصدق عليهما فإنه تقضىٰ -بإذن الله- علىٰ هذه الجريمة، وعلىٰ غيرها من الجرائم.

وكذلك فإن إقامة شعائر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوسائل الناجعة في الصد عن المنكرات، وسبل الغواية والمضلات، وهذا ما أكده القاسمي بقوله: «من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الإنسان كافة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين نوهت الشرائع بعلو شأنهما وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الأمة وتشييد دعائم هيئتهما الاجتماعية ...[٢]».

وبهذا يتبين أن للعبادات دور كبير في وقاية المسلم من المناهي، وحمايته عن الفحشاء والمنكرات.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق فإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها (١/٧٠٩) برقم (١٠٢٢).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٤).

رابعًا: التنشئة على التعاون والترابط:

تحرص التربية الإسلامية علىٰ غرس الشعور في نفوس المؤمنين بالأخوة الإسلامية؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

وكذلك تدعوهم إلىٰ أن يكونوا مترابطين ومتكاملين ومتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المَائِدَة: ٢].

وقال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحمُهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمّىٰ**(١)».

ولقد حرص الإسلام منذ بزوغ فجره علىٰ بناء المجتمع الإسلامي بناءً شامخًا مبنيًا علىٰ التعاون والتلاحم والترابط؛ فوضع آدابًا اجتماعية راقية(٢) تعين علىٰ ذلك بين أفراد المجتمع، الأمر الذي يكفل له الصمود والثبات، وينمي فيه معنىٰ الأخوة الصادقة.

وتأتي العبادات في أولويات المبادئ الأساسية والقواعد الرصينة التي تعين المسلمين علىٰ تحقيق التلاحم والتآلف فيما بينهم.

فـ «العبادات تربي المسلم علىٰ الارتباط بالجماعة المسلمة، حيثما كان ارتباطًا واعيًا منظّمًا مبنياً علىٰ عاطفة صادقة وثقة بالنفس عظيمة . . . إن الأعمال التعبدية التي يأتيها المسلم مع الجماعة المسلمة تكسبه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر بالتفصيل هذه الآداب: جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٤٩-٧٦).

الشعور بقوة الجماعة وعواطفها المشتركة إلىٰ جانب لذة المناجاة الفردية والشعور بقوة الذات المسلمة . . .[١]».

فأداء الصلاة في المسجد مع الجماعة تربي في نفس المؤمن معنىٰ الترابط والتراحم، ويتجلىٰ ذلك من خلال ما يقف المسلم بين إخوانه -الذين من بينهم الفقراء والضعفاء والأغنياء والعظماء- في صفوف منتظمة مستقيمة لا عوج فيها ولا فرجة.

ولا شك أن هذا التلاحم الحسي يتحول إلىٰ تلاحم معنوي؛ يظهر أثره في العلاقات بين المصلين حتىٰ تذوب بينهم الفرقة والشقاق ليحل محلها التآلف والوفاق[٢].

كما أن من خلال الصلاة في المسجد تنمو شخصية المسلم العلمية والاجتماعية، فالمصلي إذا رأىٰ من غيره إساءة في صلاته غيّره وأبان الصواب فيه ونصحه، وإن صدر من جاهل رفق به وعلمه[٣].

كذلك فإن أداء صلاة الجماعة يتيح للمسلم «فرصة التعرف علىٰ جيرانه وبمن يسكن في الحي أو القرية أو المدينة التي يعيش فيها، وهذا يساعد علىٰ تفاعله مع مجتمعه الإسلامي علىٰ تكوين علاقات اجتماعية سليمة وعلاقة صداقة ومودة فيما بينهم[٤]».

وعلىٰ ضوء هذا الإرشاد والتعارف تتكون العلاقات المتينة، ويتعمق الإحساس بالإخاء والمساواة.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، لعبد الرحمن النحلاوي (ص٥٢).
(٢) من المبادئ التربوية في الإسلام لمحمد المرصفي (ص١٢٢).
(٣) موعظة المؤمنين للقاسمي (ص٨٨).
(٤) التوجيه الإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية، لمسفر الزهراني (ص٣٥٤).

أما عن دور الزكاة في بث روح الترابط والتعاون فهو أكثر وضوحًا وأشد بيانًا منه في سواها.

فعبادة الزكاة تسهم في بناء معنىٰ الترابط بين الأفراد بعضهم ببعض؛ فقراء وأغنياء، بحيث تقلل من أحقاد أهل الفاقة علىٰ الأغنياء، وتشعر قلوب الأغنياء محبة الفقراء، وتساق الرحمة من أولئك علىٰ هؤلاء[(١)].

«فالذي يدفع الزكاة في أمس الحاجة إلىٰ مسلم مستحق للزكاة. كما أن إعطاء الزكاة لمستحقيها تولد الألفة والمحبة، وتعلم الإنسان التعاون، وتعلمه كيف يبحث عن أحوال إخوانه المستحقين لها، وكيف يتلمس ويتفقد حاجاتهم . . .[(٢)]».

كذلك الصوم فإنه من أهم العوامل التي تعمل علىٰ تنمية روح التعاون والترابط داخل الإنسان. فالصوم حبس النفس عن الملذات والشهوات؛ وبالتالي «يذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين . . .[(٣)]» مما يدفع المسلم إلىٰ البر والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين بما يقوي روح التكافل الاجتماعي بين المجتمع المسلم؛ أغنيائهم وفقرائهم[(٤)].

وهذا التذكير العملي يولّد في نفس المؤمن عاطفة الشفقة والرحمة، فيدفعه إلىٰ أن يحسن إلىٰ الضعفاء، ويمد يد العون لهم.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١١٢).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٢٢).
(٣) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٤٥٥).
(٤) التوجيه الإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية، لمسفر الزهراني (ص٣٥٩).

كما أن الآداب الاجتماعية من: حقوق المسلم علىٰ أخيه، وبر الوالدين، وحسن الجوار، وحقوق الزوجين، وحق الضيف[١] وغير ذلك . . . تعين علىٰ تحقيق التعاون والترابط ووحدة المجتمع المسلم، إذا التزم أفراد المجتمع بها وطبقوها في حياتهم.

وبهذا يتجلىٰ أن للعبادات أثرًا بالغًا في تحقيق أواصر التعاون والترابط بين المسلمين.

وبالجملة فإن للعبادات آثارًا تربوية عظيمة في تزكية النفوس وتطهيرها، وتربيتها علىٰ الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، كما أن فيها جمعًا لكلمة المسلمين ووحدتهم، وتصفية قلوبهم من المنكرات والمضلات. ولا يمكن أن يتحقّق ذلك في معزل عن أداء العبادات بشروطها المعتبرة شرعًا.

وعليه يتبين خطأ الذين يظنّون أن الغاية من تدريس العبادات هو إيصال الأحكام الفقهيّة للناس فحسب دون مراعاة لغاياتها الخلقية والاجتماعية ذات الصلة بواقع حياة الناس السلوكيّة والاجتماعيّة.

والحق أن الغاية من دروس العبادات يجب -مع إيصال الأحكام الفقهية- أن تكون تربوية تهذب الأخلاق وتقوّم السلوك وتبني شخصيّة المسلم بما يحقّق مقاصد الشريعة الإسلامية[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر هذه الحقوق: موعظة المؤمنين (ص٢٠١-٢١٦) والوعظ المطلوب (ص٢٧٧-٣٠٤).

(٢) أساليب تدريس التربية الإسلامية، لتيسير طه وآخرون (ص١٥٨).

الفصل الخامس

التربية الفكرية عند القاسمي

تمهيد

وهب الله ﷻ الإنسان العقل الذي من خلاله يمكن أن يفكّر ويقدّر، ويميّز بين الحق والباطل، ويفرّق بين النافع والضار.

وبهذه النعمة العظيمة فرض ﷻ الإنسان بأن يتحمّل المسؤوليات والواجبات المنوطة به.

ولقد دعا الله ﷻ عباده إلىٰ التفكر في مخلوقاته العظيمة، وملاحظة ما في صفحة الكون من عجائب صنعه وبديع خلقه؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وأثنىٰ الله علىٰ عباده المتفكرين فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ولكي تتم عملية التفكير علىٰ الوجه الصحيح وضع الإسلام الضوابط والمحددات الشرعية الموجهة لعملية التفكير؛ حتىٰ يخرج نتاجها

سليمًا بعيدًا عن الإرهاق العقلي والترف الفكري، كذلك بيّن الوسائل التربوية التي تعين علىٰ بناء الفكر، وإثراء المعرفة العقلية.

ولاستجلاء ما سبق بيانه عن الجانب الفكري؛ فإنه سيتم التحدث بالتفصيل حول آراء القاسمي عن: مفهوم الفكر وأهميته، والضوابط الفكرية، مع التعرض لأهم الوسائل المعينة علىٰ بناء الفكر وتنميته؛ وذلك من خلال المباحث الآتية:

- مفهوم الفكر وأهميته.
- ضوابط التربية الفكرية.
- وسائل التربية الفكرية.

وفي المباحث الآتية توضيح وإبراز لآراء القاسمي حول التربية الفكرية:

المبحث الأول

مفهوم الفكر وأهميته

المطلب الأول

مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح

أولًا: الفكر في اللغة:

من معطيات مادة الفكر في اللغة: «التأمل، والنظر، والتدبر».

ففي الصحاح: «التفكر: التأمل، والاسم: الفكر[(١)]».

وجاء في لسان العرب: «النظر: الفكر في الشيء[(٢)]».

وفي موضع آخر جاء: «التدبير في الأمر: أن تنظر إلىٰ ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر التفكر فيه[(٣)]».

ويعني هذا أن مادة الفكر في اللغة تعطي معنىٰ التأمل، والنظر فيما تؤول إليه عاقبة الشيء، والتدبر في الأمور، والخروج من خلاله بالنتائج والاستنباطات.

---

(١) للجوهري (٢/ ٧٨٣).
(٢) لابن منظور (٤/ ٢٨٣).
(٣) المرجع السابق (١٤/ ١٩٣).

ثانيًا: الفكر في الاصطلاح:

وأما عن مفهوم الفكر من حيث الاصطلاح؛ فقد تعددت أقوال العلماء فيه، وقصاراها:

أن الفكر هو إعمال الذهن في المعلوم للوصول إلىٰ المطلوب[١].

والقاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ يرىٰ أن الفكر هو «الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلىٰ ما ليس بمشاهد[٢]» حيث «يثمر العلم . . . ، وإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح[٣]».

وبالنظر إلىٰ رأي القاسمي يتضح أن الفكر يتطلب من الإنسان أن يُعمل ذهنه، ويركزه فيما يراه في صفحة الكون بما فيه من عجائب الخلق وغرائبه؛ وما يتدبر في آيات الله العظيمة حتىٰ يتكون لديه مدركات وخبرات ومعارف جديدة، تثمر صلاح القلب الذي بصلاحه تصلح الأعمال، ويهديه إلىٰ تنمية الفكر الإنساني.

---

(١) مجمل اللغة، لابن فارس (٤/ ٤٤٦)، والتعريفات، للجرجاني (ص٦٦) والمصباح المنير، للفيومي (ص٤٧٩) ومعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ وآخرون (ص٦٩٨).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٤٢١).

(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٦).

المطلب الثاني
أهمية التفكر

غير خاف أن تربية الإنسان علىٰ التفكر في مخلوقات الله، والتدبر في آلائه، ولفت نظره إلىٰ صفحة الكون وما فيها من عجائب الخلق وبديع الصنع من الأساليب التربوية المهمة؛ وباب عظيم من أبواب التعليم والتربية؛ لأن التربية علىٰ التفكر مبنية علىٰ مخاطبة العقول، ومشافهة العواطف والمشاعر، واستمالة القلوب.

والمتتبع لآيات الذكر الحكيم في القرآن الكريم يجد أن الآيات الكونية الداعية إلىٰ التأمل قد نالت حظاً وافرًا، وحظيت بالاهتمام الكبير.

فالقرآن الكريم هو الأصل وهو المصدر لهذا الاتجاه التربوي، وكثير من أساليبه التربوية يقوم علىٰ هذا الأساس، فالله ﷻ يدعونا إلىٰ التفكر في آياته ودلائل قدرته، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يُونس: ١٠١]، ويخاطب الله نبيه في لون آخر من الحوار التعريضي، فيعرض بالمشركين، كأنه يتحدىٰ عقولهم، ويدعوهم إلىٰ إعمال حواسهم والتفكير فيما حولهم من آيات الله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغَاشِيَة: ١٧-٢٠] ثم يدعو نبيه إلىٰ تذكيرهم بهذه الآيات والدلائل ليصلوا بأنفسهم إلىٰ النتائج دون أن يلقنهم إياها أو يفرض عليهم شيئا معينا

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]، وفي القرآن الكريم غير هذا كثير من الأساليب التربوية[١].

فالتفكر في آيات الله الباهرة من أعظم الدواعي وأقوىٰ الأسباب في تنمية الإيمان وتقويته.

فالمؤمن حينما ينظر إلىٰ آيات الله ومخلوقاته المتعددة؛ بدءًا من المخلوقات الصغيرة كالحبات وأوراق الأشجار ومكونات المياه الدقيقة . . . إلىٰ السماوات العلا وما فيها من الكواكب من شمسٍ وقمرٍ ونجوم، والأرض وما فيها من الأشجار، والجبال، والأنهار، والحيوانات وغيرها، والبحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض، وما فيها من عجائب خلقه، وبديع صنعه، وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصىٰ . . .؛ كل ذلك آيات «ترقق قلب الإنسان، وتربي عواطفه وانفعالاته علىٰ الخشوع لله، والشعور بفضله وعنايته ورحمته وحلمه، وتدفع الإنسان إلىٰ حمد الله وشكره وتسبيحه وتوحيده[٢]».

كما أن التفكر يعين المسلم علىٰ فعل الطاعات واجتناب المنكرات؛ فهو إذا تفكر في شواهد القرآن والسنة المتضمنة لألوان نعيم أهل الجنة وما أعد لهم من الملذات؛ فإن ذلك يدفعه إلىٰ أن يجتهد في فعل الطاعات، ويتسابق إلىٰ الخيرات.

وفي الجانب الآخر فالذي يتأمل في أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية مما أعد الله للظالمين من العذاب الأليم؛ فإن ذلك يرهبه من

---

(١) التربية بالآيات، النحلاوي (ص٢٦).

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوي: (ص٤٢-٤٣).

ركوب المعاصي واقتراف المنكرات، وينمي لديه الوازع الديني الذي يمنعه من سلوك مساوئ العادات.

وفيما يلي بيان لبعض الجوانب التي تدل علىٰ أهمية التفكر، علىٰ ضوء ما سطره القاسمي في مؤلفاته، مع دعم ذلك بالأدلة وأقوال أهل العلم، والكتب التربوية المعاصرة:-

أولًا: كثرة الآيات القرآنية الداعية إلى التفكر:

قد امتن الله علىٰ عباده المؤمنين بإنزال كتابه الكريم «الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتىٰ اتسع علىٰ أهل الافتكار، طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام ...[(١)]».

والمتتبع للآيات يجد من العرض المسهب لدقائق المخلوقات وعجائبها؛ بدءا من صغيرها، وانتهاء بأعظمها؛ مما يؤكد عمق المادة التربوية والعلمية، وسعة المنهج والأسلوب التربوي فيها.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي ﷺ بقوله: «اعلموا أنه ... كثر الحث في كتاب الله تعالىٰ علىٰ التدبر والاعتبار، والنظر والافتكار، ولا يخفىٰ أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار[(٢)]».

ولقد سلك القرآن الكريم جميع الأساليب والمسالك العقلية لحمل الإنسان علىٰ التفكر في مخلوقات الله، ولفت نظره إلىٰ الكون المحيط بأفلاكه، وكواكبه، وليله ونهاره، وسهوله وجباله، وبحاره وأنهاره، ونباته

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٢٧).
(٢) مجموعة خطب، للقاسمي (ص٦٢).

وأشجاره . . . ؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرَّعد: ٢-٤].

كذلك لفت النظر إلىٰ النفس الإنسانية بعواطفها ومشاعرها وطاقاتها وقدراتها وإمكاناتها[(١)]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

جاء في تفسير القاسمي: «أي في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلىٰ حال، واختلاف ألسنتها وألوانها، وما جبلت عليه من القوىٰ والإرادات، وما بينها من التفاوت في العقول والأفهام، وما في تراكيب أعضائها من الحِكم في وضع كل عضو منها، في المحل المفتقر إليه، إلىٰ غير ذلك مما لا يحصيه قلم كاتب، ولا لسان بليغ[(٢)]».

ومن هنا، فإنه لجدير بالمؤسسات التعليمية أن تولي الاهتمام بهذا المنهج العظيم، من: دراسة، وتعليم، وتحليل، وأن تنشئ الأجيال علىٰ الاستفادة والاعتبار بالآيات الكونية التي تدفعهم إلىٰ تعظيم الخالق ﷻ، ومن ثم تقوية إيمانهم به ﷻ.

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفىٰ مسلم (ص١٧١).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي: (٦/ ٣٤٤).

كما علىٰ العلماء الربانيين أن يخوضوا المضمار في تأصيل العلوم الكونية والتجريبية علىٰ أساس من الشرع، وإثراء المكتبة الإسلامية بأبحاث الكونيات ذات الطابع الإسلامي، ولا سيما أن «كثيرا من النظريات لا تزال في حيز التردد، وكثيرا من المسائل معتاصة لم يهتد بعد إلىٰ حقيقتها علىٰ المبادئ العلمية[١]» المستقاة من أدلة الوحي، و«لا زالت بعض المناهج الدراسية التي تلقىٰ علىٰ أروقة جامعات المسلمين تحمل سمات الغرب في المحتوىٰ وفي أسلوب العرض والهدف العام! مع أن الغربيين استمدوها من مدونات الرواد المسلمين الذين كان لإنتاجهم العلمي الوفير أثر محمود في حضارة الغرب ... وتقصير المسلمين في هذا الجانب يعد من أولىٰ أسباب ضعفهم واستكانتهم[٢]».

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أوربا ما غلبتنا واستولت علينا وأصبحنا عالة عليها إلا بسبب إتقانها للعلوم الكونية وإهمالنا لها[٣]».

ثانيًا: أن التفكر من صفات المؤمنين المتقين:

«أمر الله تعالىٰ بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصىٰ، وأثنىٰ علىٰ المتفكرين[٤]»؛ فقال في وصف عباده المؤمنين المتفكرين: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

---

(١) شرح لقطة العجلان، للقاسمي (ص١١٨).
(٢) الدعوة إلىٰ الله في سورة النمل، لعبد الرب نواب الدين (ص٣٤٥).
(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، لمحمود الاستنبولي (ص٨١).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٥٦).

فأولوا الألباب من المؤمنين هم الذين يتفكرون، ويستخدمون عقولهم في تدبر آيات الله في الكون. ولكنهم لا يتفكرون فكرًا مجرّدًا بعيدًا عن الواقع المحسوس، ولا يتفكرون بمعزل عن الله فيضلوا، وإنما يتفكرون وهم يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم، ومن ثم يتصل الفكر عندهم بالله، ويتصل العلم كذلك بالله[(١)].

وقال تعالىٰ مبيّنًا أن الآيات الكونية ذكرىٰ لكل عبد مؤمن، فقال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سُورَةُ قٓ: ٥-٨]. أي «لتبصّر وتذكّر كل عبد منيب راجع إلىٰ ربه، مفكّر في بدائع صنعه[(٢)]».

وفي الجانب الآخر فإن الإعراض عن آيات الله ﷻ وعدم الاعتبار والاستبصار بها من سمات الكافرين؛ قال تعالىٰ في وصف المعرضين عن آياته: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٥].

أي «وكم من آية علىٰ وحدانية الخلق، وقدرته الباهرة، ونعوته الجليلة، في السماوات: من كواكبها وأفلاكها، وفي الأرض: من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وقفار شاسعات، وحيوان ونبات، وثمار مختلفات، وأحياء وأموات،

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (١/ ٨٢).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٣١٨).

يشاهدونها ولا يعتبرون بها[(١)]».

وفي موضع آخر نعىٰ القرآن الكريم المعرضين عن الآيات، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يسٓ: ٤٦].

جاء في تفسير القاسمي: «يعني ما يظهر لكفار مكة دليل من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار، أو معجزة من المعجزات، أو آية من آيات القرآن، التي من جملتها الآيات السالفة، الناطقة ببدائع صنعه وقدرته علىٰ البعث ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي علىٰ وجه التكذيب والاستهزاء، لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب[(٢)]».

وعليه؛ فإن من الأهمية بمكان تربية النشء علىٰ التفكر في آيات الله الكونية، والتدبر في مخلوقاته المختلفة من خلال المناهج الدراسية المختلفة، والأنشطة الطلابية؛ ليزدادوا بذلك إيمانا بعظم الرب جل جلاله، ويقينًا به عز وجل، ومن ثَمّ تَقْوىٰ في نفوسهم شعلة الإيمان، وترق قلوبهم ومشاعرهم، ويزداد الهدىٰ فيهم، وبذلك يكونون من عباد الله المؤمنين المتقين الذاكرين لله في كل الأحوال، غير معرضين عن الله وآياته الحكيمة.

كذلك من الأهمية بمكان أن يضع المختصون في المناهج التربوية الصياغة والقواعد العلمية التي تحقق هذا الجانب التربوي العظيم في حياة المسلم، والذي يزكو ويرتفع به الإيمان.

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٤٠٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

ثالثًا: بالتفكر تحصل المعرفة والعلم:

يقدر المنهج الإسلامي القدرة العقلية، ويدربها ليستفيد المسلم في الخير والبر والهدىٰ، ولذلك كانت التربية الفكرية من أهم الجوانب التربوية التي اهتم بها المنهج التربوي الإسلامي.

والتفكر في مخلوقات الله، والتدبر في آياته، والتأمل في صفحة الكون ومظاهره من أهم الوسائل التي يستخدمها المنهج الإسلامي لتنمية الفكر الإنساني، وتجديد معارفه، وتثقيف مداركه.

فالفكر «هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار[(١)]»، «يهدي إلىٰ استثمار العلوم ونتاج المعارف والفوائد . . .[(٢)]».

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «استعينوا علىٰ الكلام بالصمت، وعلىٰ الاستنباط بالفكر[(٣)]».

وقال أحد السلف: «من العبرة يزيد العلم، ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد الخوف[(٤)]».

ولهذا يوجه الإسلام العقل بأن يمعن النظر في الكون وما سخره الله فيه، حتىٰ يخرج بفوائد ومعارف يستفاد منها في خدمة الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

---

(١) مجموعة خطب، للقاسمي (ص٦٢).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٦).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٦).
(٤) المصدر السابق (ص٤٥٦).

فالآية بينت أن الله سخر لعباده البحر، والسماوات والأرض وما فيها من ألوان النعم، والتسخير يتضمن الحض علىٰ الاستفادة من المسخر، ولا سيما إذا كان معللا كما في الآيتين السابقتين؛ ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، واستخدام هذه المسخرات يحتاج إلىٰ التفكير والبحث لذلك ختم الله هذه الآيات بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وفي هذا تربية العقل علىٰ استخدام القوانين العلمية لمصلحة الإنسان(١).

ومن هنا تأتي أهمية توجيه طاقات الناشئة إلىٰ دراسة العلوم الكونية والطبيعية بصورة نظرية من خلال المنهج الإسلامي الذي بين المفاهيم الصحيحة والتفاسير الصائبة للآيات الكونية؛ حتىٰ تخرج الأبحاث مؤصلة بأساس شرعي، بالإضافة إلىٰ دراستها بصورة تجريبية ليستفاد منها في خدمة الإسلام والمسلمين.

رابعًا: أن التفكر مفتاح الطاعات:

من الوسائل المهمة في إعانة المسلم علىٰ الطاعات هو تربيته علىٰ التفكر فيما أعده الله للمؤمنين من النعم الكثيرة في دار القرار؛ لأن المرء إذا فكر في العواقب الحسنىٰ المترتبة علىٰ فعل الطاعات، دفعه إلىٰ أن يسابق إلىٰ الخيرات، ويجتهد في الطاعات، وسبل الخيرات.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أكد القاسمي بقوله: «ثم إن ثمرة الفكر هي العلم . . . وإذا حصل في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها؛

(١) التربية بالآيات، للنحلاوي (ص٦٠-٦٢).

لأنه ينقل من المكاره إلىٰ المحاب، ويهدي إلىٰ استثمار العلوم ونتاج المعارف والفوائد[١]».

كذلك فإن المرء إذا فكّر في نعم الله عليه، وآلائه المتتابعة، فإن ذلك يوجب له من انكشاف حقائق نعمة الله عليه، وظهورها في نفسه، مما يثمر لديه تساؤلات تجاه هذه النعمة، ومحاولة أداء الواجب نحوها من الشكر لله علىٰ هذه النعم، وذلك بنسبة النعمة لله، وإخلاص النية في العبادة، والاجتهاد في فعل الطاعات، فيرجع إلىٰ نفسه، فينظر في جوارحه، ويتفكر في نعمة اللسان -مثلاً-، ويقول: إني قادر علىٰ أن أتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالتعليم والوعظ والتودد إلىٰ الفقراء، وينظر إلىٰ نعمة العين، فيقول في نفسه: إن العين خلقت للنظر في ملكوت السماوات والأرض وما فيها، والنظر في طاعة الله، فيقول في نفسه: أنا قادر علىٰ أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فَلِمَ لا أفعل ذلك؟؟ وهكذا يتفكّر في ماله فيقول: أنا قادر علىٰ أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه، ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالىٰ مثله، وإن كنت محتاجًا الآن فأنا إلىٰ ثواب الإيثار أحوج مني إلىٰ ذلك المال، وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله وغير ذلك، فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها، ويتفكّر فيما يرغبه في البدار إلىٰ تلك الطاعات، ويتفكر في إخلاص النية فيها، وقس علىٰ هذا سائر الطاعات[٢].

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٦).
(٢) المصدر السابق (ص٤٥٧-٤٥٨).

ولهذا جاءت التوجيهات القرآنية بربط التفكر بالأعمال الصالحة؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب والجبال والبحار وغير ذلك ﴿لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ أي لآيات عظيمة دالة علىٰ وحدة مبدعها، وكمال قدرته. وخص المتقين؛ لأنهم المنتفعون بنتائج التدبر فيها، فإن الداعي إلىٰ النظر والتدبر إنما هو تقواه تعالىٰ، والحذر من العاقبة(١) ومن هنا تأتي أهمية تنشئة الأجيال علىٰ الشعور بعظم نعمة الله سبحانه وتعالى علىٰ الإنسان، والتفكر فيها من خلال الدروس العلمية والمواقف التربوية، وربط نتائجه بالتطبيق العملي.

***

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/٢٣٨).

المبحث الثاني

ضوابط التربية الفكرية

لقد أنعم الله تعالىٰ علىٰ الإنسان بنعم كثيرة، والتي منها العقل «الذي هو أساس المعرفة البشرية، ووعائها، ووسيلة إدراكها، وتنظيمها، وترتيبها، وخزنها، وتوظيفها، وبدونه لا يمكن أن تحصل المعرفة، ولا أن يقوم العلم، ولا أن تتم عملية التعلم والتعليم.

وقد كرم الله ﷻ الإنسان بالعقل، وميزه به عن سائر المخلوقات، . . . وبه يدرك مسؤولياته وتبعاته، ليقوم بها علىٰ الوجه الأمثل إذا هدي إلىٰ الصراط المستقيم(١)».

والإسلام يرفع من شأن العقل، ويقدر هذه الطاقة البشرية، ويربيها حتىٰ ينتفع المسلم ويستخدمها في خير دينه ودنياه.

ولهذا دعا منهج التربية الإسلامية إلىٰ التفكر والتعقل في آيات الله المبثوثة في صفحة الكون، والتدبر في نعمائه المتتابعة؛ حتىٰ يخرج المسلم من خلاله بنتاج علمي رصين، ومعارف شتىٰ، بالإضافة إلىٰ إصلاح سلوكه وقيمه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]

---

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص٥٠٨-٥٠٩).

ولكي تتم التربية الفكرية علىٰ الوجه الصحيح وضع المنهج الإسلامي الضوابط والمحددات الشرعية التي توجه العقل نحو التفكير السليم والصائب، بالإضافة إلىٰ تحديد أهدافه، وتوضيح الغاية منه.

فالإسلام حدّد مجال التفكير، ورسم له المسار الصحيح؛ بما يصون العقل البشري من أن يتبدّد وراء الغيبيات التي لا سبيل له أن يخوض في مضمارها، والذي قد يؤدي به أحيانًا إلىٰ مصادمة النصوص الشرعية[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

كما صانه من أن يخوض في حقيقة ذات الرب ﷻ؛ حتىٰ لا يقع في أوحال التشبيه، ومزالق التحريف.

وكذلك حدّد الإسلام الهدف من التفكير وغايته، فهو عندما يدعو الإنسان إلىٰ التأمل والتدبر؛ فإنه لا يدعو إليه لذاته، وإنما ربطه بالإيمان الصحيح المقرون بالأعمال الصالحة، مع دعوته إلىٰ تحسين سلوكه وأخلاقه، بالإضافة إلىٰ تنمية فكره بالعلوم والمعارف.

ومن أجل ذلك كله وضع المنهج الإسلامي الضوابط الفكرية؛ حتىٰ يخرج نتاج التفكير صحيحًا سليمًا، «بعيدًا عن الشطط والسفسطة والغلو في التخيل والانحراف في التصور، وحتىٰ لا يصبح أسيرًا للخيالات الفلسفية التي يجر الإنسان منها إلىٰ الإرهاق العقلي والترف الفكري[2]».

---

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (١/ ٧٧).

(٢) نظرات في التربية الإسلامية، لعز الدين التميمي وبدر إسماعيل سمرين (ص٤٨).

وفيما يلي توضيح لأبرز الضوابط الفكرية من خلال ما كتبه القاسمي في مؤلفاته، مدعمًا ذلك بالأدلة، وأقوال أهل العلم والمراجع التربوية المعاصرة:

الضابط الأول: تجنب الخوض في الأمور الغيبية:

من عقيدة المسلم الإيمان بالأمور الغيبية دون الخوض في تفاصيلها أو محاولة استكشاف حقائقها، وتفويض العلم لله ﷻ في ذلك؛ لأن الغيبيات من الأمور التي استأثر الله بها لنفسه، كما قال تعالىٰ واصفا نفسه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال عز من قائل عليما: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨].

وانطلاقًا من هذه القاعدة المتينة يمكن القول أن دائرة التفكر في الكون وما فيه لا تشمل جوانب الغيبيات؛ وذلك لاستحالة إدراكها، وعجز الإنسان عن استكشاف حقيقتها[(١)]، وأن محاولة الخوض فيها من الفضوليات التي ترهق العقل دون الاستفادة من نتائجها.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي عند معرض حديثه عن تاريخ بدء الكون ومادته، وأن الخوض فيه من الترف الفكري الذي لا طائل تحته؛ فقال: «ولا عجب فإن بدء الخلق ومادته لا يمكن الوصول إليها بوجه ما؛ لأنها من غيب الغيوب، فعبثًا محاولة إدراكها وإضاعة الوقت في التنقيب عنها . . . وقد سدّ القرآن الكريم السبل دون ذلك بقوله تعالىٰ:

(١) الدعوة إلىٰ الله في سورة النمل، لعبد الرب نواب الدين (ص٣٥٠).

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١][(١)]».

فالإخبار عن أمور الغيب لابد له من نص شرعي، من كتاب الله ﷻ، أو ما صحّ من سنة النبي ﷺ[(٢)]؛ لأنها من الأمور التوقيفية التي لا تدرك إلا بذلك.

وبهذا الأساس المتين أكد القاسمي بقوله: «فإن أمور الآخرة يوقف فيها علىٰ حد ما ورد، ولا يسمح للفكر أن يشره إلىٰ ما لا يصل إليه منها؛ لأن الإيمان بالغيب أحد شعب الإيمان الأولىٰ[(٣)]».

وعلىٰ ضوء ما سبق بيانه تأتي أهمية توجيه النشء إلىٰ قصر التفكر علىٰ المدركات، والاعتماد علىٰ النصوص الشرعية الصحيحة في تفسير الأمور الغيبية، مع بيان أن الغيبيات من الأمور التي استأثر الله بها لنفسه، وفي ذلك تصحيح للسلوك الخاطئ لمن يذهب إلىٰ الكهنة والمشعوذين الذين يدعون معرفة الغيب، والوقوف علىٰ أسراره؛ حيث إن الذهاب إليهم وقصدهم، والاعتقاد بما يقولون، والتصديق بذلك؛ كفر بما أنزل الله علىٰ الرسول ﷺ كما ورد في ذلك الحديث الصحيح: «**مَنْ أَتَىٰ عَرّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلىٰ مُحَمّدٍ ﷺ**[(٤)]».

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٨٤).

(٢) تربويات ذهبية في العقيدة والمنهج والعلم والسلوك، لحمدان المزروعي (ص٥٧).

(٣) شرح لقطة العجلان، للقاسمي (ص١٥٧).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الإيمان (١/ ٥٠) برقم (١٦) وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرطهما.

وكذلك فإن فيه تصحيحًا لبعضِ معتقدات بعض الطوائف المنحرفة التي تدعي علم الكشف، ومشاهدة الحق، ومعرفة الأسرار الإلهية[(١)]، إذ الغيبيات من الأمور التي انفرد بها الله ﷻ، واستأثر بها لنفسه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٢٤].

الضابط الثاني: النهي عن التفكر في الذات الإلهية سبحانه وتعالى:

لا جرم أن الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهو سبحانه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ولهذا حذّر الرسول ﷺ من التفكر في ذات الله ﷻ، والخوض في كنهه، قال ﷺ: «**تفكّرُوْا فِي آلاء اللهِ، وَلاَ تَفكَّرُوا فِي اللهِ** ﷻ[(٢)]»؛ «لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات. وأما الخالق ﷻ سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكر الذي مبناه علىٰ القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة، فيذكره العبد، وبالذكر وبما أخبره عن نفسه يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمة لا تنال بمجرد التفكير والتقدير . . .[(٣)]».

---

(١) انظر: موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٩٣).

(٢) رواه اللالكائي في شرح معتقد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٢٥) والبيهقي في شعب الإيمان، باب في الإيمان بالله عزوجل (١/ ١٣٦) عن ابن عمر مرفوعًا. والحديث حسنه الألباني بمجموع طرقه (السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٩٦-٣٩٧) برقم (١٧٨٨).

(٣) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٤/ ٣٩-٤٠).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ عند معرض الكلام علىٰ التسمية: «فإيثار الاسم علىٰ الذات إشارة إلىٰ استيقاف العقل عنده، والحظر عليه في أن يتجاوز بشرهه[١] ما بعده. فإن الذات العلية أسمىٰ من أن يتطالّ إلىٰ اكتناهها الفكر، وأكبر من أن يصل إليها العلم، وأعز من أن تحوم حولها المدارك، وقد سد الإسلام باب التفكر في هذا الحمىٰ المنيع . . .[٢]».

وفي موضع آخر أكد القاسمي هذا المعنىٰ بقوله: «كل من تعرّض لمعرفة الذات العلية بعقله، فقد تعرّض لأمر يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب[٣] منه، والمرء إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، بل عن اكتناه أبسط الأشياء لديه، فعن معرفة اكتناه الحق تعالىٰ بالأولىٰ، فمعرفتنا به سبحانه إنما هي علمنا اليقيني بوجوده وبأسمائه الحسنىٰ، وأنه ليس كمثله شيء . . .[٤]».

ومن هنا تأتي أهمية تربية المتربي علىٰ إعمال العقل فيما يفيد، وفي الإطار الذي يناسب وظيفة العقل دون الخوض في الأمور التي لا يمكن للعقل تصورها أو بلوغ كنهها إلا بنص من الوحي، كالخوض في ذات الله، والتفكر في كنهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بل قد يؤدي به إلىٰ الانحراف في المعتقد؛ ولهذا بين النبي ﷺ العلاج الناجع لمن استدرجه الشيطان وأغراه بالتفكر

---

(١) أي بغلبة الحرص. انظر لسان العرب (٧/ ١٠٣).

(٢) النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد، للقاسمي (ص٣) وشرح لقطة العجلان، له (ص١٢٩).

(٣) أي الحاجة. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٩).

(٤) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٧٨).

في ذات الله؛ فقال ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُوْلُ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتّىٰ يَقُوْلَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**[١]».

الضابط الثالث: ربط التفكر بالهدف: (الإيمان بالله المقرون بالأعمال الصالحة):

إن الغاية الكبرىٰ من التفكر ربطه بالإيمان الله ﷻ وإخلاص العبادة له ﷻ؛ «لأن كل حياة المسلم مرتبطة بالإيمان والعبادة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فالتفكير -وهو أحد مناشط الإنسانية الحياتية- ما هو إلا عبادة؛ ولذلك فهو محكوم بمعايير العبادة المتمثلة . . . في تحقيق الخير والصلاح للإنسان في دنياه وآخرته[٢]».

ولذا فإن التوجيهات الإسلامية تأمر المؤمن بربط التفكر في آيات الله به ﷻ، واستثمار نتائجه في صالح الأعمال.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (ص٦٢٧) برقم (٣٢٧٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١/ ١٢٠) برقم (١٣٤) واللفظ للبخاري.

(٢) التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي، لنايف حامد الشريف (ص٢٢٢-٢٢٣).

فآيات الله الكونية من: إنزال المطر، وإنبات الشجر، بأصنافها المختلفة، وغيرها من مظاهر الكون المتنوعة تدعو المؤمن إلىٰ التأمل والتفكر فيها؛ كل ذلك آيات ترقق قلب الإنسان، وتزيد من إيمانه، وتنمي يقينه بربه.

وفي موضع آخر من صفحات القرآن قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

فهذه الآيات الكونية آيات باهرة «لقوم يتفكرون فيستدلون بأن تكوين ما ذكر علىٰ هذا النمط البديع لابد له من قادر حكيم![1]»، فيزدادون بها إيمانًا بخالقها ومبدعها، مما يدفعهم إلىٰ بذل المزيد من الطاعات والأعمال الصالحة.

ولهذا ذمّ الله سبحانه أولئك المعرضين عن آياته، فلم يعتبروا بها، ولم يستفيدوا منها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٥].

جاء في تفسير القاسمي: «يعني ما يظهر لكفار مكة من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار، أو معجزة من المعجزات، أو آية من آيات القرآن، التي من جملتها الآيات السالفة، الناطقة ببدائع صنعه وقدرته علىٰ البعث ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي علىٰ وجه التكذيب والاستهزاء، لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب[2]».

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق: (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

وكل ما سبق بيانه من الآيات السابقة إشارة تربوية إلىٰ أن علىٰ المسلم «أثناء ممارسته لعملية التفكير أن يستشعر بداخله أنه يقوم بنشاط عقلي يتقرب إلىٰ الله ﷻ ... ولا ينبغي أن يكون تفكيره غاية في حد ذاته، أو لمجرد الوصول إلىٰ فائدة علمية دنيوية[١]»، بل يوظفها بالإيمان والعمل الصالح.

ومن ثم فإن هذا الشعور يدفعه إلىٰ أن يتأمل في نتائج التفكير ونتاج الاستنباط من حيث إيجابياته وسلبياته، مما يساعد علىٰ اختيار النتيجة المفيدة واستثمارها بما يفيد، وإبعاد كل ما يضر بالمجتمع ويؤذيهم.

وعلىٰ ضوء ما سبق بيانه تأتي أهمية احتواء المنهاج الدراسي للعلوم الكونية ومظاهرها مدعّمًا بالنصوص الشرعية المفسرة لها، مع توضيح الهدف الأساس لدراستها. إضافة إلىٰ الدور الريادي الذي يقوم به المعلم من ربط مظاهر الكون «بالآيات الكونية والأحاديث الشريفة التي تحفّز العقول إلىٰ ملاحظتها وتقصيها، وفهم حقائقها، بما يقوي الإيمان بالخالق المبدع المدبر والحكيم، وبما يساعد علىٰ تسخيرها فيما ينفع البشرية ويفيدها[٢]».

الضابط الرابع: التزام الفكر بالأخلاق الحسنة:

إن من أبرز ضوابط التربية الفكرية التزام الفكر بالأخلاق الحسنة،

(١) آداب المعلم المسلم وواجباته من خلال الموقف التعليمي، لمحمد أبي رزيزه (ص٢٣٦).

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، للزنتاني (ص٥٢٦).

بحيث يقيّد المسلم تفكيره ونتاجه بما يعود له بالنفع في سلوكه ودينه ودنياه، دون إحداثِ ضررٍ للغير.

ومن هنا ربط الله ﷻ تعالىٰ عملية التفكير بالتقوىٰ، حيث قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

فالآية دلت علىٰ أن المتقين هم المنتفعون «بنتائج التدبر؛ لأن الداعي إلىٰ النظر والتدبر إنما هو تقواه تعالىٰ ...(١)» «والتقوىٰ تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر ...(٢)».

وفي هذا إشارة تربوية إلىٰ التفكير المنضبط والمبني علىٰ التقوىٰ الذي يقود المسلم إلىٰ أن يضبط تفكيره ويقيده بالأخلاق المرعية حتىٰ يتمثل نتاج تفكيره بالسلوك الحسن.

فمراعاة الأخلاق في التفكير يضبط نتائج التفكير؛ لأن المسلم إذا التزم بالآداب الشرعية وطبق تعاليمها؛ جاء تفكيره متّزنًا منضبطًا، يدعوه إلىٰ أن يتأمل في نتائجه، والوقوف علىٰ نتاجه من حيث إيجابياته وسلبياته، بحيث لا يُقدّم نتاج تفكيره، وما استفاد من تأملاته وإبداعاته إذا صادم التعليمات والتوجيهات الربانية، بل يحيط تفكيره بسياج إيماني يمنعه من الإضرار بالناس والتعدي علىٰ حقوقهم.

قال القاسمي رحمه الله مشيرًا إلىٰ أهمية ربط التفكر بالأخلاق: «إن الأنفس كادت تثملها لفظة الحرية، وتسكرها نشأتها الفكرية، ... إلا أن

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٤/٢٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٥٨).

العاقل يعلم أن الحرية إذا لم تكن مقيدة بالآداب الشرعية، مصونة بسياج الأخلاق المرعية؛ . . . فليست هي الغاية المتوخاة. إذن لابد من مراعاة أدب الدين، والتمسك بعرىٰ اليقين، والاهتداء بهدي الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم من الحكماء الناصحين[(١)]».

وعليه؛ فإن خلو التفكير من الضابط الخلقي قد ينتج الدمار والخراب للمجتمعات؛ ولا أدل علىٰ ذلك من الاختراعات المعاصرة التي عمل أصحابها في بعد عن الضوابط الشرعية والخلقية، فخرجوا بمخترعات كانت دمارًا وهلاكًا علىٰ الحياة البشرية، كالقنبلة البيولوجية والذرية والنووية والهندسة الوراثية وغير ذلك من المخترعات المنكرة[(٢)].

ومن هنا يجب علىٰ المؤسسات التربوية العناية بتثقيف الناشئة حيال تحصين أفكارهم في حدود ما ينفع البشرية، وفي ظل الضوابط الخلقية حتىٰ يخرج نتاج التفكير بعيدًا عن المخاطر والدمار.

الضابط الخامس: تقديم الشرع على الآراء الفكرية:

إن من مزايا المنهج الإسلامي أن فتح للعقل باب الاجتهاد، وأتاح له فرصة الاستنباط وإعمال الذهن حتىٰ يخرج بفوائد علمية نظرية كانت أو تجريبية تخدم مصالح الإنسان في دينه ودنياه.

وبهذا المعنىٰ أشار القاسمي عند معرض حديثه عن محاسن الإسلام ومزاياه بقوله: «ومن خصائصه -(أي الإسلام)- إرشاده لمناهج الاستنباط

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٢١).
(٢) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، لخالد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٦ (ص٤٣٣).

وموارد التفقه والاستخراج، حتىٰ سهل علىٰ راسخيه ردّ كل ما ينفع الناس إلىٰ نصه ومحكمه، أو لمجمله وظاهره . . .[(١)]».

وفي موضع آخر قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذا كان من أعلىٰ مزايا الإسلام ومحاسنه أن جاء يخاطب العقل، ويستنهض الفكر؛ ليصل بالمتفكر إلىٰ اليقين . . .[(٢)]».

والإسلام لما دعا العقل إلىٰ التفكر واستخراج الآراء الفكرية المبنية علىٰ حسن التدبر وعمق التأمل لم يفتح هذا الباب علىٰ مصراعيه دون قيود، بل قيّده بأن لا يصادم النصوص الشرعية؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرَات: ١].

وفي هذه الآية أمْرٌ للمؤمنين أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، فلا يقولوا حتىٰ يقول، ولا يأمروا حتىٰ يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وعليه فلا يجوز تقديم قول غير الرسول علىٰ قوله، وأنه متىٰ استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعها، وتقديمها علىٰ غيرها، كائنًا من كان[(٣)]، كذلك لا ينبغي تقديم الآراء الفكرية وما نتج عنها من استنباطات تخالف أو تعارض النصوص الشرعية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحَشْر: ٧].

وهذا الأمر يقتضي عدم تقديم العقل علىٰ الشرع؛ لأن العقل

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٤١).
(٢) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٧٦).
(٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٧٩٩).

محدود، ناقص، وقد أثبت الله تعالىٰ كمال الشرع وحاكميته عليه[١]، ولا يصح تقديم الناقص حاكمًا علىٰ الكامل؛ لأنه خلاف المعقول والمنقول[٢].

وهذا المعنىٰ أكّده القاسمي بقوله: «وإنما تتفاوت العقول في معرفة الحق تفاوتها في مراتب الرقي، وتتباين في تعيينه تباينها في العلم؛ لهذا لا تجد قائلًا قولًا، أو منتحلًا نحلة، أو مرتئيًا رأيًا، إلا ويزعم أنه علىٰ حق. ومن ثم كان من العدل أن لا يؤخذ علىٰ قائل ظن أنه علىٰ حق إلا إذا قامت الأدلة . . .[٣]».

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في تقديم النصوص الشرعية علىٰ الآراء الفكرية، ومن تلك الأمثلة: أن الرسول ﷺ لما نزل بأدنىٰ ماء من بدر، قال له الحباب بن المنذر بن الجموح[٤]: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل؟ أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتىٰ تأتي أدنىٰ ماء من القوم، فننزله، ثم نغَوّر ما وراءه من القُلُب ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون . . .[٥].

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (٢/ ٣٢٦-٣٢٧).

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٦٨-٣٦٩).

(٤) هو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد الخزرجي الأنصاري، شهد بدرا وغيرها، مات في خلافة عمر رضي الله عنه. أسد الغابة، لابن الأثير (١/ ٣٦٤) والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١/ ٣٠٢).

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٧٢).

وفي هذه الحادثة إشارة تربوية إلىٰ «عناية الصحابة بالحكم الشرعي وتقديمه علىٰ العقل، حيث قال حباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلًا أنزلكه الله تعالىٰ، ليس لنا أن تقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فَيُفهم من ذلك، إن كان الأمر وحيًا فالعقل تابع له، وليس للرأي مكان، وإما إن كان الأمر جهدا عقلياً تخطيطياً فعندي في الأمر رأي[(١)]». فالصحابي الجليل «لم يبين رأيه إلا بعد أن سمع من رسول الله ﷺ القول الفصل، بأن الأمر ليس وحيًا، بل رأيًا، وهكذا نريد أن تكون التربية العقلية ... تهتم بالجانب التفكير العقلي، ولكن تجعله يستظل ويسير تحت مظلة الشرع الحنيف لا في مقدمته[(٢)]».

ولا يعني هذا إهمال الأدلة العقلية، والقدح في معطياتها، بل «العقل حجة الله القاطعة البالغة، وأصل براهينه الساطعة الدامغة، والنقل لا يأتي بما يناقض العقل، وإنما يرد بما يزكّي قضاءه[(٣)]، ويصقل مرائي أحكامه أحسن صقل[(٤)]».

ويمكن تلخيص العلاقة بين الآراء الفكرية (العقلية) والشرع فيما يلي:

١- الآراء الفكرية الصحيحة التي يتوصل إليها الإنسان لا تتعارض

---

(١) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، لخالد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٦ (ص٤٢٥).
(٢) المرجع السابق (ص٤٢٦).
(٣) أي أحكامه. (لسان العرب، لابن منظور ١١/ ٢٠٩).
(٤) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص١٢٦).

بأي حال من الأحوال مع النصوص الشرعية؛ ذلك «أن العقل السليم لا ينافي السمع الصحيح[١]».

٢- أن الآراء الفكرية التي تتعارض مع ما جاءت به الشريعة، هي آراء فاسدة وباطلة. فما يخالف الشريعة لا بد وأن يكون فاسدًا؛ إذ لو لم يكن كذلك لجاء مطابقًا لها.

٣- المعرفة العقلية الصحيحة لا تقع خارج دائرة ما جاء به الشرع؛ بل تأتي بما يقره الشرع، ويتوافق معه ولا يعارضه[٢].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة، للقاسمي (ص٥٠).

(٢) المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، لعبد الرحمن صالح عبدالله (ص٢٤٠-٢٤١).

المبحث الثالث

وسائل التربية الفكرية

تبين فما سبق ذكره من هذا الفصل أن التربية الفكرية من أهم الجوانب التربوية التي اهتم بها المنهج التربوي الإسلامي. فهي جزء مهم في بناء ثقافة الإنسان، وتنمية معارفه، وتوسيع مداركه.

ولهذا وجهت الآيات القرآنية المسلم بأن يتأمل في الكون، وما فيه من عجائب الخلق وبدائع الصنع حتىٰ يخرج علىٰ ضوء ذلك بمعارف وفوائد ونتاج علمي يخدم البشرية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

كذلك فإن التربية الفكرية وسيلة مهمّة في تنمية الإيمان وتعميقه في نفس المسلم وتقويته، فالمؤمن إذا تأمل ونظر في آيات الله المبثوثة في صفحة الكون، وما فيها من بديع صنع الله ﷻ ازداد إيمانه بربه، وقوي يقينه بخالقه، كل ذلك مما يدفعه إلىٰ أن يشكر الله، ويحمده علىٰ فضله ونعمائه، ويحقق العبودية الخالصة له سبحانه وتعالى.

كما أن التفكر يعين المسلم علىٰ فعل الطاعات، فهو إذا تفكر في نعيم أهل الجنة، وما أعد الله لهم من الثواب العظيم، سابق إلىٰ الخيرات، وازداد في عمل الصالحات، وفي المقابل إذا تأمل فيما

أعد الله من العذاب الأليم لأهل الكفر والمعاصي انكف عن المنكرات وركوب المساوئ.

ومن هنا فقد اهتمت التربية الإسلامية بالجانب الفكري اهتمامًا بالغًا، ووضحت الطرق والوسائل التي تعين علىٰ تحقيق هذا الجانب، والوقوف علىٰ أهدافه وغاياته.

فهناك وسائل بنائية تعتني بتنمية فكر المسلم وتزويده بالمعارف والثقافة والاستفادة من مسخرات الكون . . .

كما أن هناك وسائل وقائية تعتني بوقاية فكر المسلم من المعوقات الفكرية كالجمود الفكري، وتعطيل فعاليته.

وفيما يلي بيان لوسائل التربية الفكرية علىٰ ضوء ما كتبه القاسمي في مؤلفاته، مدعمًا ذلك بالأدلة الشرعية، وبعض من أقوال السلف، وتوضيح ذلك بالكتب التربوية المعاصرة.

أ- الوسائل البنائية:

أولًا: الدعوة إلىٰ النظر في مخلوقات الله:

لا خفاء أن المخلوقات الكثيرة المبثوثة في الكون من العلامات الواضحة التي تدل علىٰ عظمة الخالق، وجلال الرب، وحكمته ﷻ؛ مما يدعو المسلم إلىٰ التأمل في صفحة الكون بعين البصيرة؛ لاستظهار عظمة الله، وحكمته، ودقة صنعه، وتقوية اليقين والهدىٰ والإيمان به ﷻ وإلىٰ ذلك ألمح القاسمي بقوله: «اعلم أن كل ما في الوجود مما سوىٰ الله تعالىٰ فهو فعل الله وخلقه، وكل ذرة من الذرات فيها عجائب تظهر بها

حكمة الله وقدرته، وجلاله وعظمته . . .[١]».

وفي موضع آخر أشار القاسمي إلىٰ هذا المعنىٰ فقال: «وكذلك يتفكر في جلال الله وكبريائه، ذلك بالنظر في عجائب حكمته، وبدائع صنعته. فإن كل ما في الوجود شاهد لله تعالىٰ بالوحدانية ودال علىٰ جلاله وكبريائه . . .[٢]».

فآيات الله ومخلوقاته متعددة الأجناس، مختلفة الأنواع؛ كلها تدعو المسلم إلىٰ النظر فيها، وأخذ العبرة منها. فهو سبحانه خلق السماوات وما فيها من الكواكب من شمس وقمر ونجوم، والأرض وما فيها من الأشجار، والجبال، والأنهار، والحيوانات وغيرها، والبحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض، وما فيها من عجائب خلقه، وبديع صنعه، وغير ذلك من المخلوقات الكثيرة كل ذلك آيات جسيمة تدل علىٰ بديع الخالق وعظيم الصانع؛ بما يربي الإنسان «علىٰ صحة التوجه وسعة النظر، وقوة الإيمان واليقين بالله ﷻ؛ قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]»[٣].

كما أن هذه المسخرات بدءًا من صغيرها وانتهاء بأعظمها باب عظيم من أبواب المعرفة إذا تأمل الإنسان فيها، واستخدم القوانين العلمية للإفادة منها في المصالح الدنيوية، ولهذا يرىٰ القاسمي أن من أسباب تأخر المسلمين هو إهمالهم بالعلوم الكونية وعدم الاستفادة منها،

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٦٠).

(٢) مجموعة خطب، للقاسمي (ص٦٣).

(٣) التربية الابداعية في منظور التربية الإسلامية، لخالد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٦ (ص٤٧١).

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أوربا ما غلبتنا واستولت علينا وأصبحنا عالة عليها إلا بسبب إتقانها للعلوم الكونية . . .[(١)]».

فالتربية علىٰ التفكر في مخلوقات الله والتأمل فيها إذا تضمنتها المناهج الدراسية، وغطت جوانبها من حيث الدراسة والتحليل فإنها تنمي لدىٰ الناشئة الشعور بعناية الله عَزَّ وَجَلَّ وفضله علىٰ الإنسان، كما تربي عواطفهم وانفعالاتهم علىٰ تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخشوع له جَلَّ جَلَالُهُ؛ إضافة إلىٰ تنمية الفكر علىٰ الإبداع والابتكار، «ودقة النظر وانضباط الأحكام[(٢)]»، والاستفادة من مسخرات الكون لخدمة المصالح الدينية والدنيوية.

وهذا يؤكد أهمية دور المربي في ربط الحقائق العلمية بالمعتقد الإسلامي الصحيح، والتنبيه علىٰ ما يخالف المنهج الإسلامي.

ثانيًا: التفكر في الآيات القرآنية:

أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتابه الكريم «الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتىٰ اتسع علىٰ أهل الافتكار، طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم بما فصل فيه من الأحكام، وفرق بين الحلال والحرام، فهو الضياء والنور، وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما في الصدور، من تمسك به فقد هدي، ومن عمل به فقد فاز[(٣)]».

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص٨١).
(٢) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (١/ ٧٩).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٢٧).

ولهذا أمر الله ﷻ عباده بتدبر القرآن[١]، والتفكر في آياته، والاستفادة بما فيه من المواعظ والحِكَم والأحكام وغيرها؛ قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٢٨].

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «وأما ذكر مجامع تلك الأحوال فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر، فإن القرآن جامع لجميع المقامات والأحوال، . . . فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلىٰ التفكر فيها، مرة بعد أخرىٰ ولو مائة مرة، فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم، فليتوقف في التأمل فيها، ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسرارًا لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر . . .[٢]».

وتربية النشء علىٰ تدبر القرآن الكريم والنظر في آياته ومدلولاتها يغرس فيهم تعظيم آيات الله، والوقوف علىٰ أحكامها وحِكَمِها وأسرارها، بما يعين علىٰ تطبيقها عمليًا، وكل ذلك يساعد علىٰ الفكر البنّاء الذي يصوب نتاج الاستنباطات والتحليل، ويثريها بالأدلة والبراهين. الأمر الذي يتطلب من المؤسسات التعليمية تكثيف الجهود في تحقيق ذلك؛ عبر الدروس التربوية والمواقف التعليمية.

ثالثًا: توجيه النظر في حكمة التشريع وأسراره:

شرع الله ﷻ لعباده الدين القويم من العبادات والمعاملات والأخلاق . . . علىٰ لسان نبيه ﷺ، وأودع في كثير من العبادات

(١) تقدم الكلام بالتفصيل عن الوسائل المعينة علىٰ تدبر القرآن في الفصل الثالث تحت المبحث طرق التربية الإيمانية من هذه الرسالة.

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٩).

والمعاملات من الأسرار والحِكَم التشريعية الجامعة لكل ما فيه مصلحة العباد في الدارين: الدنيا والآخرة، حتىٰ يتأملوا ويستنبطوا ما فيها من الأحكام والفوائد مما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

ولهذا فإن منهج التربية الإسلامية يربّي الفكر ويوجّهه إلىٰ النظر في حكمة التشريع، وإدراك العلل والأسرار حتىٰ يخرج المسلم بنتاج يحقق الخير له ولأمته الإسلامية(١).

وهذا المعنىٰ أكده القاسمي بقوله مخاطبًا تلاميذه: «إياكم أن تأمروا أولادكم بشيء دون أن تذكروا حكمة الطلب وفائدته لينتبه ابنكم للحكمة، فلا يطيع طاعة عمياء .. وقد علمنا الله تعالىٰ الأخذ بالدليل في كل شيء حتىٰ في الأخلاق ... فقال سبحانه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فأعقبه عز من قائل الحكمة من الأمر بالدفع بالتي هي أحسن بقوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ﴾ ...(٢)».

ولقد عرض القاسمي هذا المعنىٰ وأكده بضرب بعض الأمثلة الدالة علىٰ الحكم التشريعية وأسرارها. فقال معدّدًا بعض أسرار الصوم:

«الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلىٰ كل ما يذم ويكره.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء.

الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلىٰ كل مكروه.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، لعلي خليل أبو عينين (ص١٥٧) والمفاهيم الأساسية لمناهج التربية، لعلي مدكور (ص٩٤).
(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي، للاستنبولي (ص٢٦٣).

الرابع: كف بقية الجوارح مكن اليد والرجل عن الآثام والمكاره[(١)]».

وفي سر تشريع الحج قال: «في كل واحد من أعمال المناسك تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر إذا انفتح بابها انكشف لكل خارج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وغزارة فهمه ...[(٢)]».

ومن هنا يرىٰ القاسمي أن من الخطأ اعتقاد أن الأمور التعبدية لا علل لها ولا يستوقف علىٰ أسرارها، ولا تبحث حِكَمها، فقال: «ظهر لي أن قول بعض الفقهاء في كثير من الأحكام: «هو تعبدي لا يعقل معناه» وجزمهم بذلك في مواضع شتىٰ، أنه غير صواب؛ لما فيه من الغفلة عن التمعن في سر التشريع ... [و] فيه حجر علىٰ العقول والأفهام أن تنظر وتتأمل وتتفكر وتتدبر. فهو مناف لقاعدة إعمال الفكر لاستنباط المعاني المأمور به العلماء[(٣)]»[(٤)].

وعليه، فإن من الأهمية بمكان احتواء المنهاج الدراسي لما يعين علىٰ الوقوف علىٰ الأسرار والحكم التشريعية مع بيان وتوضيح الأثر التربوي علىٰ ضوء ذلك. إضافة إلىٰ الدور التربوي الذي يقوم به

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٠٩).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٢٥).

(٣) إن العلل الشرعية إما أن تكون معلومة أو لا. فالعلل المعلومة تستفاد منها في استنباط الأحكام والنتائج والقياس عليها؛ وأما إن كانت غير معلومة فلابد من التوقف عن القطع علىٰ الشارع أنه قصد تلك العلة.
(انظر بالتفصيل عن مسألة العلل الشرعية في: الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي ٢/٦٦٦-٦٧٣).

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٢٦٢).

المعلمون من شرحٍ لهذه الحِكم والأسرار وبيان أهدافها وأثرها علىٰ المسلم مع ربط ذلك بحياة المتعلمين وسلوكهم ومعاملاتهم؛ بما يغرس فيهم حب واستيعاب تطبيق الأحكام الشرعية وعدم التفريط فيها، وبما يكسبهم الرغبة في الدعوة إليها بما فهموه واستوعبوه من تلك الحِكَم.

رابعًا: التفكر في أحوال الأمم السابقة:

لا شك أن النظر في أحوال الأمم البائدة والتأمل في مجرىٰ حياة الشعوب الماضية له الأثر البالغ في سلوك الإنسان وميوله وعواطفه وثقافته وحياته الاجتماعية وغير ذلك من الجوانب الشخصية. ذلك أن التاريخ يعتبر من الوسائل التربوية المهمة لتنمية وبناء الفكر الإنساني، وتهذيب عواطفه وميوله، فالإنسان من خلال قراءة التاريخ والوقوف علىٰ مشاهده يقف علىٰ أحوال السابقين، ويدرس أسباب التطور والتقدم، كما يقف علىٰ السمات التي أدت بهم إلىٰ التأخر والتدهور؛ ويزداد بذلك علمه ويتسع أفقه، بما يربي فكره علىٰ استجلاء الحِكَم والعبر من تاريخ من مضىٰ من الأمم والشعوب؛ ويزداد رسوخًا وثباتًا علىٰ دينه وقيمه العليا.

وهذا المعنىٰ أكده القاسمي بقوله: «فإن للتاريخ تأثيرًا غريبًا في . . . الوجدانات النفسية والميول الشريفة وإعداد النفس للحياة الاجتماعية وتعلم سير النظام الكوني في سننه من ارتباط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات، فيتخذ الماضي مثالًا للحاضر، ويتبصر فيما كان يتخذه الأقدمون من الأسباب لارتقائهم وفيما يهبط بالأمم . . .»[١].

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٢٢).

ومن هنا يُعْلم أن من منهج التربية الإسلامية في تنمية البناء الفكري «توجيه الطاقة العقلية إلىٰ النظر في سنن الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب علىٰ مدار التاريخ»(١).

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

«أي سيروا في الأرض لتعرف أحوال أولئك الأمم، وتفكّروا في أنهم كيف أُهلكوا لَمّا كذّبوا الرسل وعاندوا، فتعرفوا صحة ما توعظون به. وفي السير في الأرض، والسفر في البلاد، ومشاهدة تلك الآثار الخاوية علىٰ عروشها تكملة للاعتبار، وتقوية للاستبصار»(٢).

وقال تعالىٰ في موضع آخر من صفحات القرآن: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨].

قال القاسمي معلقًا علىٰ هذه الآية: «والأمر بالسير والنظر؛ لما أن لمشاهدة آثار المتقدمين أثرًا بالغًا في الاعتبار والروعة أقوىٰ من أثر السماع»(٣).

وعليه فالواجب تربية النشء علىٰ النظر والتأمل والتفكر في التاريخ والأحداث الماضية، ووضع أيديهم علىٰ تجارب الأمم السابقة، ودراسة عوامل التقدم والحضارة المدنية؛ للأخذ بها، والاستفادة منها، والوقوف

(١) المناهج الأساسية لمناهج التربية، لعلي مدكور (ص٩٤-٩٥).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٣/ ٢٨٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٤١).

علىٰ عوامل التأخر؛ للتوقي منها والابتعاد عن أسبابها(١).

بالإضافة إلىٰ احتواء المنهاج الدراسي للدراسات التاريخية المبنية علىٰ توضيح واستجلاء العبر وربط السنن الكونية بالسنن الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع إبراز مظاهر الحضارة الإسلامية وعمقها، وما أنتجته وأسهمت به في تقدم الأمم(٢).

خامسًا: التدريب علىٰ حسن النقد والتمييز بين الحق والباطل:

من المعلوم بالضرورة أن ما من رأي أو فكر أو موضوع - حاشا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا وفيه الطيب والخبيث، والصحيح والباطل، والغث والسمين.

فالمسلم العاقل هو الذي يقيس الأمور ويزنها بميزان الحق، بحيث يميز الصالح من الفاسد، ويقيم الأمور حسب نتائجها قبل أن يُقدم عليها، فإذا ظهرت له صحة النتائج أقدم عليها، وإن بدا له أن فسادها أو ضررها يفوق منفعتها أحجم عن ذلك؛ فهذا بلا شك سوف ينجح في اختيار الأصوب من الأمور(٣).

ومن هنا فإن تدريب العقول علىٰ حسن النقد، وانتفاء الأقوال الصحيحة المبنية علىٰ الأدلة الشرعية والبراهين الساطعة هو من الأهمية بمكان. ذلك أن النقد الهادف والبنّاء وتمحيص الآراء يعين علىٰ اختيار

(١) أصول الفكر التربوي، لعباس محجوب (ص٢٠٢) والمفاهيم الأساسية لمناهج التربية، لعلي مدكور (ص٩٥).

(٢) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، لخالد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١١٦) السنة (٣١) ١٤٢٢هـ (ص٤٧٤-٤٧٥).

(٣) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص٢٩٣).

الصواب من الأقوال، ويساعد علىٰ حسن المنطق، وإبعاد الآراء الزائفة، والتصورات الباطلة.

ولهذا يرىٰ القاسمي أن مما ينور فكر الإنسان، ويبني لُبّه: تدريبه علىٰ حسن النقد والتمييز بين الصحيح والسقيم من الآراء. فقال: «من طرق تنوير الفكر، وتهذيب النفس، أن يعتني الإنسان بفحص كل الأمور، صغيرها وكبيرها، وأن لا تثني عزمه أية صعوبة، وأن لا يقبل فكرة من أية سلطة كانت إلا بعد فحص دقيق وانتقاد إنكاري حق بحيث لا تفوت فكرة سفسطة أو عدم ارتباط، أو خلط في الأفكار.(١)».

جاء في الحديث: «**لاَ تَكُونُوا إِمّعةً تَقُولوُن: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسَ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلكَنّ وَطّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسَ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا**(٢)».

فهذا الأثر حذر المسلم من أن يكون إمعة يتبع كل ناعق، ويغتر بكل رأي أو فعل، وإنما عليه أن يوطن نفسه، فهذا يقتضي أن لا يقبل القول أو الفعل إلا بعد النظر الدقيق؛ فإن رآه حسنا، أخذ به وقبله، وعمل به، وإلا تركه.

وعليه فإن من المسؤوليات التربوية والمواقف التعليمية في خلال الدروس التربوية تربية النشء علىٰ النقد الهادف، وممارسة التقويم الذاتي، من أجل تكوين القدرة علىٰ اختيار الأحسن والأصوب من الأقوال والآراء علىٰ ضوء الأدلة الشرعية والبراهين العقلية السليمة؛ بما

---

(١) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة - باب ما جاء في الإحسان والعفو، (ص٤٦٣) برقم (٢٠٠٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

ينمّي فيهم «سلامة التفكير، وحسن المنطق[1]»، وتنمية القدرات العقلية علىٰ الإبداع، والاستفادة من الآراء عن طريق تمييز الصحيح من السقيم.

سادسًا: الحوار وتبادل الآراء:

من أهداف أسلوب الحوار التربوي إثارة الأذهان، والتحفيز علىٰ التفكير السليم، والكشف عن الحقائق العلمية والمعارف والوصول إليها بالأدلة والبراهين المختلفة عن طريق الإقناع.

ولذلك فإن أسلوب «الحوار من العوامل [الهامة][2] التي تساعد علىٰ وضوح التفكير وسلامته، وعلىٰ التخلص من الأخطاء والعوائق التي تحول دون الوصول إلىٰ الحقيقة[3]»؛ لأنه مبني علىٰ الإقناع العقلي، ومقابلة الحجة بأقوىٰ، وتفتيح الأذهان علىٰ الصواب من الآراء.

قال القاسمي مبيّنًا دور المناقشات والحوار في إظهار الحق: «إن المعارضات والمحاجات تظهر ضعف الباطل وزهوقه، وتبين قوة الحق وثبوته. فالحجة تتبختر اتضاحًا، والشبهة تتضاءل افتضاحًا ... كل إنسان يرىٰ نفسه علىٰ الحق في الجملة، ولكن التمكن في المعرفة، والثبات علىٰ الحق، لا يعرف في الغالب إلا إذا وجد للمحق خصم ينازعه ويعارضه في الحق. هنالك تتوجه قواه إلىٰ تأييد حقه وتمكينه، ويحس بحاجة إلىٰ المناضلة دونه. والثبات عليه[4]».

(١) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، لخالد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١١٦) السنة (٣٤) ١٤٢٢هـ (ص٤٧٣).
(٢) هكذا، والصواب (المهمة).
(٣) التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية، لمسفر الزهراني (ص٢١١).
(٤) تنبيه الطالب إلىٰ معرفة الفرض والواجب، للقاسمي (ص٤٩).

وقال في هذا المعنىٰ أيضًا: «المعارضة في الحق تحمل صاحبه علىٰ تنقيحه وتحريره، وتنقيه مما عساه يلتصق به، أو يجاوره من غواشي الباطل، وتجعل علمه به مفصلًا، بعد أن كان مجملًا، ومبرهنًا بعد أن كان مُسَلّمًا، فهي مَدْرَجة الكمال لأهل اليقين، ومزلة الريب للمقلدين[(١)]».

ولقد استخدم القرآن أسلوب الحوار بكثرة في الدعوة إلىٰ التوحيد، ودحض شبه الكفرة، وتقنيد آراءهم الزائفة[(٢)].

ومن هذا المنطلق يرىٰ القاسمي أن من أحسن طرق بناء فكر الإنسان وتلقينه العلم أن يكون بطريق المناقشة والحوار، لأن بها يصل المتعلم إلىٰ المطلوب . . . ويحي فيه قوة التأمل والتعقل حتىٰ تصير ملكة راسخة . . .[(٣)].

وأسلوب هذه الطريقة في نظره: «. . . أن لا يلقن المعلم الطلبة ما يريد من الأحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب، أو يقلدوه مجرد تقليد في فهمها، ولكن لا يزال معهم في أخذ ورد وبحث وتمثيل، حتىٰ يصل بهم إلىٰ ما يريد، وأن يمرنهم أيضا علىٰ القدرة علىٰ التعبير عما يدركونه بعد إيضاح الموضوع لهم إيضاحًا تامًا، ولان يمرنهم علىٰ إثبات المدعىٰ بالبرهان الصحيح الثابت الذي لا يقبل النقض . . .[(٤)]».

ولا شك أن هذه الإلماحات التربوية للحوار التربوي تنمي في

(١) المصدر السابق (ص٣٥٨).
(٢) أصول التربية الإسلامية، للنحلاوي (ص١٨٥-٢٠٩).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٢٥).
(٤) المصدر السابق (ص٢٥).

الناشئة التفتح الذهني وقوة الاستيعاب، وترسيخ المعلومة، والثبات عليها والدفاع عنها، كما أنها تضفي علىٰ الجو الدراسي روح الحيوية والنشاط، وتشعر الطالب بأن له دورا مميزا في المشاركة التعليمية؛ أضف إلىٰ ذلك ما يوجده الحوار والنقاش من غرس محبة العلم والمعلم في نفس المتعلم؛ مما يكوّن له أكبر الأثر في نشأته التعليمية، ومشواره المعرفي.

وهذا ما ذهبت إليه الآراء التربوية المعاصرة[١]، وهو ما استخدمه الأنبياء والمرسلون كما صوره القرآن الكريم في الكثير من الآيات القرآنية العظيمة، وشهدت بتطبيقه السنة النبوية المطهرة.

ب- الوسائل الوقائية:

أولًا: الحذر من مصاحبة أهل السوء والبلادة:

مما لاشك فيه أن للرفقة تأثيرًا بالغًا علىٰ سلوك المرء وتصرفاته؛ إذ المرء يكتسب منها الأخلاق والسلوك، ويتلقّن منها العادات والصفات.

جاء في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيْرِ. فَحَامِلُ المِسْكِ إِمّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحًا طَيّبَةً. وَنَافِخُ الكِيْرِ إِمّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ رِيْحًا خَبِيْثَةً**[٢]».

فالحديث السابق يوضح التأثير التربوي في وسط الرفقة، فهم إن

---

(١) التربية بالآيات، للنحلاوي (ص٣٨).

(٢) تقدم تخريجه.

كانوا صالحين تأثّر الفرد بهم في أخلاقهم وأفكارهم، وإن كانوا أصحاب سوء قادوه معهم إلىٰ الزيغ في السلوك والأفكار.

ولهذا حذّر القاسمي من صحبة الأحمق؛ لأنه لا خير فيه؛ بل هو إلىٰ القطيعة والوحشة أقرب منه إلىٰ الألفة والمودة، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من هم أقل منك معرفة، وأدنىٰ درجة ينبغي ... أن لا تخالطهم إلا بقدر الحاجة ... فالمخالطة تؤثر، والطبع سراق(٢)».

وقال أحدهم:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردىٰ ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ما شاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب علىٰ القلب ... دليل حين يلقاه(٣)

ومن المعلوم أن معرفة شخصية الفرد وسلوكه وأفكاره من خلال معرفة خلانه واتجاهاتهم؛ لأن الفرد بسلوك زميله، ويقتدي بأفعاله؛ إلىٰ جانب تأثيره علىٰ مدراكه الفكرية وقدراته العقلية(٤).

جاء في الحديث الصحيح: «**المَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلْ**(٥)».

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٩٩-٢٠٠).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٥-١٦).
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٨٣).
(٤) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص١٦٦).
(٥) تقدم تخريجه.

وهذا ما يؤكد المسؤولية التربوية وأهميتها لدىٰ الأسرة والوسائط التربوية في التنويه علىٰ حسن اختيار الصحبة ولا سيما صحبة العلماء الربانيين الذين يوجهون الشبيبة إلىٰ سلوك الطريق الصحيح، كما يؤكد واجب المربين في إعانة النشء علىٰ تهيئة الوسط البيئي الجيد؛ والبحث لهم عن الأصدقاء الذين يعينونهم علىٰ الخير والبر.

ثانيًا: تجنب التعصب والتقليد غير الواعي:

من المعوقات التي تمنع بناء الفكر والعلم: التعصب والتقليد الأعمىٰ؛ إذ الذي يتعصب لفكر معين أو يقلد أشخاصًا معينين فإنه قد حصر فكره في اتجاه واحد، فلا يأخذ العلم ولا يستفيد من غيره أو يضيق سبيل الفائدة في أناس معينين، يرتأي رأيهم ويتعصب لأقوالهم، فهو بذلك يحرم نفسه الكثير من الفوائد التي تبني فكره، وتوجه عقله، وتنير لبه.

وقد بيّن القاسمي هذا المعنىٰ بقوله: «قلوب الأكثرين ملتاثة بمرض التأسي[١]، فهم يعتقدون الأمر، ثم يطلبون الدليل عليه، ولا يريدونه إلا موافقًا لما يعتقدون، فإن جاءه بما يخالف ما اعتقدوه؛ نبذوه، ولجّوا في مقاومته، وإن أدي بذلك إلىٰ جحد العقل برمّته . . .[٢]».

فالتقليد الأعمىٰ «يحول بين القلب والوصول إلىٰ الحق، ويمنع أن ينكشف في القلب غير ما تلقّاه بالتقليد، وهذا حجاب عظيم حجب أكثر

(١) لعل القاسمي يقصد بذلك: التقليد غير الواعي؛ وإلا فإن التأسي أمر مطلوب شرعا؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.
(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٥٧).

الحق عن الوصول إلىٰ الحق[١]» وتمييز الصحيح من الباطل، واستعمال الفكر في النقد والتحليل.

ولهذا حذّر القاسمي من التقليد وبين ضرره قائلًا: «التقليد جذام فشا بين الناس بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي، يوقع الإنسان في الخمول والكسل[٢]».

وقال في موضع آخر مبّينًا ضرر التعصب: «من أعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي، بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم، حتىٰ أصبح يبغض القريب قريبه إذا وجده يخالف رأيه، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو أقام علىٰ صحة رأيه البراهين، بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغًا دفع به إلىٰ أن يحنق علىٰ مخالفه، ويتحين الفرص للإيقاع به، حتىٰ إذا بدرت منه هفوة، أو ظهرت زلة -ولا معصوم إلا من عصم الله- رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه . . . غير مبال بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء، ويفكّك عرىٰ الإخاء . . .[٣]».

ولا يعني هذا أن ينأىٰ الإنسان بنفسه عن غيره، وعن الاستفادة من العلماء الربانيين؛ بل عليه «أن يسترشد بمن تقدمه . . . ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم، فإن وجده صحيحًا أخذ به، وإن وجده فاسدًا تركه . . .[٤]».

---

(١) بيان معرفة الحق بالدليل، للقاسمي (ق ١٦٤).
(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٥٧).
(٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة، للقاسمي (ص٩٦-٩٧).
(٤) بيان أن معرفة الشيء ببرهانه طريقة القرآن الكريم، للقاسمي (ق ١٦٥).

فالتحرر من رق التقليد المبني علىٰ الجهالة والاسترشاد ممن عرف باتباع الدليل أمر مطلوب، وهذا ما يلزم غرسه في نفوس الناشئة حتىٰ يعتادوا علىٰ قبول الحق من أي مصدر كان، وينبذوا التعصب المقيت للذات أو للآراء التي مبناها علىٰ الباطل، ذلك أن الحكمة ضالة المؤمن، أنىٰ وجدها أخذها.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليكن ضالة عقلك التي ينشدها، ونجعته التي يرتادها؛ الحق. فاحكم به ولو علىٰ نفسك، ولا تكن ممن تأخذه العزة بالإثم. فلا يصغي إلىٰ الحق، لكونه صدر عمن هو أدنىٰ علىٰ ما يعتقد، بل العاقل يأخذ الحكمة حيث وجدت، وليس في الحق صغير ولا كبير . . .[1]».

❊ ❊ ❊

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٤).

الفصل السادس

التربية الأخلاقية عند القاسمي

تمهيد

اهتم الإسلام بالأخلاق، وأعلىٰ من مكانتها، ورفع من شأنها؛ قال تعالىٰ واصفًا رسوله ﷺ بأعظم الصفات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

وجاء في الحديث الشريف: «**إنّ المؤمن ليُدْرِكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَة الصَّائِمِ القَائِمِ**[(١)]».

وفي الحديث الآخر: «**ماَ شَيءٌ أَثْقَلُ فِي مِيْزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَن . . .**[(٢)]».

فالأخلاق الفاضلة من أهم الأسس والدعائم التي تبني حضارة الأمة، وتحفظ كيانها، وتزيد من تقدّمها؛ لأن عليها «مدار المدنية والعمران، وترقي الإنسان، وصلاح البلدان، ونمو مدارك العلم والعرفان[(٣)]».

ولهذا دعا الإسلام إلىٰ الأخلاق الحسنة، وندب إلىٰ التحلي والاتصاف بها؛ بل ذهب الإسلام إلىٰ أبعد من ذلك عندما ربط الأخلاق بالإيمان الذي هو أساس الحياة ومصدر السعادة؛ قال ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**[(٤)]». فـ «الإيمان مركز

---

(١) رواه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (ص٦٧٩) برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٤) برقم (١٦٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق (ص٤٦٢) برقم (٢٠٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧).

(٤) تقدم تخريجه.

الأخلاق[1]»، والأخلاق من مكمّلات الإيمان.

ولهذه الاعتبارات الشرعية السابقة فإن دراسة التربية الخلقية لها أهمية عظيمة؛ يوضحه الفصل الآتي والمتضمن لمفهوم الأخلاق وأهميتها، وقواعد وأصول الأخلاق التي تساعد علىٰ فهم الأخلاق فهمًا صحيحًا، بالإضافة إلىٰ دراسة الأساليب والوسائل المعينة علىٰ تنمية الأخلاق، كل ذلك علىٰ ضوء ما كتبه القاسمي في مؤلفاته، مع دعم ذلك بالأدلة وأقوال السلف، إضافة إلىٰ المراجع التربوية المعاصرة.

❋ ❋ ❋

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٦٣).

المبحث الأول

مفهوم الأخلاق وأهميتها

المطلب الأول

مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح

الأخلاق في اللغة:

تطرّق القاسمي إلىٰ مادة «خَلَقَ» في اللغة في كتابه النفيس جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب(١) حيث قال: «الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معًا. يقال: فلان حسن الخَلْق والخُلُق أي حسن الظاهر والباطن، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة».

وبالنظر إلىٰ ما قاله القاسمي يتّضح أن لمادة «خَلَق» في اللغة جانبين:

الجانب الأول: جانب يتعلّق بظاهر الإنسان، وهو هيئته ومظهره وسمته، وهو ما يعبر بالخَلْق.

الجانب الثاني: جانب نفسي باطني، ويتعلق بسجايا الإنسان، وصفاته الخُلُقيّة، وهو ما يعبر بالخُلُق.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩).

ويرىٰ القاسمي أن التعبير بالخَلْق -أي بسكون اللام- أنسب بالجانب الظاهري، وأما الخُلُق -بضم اللام- فللجانب الباطني، وهو ما يتعلّق بأخلاق الإنسان، وآدابه حيث قال: «فيراد بالخَلْق الصور الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصور الباطنة[(١)]».

وهذا يعني أن كلمة الخُلُق هي الصورة الباطنة في الإنسان، والتي تنعكس آثارها علىٰ تصرّفاته الظاهرة، وهي التي تسمىٰ بالسلوك الأخلاقي.

ولقد جاء في لسان العرب ما يدعم رأي القاسمي ويؤيده، قال صاحب اللسان في حقيقة الخُلُق: «وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ...[(٢)]».

وهذا الإطلاق ذهب إليه أيضا صاحب المفردات في غريب القرآن[(٣)] حيث قال: «والخَلْق والخُلُق في الأصل واحد كالشَّرب والشُّرب والصَّرم والصُّرم، لكن خُصّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة، وخُصّ الخُلُق بالقوىٰ والسجايا المدركة بالبصيرة».

ولقد عبّر الشرع بالخُلُق عن السجايا والصفات والآداب، ورتّب عليه الثواب والعقاب علىٰ ذلك؛ ومن هنا جاءت الأحاديث في غير ما موضع تمدح حسن الخُلُق وتذم سوء الخلق؛ كقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ**

(١) المصدر السابق (ص٩).
(٢) (٤/ ١٩٤).
(٣) (ص١٦٤).

إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا[١]» مما يدل علىٰ أن الجزاء يتعلق بأوصاف الخُلُق لا الخَلْق[٢].

وهناك معطيات لغوية أخرىٰ للخُلُق كما جاءت في المعاجم اللغوية منها: الفطرة، والسجية، والطبع، والدين[٣].

ومن خلال هذا العرض اللغوي، فإنه يمكن تلخيص أبرز المعاني اللغوية فيما يأتي:

١- أن لمادة «خَلَق» في اللغة جانبين: جانب يتعلق بمظهر الإنسان وسمته، وجانب آخر يتعلق بالجانب الباطني السلوكي.

٢- كما أن الأخلاق منها حسنة ومنها قبيحة.

٣- أن الخلق يدل علىٰ الصفات الجبلية الفطرية في خِلقة الإنسان غير أنه يكتسب ويصبح وكأنه خلق مع طبيعته الفطرية[٤].

٤- أن الخلق الذي يُعوّل عليه هو السلوك الظاهر الذي يمثّل طويّة الإنسان.

الأخلاق في الاصطلاح:

وأما الأخلاق في الاصطلاح فقد عرّفت بتعاريف عديدة[٥]، ويدور

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ١٩٤).

(٣) ولسان العرب (٤/ ١٩٤) ومصباح المنير للفيومي (ص١٨٠) ومختار الصحاح للرازي (ص١٢١).

(٤) التربية الأخلاقية الإسلامية، لمقداد يالجن (ص٦٤).

(٥) انظر: الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للأصفهاني (ص١١٤)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٤) وتسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي (ص٥).

معظمها حول معنىٰ واحد، وهو أن الأخلاق عبارة عن أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع الغير[١].

واختار القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بين هذه التعاريف تعريف صاحب إحياء علوم الدين[٢] حيث قال: «فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلىٰ فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميّت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سمِّيت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيِّئًا[٣]».

ولهذا التعريف الدلالات الآتية:

أ- أن باعث السلوك الأخلاقي النفس الإنسانية، فهي التي تصدر الأفعال سواءً كانت حسنة أم مذمومة.

وهذه الميزة تؤكد أن السلوك الأخلاقي ليس مقتصرا علىٰ الأعمال الظاهرة فحسب، بل علىٰ الإنسان مراعاة أعمال القلوب من النيات الصالحة، والتأكد من سلامة البواعث والدوافع[٤].

ب- لابد من اتصاف الخُلُق بالثبات والدوام والسهولة، فهو هيئة

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٣٦).
(٢) انظر تعريفه في إحياء علوم الدين (٣/ ٤٩).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩) وموعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).
(٤) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، لعبد الله ضيف الله الرحيلي (ص٢٦) وجوانب التربية الإسلامية، لمقداد يالجن (ص٢٨٧) وأسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص٦٥٢).

راسخة في النفس لا يوصف به إلا من داوَم عليه، وصدَر عنه بسهولة ويسر، فمن اصطنع الكرم أو فَعَله عرَضًا أو تكلّف فِعْله لا يسمىٰ كريمًا.

ومع أن الخلق في رأي القاسمي لابدّ من الثبات والدوام؛ فهذا لا يعني في نظره عدم قبول الأخلاق للتغيير مطلقًا؛ إذ الأخلاق تتغير بالارتياض والتعليم وغيرها من الوسائل والطرق التي تنمّي الأخلاق وتهذّبها، وهذا المعنىٰ أكّده القاسمي بقوله: «يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة أن الأخلاق لا يتصوّر تغييرها، ولو صحّ ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلىٰ الأنس . . . فأجدر بالإنسان أن يتغير بالرياضة خلقه . . .[(١)]».

ج- أن مستند الخُلُق الشرع والعقل، فالحسن ما يحمد شرعًا وعقلًا[(٢)]، والقبح ما يذم شرعًا وعقلًا، وما كان حسنًا فهو محل ثواب، وما كان مذمومًا فهو محل عقاب[(٣)].

وهذه الخصيصة تعطي للأخلاق الإسلامية صفة الثبات والرسوخ، فهي لا تتغير بتغير المجتمع، ولا يتبدّل بتبدّل الأزمنة والأحوال، وهذا يعدّ من أهم خصائص الأخلاق الإسلامية وأعظم مميزاتها التي تنفرد بها عن القيم والأخلاق الوضعية التي يتعارف عليها الناس بعيدًا عن

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩-١٠).
(٢) انظر مسألة: هل يعرف حسن الأفعال وقبحها بالعقل أم بالشرع؟: كتاب التدمرية، لابن تيمية (ص٢١٥-٢١٨).
(٣) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، لأحمد الحليبي (ص١٨).

وحي الله المبارك[١]؛ إذ أنّ الاتجاه الذي يرىٰ أن مصدر الخلق العقل أو الاعتماد علىٰ الذات أو المنفعة غير ثابت علىٰ أصول أخلاقية، فإنها سرعان ما تنقل الرذيلة فضيلة والصفة المذمومة حسنة لمجرد التغيير أو اتباع الهوىٰ أو غير ذلك[٢].

وقد لاحظ البعض علىٰ التعريف الاصطلاحي السابق تغليب الجانب النفسي علىٰ الجانب العملي وهو السلوك، مع أن الجانب العملي مهمّ في تنمية الأخلاق وتهذيبها[٣].

ويمكن أن يقال في الجواب علىٰ هذه الملاحظة: أن الجانب النفسي هو الأساس في منطلق الأخلاق والسلوك، والجانب العملي تابع له في الغالب، ومن هنا أتي التركيز عليه.

كما لاحظ البعض إغفال التعريف جانب الإرادة، والتركيز علىٰ الجانب الغرزي؛ مع أن الإرادة من أقوىٰ أعمال النفس ومبدأ أفعالها[٤].

ويمكن أن يجاب علىٰ هذه الملاحظة بأن تركيز التعريف علىٰ الجانب الغرزي وصدورها من غير حاجة إلىٰ فكر وروية جاء علىٰ أساس أن الخلق قد تمكن من صاحبه بحيث تصبح تصرفاته الخلقية تلقائياً دون تردد يبعث علىٰ الفكر، وليس أنه لا يحتاج إلىٰ الإرادة، بدليل أن القاسمي وغيره ممن عرّفوا هذا التعريف لم يهملوا في شرحهم للتعريف جانب الإرادة والتكلّف، بل فصّلوا هذا الجانب بالأدلة الشرعية والعقلية؛

---

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، لعدنان باحارث (ص٩٣).
(٢) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، لأحمد الحليبي (ص٢٢).
(٣) المصدر السابق (ص١٩)
(٤) المصدر السابق (ص١٩).

ثم إن التعريف اشتمل علىٰ بيان الجانب النفسي، والإرادة من أعمال النفس، وعليه فهي داخلة في مجمل التعريف.

وبهذا العرض لمفهوم الاصطلاح يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١- أن الخلق أصله جبليّ، وأن لدىٰ الإنسان استعدادًا وإرادةً علىٰ تحسين خلقه أو تشويهه.

٢- لا يوصف المرء بخلقٍ ما إلا إذا كان علىٰ وجه داوَم عليه، وثبت علىٰ ذلك، فإذا حصل منه الصفة سواءً كانت حسنة أو سيئة علىٰ وجه الندرة؛ فإنه لا يوصف بذلك؛ لأنه ليس سجيّة من سجاياه، وإن كان قد يؤاخذ علىٰ ذلك.

٣- أن مستند ومصدر الخلق هو الشرع، والعقل السليم الموافق له، وبذلك تتميّز الأخلاق الإسلامية بالدّوام والرسوخ بحيث لا يتغيّر بتغيّر الأحوال والمجتمع والزمان.

المطلب الثاني
أهمية الأخلاق

احتلّت الأخلاق الفاضلة المكانة العليا والمنزلة الرفيعة في الدين الإسلامي، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تضمنا كثيرًا من التوجيهات الأخلاقية في جميع جوانب الإنسان ونشاطه.

فالقرآن الكريم اشتمل علىٰ كثير من الآيات التي ترشد البشرية لسلوك معالي الأمور وجميل الخصال؛ ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٨].

ومعظم ما في هذه الآيات من الأوامر والنواهي متعلق بالتوجيهات الأخلاقية، ففيها: الأمر بالإحسان إلىٰ الوالدين، والدعاء لهما، والإنفاق علىٰ المساكين والفقراء، والوفاء بالعهد، والنهي عن التبذير، والبخل، والزنا، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم بالظلم، وعدم القول علىٰ الله بغير علم، والنهي عن تطفيف الكيل، واجتناب التكبر وغير ذلك.

كما جاءت السنة النبوية موضحة لمكانة الأخلاق في الإسلام؛ ومبينة لمدىٰ تلازم الإيمان بها حث قال ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**[1]».

وقال أيضا مُبيّنًا أن الأخلاق من الأسباب المهمّة في ارتقاء درجات المؤمن في الآخرة: «**إنّ المؤمن ليُدْرِكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَة الصَّائِمِ القَائِمِ**[2]».

كما بيّن عليه الصلاة والسلام أن من أهداف دعوته ﷺ الدعوة إلىٰ الخُلُق الحسن فقال ﷺ: «**إِنّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِمَّ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**[3]».

وفيما يلي بيانٌ لأهمية الأخلاق علىٰ ضوء ما كتبه القاسمي مدعّمًا ذلك بالأدلة مع توضيح معالمها بالكتب التربوية المعاصرة:

---

(١) تقدم تخريجه في (ص١٤٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨١). وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص١٠٥): رجاله رجال الصحيح.

أولا ً السلوك وصلته بالدافع الديني (الإيماني):

بَيْن الإيمان والأخلاق علاقة وطيدة فالإيمان هو «مركز جميع الفضائل، . . . وركن الأخلاق[١]»، والينبوع الذي يستقىٰ منه الآداب الفاضلة، كما أن الأخلاق من علامات كمال الإيمان.

فالإيمان له تأثير بالغ علىٰ البواعث التي تؤثر في سلوك الإنسان وأخلاقه وتصرفاته؛ ولهذا فالمؤمن ترتقي أخلاقه وتكمل بقدر تمكّن العقيدة من قلبه، ويهبط سلوكه بقدر ضعف إيمانه[٢].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيّنًا دور الإيمان في حماية الفرد المسلم من المعاصي والذنوب: «انظر إلىٰ من ألمّ الإلحاد بقلوبهم، وتولت الأهواء نفوسهم، كيف يكونون أجرّاء علىٰ الرذيلة؛ إذ لا زاجر من الإيمان يؤنبهم، ولا وازع يمنعهم، من اقتراف المنكرات، والسعي بالفساد واجتراح السيئات، أين هؤلاء ممن إذا علت أمامهم الموبقات، وزيّنت نفوسهم الشهوات، كان لهم من الفضيلة زاجر، ومن قوة اليقين وازع؛ لصحة إيمانهم بالله، وما جاء من عنده . . .[٣]».

وفي المقابل فإن الأخلاق من علامات كمال الإيمان؛ فالمسلم كلما حسّن خلقه وجمّل آدابه كان أكمل إيمانًا، وأقرب منزلة عند ربه؛ جاء في الحديث الصحيح الذي يبيّن ترابط الإيمان بالسّلوك الحسن: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**[٤]».

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٦٣).
(٢) أصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي (ص١١٣).
(٣) دلائل التوحيد للقاسمي (ص١٣٣).
(٤) تقدم تخريجه.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق، وسوء الخلق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٩].

ومما يدل علىٰ ارتباط الأخلاق بالعقيدة أن القرآن الكريم كثيرًا ما يحثّ علىٰ الأخلاق الفاضلة، فيبدأ بالإيمان قبل الأمر بها، وفي ذلك إشارة إلىٰ أن الإيمان يقتضي ذلك[(١)]، وأن الأخلاق من ثمار الإيمان؛ ومن ذلك قوله تعالىٰ في الحث علىٰ التقوىٰ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وبهذا يتبيّن مكانة الأخلاق في الإسلام وأنها ملازمة للإيمان، فالإيمان يوجّه سلوك الإنسان، والأخلاق تزيد من إيمانه، وهذا مما يحفّز المتربّين للتخلّق بالأخلاق الحسنة، وتطبيقها في حياتهم العملية؛ ليكونوا بذلك من المؤمنين الصادقين.

---

(١) تربية الرسول ﷺ لأصحابه في الناحية الأخلاقية، للصديق عمر فضل الله (ص١٣٩) والفساد الخلقي في المجتمع ناصر بن عبد الله التركي (ص٧).

ثانيًا: أنها من أبرز أهداف التربية الإسلامية:

تضمّنت النصوص الشرعية التّوجيهات الأخلاقيّة في جميع مجالات الإنسان ومناشطه، ولم تترك جانبًا من جوانب الإنسان إلاّ وكان له توجيه وإرشاد[١].

ومن هنا كان من أبرز أهداف بعثة النبي ﷺ تربية الناس علىٰ الأخلاق الفاضلة، ومحاولة الوصول بهم إلىٰ كمال الخُلُق الإنساني؛ قال ﷺ مبيّنًا الهدف من رسالته: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**[٢]».

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «وقد أرشدت إلىٰ الأخلاق الفاضلة الشرائعُ الإلهية، والقوانين الحكمية علىٰ الإطلاق، وبعث نبينا ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق[٣]».

والعلة في ذلك أن الأخلاق «علىٰ التحقيق شطر الدين[٤]» وجِمَاعه ومِلاكه، بها يستطيع العبد أن يحسن علاقته مع ربه ﷻ، ويحدّد علاقاته الجيدة وسلوكه الطيب مع الخلق أجمعين؛ ولهذا فسّر ابن عباس رضي الله عنه كلمة «الخُلُق» بالدّين في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: علىٰ دين عظيم وهو الإسلام[٥].

وبهذا يتّضح أن الأخلاق الفاضلة هي غاية الدّين التي يرمي إلىٰ بلوغها من خلال تكوين الشخصية السوية للإنسان المسلم الذي لا يكمل

---

(١) مسؤولية الأب المسلم، لعدنان با حارث (ص٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧).

(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (٢٦٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١٥٠٩).

إيمانه إلا إذ صلحت أخلاقه واستقامت أقواله وأعماله[١]، وهذا ممّا يدل علىٰ أهميّة الدعوة إلىٰ تحقيق الخلق الحسن في الأجيال، وتربيتهم عليها، كما أن في هذا توضيحًا للمسؤولية الخلقية التي تقع علىٰ كاهل المربين.

ثالثًا: أنها وقاية للمجتمعات من الجرائم:

من المعلوم أن أخلاقيات الأفراد تنعكس علىٰ المجتمع، فإن كان الأفراد علىٰ خلق حسن كان المجتمع علىٰ خير وأمان، وإن كانوا علىٰ سيّء الأخلاق كان المجتمع كذلك؛ «إذ الفرد يمثّل المجتمع في خصائصه كما أن المجتمع يمثّل أفراده في أخلاقهم[٢]».

فالأخلاق الحسنة تحفظ علىٰ المجتمع توازنه وأمنه في هذه الحياة الدنيا؛ ولذلك أكّد القاسمي علىٰ أهميّة تعلم علم الأخلاق، وبيّن أن عليه مدار المدنية والحضارة، فقال: «فإن علم مكارم الأخلاق والشمائل، وتقويم النفوس بمحاسن الآداب والفضائل، من العلوم المهمة التي هي أساس نجاح الأمة، فإن علىٰ الأخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران، وترقي الإنسان، وصلاح البلدان، ونمو مدارك العلم والعرفان، كما أن بالأخلاق السيئة الهلاك والدمار . . .[٣]».

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، للزنتاني (ص٣٦٠).

(٢) دور التربية الأخلاقية الإسلامية لبناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، لمقداد يالجن (ص٦٧).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧).

والمتأمل لواقع المجتمع المسلم يرىٰ أنه يواجه تحدّيات من الانحلال الخلقي والفساد في العلاقات الاجتماعية، وشيئًا من الفساد الخلقي في التطبيقات الإدارية والمالية، بما يؤكّد أهميّة دراسة علم الأخلاق، والوقوف علىٰ مفهومه وضوابطه الشّرعية، والتّعرف علىٰ طرق اكتسابها، بما يعزّز لديها التطبيقات التربوية الخلقية التي تضمّنها المنهج الإسلامي حتىٰ تستقيم أحوال الأفراد في كل جوانبها الشخصية، فتخرج المجتمعات الإسلامية كخير أمة أخرجت للناس كما كانت في السابق.

رابعًا: سمُوُّ منزلة أهل الأخلاق:

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بجنّات عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، واختص الله سبحانه وتعالى أهل الأخلاق الحسنة من المؤمنين بالدرجات العلا في الجنة.

قال الله تعالىٰ مبيّنًا علوّ درجات أهل الخلق الحسن: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

جاء في تفسير القاسمي: «دلت الآية علىٰ أنه لا مرتبة بعد النبوة في الفضل والعلم إلا هذا الوصف، وهو كون الإنسان صدّيقا؛ ولذا أينما ذكر في القرآن الصدّيق والنّبي لم يجعل بينهما واسطة[1]، كما قال تعالىٰ في وصف إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وفي صفة إدريس: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

---

(١) أي لم يفصل بينهما بفاصل.

وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٣٣] . . . فقد وفّق الله هذه الأمة الموصوفة بأنها خير أمة، حتىٰ جعلوا الإمام بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام- أبا بكر علىٰ سبيل الإجماع(١) . . .».

كذلك جاء في السنة ما يوضّح أن الخلق الحسن مما يثقّل ميزان المؤمن؛ قال ﷺ: «**ماَ شَيءٌ أَثْقَلُ فِي مِيْزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَن. .**(٢)».

وأيضا جاء في السنة أن الله ﷻ اختص أهل الخُلُق الحسن ببيتٍ عال في الجنة؛ فقال ﷺ: «**أَنَا زَعِيْمٌ بِبِيْتٍ فِي رَبَض**(٣) **الجَنّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتً فِي وَسَطِ الجَنّة لمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الجَنّةِ لمَنْ حَسّنَ خُلُقه**(٤)».

كما وضّحت السنة أن بحسن الخلق ينال العبد درجة الصائم القائم، قال ﷺ: «**إنّ المؤمن ليُدْرِكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَة الصَّائِمِ القَائِمِ**(٥)».

وإلىٰ ما سبق بيانه أكّد القاسمي بقوله مبيّنًا أهميّة الخُلُق فقال: «وحسن الخلق لا يخفىٰ في الدين فضيلته، وهو الذي مدح الله -

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٢/ ٣٨٧). .

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أي ما حولها خارجا عنه (النهاية لابن الأثير: ٢١٨٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب باب في حسن الخلق (ص٦٨٠) برقم (٤٨٠٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠٦) برقم (١٤٦٤).

(٥) تقدم تخريجه.

سبحانه- به نبيه ﷺ إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال النبي ﷺ: «**أَكْثَر مَا يُدْخِلُ الناس الجَنّةَ تَقْوَىٰ الله وَحُسْن الخلق**[١]» وقال ﷺ: «**إنّ أَقْرَبَكُم مِنّي مَجْلَسًا أَحَاسِنُكم أخلاقًا الموطّئُون أَكْنافًا الذين يَأْلفُونُ ويُؤلَفُون**[٢]»[٣].

وفي موضع آخر نوّه القاسمي بمكانة الخلق الحسن وأهله بقوله: «فالخلق الحسن صفة سيّد المرسلين، وأفضل أعمال الصدّيقين، وهو علىٰ التحقيق شطر الدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، ... والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلىٰ نار الله الموقدة، ... كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلىٰ نعيم الجنان، وجوار الرحمن[٤]».

ومن هنا تأتي أهمية تنشئة الأجيال وتربيتهم تربيةً متكاملةً في جميع مناحي الأخلاق التي لا شأن من شؤون الحياة إلا ولها فيها أوفر الحظ والنصيب، وبالتالي ينعكس ذلك علىٰ أمن المجتمع واقتصاده وفي جميع شؤونه.

❊ ❊ ❊

(١) أخرج نحوه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق (ص٤٦٣) برقم (٢٠٠٤) وصححه.

(٢) أخرج بنحوه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق (ص٤٦٥) برقم (٢٠١٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) موعظة المؤمنين (ص١٩٦).

(٤) المصدر السابق (ص٢٦٥).

المبحث الثاني

قواعد وأصول الأخلاق

لاشك أن الدين الإسلامي قوّم الحياة البشرية، وعالج جميع شئونها، ورسم للبشرية طريق الهداية والفلاح، وأحاطه بإطار متين من الأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة.

فالتشريعات الإسلامية من: أوامرَ ونواهٍ، وإرشاداتٍ وتوجيهاتٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ كلها تدعو إلىٰ الأخلاق، وتعمّق في النفس البشرية معناها، وتصوغ المسلم بأهدافها وغاياتها ومراميها صياغةً تتجلىٰ فيها معالي الأمور ومكارمها، وتظهر فيها الأخلاق الفاضلة بكل معانيها، إضافةً إلىٰ بنائها للمجتمع بناءً شامخًا راسخًا بعيدًا عن الانحرافات الخلقية والفساد الاجتماعي والتدهور الأخلاقي.

فالمثل العليا والمبادئ العظمىٰ تزيّن المسلم وتجمّله، وتهذّبه وتزكّيه، وتطّهره وتحلّيه، وتعصمه من الزلل والضلال والفساد الخلقي.

كما أن المجتمع الإسلامي إذا تحلّىٰ بالأخلاق الكريمة، واتّصف بالصفات الحسنة عمّ بين ربوعه الأمن والسعادة، وتنّعم بالرخاء والسلامة، ونجا من الدمار والتصدع وويلات الانحراف الخلقي.

والدين الإسلامي بتعاليمه الخلقية المبثوثة في الوحي المنزل من عند رب العالمين، العالم بحقائق الإنسان ونفسيّاته، خير مصدر للتكوين

الخلقي لدىٰ الإنسان، لأنّه يتّصف بالفعالية والواقعيّة والمرونة والتجدّد المستمر المناسب لفطرة النّفس البشريّة. كما أنه يتّصف بالتوازن في وسائله ومناهجه وغاياته بعيدًا عن التطرف والجمود، وخاليًا من الانحلال والتفسخ[١].

ومع أن الدين الإسلامي بأساليبه الفذة قد وضّح معالم الأخلاق؛ إلا أن هناك «مفاهيم تربوية خاطئة لمعنىٰ الأخلاق عند الأفراد والجماعات، فالبعض يدخل في الفضائل ما ليس منها، لسوء الفهم والبعد عن الينبوع الأصيل . . . والبعض يخرج من الأخلاق بعض خصالها بحجج ذوقية واهية، فأفرزت هذه المفاهيم الخاطئة سلوكيات لا تتوافق مع المنهج الإسلامي[٢]».

وطالما أن هناك مفاهيم خاطئة حول مفهوم التربية الخلقية، والمنهج الإسلامي بدوره الفعّال يهدف إلىٰ بناء الأخلاق علىٰ الوجه الصحيح؛ فإنه من الأهميّة بمكان أن يقف المؤمن علىٰ المفهوم الصحيح للأخلاق، ويتعرّف علىٰ القواعد والمعايير الخلقية التي تساعده علىٰ فهمها فهمًا صحيحًا مبنيًا علىٰ أسس متينة، مستقاة من هدي الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

وانطلاقًا من هذه الأهمية؛ فإنّه من المناسب إيضاح القواعد الخلقية وأصول الأخلاق حتىٰ يكون المسلم علىٰ بصيرة منها، وعِلمٍ بمعالمها.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، للزنتاني (ص٣٨٩).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٣٥).

وهذا ما سيتضح من خلال مؤلفات القاسمي وكتاباته، مع دعم ذلك بالأدلة الشرعية، وأقوال أهل العلم والكتب التربوية المعاصرة.

وفيما يلي بيان لتلك القواعد والأصول الخلقية:

المطلب الأول
القواعد الخلقية

القاعدة الأولىٰ: الوحي مصدر الأخلاق:

غير خافٍ أن الشرع هو مصدر التكليف، والموضّح للأحكام والأخلاق والمعاملات؛ فالدّين الإسلامي مصدر ثرّ بالقواعد الخلقيّة ومعايير القيم والمبادئ السمحة.

فالقرآن الكريم وضّح أحوال النفس البشرية بجميع جوانبها المختلفة: نفسيًّا، وفكريًّا وأخلاقيًّا، وتعبديًّا . . . إلخ، وقدّم لها تحليلًا تربويًّا فذًّا رائعًا لا مثيل له، فما من قضيّة خلقية تهمّ الإنسان، وتمتّ له بصلةٍ إلا ووضّحها غاية التّوضيح، وبيّن معالمها غاية التبيان، ورسم لها الطّريق الأقوم والسّبيل الأمثل في ذلك.

كما أنه قدّم العلاج الناجع للمشكلات الأخلاقيّة والانحرافات السلوكيّة التي قد تعتري الإنسان في حياته العمليّة.

وإلىٰ جانب ذاك المصدر الأصيل، فإن السنة النبوية كانت تطبيقًا عمليًّا، وسلوكًا يترجم ما ورد في القرآن الكريم علىٰ أرض الواقع. فهي مدرسة أخلاقية متكاملة متناسقة لجميع جوانب الإنسان الخلقيّة، حيث وضّحت الأخلاق الحسنة، وحثت عليها بجميع الوسائل والأساليب، وفي الوقت نفسه فإنّها بيّنت سيء الأخلاق، وعواقبها الوخيمة، وحذّرت الناس منه، إضافةً إلىٰ أنها عالجت جميع الانحرافات الأخلاقية، والمشكلات السلوكية، بأسلوب فريد يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «فإن القرآن جامع لجميع المقامات والأحوال، وفيه شفاء للعالمين، فيه ما يورث الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والمحبة، والشوق، وسائر الأحوال، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة[١]».

وعن توضيح السنة لمعالم الأخلاق قال: «ماذا يفيدك مثل السيرة النبوية . . . إذا [قرأتها][٢] بتمعّن وتفكّر، أليس يمثل لك الخطوات التي كانوا يسلكونها أمامهم من المصاعب الجمّة، إنك لتجد بينها الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ولين القلب والجانب، كما أنك تجد في مقدمتها الصبر وصدق العزيمة . . .[٣]».

«ولذلك فإن ما تضمّنه القرآن الكريم، وما اشتملت عليه السنة النبوية: من أحكامٍ وتعاليم، وتوجيهاتٍ وإرشاداتٍ، وأوامر ونواهٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، وحمدٍ وذمّ، يعتبر الأساس السليم شرعًا وعقلًا للحكم الخلقي»[٤]. وكله متعلق بالأخلاق، وداع إليها، ومعمّق في النفس البشرية معناها.

ومع هذه المكانة العظيمة للوحي فإن المنهج التربوي لم يغفل الجوانب الأخرىٰ التي يمكن أن تسهم في تقييم المعايير الخلقية بشرط أن تكون مستقاة من الشرع، مهتدية بتوجيهاته تسير وفق ضوابطه؛ غير معارضة له؛ وهذه الجوانب هي:

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٤٥٩).
(٢) بين قوسين زيادة من الباحث للإيضاح.
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٢٢).
(٤) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، للزنتاني (ص٣٩٨).

أ/ الجانب العرفي(١):

لم يهمل المنهج التربوي الجانب العرفي، ولم يغفل مكانته في تقويم المعايير الخلقية.

فالمسلم «يستقي معايير وقواعد الحكم الخلقي الصحيح من الكتاب وسنة رسوله ﷺ . . . ثم يأخذ فيما يستجد من أموره، وما يتطور من مصالحه، وما يتغير من ظروفه في المجتمع والبيئة والحياة بحكم وميزان العقل الواعي المستنير بهدي الله تعالىٰ، ويضع في اعتباره عرف مجتمعه ومصالحه . . .(٢)».

وهذا الاعتبار له مستند من الشرع؛ «فالقرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والمكان والأحوال في أحكامه الراجعة إلىٰ العرف والعوائد(٣)»؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النِّسَاءِ: ١٩]. ففي الآية رد الله الزوجين في عشرتهما وأداء حق كل منهما إلىٰ الآخر إلىٰ المعروف المعتاد عند الناس في بلادهم وحالهم وقطرهم ومركزهم الاجتماعي(٤).

فعادات المجتمع وأعرافه تختلف من بيئة إلىٰ بيئة، ومن مجتمع إلىٰ مجتمع «فقد تكون العادة عند قوم من الأقوام أخلاقًا حسنة، وعند غيره ليست من المروءة(٥)».

---

(١) **العرف**: هو ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول. شرح لقطة العجلان، للقاسمي (ص٢١).
(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم والسنة، للزنتاني (ص٣٩٩).
(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص٦٢).
(٤) المصدر السابق (ص٦٣).
(٥) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٤٤).

وإلىٰ هذا أشار القاسمي عند معرض حديثه عن الحكم الشرعي في الأكل في السوق، فقال موضحًا اعتبار العرف في ذلك: «ووجه الجمع أنه يختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص، فمن لا يليق به ذاك لحاله أو عادة بلاده كان شرهًا وقلة مروءة، ومن لا فلا حرج[(١)]».

ب/ الجانب الوجداني:

وبالإضافة إلىٰ ذلك فإن المنهج التربوي لم يغفل الجانب الوجداني القلبي في تقويم معايير الخُلُق، فقد جاء في الحديث الصحيح: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**[(٢)]».

وفي الحديث الآخر: «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّد فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفتوكَ**[(٣)]».

فالحديثان دلا علىٰ الرجوع للقلوب عند الاشتباه مما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم[(٤)].

---

(١) موعظة المؤمنين (ص١٦١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (٤/ ١٩٨٠) برقم (٢٥٥٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده: (٤/ ٢٢٨) والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٤٠٣)، قال ابن رجب: إسناده جيد، وحسنه النووي. انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٩٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٩٣).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ مبينا اعتبار الجانب الوجداني القلبي عند الاشتباه بين الحلال والحرام: «وللقلب التفاتات إلىٰ قرائن خفية، يضيق عنها نطاق النطق، فليتأمل فيه، فإذا اطمأنّ القلب كان الاحتراز حتمًا واجبًا[(١)]».

ويمكن تلخيص الضوابط النفسية لتقييم المعايير الخلقيّة من خلال الحديثين المتقدمين بالآتي:

١- الرقابة الداخلية (الذاتية): وهي سكون القلب وطمأنينته تجاه الفعل المقصود، فيكون بذلك حلالًا وبرًّا، وإلا فهو الإثم.

٢- الرقابة الخارجية: وهي كراهة اطلاع الناس علىٰ الفعل، مما يدل علىٰ إثمه وحرمته، وإلا فهو الحلال[(٢)].

وكل ما سبق بيانه من الجانب العقلي والجانب الوجداني يُرجع إليهما في تقييم المعايير الخلقية إذا لم يرد فيها نصٌّ شرعي أو إجماع علىٰ ذلك، وإلا فالحكم والمردّ إلىٰ الوحي والشرع في تحديد معالم الأخلاق.

ومن خلال هذه القاعدة الرصينة تكمن أهمية الدراسات القرآنية والحديثية حول تقعيد المفاهيم والقواعد التربوية من خلال النصوص الشرعية، ومحاولة دراستها دراسة مؤصلة تفيد المجتمع المسلم كافة. كما يأتي هنا دور المربين والمسؤولين في إبراز مكانة القرآن والسنة، وتوجيه النشء علىٰ الاستفادة من معطيات النصوص الشرعية، والاستفادة منها في تطبيق الجوانب التربوية، ولا سيما الجانب الخلقي.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٩٤).

(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد حازمي (ص١٤٧).

القاعدة الثانية: اشتراط النية في العمل الخلقي:

إن الإخلاص هو روح الأعمال، وأساس العبادة، ومحرّك كل سعي هادف مثمر، والدافع للقوىٰ الكامنة في نفس الإنسان نحو البر والخير؛ ولذا فإن الأعمال لا تقبل بدونه؛ وعن ذلك قال القاسمي: «فكل عمل كان علىٰ علم بهذه النية فهو صالح متقبل بفضل الله تعالىٰ ورحمته؛ لأن صاحبه قد اتقىٰ الشرك، والجهل، والهوىٰ، فعمله مرفوع في الخزائن، مدخر له الجزاء[(١)]».

واعتبار الإخلاص في جميع الأعمال ثابت في الكتاب والسنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣].

وأما دليل السنة فقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بَالنِّيَاتِ . . .**[(٢)]».

فالنيات الصالحة هي التي تجعل الفعل الخلقي داخلًا في إطار الطاعة، وفي المقابل فإن النيات الفاسدة تخرجه عن دائرة القربات والطاعات. فصفة الكرم -مثلا- متىٰ قصد بها صاحبها الظهور والرياء صارت معصية، ومتىٰ قصد بها وجه الله ﷻ والإحسان إلىٰ الضيف وإكرامه كانت من الإيمان.

«كذلك الشجاعة فضيلة متىٰ قُصد بها إعلان كلمة الله، أما إذا كانت من أجل السمعة، وقول الناس: إن فلانًا شجاع صارت معصية، وهكذا سائر الأخلاق من: عدل، وصدق، ووفاء، وغيرها إذا لم يقصد

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي (٢٥٤).
(٢) تقدم تخريجه.

فاعلها بها طاعة الله لم تكن صحيحة[١]».

وإلىٰ ما سبق ذكره وضّح القاسمي ذلك بقوله: «وقد تختلف النيات باختلاف المقاصد، فيصير ما كان بُعدًا قربًا بحسن النية، وما كان حسنًا سيئًا بسوء النية[٢] . . .».

جاء في الحديث الصحيح: «أنّ رَجُلًا جَاءَ إِلى النّبِي ﷺ فَقَالَ: الرّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ للذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِل لِيُرىٰ مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيْلِ الله؟ قَالَ: **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيْلِ الله**[٣]».

ولا شك أن ما سبق بيانه يدل علىٰ أهمية استحضار النية عند العمل الخلقي؛ واقترانه عند فعل العبادات؛ وعليه فإن من الأهمية بمكان الاهتمام بالتربية القائمة علىٰ استحضار النية عند الأعمال السلوكية؛ حتىٰ تنمو في نفوس الناشئة بذور النيات الصالحة، ويتكون لديهم التقييم الذاتي المتمثل في مراقبة الله ﷻ في جميع الشؤون والأعمال، «وتكتسب أيضا الاستمرارية والثبات عليها؛ لأن الدافع إلىٰ ممارستها ابتغاء وجه الله -تعالىٰ- وليس لمنفعة مادية وقتية تنتهي بتحقق المقصود والغاية[٤]».

---

(١) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، لأحمد الحليبي (ص١٨٢).

(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (٢٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (ص)٥٧١ برقم (٢٨١٠). ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٣/ ١٥١٢) برقم (١٩٠٤) واللفظ للبخاري.

(٤) التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، لخالد الحازمي (ص٨٥).

القاعدة الثالثة: الأخلاق نتاج الفطرة والتنشئة:

تبرز أهمية هذه القاعدة من خلال آثارها في الحكم والتّطبيق السّلوكي للأخلاق؛ إذ ينعكس مفهومها الخاطئ علىٰ التصرفات السّلوكية، ذلك أن البعض يؤوّل أو يسند تصرّفاته الخلقية الخاطئة إلىٰ عاداته المتأصّلة في النّفس وعدم قدرته علىٰ التغيير والتبديل، وكأنها أضحت أخلاقًا جبلية لا تقبل التحسين، ولا يمكن تركها بخير منها.

وفي الجانب الآخر يلاحظ أن البعض يعتذر عن تحسين أخلاقه واكتساب جميل العادات بحجّة أنها غير فطرية، فمهما حاول في اكتساب معالي الأمور؛ والتخلّق بها؛ فإنها لا تكون راسخة في النفس؛ ولا تثبت علىٰ الدوام.

ولذلك فإن هذه القاعدة علىٰ جانب كبير من الأهمية، وقدر عظيم من المكانة التربوية؛ لما لها من صلة وثيقة بالتطبيق التربوي للخلق؛ فالمربي إذا وقف علىٰ الفطرة الخلقية لدىٰ المتربىٰ فإنه يسهُل عليه بدافع الفطرة أن يوجّهه إلىٰ محاسن الأخلاق، ويتخذ الأسلوب المناسب لتهذيبها، والحد من مساوئها. كما يمكن من خلال معرفته بالفطرة تعميق هذا الخلق، وترسيخه بأسهل الطرق وأيسرها.

ولقد تعدّدت الآراء واختلفت وجهات نظر العلماء حول هذه القاعدة[1]؛ إلا أنّ القاسمي ذهب إلىٰ أن الأخلاق تحصل عن طريق أمرين:

---

(١) انظر الأقوال والخلاف فيها: المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، لأحمد الحليبي (ص٢٤-٢٦) والنظرية الخلقية عند ابن تيمية، لمحمد عفيفي (ص٧٣) والخلق الكامل، لمحمد أحمد جاد المولىٰ (١/ ٢٥/ ٣١).

«أحدهما: بجود إلهي، وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق . . .

الوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة . . . وحمل النفس علىٰ الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب . . .[1]».

وبالنظر إلىٰ رأي القاسمي تبين أنه يرىٰ أن الخلق جبلي، وأن الإنسان لديه استعداد تام لتغيير خلقه إلىٰ الحسن أو إلىٰ الأسوأ. وهذا الرأي هو الصواب؛ لأنه يتفق مع النصوص الشرعية، ويتلاءم مع الأوامر الشرعية، وما يترتب عليه من جزاء العمل أو الترك، ومع ما هو مشاهد من أن الناس يولدون ولديهم طبائع الجبلة التي تتغير بالمحاولة حسب استعدادهم، وقوة المؤثر، فيختلفون حسب ذلك سرعة وبطئًا[2].

ولهذا الرّأي السّديد أصل من النصوص الشرعية:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

أي عرّفناه وبيّنا له سبيل الخير والشر، والنّجاة والهلاك، بأدلّة العقل والسّمع ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي بالاهتداء والأخذ فيه ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ بالإعراض عنه[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧١).
(٢) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، لأحمد الحليبي (ص٢٧).
(٣) محاسن التأويل (٧/ ٢٢٩).

جاء في تفسير القاسمي: «أي أودعنا في فطرته التّمييز بين الخير والشر، وأقمنا له من وجدانه وعقله أعلامًا تدلّه عليهما، ثم وهبنا الاختيار[١] . . .».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

أي خلقها سويّة مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، ثم بيّن لها الخير والشر، فمن زكّىٰ نفسه بالطاعة، وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل؛ فقد أفلح، ومن أهملها، ووضع فيها بخذلانه إيّاها في الهوىٰ وركوب المعاصي؛ فقد خاب وخسر[٢].

وأما من السنّة فقد ورد قوله ﷺ: «**كُلّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوّدانِهِ أَوْ يُنَصّرَانِهِ**[٣]».

فهذا الحديث يدل علىٰ الجانب الفطري.

وفي المقابل فإن قوله ﷺ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبّرْ يَصِبّرُهَ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**[٤]».

وغيره من الأحاديث يدلّ علىٰ أن الأخلاق مكتسبة.

(١) المصدر السابق (٧/ ٣٢٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١٥٨٩).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (ص٢٩٣) برقم (١٤٦٩) ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (٢/ ٧٢٩) برقم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

وبمجموع هذين الحديثين وغيرهما من الأحاديث يتبيّن أن فطرة الإنسان علىٰ السويّة المستقيمة، وأن لديه استعدادًا لتغيير خلقه سواء إلىٰ الحسن أو إلىٰ السيء.

ثم إنّه لو قيل بأن الأخلاق لا تقبل التغيير «لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وكيف ينكر هذا في حق الآدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن، إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلىٰ الأنس، والفرس من الجماح إلىٰ السّلاسة والانقياد، وكلٌّ ذلك تغيير للأخلاق[1]».

وبالجملة فإن الأخلاق منها ما هو جبليّ، ومنها ما هو مكتسب، وأن في الإنسان استعدادًا مزدوجًا للخير والشر، فإذا تيسّرت له التربية الحسنة، والمجتمع الفاضل، والبيئة الصالحة؛ فإنه ينشأ علىٰ الخير والصلاح، وإن كان غير ذلك نشأ علىٰ الفساد الخلقي، والانحراف السلوكي.

وبهذا المعنىٰ أكّد القاسمي بقوله: «وإذا تحقّقت أن الأخلاق الحسنة تارةً تكون بالطبع والفطرة، وتارةً تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارةً بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة، ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير إخوان الصلاح . . . فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتىٰ صار ذا فضيلة طبعًا واعتيادًا وتعلمًا فهو غاية الفضيلة، ومن كان رذلا بالطبع، واتفق له قرناء السوء، فتعلم منهم، وتيسّرت له أسباب الشر حتىٰ اعتادها؛ فهو في غاية البعد من الله ﷻ[2]».

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩-١٠).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٢).

وهذه القاعدة تؤكّد أهمية تنمية الفِطَر البشرية علىٰ الخير، وتوجيهها نحو الصلاح، وتعميقها بالسبل والأساليب التربوية عن طريق وسائل التربية الخلقية حتىٰ تخرج الأجيال علىٰ قدرٍ كبير من الأخلاق الحسنة، والسلوك الفاضل.

القاعدة الرابعة: وسطيّة الأخلاق:

من الخصائص الكبرىٰ والسمات العظمىٰ للأمة الإسلامية أنها أمة وسط خيار عُدول قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

أي جعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارىٰ، وبَيْن من جفاهم كاليهود، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارىٰ.

وفي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح صلاتهم إلا في بِيَعهم وكنائسهم، ولا يطهّرهم الماء من النجاسات، وقد حُرمت عليهم طيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارىٰ الذين لا ينجّسون شيئًا، ولا يحرّمون شيئا، بل أباحوا ما دبّ ودرج. فاختص الله لهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلّها، ومن الأعمال أفضلها(١).

وعليه؛ فإن المسلم مطلوب منه العدل والتوسط في شؤون حياته كلها، في: معاشه، وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، ونفقاته، وصدقاته، وجميع شؤونه.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٧٠).

ولقد جاء القرآن الكريم مرشدًا إلىٰ هذه القاعدة الجليلة، حيث حث علىٰ التوسط والاعتدال وذم التقصير ومجاوزة الحد؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النَّحل: ٩٠].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩] أي بالعدل في جميع الأمور[1].

ولهذا أثنىٰ الله ﷻ علىٰ المؤمنين بالوسطية في الإنفاق؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان٦٧].

ومن هذه الآية الكريمة استشف القاسمي قاعدة «الوسطية في الأخلاق» والاعتدال فيها، فقال: «والذي يدل علىٰ أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنىٰ الله -تعالىٰ- عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2]».

وبهذه القاعدة المتينة أكّد العلاّمة ابن القيم في كتابه الفوائد[3] حيث قال: «للأخلاق حدٌّ متىٰ جاوزته صارت عدوانًا، ومتىٰ قصرت عنه كان نقصًا ومهانةً، ... وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة».

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٣/ ٥١٤).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٠).
(٣) (ص١٤٢-١٤٣).

وكذلك إلىٰ هذه القاعدة ألمح الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين[١] فقال: «فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة، ومواضع مستحقة، فإن تجاوز بها الحد؛ صار ملقًا، وإن عدل بها عن مواضعها؛ صارت نفاقًا».

ولقد زاد القاسمي هذه القاعدة وضوحًا بضرب بعض الأمثلة علىٰ ذلك فقال: «والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية، وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعًا[٢]».

وكذلك قال في معرض حديثه عن خلق التواضع: «اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط، فطرفه الذي يميل إلىٰ الزيادة يسمىٰ تكبّرًا، وطرفه الذي يميل إلىٰ النقصان يسمىٰ تخاسسًا ومذلة، والوسط يسمىٰ تواضعًا، والمحمود أن يتواضع في غير مذلة وتخاسس»[٣].

وعلىٰ ضوء هذه القاعدة فإنه من الأهمية بمكان أن تربىٰ الأجيال علىٰ مفهوم التوازن في جميع شؤون الحياة، ولا سيما في مفهوم الأخلاق، بحيث لا إفراط يؤدي بهم إلىٰ النقص والمهانة، ولا تفريط يؤدي بهم إلىٰ التجاوز والعدوان، وخير الأمور أوسطها.

---

(١) (ص٢٣٨).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).
(٣) المصدر السابق (ص٣٧٧).

القاعدة الخامسة: الحكم الخلقي:

تبيّن من مفهوم الخلق عند القاسمي أنه: «عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلىٰ فكر ورويّة . . .»(١).

وهذا المفهوم يؤكد قاعدة ثبات الأخلاق في النفس البشرية ورسوخها، بحيث تصدر الأفعال الخلقيّة من المرء سجيّة دون تكلّف، فهذا يعني أنه لا يحكم للمرء بخلق من الأخلاق إذا صدرت منه علىٰ وجه الندرة، وفي توضيح هذه القاعدة يقول القاسمي رحمه الله: «وإنما قلنا: أنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر عنه بذل المال علىٰ الندور لحاجة عارضة لا يقال: خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير رويّة؛ لأن من تكلّف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد ورويّة لا يقال: خلقه السخاء والحلم(٢)».

ولقد جاء في الحديث الصحيح ما يؤيّد المعنىٰ السابق؛ قال ﷺ عن ناقته القصواء: «**مَاَ خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ**(٣)».

فهذا الحديث فيه «جواز الحكم علىٰ الشيء بما عرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة

---

(١) المصدر السابق (ص٢٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص٢٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (ص٥٤٩) برقم (٢٧٣٢، ٢٧٣١).

لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها . . .[١]» .

وعلىٰ ضوء ما سبق فإنه «لا يوصف الإنسان بما يطرأ علىٰ تصرّفاته من سلوك حميد أو ذميم، وإنما العمدة علىٰ ما أصبح له سجيّة وطبعًا وعادةً عرف بها[٢]» .

وانطلاقًا من هذه القاعدة تأتي أهميّة الوقوف علىٰ أحوال الفرد، وسبر أخلاقه، وتتبعّ معاملاته، واستصحابه في السفر، وامتحانه في الحقوق المالية وغيرها قبل إصدار الحكم علىٰ خُلُقِه، وهذا ما أكّده القاسمي ووضّحه بقوله: «وعلىٰ المادح أن لا يجزم القول إلا بعد خبرة باطنة. سمع عمر رضي الله عنه رجلًا يثني علىٰ رجل. فقال: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا، فأنت جار صباحه ومساءه؟ قال: لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه[٣]» .

ومن خلال ما سبق بيانه تحت هذه القاعدة يتأكد أهميّة دور المربّين في غرس القيم والمبادئ والمثل العليا في نفوس الأجيال منذ بواكير حياتهم وسنوات الأولىٰ من عمرهم حتىٰ تصير فيهم سجيّة وجبلّة، وعند ذلك لا تهزّهم الانحرافات الخلقيّة، ولا تميل بهم التّيّارات الشّهوانية. كما أنه من الأهميّة بمكان توضيح القواعد المتعلّقة بالحكم الخلقي السليم في النقد والتقويم للناشئة حتىٰ يكونوا علىٰ بصيرة بالأسس والضوابط التي يحكم بها علىٰ المرء بالخُلق المعيّن سواءً كان حسنًا أو سيئًا، لكي لا يقعوا في الأخطاء عند الحكم الخلقي.

(١) فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٣٣٥).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٦٧).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٣٠٧).

المطلب الثاني
أصول الأخلاق

من الأمور التي تعين علىٰ تحقيق الأخلاق الحسنة، والوقوف علىٰ معالمها بوضوح وجلاء: دراسة الجانب الذي يتعلق بأصول الأخلاق وأمّهاتها؛ وذلك أن دراسة الأصول الأخلاقية تساعد علىٰ معرفة ما تفرّع منها، وتولّد عنها من الفضائل الخلقية، وبتلك المعرفة يستطيع الفرد المسلم التطبيق العملي لما تفرّع من تلك الأصول بسهولة ويسر.

ولقد اعتنىٰ العلماء السابقون ببيان أصول الأخلاق من خلال مصنّفاتهم، إلا أن آراءهم تعدّدت في تحديد الأصول الأخلاقية؛ نظرًا لاختلافهم في تحديد المسببات؛ فبعض العلماء نظر إليها من حيث أصول الفضائل والرذائل التي تعتبر أمهات لكل فضيلة ولكل رذيلة، والبعض الآخر أشار إليها من حيث الأسباب التي تؤدي إلىٰ الفضيلة والرذيلة، وآخر يُرْجِع أصول الفاضل إلىٰ الدوافع النفسية التي تدفع المرء نحو الفضيلة أو نحو الرذيلة، ومنهم من يرىٰ أن أصل الأخلاق يرجع للحاسة الخلقية التي هي إدراك خيرية الأفعال وشريتها[١].

ويرىٰ القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأخلاق ترجع إلىٰ صفات جامعة تتفرع عنها الأخلاق الحسنة الأخرىٰ، وهذه الصفات[٢] هي:

---

(١) التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، لخالد الحازمي (ص٥٤ و٥٧ و٦٢).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).

١- الحكمة:

فالحكمة: تعين علىٰ إدراك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية(١).

ومما يدل علىٰ أهمية هذا الأصل قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال بعض المفسرين معلّلًا أهمية الحكمة، وحصول الخيرية لمن اتصف بها: «فكمال العبد متوقف علىٰ الحكمة؛ إذ كماله بتكميل قوّته العلميّة والعمليّة، فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك(٢)».

ولهذا أوصىٰ بعض السلف ابنه قائلًا: «يا بني، عليك بالحكمة، فإن الخير في الحكمة كلها(٣)».

٢- الشجاعة:

وأما الأصل الثاني فهو صفة الشجاعة؛ ففيها فضيلة القوة الغضبية، فهي منقادة للعقل المتأدب بالشرع في إقْدامها وإِحْجامها(٤).

(١) المصدر السابق (ص٢٦٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص١١٥).
(٣) السنن، للدارمي (١/ ٨٨) برقم (٣٨٤).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).

وهذه الصفة يندرج تحتها من الفضائل الخلقية: الكرم، والنجدة، وكبر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات، والنبل، والشهامة، والوقار[١].

قال أهل العلم في فضيلته: «اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل[٢]».

وقال الآخر: «وأصل الخير كله ثبات القلب[٣]».

٣- العفة:

وأما الأصل الثالث فهو العفة، وحقيقتها «تأدّب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع[٤]».

ويندرج تحتها من الفضائل: الحياء، والخجل، والمسامحة، والصبر، والسخاء، وحسن التقدير، والانبساط، والدماثة، والقناعة، والهدوء، والورع، والطلاقة، والمساعدة[٥].

قال بعض السلف: «الكمال في ثلاثة: وذكر منها: العفة في الدين[٦]».

٤- العدالة:

وأما الأصل الرابع فهو صفة العدالة، وهي «حالة للنفس وقوة بها

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٥٠).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، للإبشيهي (١/ ٣١٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣١٠).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).
(٥) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٥٠).
(٦) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص٣٩٣-٣٩٤).

يسوس الغضب والشهوة، ويحملها علىٰ مقتضىٰ الحكمة، ويضبطها في الاسترسال والانقباض علىٰ حسب مقتضاها[(١)]».

فالعدالة تجمع جميع الفضائل، وخلافها الجور الذي يجمع جميع الرذائل[(٢)].

قال بعض العلماء: «التوحيد والعدل هما جُمّاع صفات الكمال[(٣)]».

وهذه الأصول الخلقية إذا اتصف بها المسلم صدرت منه الأخلاق الجميلة كلها؛ «وقد أشار القرآن إلىٰ هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرَات: ١٥] فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هي قوة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهىٰ الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلىٰ ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلىٰ استعمال قوة الغضب علىٰ شرط العقل وحد الاعتدال[(٤)]».

ولعلّ في بيان وتوضيح هذه القواعد الخلقيّة وأصول الأخلاق ما يؤكّد أهميّة عناصرها في بناء مفهوم الأخلاق وتحديد معالمها، الأمر الذي يستوجب العناية التّربوية في إظهار هذه القواعد والأصول الخلقية من المفهوم النّظري إلىٰ المفهوم العملي التّطبيقي من خلال التركيز عليها

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٥٠).
(٣) التفسير القيم، لابن قيم الجوزية (ص١٧٩).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٨).

في بناء المنهاج الدّراسي، وكذا من خلال المواقف التّربوية المختلفة في المدرسة والمنزل وسائر الوسائط التّربوية المتعدّدة عن طريق استخدام وسيلة القدوة المثالية والتعليم المباشر وغيرها من الوسائل.

* * *

المبحث الثالث

وسائل التربية الأخلاقية

إن الأخلاق الحسنة عليها مدار الرقي، وتقدّم الأمة نحو الحضارة، وصلاح العمران، وهي من المبادئ الأساسية في استقرار الأمة، وسعادة الأفراد والمجتمعات؛ بل هي مطلب شرعي، وهدف أساس من أهداف البعثة النبوية؛ قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**[(١)]».

ولهذا احتلت الأخلاق المكانة السامقة والمنزلة العالية في الإسلام، وتضمّنت النصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ فضلها، وعلوّ كعبها[(٢)].

وطالما أن الأخلاق من الأهمية بمكان، فإن الأمر يتطلب الوقوف علىٰ الوسائل والأساليب التي تكسب المسلم الخلق الحسن.

وهناك وسائل عديدة للتّربية الخلقية، منها: الممارسة العملية والمجاهدة النفسية، واتخاذ القدوة الحسنة، ومصاحبة الصالحين، وتطبيق العقوبات الشرعية، ودراسة التاريخ والسير وغير ذلك..

وفيما يلي بيان لأبرز الوسائل علىٰ ضوء ما سطره القاسمي في مؤلفاته، مع توضيح ذلك بالأدلة الشرعية وأقوال السلف، والمراجع التربوية:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم بيان أهمية الأخلاق ومكانتها في (ص٢٣٧-٢٤٢).

أولًا: التدريب العملي والرياضة النفسية:

أودع الله ﷻ في النّفوس البشريّة استعدادات فطريّة لاكتساب مكارم الأخلاق، وقابليّات جبليّة لتنمية وتعديل السلوك. وهذه الاستعدادات الفطرية تزيد وتنمو عن طريق التدريب العمليّ علىٰ الخلق الحسن والمجاهدة النّفسية المصحوبة بـ «التكلّف في أول الأمر، وقسر النفس علىٰ غير ما تهوىٰ[(١)]» حتىٰ تألف النفس البشرية علىٰ العادات الحسنة والسلوك الطيب، ويصير بذلك سجية لها وطبعا، وعند ذلك يتيسر عليها التخلق بها.

والقاسمي أشار إلىٰ هذه الوسيلة التربوية النافعة وأشاد بأهميتها عند معرض حديثه عن الأسباب التي ينال بها الخلق الحسن بقوله: «اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة: أعني به حمل النفس علىٰ الأعمال التي يقتضيها الخُلُق المطلوب، فمن أراد -مثلًا- أن يحصّل لنفسه خُلُق الجود فطريقه أن يتكلّف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه، ويواظب عليه تكلّفًا مجاهدًا نفسه فيه، حتىٰ يصير ذلك طبعًا له، ويتيسّر عليه، فيصير به جوادًا، وكذا من أراد أن يحصّل لنفسه خُلُق التواضع، وقد غلب عليه الكبر، فطريقه أن يواظب علىٰ أفعال المتواضعين مدةً مديدةً، وهو فيها مجاهد نفسه، ومتكلِّف إلىٰ أن يصير ذلك خلقًا له وطبعًا، فيتيسّر عليه؛ وجميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذًا، فالسخي

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن حبنكة الميداني (١/ ١٩٧).

هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع . . .[١]».

ولاشك أن نظرة القاسمي لهذه الوسيلة التربوية متسقة ومتوافقة مع التوجيه الإسلامي للتربية الخلقية. ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتىٰ نفد ما عنده، فقال لهم: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعَفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصِبِّرُهَ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**[٢]».

ففي الحديث إشارة إلىٰ وسيلة تربوية نافعة لاكتساب الأخلاق الجميلة وهي الممارسة العملية والمجاهدة النفسية، وتعويد النفس علىٰ معالي الأمور، وجميل الخصال، حتىٰ يألف المؤمن ذلك الخُلُق، وتصير له سجيةً وطبعًا، وأن من تكلّف ذلك؛ فإنه مُعان من قبل الله جل جلاله.

كما أشار الحديث إلىٰ مكانة خُلُق الصبر، وأنه مفتاح للخير، وقوام الأمر؛ لأنه «أشق شيء علىٰ النفس وأكرهه، وأمرّه علىٰ الطبع وأصعبه، فيه الألم والكظم عند الذل والحلم . . . وفيه الأدب وحسن الخلق، وبه يكون كف الأذىٰ عن الخَلْق، واحتمال الأذىٰ من الخَلْق، وهذه عزائم الأمور التي يضيق منها أكثر الصدور[٣]»، وكلها طريقة لاكتساب الأخلاق الحسنة.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧١).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٢٧).

ومن هذا المنطلق فإن علىٰ المربّين أن يهتمّوا بتنمية سلوك النشء وتوجيه أخلاقهم عن طريق ممارسة القيم الأخلاقيّة بالتدريب العملي؛ لما له من الأهمية، فالمرء «من جرّاء المخالطة مع الناس مُعَرّض في هذا العالم لأن يعتريه الغضب، ويسيطر عليه مما يناله من أذىٰ الغير له، أو الاستهانة به، أو التعدي عليه وعلىٰ حقوقه[١]»؛ لهذا فإنّه محتاج إلىٰ أن يمرّن نفسه، ويدرّبها علىٰ التخلق بالأخلاق الحسنة مع الخَلْق علىٰ اختلاف مستوياتهم، فيحسّن خلقه مع غليظ الطبع، ويبذل في العطاء مع مَنْ حرَمه، ويحسن إلىٰ من أساء إليه، ويصبر علىٰ مَن آذاه . . . حتىٰ يعتاد هذه الخصال الجميلة، ويتّصف بها علىٰ وجه الفطرة، وعند ذلك يمكن أن يتلافىٰ ما قد يقع من جرّاء المخالطة من سوء الأخلاق.

ثانيًا: اتخاذ القدوة الحسنة:

للقدوة الحسنة أثر بالغ في ترقية أخلاق المؤمن نحو سلّم الكمال السلوكي والتمام الخلقي، بل هي من أنجع الوسائل المؤثّرة في توجيه الإنسان سلوكيًا، وأهم العوامل في إعداده خلقياً؛ إذ الإنسان مهما كان استعداده للخير عظيمًا، ومهما كانت فطرته نقيةً سليمةً، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير القدوة له مثالًا حيًا واقعيًا في ذروة الأخلاق[٢].

ثم إن «المثال الحي المرتقي درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه

(١) علم النفس التربوي في الإسلام، لمقداد يالجن وآخر (ص١٧٧).
(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعبدالله علوان (٢/ ٦٣٣).

الأمور تتهيج دوافع الغيرة لديه، فإن كان عنده في الأصل ميل إلىٰ الخير، وتطلّع إلىٰ مراتب الكمال، وليس في نفسه عقبات تصده عن ذلك، أخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به، بما تولّد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله . . .[(١)]»، كذلك فإن «القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية . . .[(٢)]».

ولبيان أهمية القدوة كوسيلة تربويّة خلقيّة يشير القاسمي إلىٰ دور القرين في التأثير علىٰ أخلاق الفرد سواءً كانت حسنةً أو سيئةً، فيقول: «وإذا تحققّت أن الأخلاق الحسنة تارةً تكون بالطبع والفطرة، وتارةً تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارةً بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير إخوان الصلاح؛ إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا . . .[(٣)]».

كما بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ تأثير القدوة علىٰ السلوك لدىٰ المتربي في بيئته الأسرية، فقال: «إذا لحظ المرء ما ينجم من التربية المنزلية يجد أنه كما يكون الأهل يكون الطفل في الغالب، فإن كانوا ذوي نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك، لما عُلِم من أنه ميّال للتقليد والمحاكاة، وإن كانوا جهلاء أغبياء وذوي خمول أو ضعف في العزيمة شب الطفل علىٰ ذلك . . .[(٤)]».

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن حبنكة الميداني (١/ ٢٠٣-٢٠٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٣-٢٠٤).
(٣) موعظة المؤمنين (ص٢٧٢).
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٥).

ولذلك اتّخذ المنهج الإسلامي القدوة الحسنة وسيلة من وسائل التربية الخلقية، ونوّه بأهميتّها، وحث المسلمين علىٰ تطبيق ذلك. قال تعالىٰ في وصف الأنبياء آمرًا المؤمنين بأن يتأسّوا بهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

جاء في تفسير القاسمي: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلىٰ الأنبياء المذكورين ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ أي إلىٰ الصراط المستقيم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ أي بطريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده، والأخلاق الحميدة والأفعال المرضية والصفات الرفيعة اعمل[١]».

وفي موضع آخر من صفحات الذكر الحكيم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي قدوة يقتدىٰ بهم في أمور الدين[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، لهذا أمر تبارك وتعالىٰ الناس بالتأسي بالنبي ﷺ ... في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته ...[٣].

ولما كانت القدوة الحسنة لها تأثير عظيم في نفوس الناشئة وسلوكهم؛ فإنه ينبغي علىٰ المربين أن يحمّلوا مسؤوليات القدوة حق

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٣/ ٣٦٧).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٦٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص١١٦١).

حملها، وأن يكونوا أنموذجًا مثاليًا لحسن السيرة والخلق الفاضل، بما يولد لدىٰ الناشئة حب الخير والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

ثالثًا: مصاحبة الصالحين:

غير خاف أن مصاحبة الأخيار تعتبر من المبادئ الأساسية في إصلاح السلوك، وتنمية الأخلاق الكريمة، ومن المؤكد تجربة وواقعًا أن الإنسان حين يعاشر أهل الصلاح يكتسب منهم الخير والاستقامة والخلق الحسن، بل يكون علىٰ مثلهم إيمانًا وتقوىٰ وثباتًا علىٰ الحق[1]، وفي المقابل إذا عاشر أهل الفساد، تخلّق بخلقهم، وتأثّر بسلوكيّاتهم المنحرفة.

ومن هنا فإن التربية الخلقية تستلزم من المسلم أن يكون حريصًا علىٰ اختيار الرفقة الصالحة[2]، ومجالستهم، والاستفادة من علمهم وإرشاداتهم وتنبيهاتهم. ولأهمية انتقاء الصحبة الصالحة يرىٰ القاسمي أن من طرق اكتساب المرء للأخلاق الحسنة أن «يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متديّنًا يلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه ينبهه عليه . . .[3]».

والمتأمل في التوجيهات الإسلامية يجد أن المنهج الإسلامي قد عني بهذا الجانب العظيم، ووجه المؤمن باختيار الجليس الصالح الذي يعينه علىٰ الخير، ويرشده إلىٰ سبل الطاعات، وينبهه من ارتكاب المحرمات.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة (١/ ٢٠١-٢٠٢).
(٢) تَقَدّم بيان المعايير التي علىٰ ضوئها ينبغي اختيار الرفقة الصالحة في (ص١٠٣).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وجاء في الأثر: «**لاَ تُصَاحِبْ إِلّا مُؤمِنًا وَلاَ يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلّا تَقِيّ**[١]».

وعنه ﷺ: «**المَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحدكمْ مَنْ يُخَالِلْ**[٢]».

وفي المقابل حذّر الإسلام من مصاحبة الأشرار الذين يصدّون عن ذكر الله وعن الطاعات، قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

كما وردت آثار كثيرة عن السلف تؤكد أهمية صحبة الأخيار، والحذر من صحبة الأشرار. قال بعضهم ناصحًا ابنه: «يا بنيّ، إذا عرضت لك إلىٰ صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك[٣]، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأىٰ منك حسنة عدّها، وإن رأىٰ سيئة سدّها[٤]».

وقال الآخر: «لا تصحب إلا أحد رجلين: رجلا ترتفق به في أمر

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، (ص٢٣٩٥) برقم (٢٣٩٥) وحسنه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أنفق عليك وعالك وكفاك المؤونة. (لسان العرب، لابن منظور ١٣/ ٢٢٥).
(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٠٠).

دنياك، أو رجلا تزيد معه وتنتفع به في أمر آخرتك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير[(١)]».

وعلىٰ ضوء ما سبق تأتي أهمية المسؤولية التربوية علىٰ الأسرة والمربين نحو توجيه النشء باختيار الرفقة الصالحة، وإعانتهم علىٰ ذلك، والإشادة بأهميتها، وبيان آثارها الطيبة علىٰ سلوك الفرد ومعاملاته وجميع شؤونه الدنيوية والدينية.

رابعًا: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من خصائص الإسلام الكبرىٰ، وسماتها البارزة، وعلاماتها المميّزة عن بقية الأمم السابقة، خاصيّة قيام أتباعها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمتتبّع للوحي يقف علىٰ النّصوص الشّرعية المتضافرة التي تحثّ علىٰ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنصّ علىٰ وجوب وعظم مسؤوليّة هذه الشّعيرة السَّنِيّة، ومنها:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ففي الآية بيان إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن قوله: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به؛ إذ حصر بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)].

---

(١) المصدر السابق (ص٢٠٠).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٢/١٠٨).

وقال تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المَائِدَة: ٦٣].

قال بعض العلماء: «دلّت الآية علىٰ أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١)».

ومن السنة النبويّة المطهّرة: قوله ﷺ: «**من رأىٰ منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**(٢)».

فالحديث دلّ علىٰ: «وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وإنّ إنكاره بالقلب لابدّ منه، فمن لم ينكر قلبُه المنكرَ دلّ علىٰ ذهاب الإيمان من قلبه(٣)».

وقال ﷺ: «**وَالذَّي نَفْسِي بيَدِهِ لَتَأمُرنّ بِالمَعْرُوْفِ، وَلَتَنْهوُنّ عَنِ المُنْكَر، أَوْ لَيُوْشكَنّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عِقَابًا مِنْهُ ثُمّ تَدْعُوْنَهُ فَلاَ يَسْتَجِيْبُ لَكُم**(٤)».

ولاشكّ أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العوامل المهمّة في النهوض بالمجتمع الإسلامي، والرقيّ به إلىٰ درجات الفضيلة ومعالي الأمور، «وسلامته من الآفات والأمراض والمعاصي التي تفتكّ

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٢٥).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . . . (١/ ٦٩) برقم (٤٩).
(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٢٤٥).
(٤) رواه الترمذي في سننه: أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (ص٤٩٨) برقم (٢١٦٩) وحسنه.

بالأمة، وتقضي علىٰ مقوّماتها[١]»؛ إذ لو أنّ كل فرد في المجتمع قام بهذا الواجب العظيم وأدّىٰ هذه المسؤولية المنوطة به لانسدت طرق المنكرات، وانغلقت منافذ الشرور، وأقاموا مجتمعًا متعاونًا علىٰ البر والتقوىٰ، محافظًا علىٰ القيم الأخلاقية.

وبهذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الإنسان كافة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذين نوّهت الشرائع بعلوّ شأنهما، وجعتلهما من أهم الوسائل النّافعة في تقويم أود الأمة، وتشييد دعائم هيئتهما الاجتماعية . . .[٢]».

وفي موضع آخر قال ﷺ: «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، لو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله؛ لفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وخربت البلاد، وهلك العباد[٣]».

وحتىٰ تؤتي هذه الشعيرة أكلها يرىٰ القاسمي أنها: «لا تجدي إلا باستيفائها شروطها من الصدق والإخلاص واللين في القول والمحبة والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة في اللسان بالسباب والشتم مما تنفر منه الطباع السليمة[٤]».

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، لحسن أيوب (ص٤٥٩).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٤).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٤٣).
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٤).

كما يرىٰ القاسمي أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ درجات[(١)]:

الدّرجة الأولىٰ: تعريف المزجور بأنّ ما يفعله منكر، فإنه قد يقدم عليه بجهله، فلعلّه إذا عرف أنه منكر تركه.

الدّرجة الثانية: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالىٰ، وذلك فيمن يقدم علىٰ الأمر وهو عالم بكونه منكرًا.

الدرجة الثالثة: التعنيف بالقول الغليظ، وذلك عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح.

الدرجة الرابعة: التغيير باليد وذلك كإراقة الخير وإتلاف المنكر[(٢)] ... وهذه الدرجة ليس إلىٰ آحاد الرعية، وإنما تتطلّب شروطًا خاصة لمن يقوم بها، حيث أنه «لا يستطيع القيام بهذه الدرجة إلا من كانت في يده سلطة، أو كان له حق الولاية، أو المسؤول عن فئة من البشر مسئولية تعطيه صلاحية تغيير المنكر ...[(٣)]».

وتبيان القاسمي لدرجات القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة منه إلىٰ حسن التعامل مع المواقف الخاطئة التي تصدر من المتربين؛ ووضع العلاج المناسب لكل موقف، فليست الأخطاء علىٰ مستوىٰ واحد، وإنما تختلف من موقف لموقف، ومن شخص إلىٰ شخص.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٤٥-٢٤٦).

(٢) للاستزادة عن موضوع درجات إنكار المنكر، انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/ ٣٢٥-٣٢٧) ومجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٢٨/ ١٢٧) والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (٣/ ٢٧) والآداب الشرعية، لابن مفلح (١/ ١٦١-١٦٢)، وأحكام القرآن، للجصاص (٢/ ٣١٥).

(٣) توجيهات تربوية مستقاة من سورة العصر، لجميلة يحيىٰ ميمني (ص١٥٤).

وانطلاقًا من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره الواضح في تقويم أود المجتمع الإسلامي؛ فإنه يتوجب علىٰ ولاة الأمر والعلماء أن يقوموا علىٰ عامتهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فيأمروهم بما أمر به الله، وينهوهم عما نهىٰ عنه الله ﷻ، لكي يساهموا في وقاية المجتمع من الانحرافات السلوكية والفساد الخلقي.

كما علىٰ أفراد المجتمع المسلم أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف كلٌّ علىٰ حسب استطاعته حتىٰ يبثوا في المجتمع روح الخير ويمنعوا منه منافذ الشرور والمنكرات.

خَامسًا: تطبيق العقوبات الشرعية:

من المعلوم أن طبائع البشر تختلف في مستويات قبول الوسائل التربوية، فمن الناس من يتأثّر بالموعظة، ومنهم من يتغيّر حاله بالقصص والعبر، والبعض ينفعه الترغيب والترهيب.

ومن الأساليب التربوية الفاعلة والمؤثّرة التي تقوّم النّفس البشرية، وتهديه إلىٰ جادّة الصواب أسلوب العقاب.

ولذلك اتخذ الإسلام أسلوب العقوبة من خلال تطبيق العقوبات الشرعية[١] لحماية المجتمع الإسلامي من الرذيلة والفساد الخلقي.

---

(١) للاستزادة عن أنواع العقوبات الشرعية وآثارها التربوية، انظر: التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، لخالد الحازمي (ص٤٥٩-٤٧٧) والتربية الوقائية في الإسلام ومدىٰ استفادة المدرسة الثانوية منها، لخليل الحدري (ص٥٠٧-٥٣١).

فقد شرع الله بعض العقوبات صيانةً للأخلاق الفاضلة وحمايةً لها، فعلىٰ سبيل المثال لكي يحافظ علىٰ خلق الأمانة: شرع الله عقوبة السرقة . . . حيث يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المَائِدَة: ٣٨].

ولكي يحافظ علىٰ خلق الحياء والعفة شرع الله عقوبة الزنا واللواط والقذف؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ﴾ [النُّور: ٢] وقال تعالىٰ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٤].

ولا شك «أن للعقوبات الشرعية أثرًا بالغًا في إصلاح السلوك الأخلاقي للفرد المنحرف أو للمجموعة المنحرفة، ذلك لتوافق ألم العقوبة مع جسامة الانحراف، فهي ليست متعسّفة بحقه فتظلمه، وليست بأقل من قيمة الجرم وأثره علىٰ حياة المجتمع فتشجّعه علىٰ الاستمرار في الانحراف[(١)]»، «وليس ذلك بغريب، فإن الذي شرع هذا الدين هو الذي يعلم ما يصلح العباد وما يصلح لهم في دنياهم وعاقبة أمرهم[(٢)]»، وبهذا المعنىٰ سطّر القاسمي في تفسيره محاسن التأويل حيث قال: «فما قضىٰ سبحانه بشريعته لمخلوقاته رحمة منهم بهم، إلا لضعفهم وميلهم إلىٰ الشر. وضعف الإنسان وانحرافه يقضي بإلزامه شريعة يخضع لها. فهي ضرورية له ضرورة نظام الأجرام الفلكية لها . . . لأن الإنسان متىٰ علم

(١) التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، لخالد الحازمي (ص٤٦٨).
(٢) التربية الوقائية في الإسلام ومدىٰ استفادة المدرسة الثانوية منها، لخليل الحدري (ص٥٣٣).

أن ليس له إله يثيب علىٰ الخير ويعاقب علىٰ الشر، أطلق لنفسه عنان الفساد، واطرح العذار في مضمار الشهوات وإحراز الرغائب، قضاء لما يحسبه من سعادته . . وبالجملة فلا يظنن أحد أن العالَم يدوم أو يبقىٰ فيه شيء من النظام أو الهيئة الاجتماعية إذا لم يكن الناس مقيّدين بشريعة إلهية تصد الفاجر عن الفجور . . .[١]».

والمتأمل لأحوال العالم الإسلامي المعاصر يجد أن فيه الكثير من الفساد الخلقي، وأن من أسباب ذلك: هو عدم تطبيق العقوبات الشرعية؛ ومن هنا فإن من المسؤوليات التربوية تجاه ولاة الأمور أن يسنّوا عقوبات تشريعية مستمدة من نصوص الوحي تطبق علىٰ أصحاب السوء والمنحرفين، حتىٰ يحموا بذلك المجتمع الإسلامي من مساوئ الأخلاق، ويحدّوا من تفشيها.

سادسًا: دراسة التاريخ:

لا شك أن التاريخ له دور كبير وتأثير عظيم في توجيه الأفراد والشعوب نحو الخير، وطرق الفلاح، وعوامل السلوك الحسن؛ لما يحتوي فيه من عوامل التأثير علىٰ النفوس الشريفة، واستمالة القلوب والوجدانات، وبما ينطوي عليه من عوامل القدوة من خلال سير الأنبياء والرسل والصالحين والأحداث التاريخية.

فالتاريخ هو المفكّرة الماضية والمذكّرة الواعية التي تمدّ الإنسان بأحوال الأمم السابقة وتاريخها، وسيرها، وأحداثها، وأسباب ارتقائها،

(١) محاسن التأويل (٥/ ١٢٥).

وبقائها، وعوامل حضارتها، وازدهارها، كما أنّه يمدّه بعوامل ضعف الأمم وفنائها وانكسارها[١].

ولذا فإن دراسة التاريخ والسير الماضية يعتبر من الوسائل التربوية في بناء الأخلاق وتهذيبها، وهذا ما أشار إليه القاسمي بقوله: «فإن للتاريخ تأثيرًا غريبًا في الأخلاق، والوجدانات النفسية، والميول الشريفة، وإعداد النفس للحياة الاجتماعية، وتعلّم سير النظام الكوني في سنته، من ارتباط الأسباب بالمسبّبات، والنتائج بالمقدمات، ويتّخذ الماضي مثالًا للحاضر، ويتبصّر فيما كان يتّخذه الأقدمون من الأسباب لارتقائهم فيما يهبط بالأمم[٢]».

ولا شك أن توجيه القاسمي إلىٰ دراسة التاريخ واستجلاء الحكم والعبر منه، متوافق مع المنهج التربوي الإسلامي. ولقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلىٰ كثير من أخبار الأمم الماضية، ودعا إلىٰ دراستها، والتأمل في أحوالها؛ لكي يكوّنوا منها عبرةً وعظةً؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النَّمل: ٦٩] وقال في موضع آخر: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يُوسُف: ١١١].

ومما سبق بيانه يتضح الدور التربوي لدراسة التاريخ؛ ولذا فإن من الأهمية بمكان صياغة المنهج التاريخي بما يتناسب مع المبادئ التربوية،

---

(١) تاريخ الدعوة، لجمعة الخولي (ص٧-٨).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٢٢).

وبما يحقق الأهداف التربوية من: أخذ العبرة والعظة، والاستفادة من أحداثها، ودراسة أسباب التقدم وعناصر القوة . . .[١]

كذلك من لوازم صياغة المنهج التاريخي أن يقوم العلماء والمثقفون والمربون بانتقاء القصص التاريخية وأحداثها، ودراسة أسانيدها، وبخاصة ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي، حيث إن المؤرخين الغربيين قد ألصقوا مفترياتهم وأباطيلهم بالكثير منها، وحاولوا تشويه صورته، وهدم بطولاته وعبرته في نفوس المسلمين، والحيلولة دون أن يؤدي هذا التاريخ دوره التربوي العظيم في نفوس المسلمين[٢].

* * *

(١) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في مناهج التعليم العام في المملكة العربية السعودية، لمحمد بكر كمال (ص٨٢).

(٢) العلوم الاجتماعية وتدريسها، ليوسف القاضي (ص١٠٣-١٠٤) تاريخ الدعوة، لجمعة الخولي (ص٨-٩).

الفصل السابع

التربية الجسمية عند القاسمي

تمهيد

لاشك أن صحة الجسم وقوته من النعم العظيمة التي أنعمها الله علىٰ عباده؛ قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ**[(١)]».

ولذلك فإن الجانب الصحي من أهم الجوانب التربوية التي يلزم رعايتها والعناية بها؛ لأنها من المقومات الأساسية التي تساعد المسلم علىٰ أداء وظائف الحياة وتحقيق العبودية لله -تعالىٰ- علىٰ أكمل الوجه.

فصاحب الجسم القوي أكثر قابلية وحيوية علىٰ أداء واجباته وأعماله الدنيوية والأخروية، وأكثر فعالية في بناء مجتمعه والأخذ به نحو التقدم والازدهار.

كما أن صحة الجسم لها علاقة وارتباط قوي بالجوانب التربوية الأخرىٰ؛ إذ أن شخصية الفرد لن تكون متناسقة في نموها إلا إذا كان الجسم صحيحا، فـ «الصحة وحسن النمو واللياقة البدنية تسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في النمو العقلي للفرد، وفي تكامل شخصيته، وفي نجاحه في الحياة[(٢)]».

ولهذا عنىٰ الإسلام بالقوة الجسدية، واعتبرها من الصفات التي يمتدح بها الإنسان . . . كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القَصَص: ٢٦].

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ، ولا عيش إلا عيش الآخرة (ص١٣٥٦) برقم (٦٤١٢).

(٢) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص٣٠٥).

وقوله تعالىٰ في مدح طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**[1] . . .»[2].

ومن هنا فإن التربية الجسمية من أظهر الجوانب التربوية التي تكمل بناء الإنسان جسمياً وعقلياً ونفسياً؛ لأن عليها تُبنىٰ صحة النفس والعقل؛ إذ العقل السليم في الجسم السليم.

لذلك كانت العناية والاهتمام بالجسم والمحافظة علىٰ الصحة من أهم الجوانب التربوية التي تسعىٰ التربية الإسلامية إلىٰ تحقيقها بالطرق والأساليب الوقائية والعلاجية.

ومن هنا كان الفصل الآتي بما حواه من مباحث محاولة لدراسة التربية الجسمية عند القاسمي مع تضمين ذلك بالأدلة الشرعية وأقوال السلف الصالح، إضافة إلىٰ المراجع التربوية المعاصرة يتخللها بعض من التوجيهات التربوية.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٤/ ٢٠٥٢) برقم (٢٦٦٤).

(٢) النمو الإنساني ومراحله في المنهج الإسلامي، لعلي الزهراني، وآخر (ص١٧٧-١٧٨).

المبحث الأول

مفهوم التربية الجسمية

أولًا: الجسم في اللغة والاصطلاح:

جاء في جمهرة اللغة: «الجسم: كل شخص مُدْرَك[(١)]».

وهذا يعني أن الجسم كل شاخص يدرك بالبصر.

وفي لسان العرب: «الجسم: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم من الأنواع العظيمة الخَلْق ... والجمع أجسام وجسوم[(٢)]».

وعلىٰ هذا التعريف فإن الجسم مجموعة من أجزاء البدن الذي يحوي علىٰ الخلايا والأنسجة وغيرها من مركبات الجسم.

وبالنظر إلىٰ التعريفين يتبين أن تعريف ما جاء في جمهرة اللغة أعم مما جاء في لسان العرب؛ إذ يرىٰ أن الجسم هو الشيء الذي يُدْرك بالبصر، بمعنىٰ آخر: هو الشاخص المشاهد، فيدخل فيه جسم الإنسان، وجسم الحيوانات، وجسم النباتات والجمادات[(٣)].

---

(١) لابن دريد (٢/ ٩٤).

(٢) لابن منظور، (٢/ ٢٨٤).

(٣) المصباح المنير، للفيومي (ص١٠١).

وجاء في المفردات في غريب القرآن: «الجسم ماله طول وعرض وعمق، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وإن قطع ما قطع وجزّئ ما جزئ[(١)]».

وهذا التعريف فيه توضيح لأبعاد الجسم ونواحيه: وهي الطول، والعرض، والعمق، كما أنه يوافق التعريف الثاني من حيث العمومية.

وخلاصة القول: أن مفهوم الجسم في اللغة علىٰ معنيين:

١- أن الجسم مجموعة أجزاء البدن.

٢- أن الجسم هو الشاخص المُدْرَك.

أما تعريف الجسم في الاصطلاح فهو: «ذلك الكيان المادي الذي يقابل الروح في الإنسان، والمؤلف من مجموعة الأعضاء الحية التي تشغل حيزًا[(٢)]».

ثانيًا: مفهوم التربية الجسمية:

يرىٰ القاسمي أن مفهوم التربية الجسمية: أن يراعي المرء صحة الجسم بما يحفظها ويباعدها من ضعفها وانحلالها[(٣)].

وبالنظر إلىٰ رأي القاسمي يتضح أنه ركز علىٰ عنصرين مهمين في بناء الجسم، وهما:

١- حفظ الجسم وتقويته.

٢- الوقاية عما ينهك الجسم ويضعفه.

---

(١) للأصفهاني (ص١٠١).

(٢) مقومات التربية الجسمية في الإسلام، لصالح الشهري (ص٢٨).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٧٩).

وهذا المفهوم يتوافق مع ما جاء في الكتب التربوية المعاصرة، من حيث التركيز علىٰ الاهتمام بحفظ الجسم وتنميته، ووقايته من الأمراض.

ولقد جاء في الكتب التربوية المعاصرة ما يلي:

عرفت بأنها: «ذلك النشاط الذي تقوم به التربية في سبيل تنمية الجسم تنمية سليمة في إطار تكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنة والعابدة لله(١)».

وقيل في تعريفها: «هي عملية حفظ، وتنمية الجانب البدني، ليقوم بدوره الذي خلق من أجله»(٢).

وعرف البعض التربية الجسمية بأنها التي «تهتم ببناء وتنمية الجانب الجسمي، وكيفية تفاعله الإيجابي مع غيره من الجوانب الأخرىٰ للشخصية الإنسانية، لأداء وظائفه في الحياة، وتحقيق التكيف اللازم مع ما يحيط بها من كائنات، ومكونات أخرىٰ وفق منهج الله سبحانه(٣)».

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أمر مهمّ علىٰ ضوئه يمكن صياغة مفهوم التربية الجسمية في المنهج التربوي الإسلامي.

وتتمثل هذه الصياغة في توضيح الهدف من البناء الجسمي وهو «تحقيق العبودية لله تعالىٰ، وما يتفرع عن ذلك من الاستعانة بهذا البدن علىٰ أداء العبادات، كالصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله،

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، لأبي العينين (ص١٥١).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٩٥).
(٣) مقومات التربية الجسمية في الإسلام، لصالح الشهري (ص٥٢).

وما قد يتطلبه من تعلم بعض المهارات البدنية، للدفاع عن الضروريات التي هي الدين والمال والنفس والعرض والعقل[١]».

ولاشك أن صحة الجسم من أهم المقومات الأساسية التي تساعد علىٰ تحقيق هذه الغاية العظمىٰ علىٰ الوجه الأكمل. وهذا ما وضحه القاسمي بقوله: «ولما كان مقصد ذوي الألباب لقاء الله -تعالىٰ- في دار الثواب، ولا طريق إلىٰ الوصول للقائه إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن[٢]».

❋ ❋ ❋

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٩٥).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥٠).

المبحث الثاني
الحاجات الجسمية

من الجوانب التربوية التي اعتنت بها التربية الإسلامية الجانب الجسمي الذي يعتبر من أهم الجوانب المتعلقة بالشخصية الإنسانية.

ولقد ركّزت التربية الإسلامية علىٰ الصحة الجسمية، وجعلتها من أهم النعم التي لابد علىٰ المسلم أن يراعيها ويحفظها ويهتم بتنميتها، قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ**(١)».

وانطلاقًا من اهتمام التربية الإسلامية بالصحة الجسمية؛ فقد راعت الحاجات الجسمية ودوافعها ورغباتها، فعملت علىٰ تهذيبها وتوجيهها توجيهًا سليمًا يتفق مع أهداف التربية الإسلامية، ويتمشىٰ مع مكانة الإنسان المسلم في هذا الوجود، ويتلاءم مع طبيعته البشرية التي فطره الله تعالىٰ عليها.

ويُعَدّ الاهتمام بالحاجات الجسمية من المجالات المتعلقة بصحة الجسم، والتي يحرص المنهج التربوي الإسلامي علىٰ إشباعها وتوفير احتياجاتها حتىٰ يكون البناء الجسمي قويًا سليمًا، متمتعًا بكامل الصحة، ووافر العافية، وتمام النشاط والحيوية، وقادرًا علىٰ أداء وظائفه المتعددة في الحياة علىٰ الوجه المطلوب.

فالإسلام وفّر للجسم مطالبه، وأشبع رغباته. ففي الحاجة الجنسية أرشد إلىٰ الزواج الشرعي، قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ**

(١) تقدم تخريجه.

البَاءَةَ فَلْيَتَزوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضُّ لَلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ[١] . . .». وفي مراعاة حاجة الغذاء والشراب وجّه إلىٰ التوازن في المطعم والمأكل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وحفاظًا علىٰ البدن وسلامته أوضح الإسلام للإنسان ما يحل له من الأطعمة، وما يحرم عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ [المائدة: ٣-٤].

وعندما يعاني الإنسان من التعب والإرهاق فقد وجّه الإسلام الفرد بأن يأخذ قسطًا من الراحة؛ ففي الحديث الصحيح: «**ليُصَلّ أَحَدُكُم نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُد**[٢]».

«والمعروف أن بناء قوة الإنسان البدنية يحتاج إلىٰ تربية رياضية . . . وللإسلام توجيهاته المختلفة في هذه الأمور، فالرماية والفروسية أو الرياضة البدنية جزء من منهج التربية الإسلامية التي تنص عليه أحاديث الرسول ﷺ[٣]».

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، لسهير جابر محمد (ص٨٢).

ونظرًا لما قد يعتري جسم الإنسان من أمراضٍ وعللٍ، فإن الدين الحنيف حث علىٰ العلاج الشرعي؛ قال ﷺ: «**تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلّا وَضَعَ لَهُ شِفَاء**(١)».

ولئن كانت الحاجات الجسمية تعني الضروريات التي يحتاج إليها جسم الإنسان حتىٰ يكون قادرًا علىٰ أداء رسالته، والقيام بالمسؤوليات المنوطة به علىٰ الوجه الأكمل، فإن من أبرز الحاجات الجسمية كما يراها القاسمي رَحِمَهُ اللهُ تتمثل في:

- الحاجة إلىٰ الهواء الذي هو أساس الحياة، فبدونه لا يمكن للإنسان أن يعيش علىٰ وجه الأرض.

- وكذلك الحاجة إلىٰ التغذية الصحية التي تعد من أهم متطلبات البناء الجسمي.

- بالإضافة إلىٰ الحركة والرياضة التي تمنح الجسم القوة والنشاط.

- والحاجة إلىٰ الزواج الذي يشبع به المرء بعض حاجاته الفطرية.

- وكذلك الحاجة إلىٰ النوم الذي يجدد به الإنسان نشاطه وحيويته.

- بالإضافة إلىٰ الحاجة العلاجية التي تدفع بإذن الله ﷻ عن الجسم الأمراض.

وفيما يلي توضيح لتلك الحاجات كما يراها القاسمي، مع دعم ذلك بالأدلة وأقوال السلف والكتب التربوية والطبية المعاصرة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه: أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (ص٤٦٩) برقم (٢٠٣٨) واللفظ له، وأبوداود في سننه: أول كتاب الطب، باب الرجل يتداوي (ص٥٤٩) برقم (٣٨٥٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

أولًا: الحاجة إلى التنفس (الهواء):

إن الهواء عنصر أساس ومهم في حياة الإنسان؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنه، وأن يعيش بدونه؛ فالإنسان يستنشق «في كل ساعة من ساعات حياته خمسمائة لتر من الهواء تقريبًا، يأخذ منها أربعة وعشرين لترًا من الأكسجين، تنقلها كريات الدم الحمراء من الرئتين إلىٰ كل خلية من خلايا جسمه، لحرق المواد الغذائية في جسمه وتوليد الطاقة منها، والإستفادة منها في نموه واستمرار حياته، ويطرح بدلًا منها غاز ٢co وبعض الغازات الأخرىٰ[(١)]».

وبما أن الهواء من العناصر المهمة في حياة الإنسان فإن القاسمي رَحِمَهُ اللهُ يرىٰ أن من القوانين الصحية التي لابد من مراعاتها: انتقاء الهواء الصحي؛ حيث يقول: «لا يخفىٰ أن الأطباء أجمعوا علىٰ لزوم صون الجسم عن الرائحة غير الطيبة وتنقية الهواء المستنشق لمن أراد حفظ الصحة؛ لأن الجسم لا ينفك عن التنفس لاستدخال الهواء البارد واستخراج الحار . . .[(٢)]».

وعلىٰ هذا بين رَحِمَهُ اللهُ بعض الوسائل التي تساعد علىٰ تنقية الهواء -ولا سيما- في السكن حيث قال: «ينبغي أن يكون المسكن بعيدًا عن المياه الراكدة وعن مطارح القاذورات والبالوعات والمعامل التي ينشأ عنها فساد الهواء . . . وينبغي إبعاد الأشياء المتخمرة أو المتعفنة عن المنازل ودوام تنظيفها ومراعاة تجديد الهواء بفتح النوافذ مرارًا.

(١) الوقاية خير من العلاج، لعبد الرزاق الكيلاني (ص١٧).
(٢) رسالة في الشاي والقهوة والدخان، للقاسمي (ص٥١).

وليحذر من إغلاق النوافذ علىٰ الناس المزدحمين في محل واحد كالشتاء، إذ يمتنع تجدد الهواء فيها فيفسد بأنفاس الجالسين فينشأ عنه أخطار شتىٰ. وليحذر أيضًا من استنشاق هواء الشمعة ساعة طفئها فله سرعة ضرر لما ينشأ عنه من الاختناق، ويجب الاحتراز أيضا من الفحم غير التام الاحتراق لعظم ضرره . . .[١]».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ بعدما نقل عن بعض الحكماء عن المواد السامة التي تفسد الهواء الصافي: «فيتضح مما تقدم أن تبديل الهواء في المساكن من الأمور الضرورية لحفظ الصحة ومنع المرض، وأن نوم الكثيرين في غرفة واحدة مغلقة النوافذ من العادات المضرة، فإذا لم يمكن تقليل عدد النيام تُرك بعض النوافذ مفتوحًا لأجل إبدال ما فسد من الهواء بالنقي منه، وكذلك الازدحام في المساجد والمدارس يوجب تطهير الهواء فيها بواسطة فتح النوافذ[٢]».

وعلىٰ ضوء ما قاله القاسمي يمكن إيضاح بعض الجوانب والتطبيقات التربوية حول الطرق المساعدة علىٰ تنقية الهواء من خلال النقاط التالية:

١- اختيار المباني السكنية بعيدة عن أماكن القاذورات والمياه الراكدة؛ وذلك حفاظًا علىٰ نقاء الهواء.

٢- تهوية غرف البيوت والفصول المدرسية بفتح نوافذها حتىٰ يتجدد الهواء ويطيب نسيمه، وإبعادها عن كل ما يفسدها من البخاخات والدخان والأشياء العفنة وغيرها.

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي (ص٨١).

(٢) المصدر السابق (ص٨٢).

٣- علىٰ المرء أن لا يتنفس بعمق في الأماكن المتلوثة والمزدحمة، ويحاول الابتعاد عنها ما أمكن ذلك.

ومن هنا ينبغي تثقيف الناشئة علىٰ أهمية مراعاة انتقاء الهواء المنعش؛ وبخاصة في الأوقات التي يكون الهواء فيها صافيًا؛ كأوقات طلوع الفجر وشروق الشمس، ومحاولة الاستفادة منها بممارسة الرياضة في هذا الوقت، وأخذ النفس العميق بما يملأ الرئتين؛ إضافة إلىٰ تجنب الهواء الفاسد ولاسيما في الأماكن المزدحمة والمتلوثة؛ كل ذلك من خلال المناهج الدراسية والتوجيهات الأسرية والمؤسسات التربوية.

ثانيًا: الحاجة إلى الغذاء:

لا يخفىٰ أن الغذاء هو الطاقة التي تمد الإنسان بالقوة اللازمة، والعامل الأساس في نموه وبنائه وصيانة حياته واستمراريته؛ لأنه «يعوض ما يتحلل منه نتيجةً لجهد يبذله أو عمل يقوم به[1]».

وتكمن أهمية التغذية من كونها من الأوامر التي أمر الله بها المسلم؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ١٧١].

وكذلك تتمثل أهمية التغذية في دورها الوقائي لجسم الإنسان من كثير من الأمراض «فمرض السكري، وضغط الدم، والبدانة، ... وفقر الدم وغيرها يمكن معالجتها بالغذاء وحده. كما أن المجموعات البشرية كالأطفال والنساء الحوامل المرضعات وكبار السن تعتمد صحتهم وسرعة

(١) الفكر التربوي عند ابن القيم، لحسن الحجاجي (ص٣٥٩).

هرمهم علىٰ نوعية الأغذية التي يتناولونها[١]».

وبما أن الغذاء يعد من أهم متطلبات الجسم الأساسية فإن القاسمي يرىٰ أن له قواعد صحية وأصولًا طبية لابد من مراعاتها عند تناوله حتىٰ يكون مفيدًا وصحيحًا. ومن تلك القواعد والأصول الطبية[٢]:

١- اختيار الغذاء النافع والمفيد:

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «والعقل أكبر مرشد إلىٰ أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه . . . أقرب إلىٰ الصحة والعافية ممن يهمل ذلك[٣]».

وهذه الإشارة التربوية من القاسمي جديرة؛ لأن الجسم بحاجة إلىٰ تنوع الغذاء واختيار المفيد والغني بالفيتامينات والبروتينات والنشويات والسكريات وغيرها، وهذا ما أقره الطب الحاضر الذي ينادي بضرورة اختيار الغذاء النافع وتكامله مما يحتاجه البدن[٤].

وانطلاقًا من أهمية اختيار الغذاء النافع فإنه يتحتم علىٰ المؤسسات التربوية العناية بهذا الجانب الطبي؛ لزيادة المعرفة الغذائية من حيث التكامل الغذائي وفوائده؛ مع بيان أثر ذلك علىٰ النمو الجسمي والإدراكي.

---

(١) التغذية وصحة الإنسان، لجلال المخللاتي (٧).
(٢) سيأتي بالتفصيل تلك القواعد تحت مطلب آداب الأكل.
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (ص٧٩).
(٤) أسس الصحة والحياة، لعبدالرزاق الشهرستاني (ص٢٩).

٢- تناول الغذاء في الوقت المناسب:

وبهذه القاعدة أكد القاسمي بقوله: «لا يتناول الطعام إلا إذا صدق الجوع، . . . ولا يتأخر عن تناوله إلا إذا طلبته النفس، ولا ينتظر زيادة التوق إليه[١]».

وقال في موضع آخر: «أن لا يمد اليد إلىٰ الطعام إلا وهو جائع . . . ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع، ومن فعل ذلك استغنىٰ عن الطبيب[٢]».

ولقد أكد الأطباء علىٰ هذه القاعدة؛ وأشادوا بأهميتها، وأن علىٰ المرء أن يراعي الوقت المناسب عند تناول الغذاء[٣].

كما حذّر القاسمي من «الأكل ليلًا؛ لأن فيه مبتدأ النوم مع اشتغال المعدة بالهضم فيجتمع فعلان في الجسم يشوش أحدهما علىٰ الآخر، فينشأ عنه سوء الهضم والتعب في النوم[٤]»، كما حذّر رَحِمَهُ اللَّهُ من «الأكل وقت الغضب والانفعالات النفسية لخطر أعراضه[٥]».

ثالثًا: الحاجة إلى الزواج:

لقد ركّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جسم الإنسان، وأودع فيه الحاجة الجنسية التي جعلها وسيلة لاستمرار النوع البشري؛ فالله تعالىٰ زيّن للرجال حب النساء والميل إليهن، وكذلك زينه في قلوب النساء أيضا؛ قال تعالىٰ:

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٧).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥١).
(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٣/ ٣٣٤).
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٧).
(٥) المصدر السابق (ص٨٨).

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وبما أن الدافع الجنسي من الحاجات الجسمية الأساسية؛ فإن المنهج التربوي الإسلامي عمل علىٰ تهذيبه، ووضع الحلول المناسب له، وذلك عن طريق الزواج الشرعي الذي من خلاله يحقق الفرد رغبته الجنسية كما يرضاه الله ﷻ.

ومن هنا جاء الحث من الشرع علىٰ الزواج، والندب إليه؛ قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضُّ لَلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ . . .**[(١)]».

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القاسمي بقوله: «الزواج قانون حيوي عام لجميع السلسلة الحيوانية، وهو ضروري لحفظ النوع الإنساني وتقدمه، ولم يجتمع في شيء ما اجتمع في الزواج من دواعي الشرع والعقل والطبع، فأما دواعي الشرع فقد نص عليه الكتاب والسنة والإجماع، وأما العقل فإن كل عاقل يحب أن يبقىٰ اسمه ويخلد ذِكْره ولا يتأتىٰ ذلك إلا بالذرية، وأما الطبع فإنه يدعو إلىٰ تحقيق ما أعد له من المباضعة[(٢)]».

ويتضح من خلال ما أشار إليه القاسمي أن الجنس من الحاجات الجسمية الضرورية، وأن من مقاصد الزواج: حفظ النوع البشري، وإبقاء الجنس، وقضاء الوطر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٣٩).

وهذه الحاجة اعتنىٰ بها المنهج التربوي، وبين مقاصدها، ووضع لها آدابا تكفل في إشباع هذه الغريزة الفطرية في الإنسان.

ومن تلك الآداب الشرعية التي يجب علىٰ الزوج أن يراعيها عند إتيانه لأهله؛ ما بينه القاسمي عند معرض حديثه عن آداب المعاشرة الزوجيه. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاشر: آداب الجماع: يستحب أن يقدم عليه الحديث والمؤانسة، . . . ويغض صوته، ثم إذا قضىٰ وطره فليتمهل علىٰ أهله حتىٰ تقضي هي أيضا نهمتها، ولا يأتيها في المحيض حتىٰ تطهر، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتىٰ؛ إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذىٰ، والأذىٰ في غير المأتي دائم فهو أشد تحريما من إتيان الحائض[(١)]».

وإضافة إلىٰ ما ذكره القاسمي من الآداب فإن من أهم الجوانب الصحية في هذا المجال هو عدم الإكثار من الاستمتاع حتىٰ لا يهلك الجسم، ويضر به[(٢)].

إن الحاجة الجنسية كغيرها من الحاجات وضعت وسيلة لغاية، وليست هي الغاية في حد ذاتها، ومن هنا فإن إدراك الغاية الحقيقية من ذلك يساعد علىٰ تطبيق ما يرشده المنهج التربوي، ولهذا نبه القاسمي علىٰ أهمية استحضار النية عند الرغبة في الزواج، حتىٰ يساعده علىٰ تحقيق الغاية بهذه الوسيلة، حيث قال: «فليكن له حينئذ في التزويج نيات؛ لأنه من أكبر الأعمال، ولا يكون نكاحه لأجل هواه مجردًا،

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧١).
(٢) انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص٤٥٠) والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٧) والطب النبوي، لابن قيم الجوزية (ص٢٦٥).

بل تكون نيته إقامة سنته، وصلاح قلبه، وسلامة دينه، وغض بصره، وتحصين فرجه، فقد أمر بذلك[١]».

رابعًا: الحاجة إلى الرياضة البدنية:

الرياضة والحركة من الضروريات الجسمية؛ لا لتقوية العضلات وأجزاء البدن فحسب، بل لإزالة السموم المتجمعة في جسم الإنسان جرّاء الأكل؛ لأن الغذاء يبقىٰ عند كل هضم، فإذا كثر علىٰ مر الزمان، اجتمع منه شيء له كمية وكيفية، فيضر بكميته، بأن يسد البدن ويثقله، بما يؤدي به إلىٰ الأمراض[٢]؛ ولهذا أثبتت المصادر الطبية أن معظم المصابين بداء السكر وارتفاع الضغط الدموي وأمراض الكبد والصفراء والروماتزم هم أولئك الذين يجمدون طاقاتهم ويقضون جل أوقاتهم دون حركة أو عمل[٣].

وإلىٰ هذا المعنىٰ أكد القاسمي بقوله: «وأنفع الرياضات في حفظ الصحة ما يتحرك بها كل العضلات حركة معتدلة، فإنها تنّميها وتقّويها، وتحلل فضولها، وتجعل البدن نشيطًا بسبب تكوين الحرارة الغريزية، لأنه كلما زاد سيلان الدم في الجسم زاد أيضا رسوب دقائق جديدة في الأنسجة، ونزع الدقائق التالفة، ولذلك ترتفع درجة حرارة المتحرك أكثر من الساكن[٤]».

---

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي (٣١١).

(٢) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية (ص١٩١-١٩٢).

(٣) أسس الصحة والحياة، لعبدالرزاق الشهرستاني (ص٢٧).

(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب (٩٣-٩٤).

ومن هنا تأتي أهمية الممارسة الرياضية التي تنمي الجسم وتقويه، وتحلل فضولات الجسم والفاسد منه؛ وهذا ما يدعوه المنهج التربوي الإسلامي من خلال توجيهاته المختلفة. فالرماية والفروسية والسباحة والركض جزء من التوجيهات التي نصت عليه السنة النبوية وآثار السلف الصالح؛ وحث علىٰ ممارستها.

كذلك من فوائد الرياضة تنشيط العقل وتوسيع المدارك؛ وهذا ما أشاره القاسمي بقوله: «ترويح الفكر بالرياضة من تجول وتحريك أعضاء أو تأمل في منظر بهيج مفيد للجسم فائدة كبرىٰ سيما لذوي الأشغال العقلية كالتصنيف والمطالعة والتدبر في المعاني والنظم والنثر؛ فإن الدأب علىٰ شغل واحد موجب للضجر وضيق الصدر[١]».

ولقد أثبتت التجارب ما أشار إليه القاسمي من أن هناك علاقة بين حركة الجسم والعقل، «فالتمرينات العضلية التي تسبق العمل الفكري تؤدي إلىٰ تحسينه غالبًا وزيادة نشاطه[٢]».

كما أن الرياضة صحة أخلاقية؛ «إذ يستعان علىٰ صرف أهواء الشبان عما يضرهم، والأخذ بها إلىٰ ما يفيدهم، فإن في النفس ميولًا متعددة وأهواء متباينة كامنة، فما استعمل منها ونشط نما وتغلب علىٰ مباينه، وأصبح ملكة راسخة، ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرفوا عن الضار إلىٰ النافع، ويستعان بالألعاب الرياضية علىٰ ذلك[٣]».

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (٩٣).
(٢) التربية العامة، لرونيه أوبير (ص٣٩٣).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩٤).

وحتىٰ تكون الرياضة مفيدة للجسم، وفعالة في بناء البدن لابد وأن تكون مدروسة ومنظمة من جميع جوانبها . . . تعطىٰ حسب الحاجات وعلىٰ حسب الأعمار وعلىٰ حسب طاقات الجسم، وفي ذلك يقول القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولابد للمعلم -في اختيار الرياضة لتلميذه- من النظر في تناسب أعضائه قبل كل شيء، واختيار النوع من الرياضة الذي يسبب اشتغال تلك المحال الضعيفة كي يتناسب الجسم.

مثلا: إذا كان موضع عدم التناسب في الصدر -كأن يكون الصدر ضيقًا- فإنه يشير باستعمال آلة الصدر، أو كان موضع الدمامة وسوء التناسب في الرجلين مثلا فإنه يرشد إلىٰ استعمال كرة القدم . . .[(١)]».

والألعاب الرياضية مختلفة ومتعددة، منها النافع ومنها الضار، ومن هنا لابد من النظر إلىٰ الأهداف التربوية الصحية. وهذا ما بينه القاسمي بقوله: «والألعاب الرياضية متعددة، وليست كلها نافعة، فعلينا أن نختار الأنفع منها للصحة، ونصرف النظر عما لا يقصد به إلا إلفات نظر متفرج جلبًا للدراهم مما لا طائل تحته، وما نؤثره حري أن ننظر فيه من وجهين:

أحدهما: النفع الصحي.

وثانيهما: ضرورة الاحتياج إليه في وقت ما، فإن الحياة عرضة للأخطار[(٢)]».

وبالنظر إلىٰ ما أشاره القاسمي فإنه ركز علىٰ الرياضة التي تفيد

(١) المصدر السابق (ص٩٥).
(٢) المصدر السابق (ص٩٤-٩٥).

الجسم، بما يعود عليه بالنفع الصحي، وكذلك الرياضات التي يستفاد منها في حالات الضرورة كالسباحة والعدْو وغيرها.

وإضافة إلىٰ ما ذكره القاسمي فإنه تجدر الإشارة إلىٰ وجوب اجتناب الألعاب الرياضية التي تعارض الشرع الحكيم؛ كاللعب بالشطرنج، والألعاب الرياضية الخطيرة، مثل استعمال آلات الحادة والأدوات الحديدية القوية[(١)].

خامسًا: الحاجة إلى اللعب:

لا شك أن اللعب من حاجات الطفولة الضرورية التي تنمي قواه الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية . . .

«فاللعب هو لغة الطفل الرمزية للتعبير عن الذات. فمن خلال تعامله مع اللعب يمكن أن نفهم عنه الكثير. فالطفل يكشف عن نفسه أثناء اللعب أكثر مما تعبر بالكلمات»[(٢)].

كما أن اللعب يساعد الطفل علىٰ التكيف الاجتماعي، وقبول آراء الجماعة، وإيثارها علىٰ النفس، والتخلص من الأنانية، وحب الذات، إلىٰ جانب ظهور القيادات بين الأولاد وتعلم أساليبها وطرق ممارستها[(٣)].
«علاوة علىٰ ما يدخله علىٰ نفسه من بهجة وسرور، وينفس به عن طاقاته الجسدية والنفسية[(٤)]».

---

(١) انظر بالتفصيل أحكام الألعاب الرياضية وضابطها: أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص٢٠٥) ومسئولية الأب المسلم، لعدنان باحارث (ص٤٢٣-٤٣٥).
(٢) العلاج النفسي الجماعي للأطفال باستخدام اللعب، لكاميليا عبدالفتاح (ص٥١).
(٣) مسئولية الأب المسلم لعدنان باحارث (ص٤٢١-٤٢٢).
(٤) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، للزنتاني (ص٢٩٥).

ولقد أشار القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أهمية اللعب، ونوه علىٰ أثره البالغ في النشاط الفكري للطفل، وراحته العقلية، ولا سيما بعد تلقي العلم وطلبه، وأن إهماله فيه تضييق عليه، وتنغيص علىٰ حياته العلمية والعملية؛ مما قد يدفعه إلىٰ أن يتخذ الأساليب والحيل للتفلت من مذاكرة الدرس، والابتعاد عن مجالس العلم، حيث يقول: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب المكتب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلىٰ التعلم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتىٰ يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا(١)».

ولقد أثبتت التجارب ما أشار إليه القاسمي من أن هناك علاقة بين اللعب والنشاط الفكري فـ «الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانات والفرص للعب . . . تنمو عقولهم نموًا أكثر وأسرع من غيرهم ممن لم تتح لهم هذه الفرص وتلك الإمكانات(٢)».

ومن هنا فإن المنهج التربوي الإسلامي يؤكد علىٰ ضرورة إتاحة اللعب للأطفال، والسماح لهم بذلك وفق الضوابط الشرعية، مع مراعاة تناسب اللعب بالمراحل العمرية والطاقات والقدرات؛ إضافة إلىٰ احتوائه علىٰ ما يصقل المواهب والمهارات؛ حتىٰ تنمو قواهم العقلية والاجتماعية والخلقية.

ولقد مكن النبي ﷺ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من اللعب بالبنات، حيث إنها

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٨٠-٢٨١).

(٢) الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، لكمال درويش وآخر (ص٨٧-٨٨).

كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ. وكانت تأتيها صواحبها، وكنا ينقمعن[١] من رسول الله ﷺ. والرسول ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ[٢] إليها[٣].

كما فسح الرسول ﷺ لعائشة أن ترىٰ الأحباش يلعبون بحرابهم. قالت عائشة رضي الله عنها: «والله، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم علىٰ باب حجرتي. والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه، لكي أنظر إلىٰ لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتىٰ أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة علىٰ اللهو[٤]».

وبمجموع النصوص الواردة في تمكين الأطفال من اللعب يتبين أهميته وجوازه والحث عليه؛ لما له من عوائد تربوية ونفسية علىٰ الناشئة، إضافة إلىٰ دوره في بناء الجوانب الجسمية لدىٰ الطفل، وأثره الفعّال في صقل وتنمية المهارات والميول والمواهب.

سادسًا: الحاجة إلى النوم:

يشكّل النوم عنصرا أساسًا لصحة الجسم وقوة البدن؛ فهو يحقق إحدىٰ الحاجات الفطرية للجسم، ويساعد علىٰ حيويته واستمرار صحته

(١) أي تغيبن ودخلن في بيت، أو وراء ستر. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٤/١٠٩).

(٢) أي يبعثهن ويرسلهن إليها، فيلعبن معها. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢/٣٥٦).

(٣) بنحوه رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٤/١٨٩٠-١٨٩١)، برقم (٢٤٤٠).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (٢/٦٠٩) برقم (٨٩٢).

وقوته. وهذا ما أكده القاسمي بقوله: «وعلىٰ كل إنسان أن لا يغفل أمر النوم، فقد قال حكيم: إن في النوم لصحِيحِيْ الجسم قوةً وفرحًا، وللمريض شفاءً وهناءً[(١)]».

قال الله تعالىٰ مبينًا دور النوم في تحقيق الراحة الجسمية للإنسان بعد عناء التعب والمشقة: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النَّبَإِ: ٩-١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفُرْقَانِ: ٤٦].

قال القاسمي رحمه الله في تفسير معنىٰ «السبات»: «أي راحة ودعة، يريح القوىٰ من تعبها، ويعيد إليها ما فقد منها[(٢)]».

فالجسم يحصل خلال فترة النوم علىٰ «راحته الكاملة، حيث تنقطع الأعمال الإرادية، وتتباطأ الأعمال غير الإرادية، من دوران وتنفس . . . وكذلك يفرغ الدماغ من أكثر شئونه، ويرتاح من عناء العمل، سواء أكان بدنيًا، أو عقليًا. وبالنوم يستطيع الجسم أن يحرق ويستقلب باقي العضلات، وأن يفرغ نتائج ذلك، وأن يدخر فيه ما يلزمه من غذاء لاستئناف العمل والنشاط، فتعود الكبد والعضلات وخلايا الجسم إلىٰ استكمال ما فقدته في العمل نهارًا، استعدادًا لغد جديد[(٣)]».

وفي المقابل فإن حرمان الجسم من النوم «لأيام متواصلة؛ فإن ذلك

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٥).
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ٢٤٣).
(٣) الطب النبوي والعلم الحديث، لمحمود النسيمي (١/ ٣٨٩).

يؤدي إلىٰ هلوسات بصرية؛ ثم إلىٰ سرحان وعدم تذكر، وهزال، ثم إلىٰ الهذيان الفكري، مع انهيار جسمي وعقلي عام قد ينتهي بالموت[(١)]».

ولئن كان للنوم منافع للجسم فإنه لا يمكن أن تتحقق هذه المنافع إلا إذا تم علىٰ الهيئة الصحيحة والوضعية المناسبة، والمكان اللائق له؛ ولهذا وجه القاسمي نصائحه الثمينة حول القوانين الصحية المتعلقة بالنوم وهيئته الصحيحة والمكان المناسب له، كل ذلك حتىٰ تتم عملية النوم علىٰ الوضع الصحيح وتتحقق منافعه المرجوة. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ عن الوضع الصحيح الملائم لجسم الإنسان عند النوم: «وعلىٰ النائم أن لا ينام وبطنه منبسط، فالأفضل أن ينام المرء علىٰ جانبه الأيمن؛ لما في ذلك من النفع للحواس، وعلىٰ هذه الطريقة ينبغي لنا تعويد أولادنا . . .[(٢)]».

وهذا التوجيه من القاسمي مستفاد مما جاء به المنهج الإسلامي، فقد جاء في السنة النبوية الحث علىٰ النوم بهذا الوضع؛ فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاة، ثُمّ اضْطَجِع عَلَىٰ شِّقكَ الأَيْمن**[(٣)]».

ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أحسن الوضعيات عند النوم هو النوم علىٰ الشق الأيمن؛ «لأنها الوضعية الوحيدة التي تخلو من الأضرار، فهي تحرر القلب من ضغط الرئة، وتحرر المعدة من ضغط الكبد، وتحرر العمود الفقري من الأوضاع السيئة، وتسمح للقفص

(١) إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة، لحسني الرودي (١٧٩).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٥).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب فضل من بات علىٰ الوضوء (ص٥٥)، برقم (٢٤٧).

الصدري بالحركة الجيدة، وتحافظ علىٰ التنفس عن طريق الأنف بإبقاء الفم مغلقًا[١]».

وأما الوضعيات الأخرىٰ فلها مضارها الصحية علىٰ الجسم، فالنوم علىٰ الشق الأيسر «يوقف الهضم، ويؤدي إلىٰ ضيق التنفس، والاختناق، وإلىٰ حدوث حركات في القلب تضغط عليه وتؤذيه[٢]».

وكذلك فإن النوم علىٰ البطن «يمنع عظام الصدر من التحرك بحرية في الشهيق والزفير، فيتعرقل التنفس، ويتراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الدم فيتعب القلب، ويتخدر الدماغ[٣]».

ولقد ورد النهي في السنة النبوية عن هذا الوضع؛ فعن أبي ذر قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع علىٰ بطني. فركضني برجله. وقال: «يا جنيدب! إنما هذه ضجعة أهل النار[٤]».

وعن القوانين الصحية الأخرىٰ المتعلقة بالنوم وهيئته والمكان المناسب له، قال القاسمي رحمه الله: «فإن أردت أن تنام فعليك أن تتخذ غرفة بعيدة عن الضجة، خالية من الأنوار الصناعية والحيوانات والزهور والأثاث والبسط، وأن تكون معرضة كل التعرض للتهوية، حتىٰ في الشتاء وأن يكون الفراش منحنيًا قليلًا من الرأس إلىٰ الأقدام بحيث ترتاح

---

(١) الإعجاز الطبي في السنة النبوية، لكمال المويل (ص١٧٨-١٧٩).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٥).
(٣) الحقائق الطبية في الإسلام، عبدالرزاق الكيلاني (ص١٦١).
(٤) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضطجاع علىٰ الوجه (٢/ ١٢٢٧) برقم (٣٧٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٠٥) برقم (٣٧٢٤).

فيه الأعضاء جيدًا، وأن يتخذ الفراش من الصوف، وتكون المخدة لا رخوة ولا يابسة، وأن يختار من الغطاء الخفيف ومن الوسائد القليلة التضاعيف والنعومة، وعليك أن تنام بعد الأكل بساعتين أو ثلاث، فالأولىٰ أن لا تغفىٰ الجفون إلا بعد أن يتم الهضم»[١].

وقد يستعصي النوم علىٰ الإنسان أحيانًا ولا سيما إذا كان مشغولًا بموضوع ما فإن القاسمي بيّن العلاج الذي يُذهب الأرق وهو أن يمشي، ويشرب الحليب الحار، ويستحم[٢].

ويضيف القاسمي بعض الأصول الطبية المتعلقة بوضعيات النوم حيث يقول: «وعلىٰ النائم أن يختار وسط الفراش لينام هنيئًا ويرتاح أعصابه وتنبسط، وأن لا ينهض وذراعاه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدللًا؛ لأن ذلك مما يخالف نواميس الفسيولوجيا . . . وأن يكون الرأس واطئا ما أمكن حتىٰ يتسرب الدم إلىٰ الدماغ علىٰ صورة منتظمة، وأن يتمدد الجسم كل التمدد، وأن لا ينثني الساقان، ولا يشبك أحدهما مع الآخر، وأن لا تُرْفع الركبتان[٣]».

ويمكن تلخيص ما قاله القاسمي عن القوانين الطبية المتعلقة بالنوم وهيئته بالآتي:

النوم علىٰ الجانب الأيمن من الجسم.

اختيار مكان النوم المناسب بحيث يكون هادئا وجيد التهوية.

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٣-٨٤).

(٢) المصدر السابق (ص٨٥). وانظر للاستزادة: الوقاية خير من العلاج، لعبد الرزاق الكيلاني (ص٢١٨).

(٣) المصدر السابق (ص٨٤).

النوم علىٰ فراش مريح ومناسب لوضعيته.

الابتعاد عن النوم بعد الأكل مباشرة؛ إلا بعد ساعتين أو ثلاث ساعات.

مراعاة راحة الجسم عند الوضعية التي يتمدد فيها الفرد علىٰ الفراش.

سابعًا: الحاجة إلى العلاج:

غير خاف أن علاج الأبدان من الحاجات الجسمية الضرورية؛ إذ جسم الإنسان قد تعتريه أحيانًا بعض الأمراض والعلل التي تخرجه عن هيئته الطبيعية، مما يضطره إلىٰ التخلص من وطأة الأدواء وتخفيف آلامها بتشخيصه، وأخذ العلاج المناسب لها.

ولهذا كان من تعاليم الشرع الحنيف الحث علىٰ أخذ العلاج والتداوي بالأسباب المشروعة؛ قال ﷺ: «**ماَ أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاء**[١]».

وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**تَدَاوَوْا، فَإِنّ اللهَ سُبْحَانَه لَم يَضَعْ دَاءً إِلّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاء**[٢]».

وهذا المعنىٰ أكده القاسمي بقوله: «وقد أمر رسول الله ﷺ غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية، وقال لعلي رضي الله عنه -وكان رمد العين-: «**لَا تَأْكُلْ مِنْ هَذَا**» -يعني الرطب- «**وَكُلْ مِنَ هَذَا، فَإِنّه أَوْفَق لَك**» يعني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (ص١٢٢٢) برقم (٥٦٧٨).

(٢) تقدم تخريجه.

سلقا قد طبخ بدقيق أو شعير(١).

وقد تداوىٰ رسول الله ﷺ في غير حديث؛ وفي الخبر أنه: «**كَانَ إِذَا خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَة جَعَلَ عَلَيْهَا حناء**(٢)»(٣).

ونظرًا لما قد يتوهم البعض من أن التداوي قد يناقض التوكل علىٰ الله، فإن القاسمي قد فنّد هذه الشبهة؛ بالتأكيد علىٰ شرعية العلاج، والأخذ برخص الله. حيث قال رحمه الله: «ولا ينقص التداوي أيضا توكل العبد؛ لأن النبي ﷺ أمر به وأخبر عن حكمة الله تعالىٰ فيه، فقال ﷺ: «**ماَ مِنْ دَاء إِلاّ وَلَهُ دَوَاءٌ، عَرِفَه مَنْ عَرفَه وَجَهِلَه مَنْ جَهِلَه، إلّا السّام** -يعني الموت-(٤)» . . . والتداوي رخصة وسعة، وتركه ضيق، والله يحب أن يؤخذ برخصه؛ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أي من ضيق. .

وربما كان المتداوي فاضلا في ذلك؛ لمعنيين:

أحدهما: أن ينوي اتباع السنة، والأخذ برخصة الله، وقبول ما

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الطب، باب ما جاء في الحمية (ص٤٦٩) برقم (٢٠٣٦) وابن ماجه في سننه: كتاب الطب، أبواب الحمية (٢/ ١١٣٩) برقم (٣٤٤٢) وليس فيه أنه أصيب برمد العين، وإنما فيه: «وعلي ناقه من مرض . . .» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرج نحوه الترمذي في سننه أبواب الطب، باب ما جاء في التداوي بالحناء (ص٤٧٣) برقم ٢٠٥٤) وابن ماجه في سننه: كتاب الطب، باب الحناء (٢/ ١١٥٨) برقم (٣٥٠٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) الوعظ المطلوب للقاسمي (ص١٧٢-١٧٣).

(٤) أخرج نحوه الحاكم من حديث ابن مسعود بلفظ: «ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» وصححه. المستدرك علىٰ الصحيحين: كتاب الطب (٤/ ٢١٨) برقم (٧٤٢٤).

جاءت به الحنيفية السمحة . . . وقد تداوىٰ رسول الله ﷺ . . . وهو أعلىٰ المتوكلين، فلا نرغب عن سنته، ولا نزهد في بغيته[١]».

ومن المعلوم أن التداوي لا يكون إلا بالدواء الذي هو أداة العلاج؛ وحتىٰ يتم التداوي علىٰ الوجه الصحيح فإنه لابد من «استشارة طبيب حاذق عالم بأصول نواميس الصحة، دارس لقواعد الطب، والتداوي بما يشير به؛ وقوفا مع الأسباب التي وضعها المولىٰ جل شأنه، ثم التوكل بعدها في الشفاء عليه سبحانه . . .[٢]».

وهناك قواعد طبية تساعد المريض علىٰ الاستشفاء، أشار إليها القاسمي في كتابه جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب عند معرض حديثه عن القوانين الصحية حيث قال: «ويلزم أن تكون غرفة المريض غير معرضة للأصوات لئلا يزعج المجموع العصبي، وأن تكون نظيفة يشرح الصدر منظرها . . .، ويلزم أن تكون غرفة المريض واسعة يدخلها هواء كاف، وأن يكون أثاثها قليلا لئلا ينحبس فيها هواء فاسد، وأن لا يكون نورها قويا لئلا يهيج دوران الدم في الدماغ، وأن يساعد علىٰ تهويتها دائمًا ليتنفس المريض نقي الهواء فيدور الدم في الجسم نقيا . . .[٣]».

ومن خلال العرض السابق للحاجات الجسمية تبين أن الإسلام قد وفّر مطالبها، وأشبع غرائزها، بما يتلاءم مع طبيعة البشر.

---

(١) الوعظ المطلوب للقاسمي (ص١٧١-١٧٣).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٩٩).
(٣) المصدر السابق (ص٩٩).

وعليه فإن علىٰ المربين توجيه الناشئة إلىٰ الاستفادة من معطيات وتعاليم الدين الحنيف، والإشادة بأهميتها، ودورها العظيم في البناء الجسمي، مع الاستفادة مما جاء من القوانين الصحية المعاصرة، بما يحقق لهم الوضع الصحي الصحيح الذي يساعدهم علىٰ أداء وظائف الحياة وتحقيق العبودية لله -تعالىٰ- علىٰ أكمل الوجه.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث

آداب البناء الجسمي

غير خاف أن الدّين الإسلامي دين كامل وشامل لجميع ما يتعلّق بالنفس البشريّة؛ فقد وضّح الأحكام الشرعية، وبيّن الآداب المرعيّة، والمعاملات والسلوكيّات الإنسانيّة.

قال أبو ذر[١] رضي الله عنه: «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسْولُ الله وَمَا يَتَقَلّب فِي السَّماَءِ طَائِرٌ إلا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا[٢]».

وعن سلمان[٣] رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتىٰ الخراءة؟! قال: أجل: «لقَدْ نَهَاناَ أَن نَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ لِغَائِط أَوْ بَوْلٍ

---

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري، من أوئل من أسلم، وهو أول من حي النبي ﷺ بتحية الإسلام، هاجر إلىٰ الشام بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه، ثم انتقل إلىٰ الربذة في عهد عثمان، وتوفي بها. أسد الغابة، لابن الأثير (١/ ٣٠١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٢) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٤).

(٣) هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي أبو عبد الله سلمان الخير مولىٰ رسول الله ﷺ، وأول مشاهده الخندق، آخىٰ النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم، وهو الذي أشار بحفر الخندق حين جاء الأحزاب، روي له ستون حديثا، توفي بالمدائن سنة ٣٦م.
انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ٦٣)، الاستيعاب، لابن عبدالبر (٢/ ٥٦)، صفة الصفوة، لابن الجوزي (١/ ٢٢٠).

أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِاليَمِيْنِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلّ مِنْ ثَلاَثَة أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيْعٍ أَوْ عَظْم[(١)]».

ولقد جاءت تعاليم الدين الإسلامي بمجموعة من الآداب التي تعمل في مجموعها علىٰ بناء الجسم، وتحقيق الوضع الصحي له.

فالمنهج الإسلامي وضح للمسلم آداب الأكل والشرب ابتداء وانتهاء، وبيّن له أيضا آداب النوم وهيئته والمكان المناسب له، مع الاعتناء بالنظافة، كذلك وضح آداب قضاء الحاجة من حين دخول المسلم الخلاء إلىٰ انتهائه بخروجه منه.

ومن هنا فإن من الأهمية بمكان الوقوف علىٰ تلك الآداب حتىٰ يتسنىٰ للمسلم تطبيقها والعمل بما فيها، حتىٰ يتحقق له الأهداف المنشودة من تحقيق العبودية لله ﷻ وفق ما جاء به الرسول ﷺ.

وفيما يلي بيان لبعض آداب البناء الجسمي، من خلال ما كتبه القاسمي في ثنايا مؤلفاته مع تضمين ذلك بالأدلة الشرعية وأقوال أهل العلم المتقدمين والمتأخرين.

أولاً: آداب الأكل:

إن التربية الصحية من الوسائل التي تساعد علىٰ تحقيق العبودية، إذ أن سلامة البدن وقوته من المقومات التي تمكن المسلم من العبادة علىٰ وجه الكمال.

والغذاء من أهم متطلبات الجسم ومقوماته الأساسية؛ إذ هو المصدر الذي يبني الجسم ويمده بالطاقة، ويمنحه الحيوية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب الاستطابة (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢).

وحتىٰ تتحقق الفائدة المرجوة من تناول الطعام؛ فقد جاءت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بمجموعة من الآداب النبوية والتوجيهات التربوية التي تعمل في مجموعها علىٰ ضبط عملية التغذية، وتحقيق الغاية المنشودة منها.

ويرىٰ القاسمي أن آداب الأكل علىٰ ثلاثة أقسام[(١)]:

القسم الأول: مراعاة الآداب قبل الأكل.

القسم الثاني: مراعاة الآداب حالة الأكل.

القسم الثالث: الآداب بعد الأكل.

وفيما يلي بيان وتوضيح لتلك الآداب علىٰ ضوء ما سطره القاسمي في مؤلفاته موضحا ذلك بالأدلة من نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة بالإضافة إلىٰ المراجع التربوية المعاصرة.

القسم الأول: مراعاة الآداب قبل الأكل:

١- التأكد من كون الطعام حلالا وطيبا:

غير خاف أن المسلم مطلوب منه أن يتوخىٰ الطيب والحلال من الطعام والشراب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧١].

قال القاسمي رحمه الله: «وقد أمر الله تعالىٰ بأكل الطيب وهو الحلال، وقدم النهي عن الأكل بالباطل علىٰ القتل تفخيمًا لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥١-١٥٢).

﴿بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٨][1] . . .».

وعلامة الحلال: «أن تكون عينه معروفة لم يخالطها عين ذمها العلم من ظلم وخيانة، وأن يكون سببه مباحًا لم يحتوه بسبب محظور في الشرع لأجل هوىٰ أو مداهنة في دين ودنيا، وأن يكون قد وافق فيه حكم السنة، فلا يكون علىٰ وصف مكروه[2]».

إن الطعام الذي يتغذىٰ به الإنسان له تأثير علىٰ روحه وسلوكياته وبدنه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا كان السلف يحرصون غاية الحرص علىٰ الأكل الحلال والابتعاد عن أكل الحرام، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يدخل يده في حلقه ليتقيأ لقمة من طعام تبين له أنه حرام أدخلها جوفه دون أن يدري، فعوتب علىٰ ذلك فقال: «لو لم تخرج إلا نفسي لأخرجتها[3]».

وفي هذا تعويد المتربين علىٰ الابتعاد عن الشبهات، ومن باب أولىٰ أكل الحرام.

٢- غسل الأيدي:

ومن الآداب غسل اليدين قبل الأكل، لما روي «أن الرسول ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه[4]».

---

(١) المصدر السابق (ص١٥١).
(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٥٩).
(٣) حلية الأولياء وطبقاب الأصفياء، لأبي نعيم (١/ ٢١).
(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب اقتصار الجنب علىٰ غسل يديه إذا أراد أن يأكل (ص٣٥) برقم (٢٥٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٥٤) برقم (٢٥٠)..

والعلة في ذلك «أن الأكل بعد غسل اليدين يكون أهنأ وأمرأ، ولأن اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الأعمال، فغسلهما أقرب إلىٰ النظافة والنزاهة[١]».

وفي تطبيق هذه السنة النبوية تربية للنفس علىٰ الطهارة والنظافة، وإبعاد الجسم عن الأمراض؛ إذ اليد إذا لم تغسل فلربما تلوثت بالأوساخ، والأكل من دون تنظيفها يسبب الأمراض.

٣- استصحاب النية الصالحة:

وهذا معناه «أن ينوي بأكله أن يتقوىٰ به علىٰ طاعة الله تعالىٰ، ليكون مطيعًا بالأكل[٢]»، لما روىٰ عن عمر بن الخطاب أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»[٣].

قال القاسمي رحمه الله: «فينبغي أن يكون للعبد في كل شيء نية حسنة حتىٰ في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ونومه، ونكاحه، إذ لو لم يكن له ذلك كان في الدنيا علىٰ مثال الأنعام التي تتصرف عن غير عقول»[٤].

وهذا يؤكد أهمية تعويد الناشئة منذ نعومة أظفارهم علىٰ استصحاب النية الصالحة؛ ليرتبط في ذهنهم العلاقة بين تقوية الجسم وبنائه وتحقيق العبودية لله تعالىٰ.

---

(١) عون المعبود، لشمس الحق عظيم أبادي (١٠/١٦٨).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥١).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٥٤).

٤- الرضا بالموجود من الطعام وتجنب عيبه:

كذلك من الآداب قبل الأكل تجنب عيب الطعام وازدرائه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»[١].

قال بعض العلماء معلّقًا علىٰ هذا الحديث: «هذا من آداب الطعام المتأكدة، وعيب الطعام كقوله: مالح، قليل الملح، حامض، رقيق، غليظ، غير ناضج، ونحو ذلك . . .»[٢].

وهذا التوجيه التربوي من الرسول ﷺ له تأثيره الطيب؛ حيث إن عيب الطعام فيه كسر لقلب صانعه الذي تعب في طهيه، كما أن عيبه إظهار للتقزز أو الاشمئزاز الذي يؤدي إلىٰ تقزز الحاضرين وزهدهم عن الطعام[٣] كما أن فيه تنقص للنعمة وعدم الرضا بالدون بما يجر المرء إلىٰ كفر النعمة، والوقوع في الإثم.

وفي ذلك تربية للمسلم علىٰ شكر نعم الله في كل الأحوال، وتجنب عيب الطعام الذي يؤدي إلىٰ كفر النعم.

٥- الاجتماع علىٰ الطعام:

ومعناه: «أن يجتهد في تكثير الأيدي علىٰ الطعام ولو من أهله وولده، فإن خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي . . .»[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاما قط (ص١١٧٢) برقم (٥٤٠٩).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٤/ ٢٦).

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٩).

(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥١).

والاجتماع علىٰ الطعام فيه بركة وخير، قال ﷺ: «**اجْتَمِعُوْا عَلَىٰ طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوْا اسْمَ الله عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيْه**»[١].

قال أهل العلم: «إذا جمع الطعام أربعًا فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحمد الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حل»[٢].

ويضاف علىٰ ذلك أن في الاجتماع علىٰ الطعام له أثره التربوي؛ وذلك لما فيه من بث روح الأخوة بين الحاضرين، وائتلاف القلوب[٣].

ولهذا طبق السلف -رحمهم الله- هذا الأدب النبوي، وسطروا للأمة أروع الأمثلة في تحقيق روح التآلف والتعاون والإيثار. ومن ذلك: أن الحسن[٤] وابن المبارك[٥] كانا إذا أرادا الغداء أو العشاء فتحا بابهما، فمن دخل عرضا عليه الأكل[٦].

---

(١) رواه أبوداود في سننه: كتاب الأطعمة، باب الاجتماع علىٰ الأكل (ص٥٣٨) برقم (٣٧٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٢) برقم (١٤٢).

(٢) الطب النبوي، لابن القيم (ص٢١١).

(٣) فيض القدير، للمناوي (١/ ٢٩٦٥).

(٤) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد مولىٰ الأنصار، إمام أهل البصرة، من سادات التابعين وفضلائهم، جمع العلم والزهد والعبادة، سكن البصرة، وتوفي بها سنة ١١٠هـ.
انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي ٣/ ٢٣٣ وطبقات الحفاظ، للذهبي (٢٨).

(٥) هو عبد الله بن المبارك بن الحنظلي التميمي مولاهم، أحد الأئمة الأعلام، جمع العلم والفقه والأدب والنحو والعبادة،، توفي رحمه الله عام ١٨١هـ، له من المصنفات: المسند والزهد والتاريخ.
انظر: تاريخ بغداد، للخطيب (١٠/ ١٥٢) وتذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ٢٧٤) وصفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ٣٤٢).

(٦) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٢٦٥).

قال القاسمي رحمه الله معلقًا: «وقد كان هذا من سيرة السلف، أنهم يفتحون الباب عند حضور الطعام، ومن صادف دخوله أكل معهم، ومنهم من يقعد في دهليز داره، ويفتح الباب، فكل من مر عليه في الطريق دعاه إلىٰ طعامه[(١)]».

وفي هذه المنهجية التربوية تربية للنفس البشرية علىٰ الجود والعطاء والسخاء، وأن الكثرة علىٰ الطعام لا تقلل مقداره بل تزيده بركة، كما أن في ذلك ربط للمسلم بقضية الأخوة والاجتماع والتآخي والتعاون.

القسم الثاني: مراعاة الآداب حال الأكل:

١- التسمية:

وهي أن يبدأ الأكل ببسم الله عند أول الطعام[(٢)]؛ لما ورد في الحديث الشريف: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله فِي أَوّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَه**»[(٣)].

وللتسمية عند الأكل آثار مفيدة؛ إذ بها تحصل البركة، وتطرد الشيطان، وتمنع من مشاركته في الطعام والشراب.

كما ورد في الأثر: «إِنّ الشّيْطَانَ لَيَسْتَحِلّ الطّعَامَ الذَّيْ لَمْ يُذْكَر اسْمُ الله عَلَيْهِ[(٤)]».

---

(١) المصدر السابق (ص٢٦٥).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٥١).

(٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب الأطعمة، باب التسمية علىٰ الطعام (ص٥٣٨) برقم (٣٧٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٩) برقم (٣٨٠).

(٤) رواه أبو داود في سننه: كتاب الأطعمة، باب التسمية علىٰ الطعام (ص٥٣٨) برقم (٣٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٠) برقم (١٦٥٣).

كما أن في التسمية عند الطعام حصول الطمأنينة، وما يترتب علىٰ ذلك من فوائد صحية حيث «أن التسمية فيها أمن وطمأنينة للنفس نتيجة ذكر الله كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهدوء النفس مطلب صحي لكثرة الفوائد التي تتحقق به، وكم يحدثنا الأطباء عن الآثار السيئة التي تنعكس سلبًا علىٰ صحة الإنسان، نتيجة تناوله الطعام وهو متوتر الأعصاب . . .(١)».

ومن هنا يتحتّم علىٰ المربين توجيه الناشئة علىٰ لزوم التسمية قبل البدء في أكل الطعام والشرب، وربما كان الجهر بها نوع من التوجيه المباشر الذي يلزم الأخذ به من باب التأديب والتوجيه، وفي ذلك ربط الناشئة بالله ﷻ في تعاملهم وأكلهم وشربهم وفي معاملاتهم كلها.

٢- الأكل باليمين:

ومن الآداب النبوية عند تناول الطعام الأكل باليد اليمنىٰ؛ إلا عند الضرورة، لما روىٰ في الأثر: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِيْنِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِيْنِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمالِه(٢)».

فالحديث فيه «استحباب الأكل والشرب باليمين، وكراهتهما بالشمال . . . وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة . . . فلا كراهة في الشمال(٣)».

---

(١) مقومات التربية الجسمية، لصالح الشهري (٨٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٣/ ١٥٩٨) برقم (٢٠٢٠).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٤/ ٢٠٤).

وفي هذا بيان للمتربين بسنية إسناد الأعمال الشريفة والطاعات المنيفة لليد اليمنىٰ، وتوجيههم من قبل المربين علىٰ التأدب بها والعمل بسنة الرسول ﷺ في ذلك.

٣- الأكل مما يلي الطعام:

ومما يلحق بالآداب أثناء الأكل أن يأكل الإنسان مما يليه من الطعام، إلا إذا كان الطعام في الإناء مختلف، وفيه أصناف وألوان ولا سيما إن كان الطعام من الفاكهة فلا بأس أن تجول يده في الصحفة[(١)]؛ لما روي عن عمر بن أبي سلمة[(٢)] قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة. فقال: «**يَا غُلَامُ! سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**[(٣)]».

وهذا؛ لأنه إذا أكل مما يلي صاحبه بخس بحقه، كما أن أكله من موضع يد صاحبه يسبب له القذارة، فيكون قد أفسد الطعام عليه[(٤)].

وهذا الأدب النبوي فيه «مراعاة لشعور الآخرين، وعدم التعدي علىٰ ما بين أيديهم من الطعام، .. كما أن فيه دعوة للمحافظة علىٰ نظافة الطعام، وعدم إفساده فيما لو بقي منه شيء لم يؤكل»[(٥)].

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (١٥٢).

(٢) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي، ربيب رسول الله ﷺ، ولد في السنة الثانية من الهجرة، استعمله علي رضي الله عنه علىٰ البحرين وفارس، توفي بالمدينة سنة ٨٣هـ أسد الغابة، لابن الأثير (٤/ ٧٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، با آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢٢).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (٣/ ٦٢).

(٥) مقومات التربية الجسمية، لصالح الشهري (ص٦٦).

كما أن فيه مطلب تربوي يتجلىٰ في انتهاز المربين الفرص والمواقف أثناء تناول الطعام، ليذكروا الناشئة بآداب الأكل في الإسلام، وبما يشجعهم علىٰ الاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

٤- الاعتدال في الأكل:

نعىٰ الرسول ﷺ الإكثار من تناول الطعام، ووضح أن كثرة الأكل من صفات الكافرين، قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاء**»(١).

ولقد أرشد الله ﷻ المسلم بأن يعتدل في طعامه وشرابه كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وتأكيدًا علىٰ هذا الأدب النبوي فإن المنهج التربوي الإسلامي وجه المسلم بأن «لا يسرع في الأكل، ولا يوالي بين اللقم، ولا يعظم اللقمة، ولا يبتلعها حتىٰ يجيد مضغها»(٢).

كما أرشده إلىٰ الأكل بثلاث أصابع؛ كما في الأثر: «كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلاَثِ أَصَابِعَ»(٣).

وهذه الآداب تربي المسلم علىٰ أن يكون أكله معتدلًا، بحيث لا يسرع في الأكل، ولا يوالي بين اللقم، ولا يتعجّل في بلع الطعام.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معىٰ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (٣/ ١٦٣١) برقم (٢٠٦١).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذىٰ وكراهة مسح اليد قبل لعقها (٣/ ١٦٠٥) برقم (٢٠٣٢).

وفي المقابل لا يبالغ المرء في تقليل الغذاء أو الشراب، حتىٰ لا يضر ببدنه، أو بشيء منه، فيؤدي به إلىٰ التقصير في أداء حقوق الله الواجبة، أو حقوق الآدمي كالتكسب لمن يلزمه مؤنته[١].

٥- تجنب الاتكاء عند تناول الطعام:

من الآداب عند تناول الطعام «أن يجلس الآكل علىٰ المائدة مستويًا باحتشام، لا متكئًا ولا منحنيًا بصدره»[٢]؛ لما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني لا آكل متكئًا**»[٣].

أي أني لا آكل أكل راغب متمكن في الدنيا، بل آكل مستوفزًا[٤] حسب الحاجة[٥].

والاتكاء: هو الميل إلىٰ أحد الشقين، وقيل: هو استواء القاعد علىٰ الوطء المتمكن[٦].

وعلة النهي عن ذلك -والله أعلم- أنه إذا «أكل الرجل متكئًا يدل علىٰ استخفافه بنعمة الله فيما قدمه بين يديه من رزقه، وفيما يراه الله من ذلك علىٰ ما تناوله، ويخالف عوائد الناس عند أكلهم الطعام من الجلوس إلىٰ أن يتكئ؛ فإن هذا يجمع بين سوء الأدب

(١) منهاج التربية الإسلامية في بناء الشخصية، لأحمد سعيد الغامدي (٣٨١).
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٨).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئا (ص١١٧٠) برقم (٥٣٩٨).
(٤) أي منتصب غير مطمئن في القعود. (لسان العرب، لابن منظور ١٥/ ٣٥٥).
(٥) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٣/ ٣١٧).
(٦) النهاية، لابن الأثير (١/ ١٩٣).

والجهل واحتقار النعمة . . .[١]».

كما أن هذا الوضع له مضاره الصحية التي تلحق بالجسم إذ «أجود ما اغتذىٰ الإنسان إذا كانت أعضاؤه علىٰ وضعها الطبيعي، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصبا الانتصاب الطبيعي. وأردأ الجلسات للآكل الاتكاء علىٰ الجنب؛ لما تقدم من أن المريء وأعضاء الازدراء تضيق عند هذه الهيئة، والمعدة لا تبقىٰ علىٰ وضعها الطبيعي. لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض، ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس»[٢].

ومن هنا يتحتّم علىٰ المربين تعويد الناشئة الطريقة الصحيحة لهيئة الجلوس أثناء الأكل، كما وردت في السنة النبوية من إقامة الركبة اليمنىٰ ووضع اليسرىٰ أو إقامة الركبتين معًا أو الجلوس كجلوس الصلاة. بالإضافة إلىٰ توضيح الآثار السيئة علىٰ الجسم الناجمة عن الجلوس علىٰ الوضع المنهي عنه.

٦- تجنب أكل الطعام الحار:

ومما يلحق بالآداب حال الأكل أن يحترز من تناول الطعام الشديد السخونة؛ لما له من أضرار صحية علىٰ الجسم[٣]، فقد ورد عن رسول الله ﷺ «**أَبْرِدُوْا طَعَامَ الحَارّ، فَإِنّ الطَعَامَ الحَارّ غَيْرُ ذِي بَرَكَةٍ**»[٤].

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٣/ ٣١٨).
(٢) الطب النبوي، لابن القيم (ص٢٠٣).
(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٧).
(٤) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب الأطعمة (٤/ ١٣٢) برقم (٧١٢٥)، وصحح الألباني بمجموع طرقه (السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٧-٤٤٨).

وكانت أسماء إذا أتيت بثريد أمرت به فغطي حتىٰ يذهب فوره ودخانه. وتقول: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هُوَ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ**[(١)]».

فالحديث «فيه دلالة علىٰ كراهية استعمال الطعام الحار، لخلوه عن البركة، بل إن غلب علىٰ ظنه ضرره حرم[(٢)]».

«وما ذلك إلا أن الطعام الحار قد يؤذي الإنسان عند تناوله، سواء في يده، أو فمه، أو أمعائه»[(٣)].

وبما أن المسلم مأمور بتجنب تناول الطعام الحار، فكذلك فإنه مأمور بتجنب النفخ في الطعام الحار؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ الله ﷺ يَنْفُخُ فِي طَعَامٍ وَلاَ شَرَابٍ، وَلاَ يَتَنَفّس فِي الإِنَاءِ[(٤)]».

فالنافخ في الطعام يدل علىٰ جشعه وشَرَهِه، واستعجاله وعدم صبره، وقلة مروءته، إضافة إلىٰ ما قد يسببه من تقزز الآخرين بسبب ما يخرج من نفخه بالريق[(٥)]، وما قد يؤدي بسببه أيضًا من انتقال الأمراض.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب الأطعمة (٤/ ١٣٢) برقم (٧١٢٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم في الشواهد ولم يخرجاه.

(٢) فيض القدير، للمناوي (١/ ٧٧).

(٣) مقومات التربية الجسمية، لصالح الشهري (ص٦٨).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الأطعمة، باب النفخ في الطعام (٢/ ١٠٩٤) برقم (٣٢٨٨) والحديث بشواهده صحيح. انظر: إرواء الغليل، للألباني ٧/ ٣٦-٣٧).

(٥) فيض القدير، للمناوي (٦/ ٣٤٦) وتحفة الأحوذي، للمباركفوري (٦/ ١٠).

القسم الثالث: الآداب بعد الأكل:

١- حمد الله عند الفراغ من الطعام:

ويستحب عقيب الطعام أن يحمد الله ﷻ علىٰ نعمته، ويشكره ﷻ بقلبه علىٰ ما أطعمه؛ لما روىٰ عن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحَمْدُ لله حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيْه، غَيْرَ مَكْفِيٍّ**(١)**، وَلاَ مُوَدِّع**(٢)**، وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا**»(٣).

وحمد الله تعالىٰ عند الفراغ من الطعام أو الشراب من الأسباب التي تكفر الذنوب، وتجلب رضا الله ﷻ، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إِنّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْد أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَة، أَوْ يَشْرَب الشّربةَ فَيَحْمده عليها**»(٤).

وهذا الأدب النبوي تذكير للمسلم بأن أموره كلها في عبادة الله ﷻ؛ فهو حين يتمتع بالأكل والشرب وغيره من الأمور الدنيوية عليه أن يستحضر النية ويربطها بالعبادة.

٢- غسل اليدين:

ومما يلحق بالآداب النبوية بعد الأكل غسل اليدين بعد تناول

---

(١) مكفي من الكفاية، يعني أن الله هو المطعم والكافي، وهو غير مطعم ولا مكفي. النهاية، لابن الأثير (٤/ ١٨٢).

(٢) مودع أي غير متروك الطلب إليه، والرغبة فيما عنده. النهاية، لابن الأثير (٤/ ١٨٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه (ص١١٨٠) برقم (٥٤٥٨).

(٤) رواه الترمذي في سننه: أبواب الأطعمة، باب ما جاء في الحمد علىٰ الطعام إذا فرغ منه (ص٤٢٨) برقم (١٨١٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

الطعام ولا سيما إذا كان الطعام دسمًا؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ باتَ وَفِي يَدِهِ رِيْح غَمَرٍ**[١] **فَأَصَابَهُ شَيْء فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَ نفْسُه**»[٢].

إن لتطبيق هذه السنة النبوية فوائد صحية عظيمة؛ إذ أنه يترتب علىٰ عدم غسل اليدين تعفنهما ولاسيما إذا بات المرء علىٰ ذلك، فلربما جلبت إليه بعض الحشرات والهوام الضارة، أو تسببت في إصابته ببعض القروح، كذلك فإنه يبعث الروائح الكريهة بما يسبب تنافر من ينام بجانبه وتقززه بذلك.

ثانيًا: آداب النوم:

للنوم فوائده الكثيرة للجسم، فهو يمنح الجسم الحيوية والطاقة بعد عناء التعب والمشقة.

فالجسم يحتاج إلىٰ النوم أكثر عندما يؤدي أعمالًا كثيرة، أو يكون قد مر بعاطفة انفعل بها بشدة، كما تزداد الحاجة إلىٰ النوم عندما يكون الإنسان قد مر بظروف صعبة في حياته[٣].

ولقد امتن الله سبحانه علىٰ الإنسان بأن جعل الليل سكنًا وراحة له؛ قال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

فجسم الإنسان «ذو قدرات محدودة، وأنه بطبيعة تكوينه، عاجز

(١) **الغمر**: الدسم والزهومة من اللحم، كالوضر من السمن. النهاية، لابن الأثير (٣/ ٣٨٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه: أبواب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية البيتوتة ... (ص٤٣٧) برقم (١٨٥٩) وحسنه.

(٣) النوم الصحي، محمد الحافظ، مجلة المعرفة، العدد (٤٦) ١٣٢٠.

أن يدأب علىٰ الحركة. فمن الله عليه بوسائل السكون بعد الحركة، يستريح ويستجم ويستعيد قواه استعدادًا للحركة في اليوم التالي، فجعل الله الليل محلًا للراحة والسكون، وجعل النهار مبصرًا محلًا للعمل[(١)]».

وتجدر الإشارة إلىٰ أن منافع النوم لا يمكن أن تتحقق إلا إذا راعىٰ المرء الآداب النبوية، وأخذ الأسباب اللازمة في تطبيق ذلك.

وهناك مجموعة من الآداب المتعلقة بالنوم والتي جاء بها الدين الإسلامي، وحث علىٰ تطبيقها، حتىٰ تكون عونًا للمرء علىٰ تحقيق الفوائد المرجوة منه.

ومن تلك الآداب التي دوّنها القاسمي في مؤلفاته غير ما سبقت الإشارة إليها[(٢)]:

١- النوم المبكر:

يحتاج الجسم إلىٰ الكثير من الراحة حتىٰ يستعيد بها قواه وحيويته وقدرته علىٰ أداء وظائفه، ومن هنا تأتي أهمية النوم المبكر في الليل حتىٰ يساعد علىٰ إعطاء الجسم الكثير من الحيوية والنشاط بعد عناء المشقة والتعب.

ولقد ثبت علمياً أن الجسم يستفيد من نوم الليل أكثر من استفادته من نوم النهار[(٣)].

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، لمحمد السيد الزعبلاوي (ص٢٠١).

(٢) انظر (ص٢٨٠-٢٨٣) من هذه الرسالة.

(٣) الطب في القرآن الكريم، لعبد الحميد دياب، وأحمد قرقور (ص١٠٤).

ولقد حذر الرسول الله ﷺ من الحديث بعد العشاء، ونقل عنه أنه كان يكره النوم قبل العشاء والسمر بعده[١].

ولذا يرىٰ القاسمي أن يتوخىٰ المرء جميع الأسباب التي تمنع الإنسان من النوم ككثرة التفكر وإجهاد البال، والابتعاد عن أمكنة اللغط والضجة[٢] حتىٰ يستعد للتبكير في النوم.

وهذا التوجيه له من الأهمية بمكان، ولا سيّما وأنه قد ابتلي الكثير من الناس في هذا العصر بالسهر، مما قد يفضي إلىٰ ترك فريضة الفجر، وإنهاك الجسم. الأمر الذي يتحتم علىٰ المربين التنبيه علىٰ ذلك، وترغيب الناس في التبكير إلىٰ النوم ببيان فوائده الكثيرة علىٰ الجسم، وأضرار السهر والنوم في الساعات المتأخرة.

٢- النوم علىٰ طهارة:

كذلك من آداب النوم أن يحرص الإنسان علىٰ أن يكون علىٰ الوضوء والطهارة قبل أن يأوي إلىٰ فراشه، لما روىٰ عن النبي ﷺ «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَأ وُضُوْءَكَ لِلصّلاّةِ**»[٣].

وفي الحديث الآخر: «**مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ رِيْح غَمَرٍ فَأَصَابَهُ بِهِ شَيْء فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَ نفْسُه**»[٤].

قال أحد السلف معلقًا: «يحتمل أن يكون معنىٰ ذلك أن دواب

(١) رواه الترمذي في سننه: أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النوم قبل العشاء والسمر بعده (ص٤٧) رقم (١٦٨) وقال هذا حديث صحيح.
(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.

الأرض ربما تتبع روائح الطعام، فإذا وفقت غمرًا من نائم لم يؤمن أن يصيب منه وهو لا يشعر، ولعل منها دواب مسموم وآفات فيحدث بما يميز أصابع النائم بها بعض ما يكره[(١)]».

٣- النوم في مكان آمن:

علىٰ الإنسان الذي يريد النوم أن يتخذ الأسباب اللازمة التي تريحه وقت نومه، فعليه أن يتجنب النوم في محل مستوف؛ لأنه يكون عرضة للتغيرات الجوية . . . وأن يبعد عن مكان اللغط وعن الضوء الضعيف من زيت الكاز؛ لأنه قد يؤدي إلىٰ ضيق التنفس واختناق الصدر برديء رائحته التي تفسد الهواء، وأن يخرج باقة الزهور ليلا من المكان؛ لأنها تفقد الهواء أوصافه الجيدة[(٢)].

ومن الآداب النبوية أيضًا إطفاء المصابيح المشتعلة، وإغلاق الأبواب، وتغطية الأواني، كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَطْفِئُوا المَصَابِيْحَ إِذَا رَقَدتُمْ، وَغلّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوكُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمّرُوا الطَّعَامَ وَالشّرابَ . . . وَلَوْ بِعُوْد تَعْرِضُه عَلَيْه**»[(٣)].

والمتأمل لتلك التوجيهات النبوية من إطفاء المصابيح قبل النوم وتغطية الأواني، وإغلاق الأبواب يجد أن فيها دعوة إلىٰ تهيئة الجو المناسب للراحة والنوم الهنيء؛ والبعد عن كل ما قد يحدث من الأضرار المادية كحريق البيت نتيجة اشتعال المصباح إذا لم يطفأ، أو حدوث

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (٣/ ٦٦).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء (ص١٢١١) برقم (٥٦٢٤).

سرقة إذا لم تغلق الأبواب، كما من مضامين هذه التوجيهات البعد عمّا قد يفضي إلىٰ حصول الضّرر الجسمي بسب إهمال غطاء الأسقية والطعام.

٤- العناية بالفراش:

من آداب النوم اختيار الفراش المناسب حتىٰ ينعم بنوم هنيء ومريح، كأن «يتخذ الفراش من الصوف، وتكون المخدة لا رخوة ولا يابسة، وأن يختار من الغطاء الخفيف، ومن الوسائد القليلة التضاعيف والنعومة»[١]. وكذلك من العناية بالفراش التأكد من نظافته وخلوه من الأتربة، والحشرات، والهوام والغبار حفاظا علىٰ سلامة الجسم قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُم إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَه بِدَاخِلِ إِزَارِهِ، فَإِنّه لاَ يَدْرِيْ مَا خَلفه عَلَيه**»[٢].

٥- قراءة أذكار النوم:

يضاف إلىٰ ما سبق من الآداب: العناية بقراءة الأذكار عند مبتدأ النوم والاستيقاظ منه، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد آداب النوم: «الدعاء عند النوم بما ورد منه، ومنه قراءة الإخلاص، والمعوذتين، وينفث بهن في يديه، ويمسح بهما وجهه وسائر جسده، وآية الكرسي، والتسبيح ثلاثا وثلاثين كذلك والتكبير كذلك[٣]».

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات باب (١٣) (ص١٣٣٨) برقم (٦٣٢٠).

(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٤٣-١٤٤).

وهذا الذي ذكره من أذكار النوم وارد في السنة النبوية، وفي الخبر: «أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[(١)]».

وأما عن التسبيح ثلاثًا وثلاثين والتحميد ثلاثًا وثلاثين والتكبير ثلاثًا وأربعين فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله حينما مسكت فاطمة بجل يديها من الطحين: «**أَلاَ أَدُلُكُمَا عَلَىٰ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ الخَادِمِ؟ إِذَا أَخَذتما مَضْجَعَكُمَا تَقُوْلاَن: ثَلاَثًا وَثلاَثينْ وَثَلاَثًا وَثلاَثِيْنَ وَأَرْبَعًا وَثلاِثين مِنْ تَحْمِيْدٍ وَتَسْبِيْح وَتَكْبِيْرٍ**[(٢)]».

ثالثًا: آداب قضاء الحاجة:

لا شك «أن المسلم محكوم في جميع شؤونه بمنهج الإسلام، فكما أنه يلتزم بآداب للأكل والشرب وغيرهما، فكذلك يلتزم آدابًا وواجبات لقضاء حاجته، والتخلص من الفضلات[(٣)]».

وهذه الآداب لها فوائد عظيمة علىٰ صحة الجسم إذا طبقها المسلم في حياته، وذلك بحصول الراحة الجسدية من خلال الوضع الصحيح

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام (ص٧٧٦) برقم (٣٤٠٢) وقال: حديث حسن غريب صحيح.
(٢) رواه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب ما جاء في التسبيح ... (ص٧٧٨) برقم (٣٤٠٨) وحسنه.
(٣) مسؤولية الأب المسلم، لعدنان باحارث (ص٣٩١).

أثناء قضاء الحاجة، علاوة علىٰ ما في تطبيقها من اتباع لهدي النبي ﷺ.

وهذه جملة من آداب قضاء الحاجة التي ذكرها القاسمي في بعض مؤلفاته[١]:

١- الستر:

ومن أهم آداب قضاء الحاجة أن يستتر المرء عن أعين الناس؛ وفي هذا يقول القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن يبعد عن أيمن الناظرين في الصحراء، وأن يستتر بشيء إن وجده، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلىٰ موضع الجلوس»[٢].

وهذا التوجيه من القاسمي مستفاد مما ورد في السنة النبوية، فقد جاء في الحديث: «أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا ذَهَبَ إِلى الغَائِطِ أَبْعَد[٣]».

وبناء علىٰ هذا التوجيه فإن من مسؤولية المربين الحث علىٰ التخلق بخلق الحياء، والستر، وحفظ العورة عن أعين الناس.

٢- تجنب استقبال القبلة واستدبارها:

ومما يلحق بآداب قضاء الحاجة أن لا يُستقبل القبلة إذا أراد قضاء الحاجة القبلة ولا يستدبرها، لما ورد في الأثر: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ وَلاَ تَسْتَدْبِرُوْهاَ بِبَوْلٍ وَلاَ غَائِطٍ، وَلَكِنَّ شَرِّقُوْا أَوْ غَرِّبُوْا**[٤]».

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٥٥ و٥٩ و٦٠).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٥٥).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة، باب التباعد للبراز في الفضاء (١/ ١٢٠) برقم (٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٥٩) برقم (٢٦٦)..

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب الاستطابة، (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤).

٣- الابتعاد عن المواضع المنهي عنها:

هناك مواضع نهىٰ الشرع أن يبول المسلم أو يقضي حاجته فيها. ومن تلك المواضع:

أ- **الماء الراكد**؛ والدليل لما رویٰ في الحديث: «**لاَ يَبُوْلَنّ أَحَدُكُم فِي المَاءِ الدَّائِم . .**[(١)]».

ب- **تحت الشجرة وطريق الناس**، لحديث: «**اتّقُوا اللّعَانَيْن، قَالُوا: وَمَا اللّعاَنَان يَا رَسُوْلُ اللهِ؟ قَالَ: الذّي يَتَخَلّىٰ فِي طَرِيْقِ النّاسِ أَوْ فِي ظِلّهِم**»[(٢)].

د- **مواضع الصلب ومهبات الريح**، وذلك حتىٰ يستنزه من رشالة البول عليه؛ للحديث: «**إَنّهُمَا لَيَعُذّبَانِ وَمَا يُعذّبَان فِي كَبِيْر، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشَي فِي النّمِيْمَةِ، وَأَمَّا الآخَر فَكَانَ لاَ يَسْتَتَرُ مِنْ بَوْلِهِ . . .**[(٣)]».

هـ- **ذكر دخول الدخول والخروج**: وهو أن يقول عند الدخول: «**اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ**[(٤)]». وعند الخروج: «**غفرانك**[(٥)]».

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (١/ ٢٣٥) برقم (٢٨٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (ص١/ ٢٢٦) برقم (٢٦٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (١/ ٢٤٠) برقم (٢٩٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء (١/ ٢٨٣) برقم (٣٧٥).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء =

ولا شك أن تطبيق هذه الآداب النبوية عند قضاء الحاجة له أثر عظيم في بناء الجسم وصحته؛ الأمر الذي يدعو إلىٰ دراسة هذه الآداب وتبيان عِظمها وفوائدها الجسمية حتىٰ يدرك المرء محاسن هذا الدين وسماحته وشموله لجميع مناشط الإنسان وضروبه المختلفة، وينعم بالصحة الجسمية التي هي مطلب من مطالب الشرع.

❊ ❊ ❊

= (١/ ١١٠) برقم (٣٠٠). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١/ ٥٥) برقم (٢٤٥).

الفصل الثامن

التربية المهنية عند القاسمي

تمهيد

ما من ريب أن الأعمال المهنية من العوامل التي ترفع من مكانة المجتمع، وتدفع عجلة التقدم والرقي، وتبني حضارة الأمة وتحفظ كيانها.

فالعمل المهني وسيلة لكف النفس عن ذل السؤال، والحفاظ علىٰ الكرامة، كما أنه من العوامل التي تسد حاجات المجتمع ومتطلباته.

ومن هنا أثنىٰ الإسلام علىٰ العمل، وبيّن فضله، ورفع من منزلته. ولقد وجّه القرآن الكريم إلىٰ السعي في الأرض لكسب المعيشة وطلب الرزق والبحث عن لقمة العيش؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقد وردت نصوص كثيرة في السنة النبوية تحث علىٰ العمل، وترغّب فيه؛ قال ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُم حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَه**»(١).

وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**ماَ أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يأْكُل مِنْ عَمَلِ يَدَهِ، وَإِنّ نَبِيَ اللهِ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلاَم كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (ص٤٠٩) برقم (٢٠٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (ص٤٠٩) برقم (٢٠٧٢).

وفي المقابل فإن الإسلام كره القعود والبطالة، وبالغ في النهي عن المسألة والتنفير منها؛ قال ﷺ: «**لاَ تَزَالُ المسَأْلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتّىٰ يَلْقَىٰ اللهُ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لحَمْ**»(١).

وانطلاقًا من التوجيهات الإسلامية نحو العمل المهني فإنه تتطلب دراسة هذا الجانب العظيم، والوقوف علىٰ معالمه، من خلال الوقوف علىٰ آراء القاسمي حول مفهوم العمل المهني، والتعرف علىٰ أهميته، ودراسة أخلاقيات العمل التي هي سبب من أسباب نماء الاقتصاد والزيادة في التنمية.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢٠) برقم (١٠٤٠).

المبحث الأول
مفهوم التربية المهنية

أولًا: المهنة في اللغة:

من الجدير قبل الحديث عن مفهوم التربية المهنية الوقوف علىٰ مضامين المهنة في اللغة، والتعرف علىٰ مشتقاتها؛ لإدراك تناسب مفهوم المهنة في اللغة بالاصطلاح التربوي.

فالمهنة: مشتقة من مادة (مَهَن)، ويقال: المِهْنة والمَهْنة والمَهَنَة والمِهَنة. وكل ذلك بمعنىٰ: الحذق بالخدمة والعمل ونحوه.

ويقال: مَهَن أي خدم غيره، ومَهَن يَمْهَن مَهْنًا: إذا عمل في صنعته. وأمْهَنْتُه أي استخدمته، وهو في مهنة أهله أي خدمتهم، وخرج في ثياب مهنته أي ثياب خدمته التي يلبسها في أعماله. والماهن: العابد، وقيل: الخادم[(١)].

وبعد هذا العرض اللغوي لكلمة المهنة يتضح أن المهنة تأتي بمعنىٰ الخدمة والعمل المقيدين بالخبرة والحذق فيهما.

وقد جاء في السنة إطلاق المهنة بمعنىٰ الخدمة؛ وفي الحديث عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢١١)، والمصباح المنير، للفيومي (ص٥٨٣)، والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ وآخرون (ص٨٩٠).

خَرَجَ[١]» أي في خدمتهم[٢].

ومن خلال العرض السابق يتبين أن هناك فرقًا واضحًا بين المهنة والعمل، فالعمل هو الجهد الذي يبذله الإنسان دون حاجة إلىٰ حذاقة ومهارة فيه، بخلاف المهنة فهي العمل الذي يحتاج إلىٰ خبرة ومهارة وحذق في الصناعة وغيرها من الأعمال.

وعليه فإن الحديث عن المهنة في هذا الفصل يراد به العمل المهني الذي يحتاج إلىٰ دراية ومهارة فيه، كما يراد به الارتزاق والسعي في الكسب.

ثانيًا: مفهوم التربية المهنية في الاصطلاح:

وعلىٰ ضوء العرض السابق لمفهوم المهنة في اللغة، يمكن أن يقال إن العمل المهني: هو ذلك الجهد البدني الفكري الذي يبذله الشخص فيه لأجل تحقيق منفعة[٣].

وأما مفهوم التربية المهنية فهي عملية إعداد الفرد المسلم للقيام بالأعمال المهنية المرتبطة بجميع القيم العلمية والأخلاقية والاجتماعية؛ بحيث تنمي فيه حب العمل المهني، وتعلمه جميع الفضائل المرتبطة بممارسته[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله (ص١١٦٣) برقم (٥٣٦٣).
(٢) المصباح المنير، للفيومي (ص٥٨٣).
(٣) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٧٣).
(٤) التربية المهنية والحرفية في الإسلام، لجمال محمد الهنيدي (ص٢٧).

وبهذا المفهوم التربوي للعمل المهني وجه القاسمي أصحاب المهن كالتاجر والصانع وغيرهما بقوله: «عليه أن يتعلم علم البيع والشراء، والأخذ والعطاء، ومعاملة الناس في البيوع، ومعرفة أبواب الربا، ليعلم ذلك قبل الوقوع فيه، فيجتنب ذلك ويتقيه، ولْيَغْدُ إلىٰ المفتي فيسأله عن علم حاله كل يوم من وجوه معاملته إن لم يكن قد تقدم علمه بذلك . . .

ثم لينصرف بعد العلم فيما يدخل فيه فما أبيح له من تجارة أو صناعة بصدق معاملة وصدق في مبايعة؛ ناويًا في ذلك إقامة سنة وجهادًا في سبيل الله . . .[(١)]».

وقال في موضع آخر: «وعلىٰ الصانع أن يبلغ غاية النصح في صنعته لمستعمله، لأنه أعرف بصلاح صنعته وفسادها، وبسرعة فناء الصنعة وكثرة بقائها، وعليه أن يتقن نهاية علم الصانع بصلاح الصنعة، وحسن بقائها مع نهاية بغية مستعمله من تجويدها وإحكامها، فإذا فعل الصانع ذلك كان قد عمل بعمله[(٢)]».

كما وجه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ضرورة التأهيل العلمي للمهنة عند معرض حديثه عن أدب الزراعة قائلا: «لا مشاحة في أنه إذا درسنا فنونها وسلكنا سبيل قوانينها ونظاماتها علمياً ثم رجعنا لأنفسنا وطبقنا العلم علىٰ العمل -والزراعة علم عملي- نجحنا في أمورنا وسمونا كما سمت جاراتنا من الأمم التي فازت بالقِدْح المعلىٰ في سائر أنواع الزراعة[(٣)]».

ومن خلال العرض السابق لمفهوم التربية المهنية والتوجيهات

(١) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٣٢٥).
(٢) المصدر السابق، (ص٣٣٤).
(٣) جوامع الأدب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٢٦).

التربوية المتعلقة بالعمل المهني عند القاسمي يمكن تلخيص العناصر المتعلقة بذلك في النقاط التالية:

١. توجيه الفرد المسلم إلىٰ دراسة العلوم المهنية؛ والاستفادة من خيرات الكون.

٢. إرشاد الفرد المسلم إلىٰ دراسة أخلاقيات العمل المهني، وتطبيقها علىٰ أرض الواقع.

٣. ربط العمل المهني بالنية الصالحة والمقاصد الشرعية.

ومن هنا فإن علىٰ المؤسسات التربوية أن تصحح المفاهيم الخاطئة حول مفهوم العمل المهني، وتوجه الناشئة إلىٰ الاستفادة من التعليم المهني الذي لا يقل أهمية عن التعليم العام، وذلك من خلال بيان مكانة العمل المهني في الإسلام، وتصحيح المفهوم القاصر في ذلك، وتوضيح أثره في ازدهار الأمة ورقيها، وحاجتها الماسة إلىٰ ذلك.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني

أهمية العمل المهني

امتن الله ﷻ على عباده بأن جعل لهم النهار معاشًا، ومرتعًا يرومون فيه من أرزاقه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبَإِ: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الرُّومِ: ٢٣].

كذلك امتن الله ﷻ على عباده بأن ذلّل لهم الأرض، وسخّر لهم البحار، وأودع فيها من الثمرات والخيرات بغرض الاستفادة من كنوزها وخباياها؛ وفي هذا يقول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلْكِ: ١٥].

ومن الملاحظ أن التسخير الإلهي للبحر والأنهار والأرض لا يغني عن العمل، وهو سبحانه حين قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ لم يرد أن البحر يقذف للناس بالأسماك يأكلونها لحمًا طريًا، إنما أراد أن مصادر الرزق كامنة في البحر، مهيأة لمن يبذل الجهد في استخراجها

والانتفاع بها[١].

كذلك فإن تذليل الله ﷻ الأرض وتسخيرها بما أودع فيها من خيرات وبركات لا يغني عن السعي والجهد؛ إذ الأرزاق تنال بالكد والتعب والحركة؛ ولذا قال تعالىٰ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

ولذا «أمر الإسلام بالعمل الشريف الذي يكفل للإنسان معيشته، ويحفظ كرامته ومروءته، ويصون ماء وجهه أن يراق»[٢].

بل وأثنىٰ الدين الإسلامي علىٰ العمل ورفع من منزلته، ونوه علىٰ فضله وعلو شأنه؛ قال ﷺ: **«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَهِ، وَإِنّ نَبِيَ اللهِ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلاَم كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِه»**[٣].

وفي هذا الحديث إشارة إلىٰ فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه علىٰ ما يباشره بغيره، والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله علىٰ ما يعمله بيده لم يكن من حاجة؛ لأنه كان خليفة الله في الأرض، وإنما ابتغىٰ الأكل عن طريق الأفضل[٤].

ولئن كان الإسلام رفع من شأن العمل وحث عليه؛ فإنه في الوقت

---

(١) شريعة الإسلام: العمل والعمال، لجمال الدين عباد (ص٢٥).
(٢) فضل الزراعة في الإسلام، لعبد الغني مزهر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٣، ١٤١٢(ص١٨١).
(٣) تقدم تخريجه في (ص٣٠٣).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (٤/٢٠٦).

نفسه بالغ في النهي عن المسألة والتنفير منها؛ قال ﷺ: «**لاَ تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتّىٰ يَلْقَىٰ اللهُ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لحَمْ**»[١].

قيل في معناه: يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله[٢].

وتأكيدًا علىٰ أهمية العمل فقد عالج المنهج الإسلامي الشبهات[٣] التي تعيق المسلم وتثبطه عن العمل والسعي في الأرض؛ فهناك فئات من الناس يعرضون عن العمل بحجة أنه ينافي التوكل علىٰ الله؛ فهؤلاء خطّأهم الإسلام، وبين لهم أن التوكل لا ينافي العمل وأنه من باب اتخاذ الأسباب.

وفي هذا يقول القاسمي رحمه الله: «ولا يضر التصرف والتكسب لمن صح توكله، ولا يقدح في مقامه . . . فالتكسب خير من التشرف إلىٰ الخلق واعتياد المسألة؛ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأن يأخذ أحدكم فأسه وحبله فيذهب إلىٰ الجبل فيحتطب، فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**[٤]»؛ ثم قال: «وآخىٰ رسول الله ﷺ بين سعد بن الربيع[٥] وبين عبدالرحمن بن عوف، فقال له: أشاطرك مالي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/٣٤٦).

(٣) انظر الرد علىٰ الشبهات بالتفصيل: كتاب الكسب، لمحمد الشيباني (ص٨٦-٨٨)، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، للقرضاوي (٨٠-٨٩) وأحكام الحرفة وآثارها في الفقه الإسلامي، لعبدالعزيز العنزي (ص٧٠-٧١).

(٤) تقدم تخريجه بنحوه.

(٥) سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي الأنصاري، أحد نقباء الأنصار، وهو الذي آخي بينه وبين عبدالرحمن، شهد العقبة الأولىٰ والثانية، وقتل في عزوة أحد. أسد الغابة، لابن الأثير (٢/٢٧٧) والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٢/٢٦).

وأهلي، فقال عبدالرحمن: بارك الله في أهلك ومالك. دلوني على السوق[١] . . . فلو كان التكسب في الأسواق ينقص التوكل لم يختر عبدالرحمن رضي الله عنه ما ينقص توكله . . .

ففي هذا بيان وبرهان لمن لم تستهوه الأهواء في إنكار التكسب على أهل التوكل احتجاجًا لنفسه واعتذارا من بطالته، ولا يسع العلماء في الدين إلا البيان، وكشف حقيقة العلم بالبرهان[٢]».

«إن العمل زكاة للأرواح والأجسام، وعبادة من عبادات الإسلام التي يجب أن تنميها الدولة وتهيئ لها السبل للوصول إلى مستويات عليا من الإنتاج؛ تجعلها تستطيع أن تقف مع الدول المتقدمة صناعيًا على قدم المساواة[٣]».

وهناك فئات من الناس تقاعسوا عن العمل استهانة بالحرف المتواضعة وأنفة منها، كما هو الحال عند العرب قبل الإسلام حيث ينظرون إلى المشتغلين بالمهن والحرف نظرة احتقار وازدراء؛ لأنها في عرفهم حرف وضيعة جعلت للعبيد والرقيق ولا تليق بالحر[٤].

فجاء الإسلام وغيّر هذه المفاهيم الخاطئة، ورفع من قيمة العمل أيًا كانت طبيعته، وحقّر من شأن البطالة والاتكال على الآخرين؛

---

(١) أخرج نحوه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار (ص٧٧٤) برقم (٣٧٨٠)

(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٦٦-١٧٠).

(٣) معركة الإسلام والرأس مالية، لسيد قطب (ص٥٢).

(٤) مدخل لدراسة الاتجاه الحرفي والمهني في التربية الإسلامية، بحوث في التربية الإسلامية، لعبد الرحمن النقيب (ص١١٨).

قال ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُم حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيَعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَه**»(١).

وتأكيدًا علىٰ أهمية العمل؛ فإنه يمكن توضيح الجوانب المتعلقة بها سطره القاسمي في مؤلفاته مع دعم ذلك بالأدلة الشرعية وأقوال أهل العلم والمراجع التربوية - في النقاط الآتية:

أولًا: عناية الإسلام بالعمل:

لقد أثنىٰ الإسلام علىٰ العمل، وبيّن فضله ومكانته في الدين؛ وهناك النصوص الكثيرة الدّالة علىٰ فضل العمل والحثّ عليه.

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ مبيّنًا طرفًا منها: «أمّا من الكتاب فقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبَإ: ٩-١٠] فذكره في معرض الامتنان وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأَعرَاف: ١٠] فجعلها ربك نعمة، وطلب الشكر عليها؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجُمُعَة: ١٠]»(٢).

فالآيات سيقت في معرض امتنان الله -تعالىٰ- علىٰ عباده بأن جعل لهم النهار معاشًا؛ كما امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بأن سهّل لهم الأرض، وذلّلها بما يهيئ لهم السير عليها والضرب فيها بيسر وسهولة، ثم أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمشي في مناكب الأرض لاستخراج خيراتها والاستفادة من ثرواتها؛ وكل ذلك تأكيد علىٰ أهمية العمل والاجتهاد في طلب الرزق.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٦).

وأمّا من السنة فقد استدل القاسمي رَحِمَهُ اللهُ ببعض الأحاديث، منها حديث: «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ فَضْلِهِ فَيَسْأله؛ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**[(١)]».

فالرسول ﷺ ضرب المثل لهذه الحرفة المتواضعة وهي الاحتطاب، لتكون أنموذجًا أمام المسلم يدفعه للعمل بمهنة أو حرفة مهما كانت متواضعة، ترفع من قدر الإنسان، وتحفظ عليه كرامته من ذل المسألة[(٢)].

كذلك استدل القاسمي رَحِمَهُ اللهُ علىٰ أهمية العمل بحديثٍ رواه كعب[(٣)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان جالسًا مع أصحابه ذات يوم، فنظروا إلىٰ شاب ذي جلد وقوة، وقد بكّر يسعىٰ، فقالوا: ويح هذا! لو كان شبابه وجلده في سبيل الله تعالىٰ، فقال ﷺ: «**لاَ تَقُوْلُوْا هَذَا! فَإِنّه إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ وَلَدِهِ صِغَارًا؛ فَهُوَ في سَبِيْلِ الله، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيْرَيْن؛ فُهَوَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ يَعُفّهَا، فَهُوَ في سَبِيْلِ الله**»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه بنحوه.

(٢) التربية المهنية والحرفية في الإسلام، لجمال الهنيدي (ص٤٨).

(٣) هو الصحابي الجليل كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وأحدا وسائر المشاهد إلا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك وتاب الله عليهم، روىٰ كعب ثمانين حديثا، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة ٥٣هـ.

انظر: الإصابة، لابن حجر (٣/ ٣٠٢)، الاستيعاب، لابن عبدالبر(٣/ ٢٨٦).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢٩).

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٨٧-٦٨٨): رجاله رجال الصحيح.

ففي هذا الحديث جعل رسول الله ﷺ العمل من أجل الكسب جزءًا من الجهاد في سبيل الله إن كان القصد منه شريفًا[١].

ويدلل علىٰ ذلك قوله ﷻ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

جاء في الجامع لأحكام القرآن: «سوّىٰ الله ﷻ في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة . . . وكان هذا دليلًا علىٰ أن كسب المال بمنزلة الجهاد[٢]».

وفي هذا دليل واضح علىٰ أهمية العمل ومكانته في الإسلام؛ وعليه فإن علىٰ المربين أن يثقّفوا الناشئة ويبينوا لهم أهمية العمل من خلال الدروس التربوية.

ثانيًا: ممارسة الأنبياء للعمل:

وليس أدل علىٰ أهمية العمل من اشتغال الأنبياء به، فقد كان الأنبياء عليهم السلام يعملون بأيديهم، ويمشون في الأسواق للتجارة والتكسب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال القاسمي رحمه الله معلقًا علىٰ الآية: «أي ليحتاجون إلىٰ التغذي بالطعام ويتجولون في الأسواق للتكسب والتجارة. وليس ذلك بمناف

(١) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، للنحلاوي (ص١٧٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٥٥).

لحالهم ومنصبهم، فإنه تعالىٰ جعل لهم من السمات الحسنة . . . ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة علىٰ صدق ما جاءوا به وأنه من الله[(١)]».

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث[(٢)]، وإن رسول الله ﷺ قال: «**عَلَيْكُم بِالأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنّه أَطْيَبُهُ. قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَىٰ الغَنَمَ؟! قَالَ: وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا[(٣)]**».

فالأنبياء عليهم السلام كانوا يعملون ويحترفون، فنوح عليه السلام صنع السفينة بوحي من الله تعالىٰ؛ ليحمل من آمن معه من قومه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هُود: ٣٧].

أي «اعمل السفينة لتركبها أنت ومن معك بحفظنا إياك[(٤)]».

وكان النبي داود عليه السلام يصنع الدروع السابغات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سَبَإ: ١١].

قال بعض المفسرين: «﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروع، وكان أول من صنعها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح[(٥)]».

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٥/ ٣٣٩).

(٢) **الكباث**: هو النضيج من ثمر الأراك. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/ ١٣٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعكفون علىٰ أصنام لهم (ص٦٩٩) برقم (٣٤٠٦) ومسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث (٣/ ١٦٢١) برقم (٢٠٥٠) واللفظ للبخاري.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٨/ ٥٧).

(٥) جامع البيان والتأويل، للطبري (٢٢/ ٦٧).

وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد بنيا قواعد البيت الحرام في مكة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ثم كان ﷺ خاتم الرسل، وإمام المتقين، عاملًا لنفسه، «فقد كان يخصف النعل، ويرقع الثوب، وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم[(١)]» «ويحلب شاته، ويعقل بعيره، ويعلف ناقته[(٢)]»، ويدخل السوق بنفسه فيشتري ما يريد ويحمل بضاعته إلىٰ البيت، ويخدم ضيوفه بنفسه[(٣)]، بل ويخدم خَدَمَه حتىٰ ليقول أنس: خدمته نحوا من عشر سنين، فوالله ما صحبته في سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له[(٤)].

وفيما سبق ذكره من الأمثلة نماذج من اهتمام الأنبياء -الذين هم صفوة الخلق- بالعمل وممارستهم له ما يؤكد أهمية العمل في حياة المسلم اليومية، ودوره في بناء المجتمع الإسلامي، والأخذ به إلىٰ التقدم والقوة.

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٦٠). وانظر: الأدب المفرد، للبخاري، باب ما يعمل الرجل في بيته (ص٢٤٨-٢٨٣) برقم (٥٤٠).

(٢) الأدب المفرد، للبخاري، باب ما يعمل الرجل في بيته (ص٢٤٨) برقم (٥٤١) والشمائل المحمدية، للترمذي (ص٢٨٣) والبركة في فضل السعي والحركة، لمحمد الوصابي (ص٨٠).

(٣) شذرة من السيرة المحمدية، للقاسمي (ص٢٦-٢٧).

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٦٧).

ثالثًا: عناية الصحابة بالأعمال:

ومما يدل علىٰ أهمية العمل المهني عناية الصحابة ﭫ به؛ قال القاسمي ﭬ: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم[١]».

قالت عائشة ﭭ: «كان أصحاب رسول الله ﷺ عمّال أنفسهم[٢]».

فهذا أبوبكر ﭬ «لما بويع بالخلافة، أخذ الأثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي . . . حتىٰ اجتمع المسلمون، فكرهوا له ذلك، فقال: لا تشغلوني عن عيالي، فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع، حتىٰ فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين، . . . فلما رضوا له جميعًا بذلك وأنفقوا عليه، ترك السوق لشغله بهم وبأمورهم[٣]». «وكان يأخذ كفايته من مال المصالح، ورأىٰ ذلك أولىٰ، ثم لما توفىٰ أوصىٰ برده إلىٰ بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولىٰ[٤]».

وحين هاجر المسلمون إلىٰ المدينة آخىٰ الرسول ﷺ بين الصحابة، وممن آخىٰ رسول الله سعد بن الربيع وعبدالرحمن بن عوف، «فقال له سعد: أشاطرك مالي وأهلي؟ فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني علىٰ السوق[٥]»[٦].

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (ص٤٠٩) برقم (٢٠٧١).

(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٦٩).

(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٧).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) الوعظ المطلوب للقاسمي (ص١٦٩).

ولقد كانت التجارة منتشرة في عهد النبي ﷺ يمارسها أصحابه من المهاجرين والأنصار، ومما يؤكد ذلك ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: «إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق[(١)]».

فمن خلال هذه النماذج يتبين أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعملون، ويسعون في الأرض، ويطلبون الرزق؛ بما يؤكد ضرورة تزويد المناهج عند صياغتها بسير الصحابة والعلماء الأفذاذ الذين كان لهم مواقف مشرفة في هذا المجال.

كذلك ما سبق يؤكد أهمية الاستفادة من سيرة الصحابة في التوجيهات التربوية؛ إذ إن منهج الصحابة «كان تطبيقًا عمليًا يحاكي الواقع، ويتعامل معه، وليس نظريات وتوجيهات بلا تنفيذ[(٢)]».

رابعًا: العمل وسيلة لكف النفس عن المسألة:

إن الإنسان مفتقر بالطبع إلىٰ ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلىٰ كبره[(٣)]؛ وبالتالي فإنه لابد له من التكسب والعمل والسعي في طلب الرزق حتىٰ يكتفي بعمله عن السؤال، والتشرف إلىٰ الخلق.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله ﷻ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ ... إلخ (ص٤٠٤) برقم (٢٠٤٧).

(٢) التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، لخالد الحازمي (ص٣٠٩).

(٣) المقدمة، لابن خلدون (ص٤٧٦).

ففي العمل المهني تفضّل علىٰ الناس، واستغناء عن حاجاتهم، وحفظ للكرامة، وصون ماء الوجه من أن يراق.

ولذا حث المنهج الإسلامي المرء بأن «يسعىٰ ويعمل ويجتهد ملتمسًا الرزق من خبايا الأرض والكون؛ حتىٰ يغني نفسه بنفسه، ويسد حاجته، وينفق علىٰ أسرته غير مفتقر إلىٰ معونة من فرد أو دولة[١]».

«فالتكسب خير من التشرف إلىٰ الخلق واعتياد المسألة[٢]»؛ فعن أنس بن مالك أن رجلًا من الأنصار أتىٰ النبي ﷺ يسأله، فقال: **أما في بيتك شيء؟** قال: بلىٰ، حِلْس[٣] نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْب[٤] نشرب فيه من الماء. قال: **ائتني بهما**، قال: فأتاه بهما؟ فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: **من يشتري هذين؟** قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: **من يزيد علىٰ درهم مرتين أو ثلاثا؟** قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: **اشترِ بأحدهما طعامًا فانبذه إلىٰ أهلك، واشترِ بالآخر قدّومًا فآتني به»** فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال له: **اذهب فاحتطب، وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا**، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترىٰ ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال

---

(١) التربية المهنية في الإسلام، لجمال محمد الهنيدي (ص٥٩).

(٢) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص١٦٦).

(٣) **الحلس**: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١/ ٤٢٣).

(٤) **القعب**: القدح الضخم، الغليظ، الجافي. (لسان العرب، لابن منظور ١١/ ٢٣٥).

رسول الله ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ المَسْأَلَة نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْم القِيَامَةِ . . .**[(١)]».

فالرسول ﷺ لم يعالج مشكلة المحتاج بالمعونة المادية الوقتية، ولم يعالجها بالوعظ المجرّد، والتنفير من المسألة، ولكنّه أخذ بيده في حل مشكلته بنفسه، وعالجها بطريقة عملية؛ حيث علّمه أن يستخدم كل ما عنده من طاقات وإن صغرت، فلا يلجأ إلىٰ السؤال وعنده شيء يستطيع أن ينتفع به في تيسير عمل يغنيه. كما علّمه أن كل عمل يجلب رزقًا حلالًا هو عمل شريف كريم، ولو كان احتطاب حزمة يجتلبها؛ فيبيعها، فيكف الله بها وجهه عن السؤال، وأرشده إلىٰ العمل الذي يناسب شخصه وقدراته وظروفه، وبعد الحل لقّنه الدرس النظري الموجز البليغ في الزجر عن المسألة والترهيب منها[(٢)].

وانطلاقًا من أهمية العمل والاستغناء به عن المسألة وجّه القاسمي الآباء بأن «يربّوا أولادهم علىٰ مبدأ الاعتماد علىٰ النفس والاستقلال بأن يستعدوا في الحياة للعمل؟ لأن الحياة لا تقوم إلا بالحركة والسعي والعمل والتدبير والسعي لحفظ ثروة يحتاط بها من الفقر . . . فإن المستقبل صفوة الحياة، ومتىٰ نما فيهم هذا المبدأ المذكور رفضوا المعيشة الاتكالية . . . التي هي أليفة الخمول والصغار[(٣)]».

(١) رواه أبو داود في سننه: كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة (ص٢٤٤) برقم (١٦٤١) والحديث ضعيف. انظر تلخيص الحبير، لابن حجر (٣/ ١٧).

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، للقرضاوي (ص٨٠)..

(٣) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص٤٨).

وفي موضع آخر وجه رحمه الله الفقراء بأن يستغنوا عن طلب الناس بالعمل والكسب؛ فقال: «ما أجدر الفقير القوي على الكسب، برفض قبول الصدقة، لئلا يعتاد عدم الاشتغال، ويموت قلبه عن الواجبات، وتحول رغباته عن حب الاستقلال. وما أحرى ذا المروءة أن يهيئ له سببا للمعيشة؛ إذ العاقل لا يتكل على غير ساعده في قضاء حاجاته[(١)]».

وفي هذا التوجيه التربوي من القاسمي تلميح لخطر البطالة والقعود عن العمل؛ إذ البطالة تقضي على الطموح والتنافس الشريف، وتزيد نسبة الجريمة في المجتمع، كما أن من شأنها أن تساعد على إيجاد جيل كسول، ضعيف العزيمة.

ومن هنا تأتي أهمية تربية النشء على حب العمل، وتشجيعهم على الإبداع فيه والإقبال على تعلم المهن «التي تمكّنهم من الحياة الكريمة، وتبعدهم عن ذل الحاجة والسؤال، وتجعلهم أناسًا لهم اعتبارهم في المجتمع ومكانتهم فيه[(٢)]».

خامسًا: سد حاجات المجتمع:

إن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي مطالب بالعمل، مأمور بأن يسعى في طلب الرزق، والمشي في مناكب الأرض لاستخراج خيراتها وثرواتها؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: ١٥].

(١) جمال الدين وعصره، لظافر القاسمي (ص٣٥٩).
(٢) أصول الفكر التربوي في الإسلام، لعباس محجوب (ص٢١٢).

ومعنىٰ الآية: «سافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات[(١)]».

ولا شك أن لكل أمة «حاجات تجارية وصناعية وطبية وزراعية، وغيرها من الحاجات . . . التي لا تخلو في الغالب من قسمين: مبادئ: وهي الأعمال الفنية والمهنية، ومتقدمة: وهي الأعمال التقنية المتطورة التي تعتمد علىٰ المبادئ[(٢)]».

وهذه الحاجات لا تنسد ثغراتها، ولا تغطي حاجاتها إلا بالقيام بالأعمال المهنية ودراستها؛ ولهذا يرىٰ القاسمي أن القيام بالأعمال التي يحتاجها المجتمع ضرب من فروض الكفايات، وأن علىٰ المجتمع المسلم أن يوقّر المهن والأعمال التي هو في حاجة إليها، قال ﷺ موجّهًا نصيحته للتاجر العامل: «أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل، وتَكَفّل كل فريق بعمل، فإن من الصناعات ما هي مهمّة، ومنها ما يستغنىٰ عنها . . . .، فليشتغل بصناعة مهمّة ليكون لقيامه بها كافياً عن المسلمين، مُهمًّا في الدين[(٣)]».

وبهذا الرأي أوضح العلماء أن كل علم تحتاجه الأمة فرض كفاية، إذا لم يقم به بعض أفرادها أثمت جميعًا، وقالوا في ذلك: إن «كان الناس محتاجين إلىٰ فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار العمل واجبًا

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ١٥٢).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٧٨).
(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٨٦).

يجبرهم ولي الأمر عليه إذا امتنعوا عنه[١]».

ومن هنا تأتي أهمية دور المربين في توعية الناشئة بأهمية الأعمال والمهن، والاستفادة من طاقاتهم، وتوجيهها حسب الكفاءات واحتياجات المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال إقامة الدروس واستغلال المواقف التربوية.

وبهذا يظهر جليًا اهتمام المنهج التربوي بالعمل المهني، وأنه قد أثنىٰ علىٰ العمل، وندب إليه، وحث المسلم أن يسعىٰ ويضرب في الأرض لطلب الكسب والمعيشة، بل ذهب إلىٰ أبعد من ذلك بأن سوّىٰ الذين يسعون في الأرض للكسب بمنزلة المجاهدين؛ وذلك لأن العمل المهني أساس عظيم لكثير من الشؤون المعيشية وأمور الخير؛ فالعمل المهني وسيلة لكف النفس عن المسألة، والتشرف إلىٰ الناس، وسد حاجات المجتمع الإسلامي، والنفقة علىٰ العيال والأهل، وإدراك سبل الخير من: صلة الرحم، ومساعدة المحتاجين، والقيام بالأعمال الخيرية من: الصدقات الجارية، وبناء المساجد، وتشييد المدارس، وكفالة الأيتام وأهل العلم والدعاة والمربين . . .

«ويتأكد بهذا أن الإسلام دين عمل وليس كما يدّعي بعض أعداء الإسلام أن التربية الإسلامية لا تهتم بالمهن، أو ما يحصل من بعض المتقاعسين عن العمل المهني، حتىٰ حاد بهم تقاعسهم إلىٰ المسألة أو الانحراف[٢]».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/ ٨٢).

(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٨٩).

المبحث الثالث

أخلاقيات العمل المهني

حظيت الأخلاق بالعناية الفائقة في الإسلام، وتبوأت المكانة السامقة في الدين.

فالأخلاق من مكملات الدين، وسبب من أسباب نماء الإيمان، وأحد أبرز أهداف البعثة المحمدية؛ بل هي جوهر الإسلام وصلبه؛ لأنها تعتبر «الجانب التطبيقي للدين[(١)]».

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأخلاق عنصر أساس لنجاح العمل المهني وتحسين التنمية والإنتاج؛ فهي تسمو بالإنسان، وتحمي فاعلياته وإنجازاته . . . لأن القيم الخلقية تعتبر عنصرًا جوهريًّا لاستقطاب أي نشاط مشترك منتج لتسمو به فوق الحاجة الوقتية والمنفعة والمصلحة الشخصية، واتجاهات الحياة اليومية، وهي من ناحية أخرىٰ تحمي شبكة العلاقات الاجتماعية، وهي ضرورية لجهود التنمية الصحيحة[(٢)].

ومن هنا يخطئ البعض حين يظنون أن العمل المهني في منأىٰ عن أخلاقياته، وأن علىٰ المرء البحث فحسب عن سبل العيش وأسباب الرزق وطرق الإنتاج.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية، لعمر التومي (ص٢٣٥).

(٢) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي، لعلي أبوعينين (ص٣٨).

ولقد أثبتت الدراسات الاقتصادية المعاصرة أن أخلاقيات العمل لها دور كبير وأثر فعال في إنماء الإنتاج وإضفاء التنمية[(١)].

وهذا ما يؤكد أهمية دراسة أخلاقيات العمل المهني، والوقوف علىٰ معالمها.

ومن هنا كان هذا المبحث الذي سيسلط الضوء علىٰ بعض من أخلاقيات العمل المهني في ضوء ما كتبه القاسمي مع توضيح آرائه بأقوال أهل العلم، بالإضافة إلىٰ المراجع التربوية المعاصرة.

أولًا: استصحاب النية الحسنة عند العمل المهني:

إن صلاح النية وإخلاص القصد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة، وإن خبث الطوية يهبط بالطاعات المختصة فيقلبها معاصي شائنة، فلا ينال المرء منها شيئا بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسارة[(٢)].

ولذا فإن من المقرر في الإسلام أن أي عمل من الأعمال الدنيوية المباحة إذا تأسس علىٰ النية الحسنة انقلب عبادة؛ قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**[(٣)]».

والنية الصالحة عند العمل المهني من أهم الصفات الخلقية التي ينبغي علىٰ المرء أن يتصف بها، وذلك لأهميتها الكبيرة في مجال

(١) التربية المهنية والحرفية في الإسلام، لجمال الهنيدي (ص٣٤٤-٣٤٥).
(٢) الدين والحياة، لسيد عبدالحميد مرسي (ص٧٥).
(٣) تقدم تخريجه.

العمل؛ إذ بها يرتفع مستوىٰ الأعمال، وينمو الإنتاج، ويتحسن الاقتصاد[١].

ولهذا وجه القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب المهنة أن ينوي بعمله المهني: «الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس، واستغناء بالحلال عنهم، والاستعانة بما يكسبه علىٰ الدين، وقيامًا بكفاية العيال . . . فإذا أضمر هذه النيات كان عاملًا في طريق الآخرة، فإن استفاد مالًا فهو مزية، وإن ضر في الدنيا ربح في الآخرة[٢]».

ومن هنا فإن من الضرورة بمكان أن يوضح المربون أهمية استصحاب النية الصالحة في العبادات والمعاملات الدنيوية، حتىٰ يثاب العامل علىٰ عمله، ويبارك الله عَزَّ وَجَلَّ له فيه.

ثانيًا: الأمانة:

إن الإسلام يرقب في معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ تصان به حقوق الله وحقوق الناس، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال، ومن ثم أوجب علىٰ المسلم أن يكون أمينًا. والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلىٰ معان شتىٰ مناطها جميعًا شعور المرء بمسؤوليته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه[٣].

وعليه فإن خُلُق الأمانة من الصفات التي لابد وأن يتخلق بها العامل المهني؛ فهي إلىٰ جانب أنه مطالب بها شرعًا فإنها رأس ماله؛

---

(١) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٨٦).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٨٦).

(٣) خلق المسلم، لمحمد الغزالي (ص٧٢).

إذ هي من الأسباب التي تجلب له ثقة الناس وتزيد من تعاملهم معه في البيوع والشراء؛ لأنهم يأتمنونه علىٰ جودة البضاعة، وإتقان العمل، واستيفاء الحاجات سواء كان في الوزن أو الكيل أو في السعر المناسب. فالممتهن الأمين تتداعىٰ عليه الناس طلبًا لقضاء حوائجهم، ويتبيَّن ذلك من قصة نبي الله موسىٰ عليه السلام مع بنات شعيب حيث يقول تعالىٰ حكاية عن القصة: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٦-٢٨].

قال السعدي معلقا علىٰ هذه الآية: «أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان أن يكون قويا أمينا[(١)]».

وأمانة العامل لا تعني الاقتصار علىٰ أداء الأمانة فحسب، بل تتعداه إلىٰ اجتناب كل ما يخل بتلك الصفة ويجرحها من: الغش في المعاملة، والإطراء الكاذب للسلعة، والحلف علىٰ ذلك، وتطفيف الكيل وغير ذلك . . .

فالإسلام حرّم الغش بكل صوره، سواء كان في المعاملات التجارية أو المهنية أو في غيرها؛ ولذا فإن علىٰ العامل اجتناب الغش والابتعاد عنه. ومن الصور التي بينها القاسمي[(٢)]:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٦١٩).
(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٨٠-١٨١).

- إظهار عيوب المبيع، خفيّها وجليّها، وعدم كتمان شيء منها، فإن أخفاه كان ظالمًا غاشاً. جاء في الحديث: «أنّ الرّسُوْلَ ﷺ مَرّ عَلَىٰ صبْرة طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَه فِيْهَا، فَنَالَتْ أَصَابعهُ بَلَلًا، فَقَالَ: **مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطّعَامِ؟** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُوْل الله! قَالَ: **أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، وَمَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**[(١)]».

- ومن الصور: أن لا يثني التاجر علىٰ السلعة بما ليس فيها؛ ويحلف عليها؛ فإن كان كاذبًا فقد جاء باليمين الغموس، وإن كان صادقًا فقد جعل اسم الله من غير ضرورة[(٢)]، وفي الخبر: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، ممحقة للبركة[(٣)]».

- كذلك من الصور عدم تطفيف الكيل والوزن[(٤)]؛ فقد جاء الوعيد الشديد في القرآن الكريم علىٰ ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب النجش، (ص٧٨٩) برقم (٣٦٤٨) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» (١/ ٩٩) برقم (١٠٢).

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٩).

(٣) رواه البخاري في البيوع (١٠٥٧) ومسلم في صحيحه: كتاب البيوع، (١٦٠٦).

(٤) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٨٢).

ثالثًا: الإتقان:

غير خاف أن الإتقان من الصفات المحمودة التي ندب إليه الإسلام وحث علىٰ الاتصاف به. فلقد أمر الإسلام بالإحسان في كل الأعمال، وهو المعنىٰ المرادف لمعنىٰ الإتقان[١]، قال ﷺ: «**إِنّ اللهَ كتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلّ شَيء، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذّبح، وَلْيحد أَحَدُكُم شَفْرَته فَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَه**[٢]».

ومن الإتقان الذي أمر به الإسلام الإتقان في العمل، وإحكام أدائه؛ قال ﷺ: «**إِنّ اللهَ يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُم عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**[٣]».

وإتقان العمل مهم لأصحاب المهن؛ إذ به يقاس قيمة العمل من حيث الجودة والكساد، وهو من الدواعي التي ترفع درجة العمل المهني وَتَفَوّقه، وبه يتم نجاح العملية المهنية من حيث رواج المنتجات وكثرة استهلاكها. ولهذا وجه القاسمي أصحاب المهن إلىٰ أن يتقنوا عملهم، ويحسنوا أداءه[٤].

وفي المقابل فإن عدم إتقان العمل يؤدي إلىٰ إلحاق الضرر بالعامل نفسه؛ لأنه سوف يؤدي إلىٰ زعزعة الثقة في عمله؛ وبالتالي ينتج عنه انصراف المتعاملين عن خدماته أو إنتاجه، كما يؤدي إلىٰ

(١) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ وآخرون (ص١٧٤).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة (٣/ ١٥٤٨) برقم (١٩٥٥).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٣٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ١٠٦) برقم (١١١٣).
(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ص١٥).

إلحاق الضرر بالمتعاملين معه؛ حيث يقتنون منه السلع المعيبة، ولا يستفيدوا منها[١].

وإن من أهم الأسباب التي تؤدي إلىٰ التفريط في إتقان العمل وإهمال الأداء الجيد هو قلة العلم الشرعي، والجهل بالتعليم الفني.

فالعلم الشرعي ينمي لدىٰ العامل حسن مراقبة الله ﷻ في أداء عمله، وبالتالي فإن هذه المراقبة تبعده عن إهمال العمل، وتمنعه من الغش في المعاملة، والتفريط فيها.

وأما التعليم الفني فإنه ينمي الطاقات البشرية، ويزيد من إنتاج العمل والإبداع فيه، كما أنه يوقف المتعلم علىٰ الأخطاء التي تنجم عن سوء استخدام آليات العمل، فيحدث ذلك عنده نموًّا معرفياً، ينعكس علىٰ أدائه الوظيفي[٢].

ومن هنا وجه القاسمي الممتهن بأن يتقن الصنعة بدراسة علومها قائلا: «وعليه أن يتقن نهاية علم الصانع بصلاح الصنعة، وحسن بقائها مع نهاية بغية مستعمله من تجويدها وإحكامها، فإذا فعل الصانع ذلك كان قد عمل بعلمه[٣]».

رابعًا: السماحة في التعامل:

من قواعد الإسلام العامة توطيد العلاقات الإنسانية فيما بين المسلمين، وتعميقها في نفوسهم؛ حتىٰ يكون المسلمون أمة واحدة. ولذا

(١) الإطار الخلقي لمالية المسلم، قطب إبراهيم محمد (ص٣٧٦).
(٢) أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي (ص١٨٥).
(٣) الوعظ المطلوب، للقاسمي (ص٣٣٤).

أمر القرآن الكريم بالتعاون؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

والسماحة في التعامل من الأسس التي تدعم العلاقات الجيدة بين أفراد المجتمع الإسلامي؛ بل هي من الصفات الكريمة التي ينبغي علىٰ الممتهن أن يتحلىٰ بها؛ ومن الأسباب الموجبة لبركة التجارة والصناعة وغيرها؛ لأن في السماحة وسهولة التعامل ما ييسر التجارة، ويرسي أسباب الثقة التي تنشط التداول التجاري بين المتعاملين. وكذا فإن السماحة تجنب الناس التضييق في المطالبة، وهذا بالطبع يعكس روح التعاون والتعاطف والتراحم فيما بين التاجر والمستهلك(١).

ولقد جاء في السنة النبوية ما يدعو التاجر إلىٰ الاتصاف بالسماحة والإحسان في المعاملات التجارية؛ وفي الخبر: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ(٢)».

ولأهمية هذا الخلق الكريم بين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضًا من صوره(٣)؛ ومنها:

١- استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه، وذلك بأن ييسر البائع علىٰ المشتري بإمهال سداد الثمن أو التقسيط، أو بحط بعض السعر.

٢- قبول الإقالة، وذلك بأن يقبل رد المشتري ما اشتراه من البضائع.

---

(١) التجارة في الإسلام، عبدالرحمن النقيب (ص١٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، (ص٤٠٩) برقم (٢٠٧٦).

(٣) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٨٣-١٨٤).

٣- احتمال الغبن، بأن يسامح من غبنه في غلاء السعر للبضائع، ولا سيما إن كان البائع ضعيفًا أو فقيرًا.

٤- توفية الدين، ومن السماحة أن يحسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلىٰ صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه، أو يبادر بقضاء الدين ولو قبل وقته، ويزيد في قضائه.

وفي الدعوة إلىٰ هذا الخلق الكريم تنمية للمجتمع بالعلاقات الجيدة، وإرساء أسباب التعاون والتراحم والتعاون، وإضفاء روح الأخوة الإسلامية.

خامسًا: توخي الكسب الحلال:

أمر الله -سبحانه- المؤمن بأن يتوخىٰ الطيبات من الأكل والشرب؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]؛ والكسب الحلال من الطرق التي تحقق هذا الأمر.

ولذا فإن علىٰ الممتهن أن يتوخىٰ الرزق الحلال، ويجتنب المعاملات المحرمة، وأكل أموال الناس بالباطل؛ سواء كان هذا الأكل بالظلم أو بالغش أو بالسرقة أو بالاحتيال؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ٢٩].

ولأهمية توخي كسب الحلال بيّن القاسمي بعضًا من صور المعاملات المحرمة(١)؛ ومنها:

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص١٧٨-١٨٣).

١- النجش: وهو أن يتقدم إلىٰ البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها، وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها.

٢- تلقي الركبان: وهو أن يستقبل الرفقة ويتلقىٰ المتاع ويكذب في سعر البلد.

٣- الاحتكار: وهو أن يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار، في وقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه.

٤- بيع الملامسة: وهو أن يلمس المشتري الثوب دون أن ينظر إليه.

وبهذا العرض يتبين أن هناك أخلاقيات يجب أن تتوفر في الممتهن وفي أدائه من استصحاب النية الصالحة عند أداء العمل، والاتصاف بالأمانة التي ضدها الغش، وإتقان العمل، والسماحة في التعامل، وتجنب البيوع المحرمة كالنجش، والربا، والاحتكار، وتلقي الركبان، وغيرها من البيوع الفاسدة . . .

فكل هذه الأخلاقيات إذا ما التزم بها المجتمع الإسلامي واتصف بها فإنه -بإذن الله- يحقق التنمية والازدهار وقوة الاقتصاد.

كما أن المجتمع المسلم إذا طبق تلك الأخلاقيات فإنه يمثّل أنموذجًا حيًا يجسد به لغيره من المجتمعات الأخرىٰ محاسن الدين وجمال تعاليمه وآدابه؛ بما يرغّبها في الدخول في الإسلام، وليس أدل علىٰ ذلك من اعتناق مجتمعات جنوب شرق آسيا علىٰ أيدي تجار

العرب[١] الذين كانوا يتمثّلون في تجارتهم بالأخلاق الحسنة والأمانة والصدق في المعاملة.

ولعله بهذا تتأكد أهمية العناية بهذه الجوانب وإبرازها من خلال المناهج الدراسية ودروس المساجد، والمواعظ العامة، وكذا من خلال الندوات العلمية ووسائل الإعلام بما يربي في المجتمع المسلم حب العمل، والتحلي بأخلاقياته.

❊ ❊ ❊

(١) انظر أثر دعوتهم في تلك البلاد: حاضر العالم الإسلامي، لجميل المصري (٢/ ٥٩٥) والمجاهدون في فطاني، لضياء شهاب (ص١٨-١٩).

الخَاتمة

أولًا: الخلاصة

إن المتأمل في العصر الحاضر يجد أن بعضًا من القضايا والمناهج التربوية قد تأثرت بفلسفات غير إسلامية عارضت المبادئ الإسلامية وتعاليمها.

ومن هنا كان لزامًا علىٰ المتخصصين والعلماء الربانيين القيام بمهمة إبراز جهود العلماء المسلمين وسبقهم التربوي في معالجة القضايا التربوية ومناهجها، وبناء عناصرها بنصوص الوحي وأقوال السلف الصالح، والعمل علىٰ احتوائها بالمنهج الرباني الصحيح، بما يتوافق مع متطلبات الأمة وحاجاتها التربوية.

ولئن كان الأمر كذلك فإن الحاجة الضرورية تؤكد أهمية الرجوع إلىٰ ما أنتجته قرائح علمائنا الأفذاذ ونتاجهم العلمي العظيم، والاستفادة من آرائهم التربوية، مع نهجها علىٰ نسقٍ تربوي يستفاد منها في التطبيقات التربوية.

ومن هذا المنطلق كانت الدراسة الحالية التي تناولت الجوانب التربوية عند أحد الأعلام الربانيين المبرّزين ألا وهو الشيخ جمال الدين القاسمي.

وبعد جولة ودراسة للعصر الذي عاش فيه القاسمي تبيّن أنه اتسم بالاضطراب السياسي والضعف العلمي، والضعف في الضبط الاجتماعي، بما أثر علىٰ مجالات الحياة كلها، ومنها الفكر التربوي. الأمر الذي دعا القاسمي إلىٰ القيام بالإصلاح والتهذيب والدعوة إلىٰ الخير.

ومن خلال استقراء تراث القاسمي اتضح أنه احتوىٰ علىٰ جانب كبير من الآراء التربوية المتعلقة بجوانب الشخصية المسلمة.

ولقد حاول الباحث من خلال فصول الدراسة ومباحثها إلقاء الضوء علىٰ هذه الجوانب، مع دراسة موجزة لسيرة القاسمي الذاتية وجهوده العلمية، بالإضافة إلىٰ الفترة التي عاشها، يتخللها بعض من التوجيهات والتطبيقات التربوية.

كما أن من متطلبات الدراسة الوقوف علىٰ مفهوم التربية ومسؤوليتها والمعوقات التي تعيق سير العملية التربوية.

وأما الجوانب التي تضمنتها الدراسة فهي:

«التربية العلمية، والإيمانية، والتعبدية، والفكرية، والأخلاقية، والجسمية، والمهنية».

ولعل في هذه الدراسة التربوية دعوة الباحثين إلىٰ خوض مضمار تراث السلف، ودراسة آرائهم التربوية المشرقة، ومن ثَمّ ترتيبها ونهجها علىٰ نسقٍ تربوي؛ للاستفادة منها في معالجة القضايا التربوية، كما أن فيها تحفيز لهم علىٰ الاهتمام بإبراز وإظهار العلوم التربوية من خلال سيرة العلماء العطرة وجهودهم العلمية الجبارة المبنية علىٰ أساس من الدين الحنيف، وذلك بهدف بلورتها وبنائها والاستفادة منها في مجالات التربية؛ بالإضافة إلىٰ بيان السبق التربوي لسلفنا الصالح.

❊ ❊ ❊

ثانيًا: النتائج والتوصيات

يعتبر القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ المولود في سنة (١٢٨٣هـ) والمتوفىٰ في سنة (١٣٣٢هـ) أحد المصلحين التربويين الذي له جهود بارزة في الإصلاح التربوي، وله مكانته العلمية العالية، ومنزلته الاجتماعية في عصره.

ولقد عاش القاسمي في عصر تميز بكثرة القلاقل السياسية، والضعف العلمي، وضعف الضبط في نظام المجتمع، بما أثر علىٰ الحياة بكل ما فيها من اتجاهات، ومنها الفكر التربوي، الأمر الذي دعا القاسمي إلىٰ القيام بالإصلاح التربوي، والدعوة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة، والتحذير من البدع والضلالات من خلال جهوده التربوية علىٰ صعيد الواقع، ومؤلفاته القيمة.

وبعد استعراض مؤلفات القاسمي واستخلاص آرائه التربوية حول الجوانب المتعلقة ببناء الشخصية المسلمة فإنه يمكن إبراز أهم النتائج التي توصل إليها البحث وما انتهىٰ إليه من توصيات علىٰ النحو التالي:

١- النتائج:

*** نتائج الفصل الأول: «التربية عند القاسمي: مفهومها، ومسؤوليتها، ومعوقاتها»:**

- تعني التربية عند القاسمي: «تبليغ الشيء إلىٰ كماله شيئا فشيئا» وهذا يفيد أن العملية التربوية تقوم علىٰ مبدأ التدرج الذي يوصل بالمربي إلىٰ درجة الكمال الإنساني.

ولقد لوحظ علىٰ هذا المفهوم عدم تحديد محور العملية التربوية، وكذا غياب الهدف التربوي والمنهج الذي يستقىٰ منه العملية التربوية.

- تنقسم مجالات المسؤولية التربوية في نظر القاسمي إلىٰ: «المسؤولية التربوية الذاتية، ومسؤولية الأسرة التربوية، ومسؤولية العلماء، ومسؤولية المجتمع التربوية».

- يرىٰ القاسمي أن المعوقات التربوية علىٰ ضربين «الأول: معوقات تتعلق بالأسرة، والثاني: معوقات تتعلق بالمجتمع».

ثانيًا: نتائج الفصل الثاني: «التربية العلمية عند القاسمي».

- أن حقيقة العلم -في نظر القاسمي- هي معرفة الله ﷻ ومعرفة الحلال والحرام والوقوف علىٰ أخلاق النفس المحمودة والمذمومة، وأن العلم لا يراد إلا للعمل، وإلا فلا قيمة له بدونه.

- يعتبر المعلم أحد العناصر التعليمية الفعالة، وله الدور البناء في العملية التربوية، ولذلك فإن عليه أن يتحلىٰ بالصفات الحميدة التي تتناسب مع شرف العلم الذي يحمله، ومكانته العالية في المجتمع.

- يرتبط في الغالب إتقان الطالب للمادة العلمية واستفادته منها بتطبيقه لآداب العلم وطريق تحصيله؛ ولهذا عنىٰ القاسمي ببيان تلك الآداب، ونوه علىٰ أهمية التحلي بها.

- للعملية التعليمية قواعد ومبادئ لابد من مراعاتها أثناء التعليم حتىٰ يتحقق الغرض المنشود منها، ومن أبرزها:

«القاعدة الأولىٰ: بيان مكانة العلم والتشجيع علىٰ طلبه، والقاعدة الثانية: إبراز مكانة العلماء وأهمية توقيرهم، والقاعدة الثالثة: إلزامية

التعليم والتعلم، والقاعدة الرابعة: تحديد الأهداف التعليمية، والقاعدة الخامسة: التحلي بآداب العلم، والقاعدة السادسة: التدرج في العملية التعليمية، والقاعدة السابعة: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، والقاعدة الثامنة: الحذر من المعوقات العلمية، والقاعدة التاسعة: الأمانة العلمية».

*** نتائج الفصل الثالث: «التربية الإيمانية عند القاسمي».**

- أن الإيمان هو اعتقاد في القلب تصدر عنه الأقوال والأفعال، وأن مجرد تصديق القلب دون ترجمانه إلىٰ أعمال وأقوال ليس بالمسلك الإيماني الصحيح؛ للارتباط القوي بين صحة الاعتقاد والأقوال والأعمال؛ فكلما قوي الإيمان في قلب المؤمن ظهر أثره في سلوكه وتصرفاته.

- للإيمان أهمية بالغة في بناء وتكوين شخصية المسلم، وله تعلق كبير بالقضايا التربوية وتطبيقاتها، ويؤكد القاسمي تلك الأهمية بما يلي:

«أولًا: النزعة الفطرية نحو الإيمان وحاجة البشر إليه، وثانيًا: أن الإيمان شرط في قبول العمل، وثالثًا: أن نعمة الإيمان من أفضل النعم، ورابعًا: بالإيمان يحصل التمكين في الأرض، وخامسًا: حصول ولاية الله للمؤمنين».

- أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والسيئات، ولذا عنىٰ القاسمي ببيان طرق التربية الإيمانية. وهي علىٰ ثلاثة أنماط:

أولًا: التربية الإنمائية: وتشمل: «طلب العلم، وقراءة القرآن الكريم بتدبر، وقراءة سيرة النبي ﷺ والتأمل فيها، وكذا الأعمال الصالحة».

ثانيًا: التربية الوقائية: وتشمل: «الابتعاد عن الذنوب، واتقاء الشبهات، بالإضافة إلىٰ الحذر من مجالسة أهل الأهواء والفسق».

ثالثًا: الطرق العلاجية: «محاسبة النفس، التوبة النصوح، وإتباع السيئة الحسنة».

- يحقق الإيمان للأفراد والمجتمعات آثار تربوية حميدة، ومن أبرز ما وضحها القاسمي ما يلي:

«الحياة الطيبة، وتحصين الفرد المسلم من المعاصي، والصبر والثبات عند الشدائد، وتحقيق الأمن الاجتماعي، وتحقيق التآخي الاجتماعي، وتحقيق العزة والقوة للمجتمع».

*** نتائج الفصل الرابع: «التربية التعبدية عند القاسمي».**

- أن مفهوم العبادة شامل لجميع نشاطات الإنسان، فهي تشمل الفرائض والواجبات والنوافل، كما أنها تتناول جميع الأمور المباحة من شؤون الدنيا إذا بنيت علىٰ نية حسنة.

- للعبادة أهمية بالغة، فإن الله ﷻ ما خلق الخلق إلا لعبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ومن أبرز جوانب أهميتها كما وضحها القاسمي:

«أن الله خلق الخلق لعبادته -أن العبادة وظيفة الرسل، ومن أجل العبادة شرعت الهجرة، وبها نعت الله ﷻ صفوة خلقه، وأن بعض العبادات الدينية من مباني الدين».

- وضع الإسلام أسسا وركائز تحدد للمسلم كيفية أداء العبادات علىٰ الوجه الصحيح. ومن أسس التربية التعبدية التي بيّنها القاسمي:

«الأساس الأول: إخلاص النية لله ﷻ.

الأساس الثاني: موافقة الشرع.

الأساس الثالث: كمال الحب مع كمال الذل.

الأساس الرابع: الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة.

الأساس الخامس: المداومة علىٰ العبادة وإن قلت.

الأساس السادس: القصد في العبادة.

الأساس السابع: ترويح النفس بين العبادات.

الأساس الثامن: ترتيب الأولويات في أداء العبادة.

الأساس التاسع: تجنب العجب عند فعل الطاعات».

- تبين أن للعبادات آثارًا تربوية تنمي شخصية المسلم وتبني المجتمع، وأبرز الآثار التربوية للعبادات مما كتبه القاسمي:

«**أولًا**: الشعور بالسعادة والأنس.

ثانيًا: التربية علىٰ الفضائل ومكارم الأخلاق.

ثالثًا: الوقاية من المنكرات.

رابعًا: التنشئة علىٰ التعاون والترابط».

*** نتائج الفصل الخامس: «التربية الفكرية عند القاسمي».**

- يرىٰ القاسمي أن الفكر هو الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلىٰ ما ليس بمشاهد بحيث يثمر العلم النافع.

- وضع المنهج الإسلامي الضوابط الشرعية التي توجه العقل نحو التفكير السليم، ومن أهم الضوابط الفكرية في نظر القاسمي ما يلي:

«الضابط الأول: تجنب الخوض في الأمور الغيبية.

الضابط الثاني: النهي عن التفكر في ذات الرب.

الضابط الثالث: ربط التفكر بالهدف.

الضابط الرابع: قيد بالفكر بالأخلاق.

الضابط الخامس: تقديم الشرع علىٰ العقل».

- اهتم المنهج الإسلامي بالجانب الفكري، فوضّح الوسائل التي تعين علىٰ تحقيق هذا الجانب والاستفادة منها في التطبيقات التربوية، ومن وسائل التربية الفكرية التي دعا إليها ا لقاسمي ما يلي:

أ- الوسائل البنائية: «الدعوة إلىٰ النظر في مخلوقات الله، والتفكر في الآيات القرآنية، وتوجيه النظر في حكمة التشريع وأسراره، والتفكر في أحوال الأمم السابقة، والتدريب علىٰ حسن النقد والتمييز بين الحق والباطل، والحوار وتبادل الآراء».

ب- الوسائل الوقائية: «الحذر من مصاحبة أهل السوء والبلادة، تجنب التقليد غير الواعي».

*** نتائج الفصل السادس: «التربية الأخلاقية عند القاسمي»:**

- اختار القاسمي من بين تعريفات الأخلاق التعريف الآتي: «أن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلىٰ فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميّت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سمِّيت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيِّئًا».

وهذا التعريف يمتاز بأمور:

١. أن السلوك الأخلاقي ليس مقتصرا بالأعمال الظاهرة، بل يلزم مراعاة أعمال القلوب وسلامة البواعث.

٢. اتصاف الخلق بالثبات والدوام، وعليه فلا يوصف المرء بخلقٍ ما لم يداوم عليه ويصدر عنه السلوك بسهولة ويسر.

٣. أن مستند الخلق هو الشرع والعقل، فالحسن من الأخلاق ما يحمد شرعا وعقلا، وهذه الميزة تعطي للأخلاق صفة الرسوخ والثبات، فهي لا تتغير بتغير أحوال المجتمع ولا بتبدل الأزمنة والعادات.

- احتلت الأخلاق الحسنة مكانة سامقة في الإسلام، وتضمن القرآن الكريم والسنة النبوية نصوصا كثيرة من التوجيهات الأخلاقية؛ بما يدل علىٰ أهمية دراستها، وتطبيقها عمليا علىٰ أرض الواقع. ومن أبرز جوانب أهميتها في نظر القاسمي:

«السلوك وصلته بالدافع الديني (الإيماني)، وأنها من أبرز أهداف التربية الإسلامية، كما أنها وقاية للمجتمعات من الجرائم، بالإضافة إلىٰ سمو منزلة أهل الأخلاق».

- قوّم المنهج الإسلامي الحياة البشرية وعالج جميع شؤونها ورسم للناس طريق الخير وأحاطها بسياج متين من الأخلاق الحميدة.

ومن اهتمامات المنهج الإسلامي بالخلق توضيح القواعد والمعايير وأصول الأخلاق التي تساعد علىٰ فهمها فهمًا صحيحًا بعيدًا عن المفاهيم الخاطئة.

ومن أبرز القواعد الخلقية التي تعين علىٰ توضيح معالم الأخلاق في رأي القاسمي ما يلي:

«القاعدة الأولىٰ: الوحي مصدر الأخلاق.

القاعدة الثانية: اشتراط النية في العمل الخلقي.

القاعدة الثالثة: الأخلاق جبلية ومكتسبة.

القاعدة الرابعة: وسطية الأخلاق.

القاعدة الخامسة: الحكم الخلقي».

وأما عن أصول الأخلاق فقد تعددت أقوال أهل العلم في تحديدها، ويرىٰ القاسمي أن للأخلاق أصولًا هي أمهات لكل فضيلة ولكل رذيلة، وهذه الأصول هي: «الحكمة، والشجاعة، والعفة والعدل».

- لقد حظيت الأخلاق في المنهج الإسلامي بمكانة مرموقة، ولهذا عنىٰ بها، وبين الوسائل والأساليب التي تعين المسلم علىٰ التحلي والتخلق بها.

ومن أبرز الوسائل التي دعا إليها القاسمي: «المجاهدة النفسية والتدريب العملي، ومصاحبة الصالحين، واتخاذ القدوة الحسنة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق العقوبات الشرعية، ودراسة التاريخ».

*** نتائج الفصل السابع: «التربية الجسمية عند القاسمي».**

- ركز القاسمي في تعريفه لمفهوم التربية الجسمية علىٰ عنصرين مهمين في بناء الجسم:

١- حفظ الجسم وتقويته.

٢- وقاية الجسم عما ينهكه ويضعفه.

- راعىٰ المنهج الإسلامي الحاجات الجسمية وعمل علىٰ إشباعها وتوفير مطالبها وتوجيهها توجيهًا يتفق مع أهداف التربية الإسلامية السامية، ويتمشىٰ مع مكانة المسلم وطبيعته البشرية.

ومن أبرز الحاجات الجسمية في رأي القاسمي ما يلي: «الحاجة إلىٰ الهواء، والغذاء، والزواج، والرياضة والحركة، واللعب، والنوم، والعلاج».

- جاءت تعاليم الدين بمجموعة من الآداب التي تعمل في مجموعها علىٰ بناء الجسم وتقويته، وتحقيق الوضع الصحي له. ومن تلك الآداب التي ذكرها القاسمي في ثنايا مؤلفاته:

«**أولًا**: آداب الأكل.

ثانيًا: آداب النوم.

ثالثًا: آداب قضاء الحاجة».

*** نتائج الفصل الثامن: «التربية المهنية عند القاسمي».**

- تتركز عناصر مفهوم التربية المهنية عند القاسمي علىٰ ثلاثة أمور:

١- توجيه الفرد المسلم إلىٰ دراسة العلوم المهنية.

٢- إرشاد الفرد المسلم إلىٰ دراسة أخلاقيات العمل المهني، وتطبيقها عمليا.

٣- ربط العمل المهني بالمقاصد الشرعية.

- اهتم المنهج الإسلامي بالعمل المهني، وأثنىٰ عليه، وحث المسلم بأن يسعىٰ في الأرض لطلب المعيشة.

ومن جوانب أهمية العمل المهني كما بينها القاسمي:

«ثناء الإسلام علىٰ العمل، واهتمام الأنبياء بالعمل، واهتمام الصحابة بالعمل، والعمل وسيلة لكف النفس عن المسألة، إضافة إلىٰ سد حاجات المجتمع».

- تبني الأخلاق شخصية الممتهن وعلاقاته الاجتماعية، ولها تأثير بالغ علىٰ زيادة الإنتاج.

ومن أبرز أخلاقيات العمل المهني في نظر القاسمي: «استصحاب النية الحسنة عند العمل المهني، والأمانة، والإتقان، والسماحة في التعامل، وتوخي الكسب الحلال».

٢- التوصيات:

وعلىٰ ضوء نتائج الفصول الثمانية السابقة فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- التوصيات الخاصة بنتائج الفصل الأول:

- الاهتمام بدراسة المصطلحات التربوية واستجلائها من تراث السلف، وصياغتها تربوية.

- العناية بتوضيح مجالات المسؤولية التربوية الملقاة علىٰ أفراد المجتمع، وتبصيرهم بمدىٰ أهمية الشعور بعظمها ومكانتها في الإسلام.

- العمل علىٰ بيان دور الأسرة التربوية، وأهميته في إنجاح العملية التربوية من خلال المواعظ وإقامة الندوات العلمية والدروس التربوية.

- القيام بدراسة المعوقات التي تعيق سير العملية التربوية، والوقوف علىٰ أسبابها بما يسهل وضع سبل العلاج المناسب لها.

٢- التوصيات المتعلقة بنتائج الفصل الثاني:

- تربية الناشئة علىٰ الشعور بالمسؤولية العلمية، وتذكيرهم بأمانة العلم، والعمل به، ونشره بين الناس.

- ضرورة توجيه مجموعة من الناشئة إلىٰ دراسة العلوم الطبيعية والصناعية بما يسد حاجة الأمة ويخدم المصالح الدينية والدنيوية.

- أهمية تزويد المعلمين بالآداب الأخلاقية والصفات المهنية وإعدادهم إعدادًا علمياً حتىٰ يؤدوا دورهم التعليمي بنجاح.

- توضيح آداب العلم للناشئة حتىٰ يترقوا في السلم التعليمي علىٰ الوجه الصحيح.

- وضع دراسات تربوية تهتم بالقواعد التعليمية التربوية، بما يحقق الأهداف التربوية المنشودة.

٣- التوصيات المتعلقة بنتائج الفصل الثالث:

-الحرص علىٰ تعميق الإيمان في نفوس الأمة، وتربيتهم عليه، وإيقافهم علىٰ ثمراته وآثاره التربوية العظيمة من خلال المواعظ والمحاضرات العلمية والدروس التربوية.

- ضرورة تكثيف الدراسات حول التربية الإيمانية وطرق إنمائها، إذ إن الإيمان أمر تعبدي، بالإضافة إلىٰ دوره الكبير في تحقيق السعادة والراحة النفسية للأفراد، وكذا دوره في تحقيق القوة والمنعة والترابط الأخوي للمجتمع المسلم.

- مراعاة بناء المناهج التعليمية علىٰ أسس إيمانية، بما يربي في نفوس الناشئة صحة المعتقد وسلامة البواعث وطمأنينة النفوس وانشراح الصدور.

٤- التوصيات الخاصة بنتائج الفصل الرابع:

- العمل علىٰ تصحيح المفاهيم الخاطئة حول حقيقة العبادة، وذلك بتوضيح شموليتها للنشاط الإنساني بضروبه المختلفة.

- إفراد دراسات تربوية مفصلة حول أسس التربية التعبدية يستفاد منها في تنمية الجانب التعبدي.

- مراعاة المربين في تدريسهم لفقه العبادات الربط بالغايات التربوية التي تهذب النفوس وتزكي الأخلاق وتبني شخصية المسلم بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

٥- التوصيات الخاصة بنتائج الفصل الخامس:

- علىٰ المربين ربط مظاهر الكون بالآيات الشرعية والأحاديث النبوية بما يقوي في نفوس الناشئة الإيمان بالله ﷻ، وبما يساعد علىٰ الاستفادة من مسخرات الكون.

- ضرورة وضع الصياغة والقواعد العلمية للمناهج الدراسية التي تحقق أهداف التربية الفكرية ليستفاد منها في التطبيقات العملية.

- إفراد دراسات تهتم بتأصيل العلوم الكونية والطبيعية علىٰ أساس من الشرع؛ حتىٰ تثري المكتبة الإسلامية بأبحاث الكونيات ذات الطابع الإسلامي.

- وضع دراسة خاصة لضوابط التربية الفكرية بما يحقق سلامة النتاج الفكري.

٦- التوصيات الخاصة بنتائج الفصل السادس:

- ضرورة الاهتمام بالتربية الأخلاقية الحسنة، والدعوة إلىٰ تحقيقها عمليًا وسلوكيًا؛ إذ هي عليها مدار المدينة والحضارة، وصلاح البلدان والعمران، ونمو مدارك الإنسان، وسمو منزلته في الدنيا والآخرة.

- إفراد دراسات تربوية تعني بتقعيد وتأصيل القواعد الخلقية من خلال النصوص الشرعية، والخروج بنتائج تفيد المختصين في تطبيقاتهم العملية.

- الاهتمام بتربية النشء علىٰ استحضار النية عند الأعمال السلوكية حتىٰ تقبل أعمالهم، ويتكون لديهم التقييم الذاتي المتمثل في مراقبة الله في جميع الشؤون والأحوال، وكذا تربيتهم علىٰ التوازن في جميع شؤون الحياة ولاسيما في الجانب الأخلاقي بحيث لا إفراط يؤدي بهم إلىٰ الغلو ولا تفريط يؤدي بهم إلىٰ الانحراف.

٧- التوصيات المتعلقة بنتائج الفصل السابع:

- العمل علىٰ توضيح الهدف الأساس من التربية الجسمية وهو تحقيق العبودية لله تعالىٰ، والاستعانة بها علىٰ أداء العبادات وغيرها من الأعمال المباحة.

- مراعاة الحاجات الجسمية ودوافعها، وتوفير مطالبها، وإشباعها بما يتفق مع أهداف التربية الإسلامية؛ وذلك عند بناء المناهج الدراسية.

- ضرورة القيام بتأديب الناشئة علىٰ تطبيق الآداب الإسلامية في البناء الجسمي من خلال إقامة الدروس التربوية واستغلال المواقف التعليمية.

٨- التوصيات المتعلقة بنتائج الفصل الثامن:

- رفع مكانة العمل وتشجيع الناس علىٰ الإقبال عليه؛ ببيان أهميته ومنزلته في الإسلام، وأنه وسيلة عظيمة في سد حاجات المجتمع وكف النفس عن المسألة، بالإضافة إلىٰ توفير الحوافز المادية التي تشجع علىٰ الإقبال عليه.

- ضرورة توجيه الناشئة إلىٰ التعليم المهني، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حوله.

- إعداد أصحاب المهن علميًا وأخلاقيًا من خلال إقامة الدورات العلمية والمحاضرات والدروس التربوية.

هذا، وقد أثارت الدراسة الحالية عددًا من المقترحات يوصي الباحث بالأخذ بها والاستفادة منها في الميدان الدعوي والتربوي:

- العناية بمؤلفات الشيخ القاسمي، والاستفادة منها في مجالات الدعوة والتربية، وبخاصة الكتب التالية: «موعظة المؤمنين، والوعظ المطلوب، وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب» حيث امتازت بسهولة الأسلوب ووضوح العبارة، مع تناسبها لمعظم مستويات المجتمع المعرفية.

- إفراد دراسات متوسعة حول أحد الجوانب التربوية عند القاسمي، ولا سيما فيما يتعلق بالجانب الخلقي، فإنه رحمه الله قد توسع فيه وأسهب في دراسة نواحيه، حيث إن الدراسة الحالية لم تستوفِ حقها من البحث في هذا الجانب؛ لشموليتها لجميع الجوانب.

- الدعوة إلىٰ تحقيق تراث العلماء التربوي؛ بما يسهل الاستفادة في إثراء المكتبة العلمية التربوية، وبما يعين علىٰ تأسيس القضايا التربوية من خلال جهود سلف الأمة الذين عنوا بالكتاب والسنة. ومن ذلك كتب الشيخ القاسمي، فإن أكثرها لم تر النور بعد.

- العناية بدراسة آراء العلماء التربوية والاستفادة بمجموعها في مجالات التربية.

* * *

فهرس المصادر والمراجع المطبوعة

١. أبجد العلوم، صديق حسن خان، أعد الطبع ووضع الفهارس عبدالجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط ١٩٧٨م.

٢. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسين الزبيدي، دار الفكر (د. ت).

٣. إتمام الأعلام، نزار آباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٩٩٩م.

٤. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله الجربوع، أضواء السلف الرياض، إشراف المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠١م.

٥. أحكام الحرفة وآثارها في الفقه الإسلامي، عبدالعزيز بن فرحان العنزي، مكتبة الفرقان، عجمان الإمارات العربية المتحدة، ط الأولىٰ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦. أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت (د. ت).

٧. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت ط ١٣٩٩هـ.

٩. أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري، عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر عبدالرحمن، دار عمار، عمان، ط الأولىٰ ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٠. أخلاق العلماء، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط الثانية، ١٩٨٤م.

١١. الأخلاق الفاضلة: قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٢. الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم وآثارها علىٰ النجاح والتقدم العلمي، مقداد يالجن، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣. آداب الصحبة والمعاشرة الغزالي دراسة وتحقيق محمود سعود المعييني مطبعة العاني بغداد ط ١٩٨٤م.

١٤. الإدارة العثمانية في ولاية دمشق، عبدالعزيز محمد عوض، دار المعارف، مصر (د. ت).

١٥. آداب المتعلم في الفكر التربوي، أحمد محمد فلاته، دار المجتمع، جدة، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٦. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق مصطفىٰ السقا، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

١٧. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق علي فريد وآخر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الأولىٰ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٨. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٩. أساسيات علم النفس التربوي، محي الدين توق وعبدالرحمن عدس، مطبعة جون وايلي وأولاده، نيويورك، ط ١٩٨٤م.

٢٠. أساليب تدريس التربية الإسلامية، تيسير طه وآخرون، دار الفكر، عمان، الأردن، ط الأولىٰ ١٩٩٢م.

٢١. الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق علي بن حسن بن علي، الزرقاء، الأردن، ط ١٤٠٥هـ.

٢٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عزالدين علي بن الأثير، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، طبعة بولاق(د. ت).

٢٣. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد الصيد الزنتاني ط٢ (١٩٩٣م) الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

٢٣. أسس الثقافة الصحية، منال جلال محمد عبدالوهاب الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م مكتبة السوادي للتوزيع جدة.

٢٤. أسس الصحة والحياة، عبدالرزاق الشهرستاني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق، ط الأولىٰ ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٢٥. الإسلام والتربية الصحيحة، عائدة عبدالعظيم البنا، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٦. الإسلام والتربية الروحية للشباب، طه جابر العلواني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٢٧. الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، نبيل محمد السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط الثالثة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٨. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، ط الأولىٰ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٩. إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٣٩٧هـ.

٣٠. أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب،، الرياض، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

٣١. أصول الفكر التربوي في الإسلام، عباس محجوب، مؤسسة علوم القرآن عجمان، ودار ابن كثير دمشق، بيروت، ط الأولىٰ ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٣٢. الأصول في علم الأصول، محمد صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣٣. أضواء علىٰ نظام الأسرة في الإسلام، سعاد إبراهيم صالح، تهامة، جدة، ط الأولىٰ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

٣٤. الإطار الخلقي لمالية المسلم، قطب إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١٩٨٣م.

٣٥. الإعجاز الطبي في السنة النبوية، كمال المويل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١٤١٨هـ.

٣٦. إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة، حسني الردادي، معهد البحوث العلمية وأحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ط ١٤١٦هـ.

٣٧. إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، عبدالله بن عبدالحميد محمود، دار البخاري، المدينة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ.

٣٨. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق: أحمد بن علي مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مراجعة وتقديم طه عبدالؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان. (د. ت).

٤١. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط السادسة ١٩٨٤م.

٤٢. أعيان دمشق: محمد جميل الشطي، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٩٧٢م.

٤٣. الإقناع في التربية الإسلامية، سالم بن سعيد جبار، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٥. الأهداف التربوية: مصادر اشتقاقها، وطرق صياغتها في البلد المسلم، محمد صالح جان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرىٰ، ط ١٤١٧هـ

٤٦. أهداف التربية الإسلامية وغايتها، مقداد يالجن، دار الهدىٰ، الرياض، ط الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٧. أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة دار التراث المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٨. الأوراد المأثورة، محمد جمال الدين القاسمي، (د. ن) طبع في بيروت ١٣٢٠هـ.

٤٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الرابعة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٥٠. الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي بيروت ط الأولىٰ ١٩٩٧م.

٥١. الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط السابعة ١٤٠١هـ.

٥٢. البركة في فضل السعي والحركة، لمحمد بن عبدالرحمن الوصابي، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٢هـ.

٥٣. البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصري، أبوخلدون، ط دار العلم للملايين، بيروت (د. ت).

٥٤. بناء الأسرة المسلمة، حماد سهيلة زين العابدين، تاريخ الدار السعودية، جدة (د. ت).

٥٥. بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبدالبر، تحقيق محمد الخولي، دار الكتب العلمية، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٥٦. بهجة النفوس، عبدالله ابن أبي جمرة الأندلسي، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الثالثة (د. ت).

٥٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).

٥٨. البيت القصيد في ترجمة الوالد السعيد، جمال الدين القاسمي، طبع ضمن كتاب آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٩. تاج التراجم، زين الدين قاسم بن قطلوبغا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار الكلم، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦٠. التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٦١. تاريخ الجهمية والمعتزلة، محمد جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٢. تاريخ الدعوة، جمعة علي الخولي، دار الطباعة المحمدية، ط الأولىٰ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦٣. تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، وآخر، دار الملايين ط الخامسة، ١٩٦٨م.

٦٤. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، (د. ت).

٦٥. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، محمد مطيع وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦٦. التجارة في الإسلام، عبدالرحمن عبدالرحمن النقيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.

٦٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٨. التدريس: نماذجه ومهاراته، كمال عبد الحميد زيتون، المكتب العلمي، الإسكندرية، ١٤١٩هـ.

٦٩. التدمرية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، ط الخامسة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٠. تذكرة السامع والمتكلم، بدرالدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د. ت).

٧١. تربويات ذهبية في العقيدة والمنهج والعلم والسلوك، حمدان مسلم المزروعي، (د. ن) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧٢. التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٧٣. التربية الإسلامية للطفل المراهق، محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام، مصر ط ١٩٨٦م.

٧٤. التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي، علي أبوعينين، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط الأولىٰ ١٤٠٧هـ.

٧٤. التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبدالرحمن النحلاوي، المكتب الإسلامي، بيروت مكتبة أسامة، الرياض، ط الأولىٰ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٥. تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر، حلب، ط الثالثة ١٤٠١هـ.

٧٦. التربية الترويحية في الإسلام أحكامها وضوابطها الشرعية، أحمد عبدالعزيز أبو سمك، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٧. التربية العامة، رونيه أوبير، ترجمة عبدالله عبدالدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط الثالثة، ١٩٧٧م.

٧٨. التربية العملية: أهدافها ومبادئها، عبدالرحمن صالح عبدالله، دار العدوي، عمان، ومكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، ط الأولىٰ ١٤٠٦-١٩٨٦م.

٧٩. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، مكتبة التوبة، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ.

٨٠. تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، محمد جمال الدين محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ١٩٧٧م.

٨١. التربية المهنية والحرفية في الإسلام، جمال محمد الهنيدي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٨٢. التربية الوقائية في الإسلام ومدىٰ استفادة المدرسة الثانوية منها، خليل عبدالله الحدري، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القري، مكة المكرمة، ط ١٤١٨هـ.

٨٣. التربية بالآيات، عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٨٤. التربية بالعبرة، عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط الأولىٰ ١٩٩٤م.

٨٥. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، دار ابن كثير، دمشق، ومؤسسة علوم القرآن، عجمان، تحقيق محي الدين مستو وآخرون، ط الأولىٰ ١٤١١هـ-١٩٩٣م.

٨٦. الترويح التربوي رؤية إسلامية، خالد بن فهد العودة، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ.

٨٧. الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، كمال درويش ومحمد الحمامي، مركز البحوث التربوية النفسية، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ط ١٤٠٦هـ.

٨٨. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير دمشق، مكتبة دار التراث المدينة، ط الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٨٥م.

٨٩. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩٠. التغذية وصحة الإنسان، جلال خليل المخللاتي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية، ١٤١١هـ.

٩١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إشراف محمود الأرناؤوط، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

٩٢. التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، (د. ت).

٩٣. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط الأولىٰ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٩٤. تلخيص الحبير، علي بن حجر العسقلاني، تحقيق شعبان إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية (د. ت).

٩٥. تنبيه الطالب إلىٰ معرفة الفرض الواجب، محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ط الأولىٰ ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

٩٦. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد ابن مسكويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٧. تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق حليل مأمون وآخرون، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩٨. التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، عبدالرحمن صالح عبدالله، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٩. توجيه المتعلم إلىٰ منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، مقداد يالجن، عالم الكتب، الرياض، ط الأولىٰ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٠٠. التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مسفر سعيد الزهراني، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط الأولىٰ ١٤٢١هـ.

١٠١. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبدالرحمن ناصر السعدي، ، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ط الثانية ١٤٢١هـ.

١٠٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ، اعتنىٰ به عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولىٰ ١٤٢١هـ.

١٠٣. الثواب والعقاب، عدنان محمد مغربل، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط الأولىٰ ١٤١٦هـ.

١٠٤. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد الطبري، تحقيق عبدالله التركي دارهجر، ط الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠٥. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي روايته وحمله، يوسف بن عبدالله ابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام ط الأولىٰ ١٤١٤هـ.

١٠٦. الجامع الصحيح، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، إشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار الجامع في أحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تعليق: محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ.

١٠٧. جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، والقاهرة، ط ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٠٨. الجرح والتعديل، محمد جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠٩. جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، مكتبة أطلس، دمشق، ط الأولىٰ ١٣٨٥-١٩٦٥م.

١١٠. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، بيروت، دار صادر، ط ١٣٤٥هـ.

١١١. جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، محمد جمال الدين القاسمي، مكتبة الثقافة الدينية (د. ت).

١١٢. جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجن، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١٣. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١١٤. حاضر العالم الإسلامي، جميل المصري، دار أم القرىٰ، عمان الأردن ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١١٥. الحقائق الطبية في الإسلام، عبدالرزاق أشرف الكيلاني، دار القلم، دمشق، ط ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط ١٤٠٦هـ-١٩٩٦م.

١١٧. حياة البخاري، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١١٨. خطط الشام محمد كرد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية ١٣٨٩هـ.

١١٩. الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولىٰ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ط الثانية ١٣٨٥هـ.

١٢٠. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية ط الثانية (د. ت).

١٢١. دراسات في التربية الإسلامية، أحمد سعيد الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولىٰ (د. ت).

١٢٢. الدعوة إلىٰ الله «دراسة مستوحاة من سورة النمل»، عبد الرب نواب الدين آل نواب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط الأولىٰ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٢٣. دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

١٢٤. الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، عبدالرحمن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ط الثانية ١٤٢١هـ.

١٢٥. دور التربية الأخلاقية الإسلامية لبناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، مقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢٦ .الدين والحياة (سلسلة دراسات نفسية إسلامية)، سيد عبدالحميد مرسي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٢٧. الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٢٨. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، جمع محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢٩. رسالة في الشاي والقهوة والدخان، محمد جمال الدين القاسمي، طبعة بولاق (د. ن) (د. ت).

١٣١. رياض الجنة، عبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية، الرباط، ط ١٣٥٠هـ-١٩٣١م.

١٣٢. سر الاستغفار، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد ناصر العجمي، طبع ضمن مجموعة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام (الجزء ٨-

٢١). دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٣٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣٤. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ودار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٣٥. السلوك الاجتماعي، حسن أيوب، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان. ط الرابعة ١٤٠٣هـ.

١٣٦. سلوك المسلم، توفيق الواعي، مكتبة دار التراث، الكويت ط ١٤٠٤هـ.

١٣٧. السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إشراف صالح عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الأولىٰ محرم ١٤٢٠هـ- أبريل ١٩٩٩م.

١٣٨. السنن الكبرىٰ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د. ت).

١٣٩. السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط محرم ١٤٢٠هـ- أبريل ١٩٩٩م.

١٤٠. السنن، أبوعبدالله محمد يزيد ابن ماجة القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، (د. ت).

١٤١. السنن، أحمد بن شعيب النسائي، إشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ محرم ١٤٢٠هـ- أبريل ١٩٩٩م.

١٤٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط السابعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٤٣. السيرة النبوية، عبدالملك محمد بن هشام الحميري، تحقيق مصطفىٰ السقا وآخرين، دار القلم، بيروت، (د. ت).

١٤٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفىٰ عبدالقادر عطا الطبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ط الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٤٥. شذرة من السيرة المحمدية، محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة المنار، مصر، ط الأولىٰ ١٣٢١هـ.

١٤٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق أحمد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ت).

١٤٧. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي ابن أبي العز، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٤٨. شرح لقطة العجلان، محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ط الأولىٰ ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

١٤٩. شرف الأسباط، محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة الترقي، دمشق، ط ١٣٣١هـ.

١٥٠. شريعة الإسلام: العمل والعمال، جمال الدين عباد، شركة الاتحاد للطباعة، ١٣٨٧هـ.

١٥١. الشريعة، الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر حديث أكادمي، باكستان، ط الأولىٰ ١٤٠٣هـ.

١٥٢. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٣. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد عيسىٰ الترمذي، تحقيق سيد عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مكة، ط الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٥٤. شيخ الشام جمال الدين القاسمي، محمود مهدي الاستانبولي، المكتب الإسلامي، ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ-١٩٨٠م.

١٥٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط الأولىٰ ١٣٩٩هـ.

١٥٦. صحيح البخاري، محمد بن إساعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ.

١٥٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥٨. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت ط الأولىٰ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٥٩. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت ط الأولىٰ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١٦٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، خدمة محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ط ١٣٩٨هـ.

١٦١. صفة الصفوة، أبوالفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، دار ابن خلدون، اسكندرية، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٦٢. صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عوض دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٦٣. الطب النبوي، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الرابعة عشر ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٦٤. الطب النبوي والعلم الحديث، محمود ناظم النسيمي، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، سوريا ط الأولىٰ ١٤٠٤هـ.

١٦٥. الطب في القرآن الكريم، لعبد الحميد دياب، وأحمد قرقور، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٦٦. طبقات الحنابلة، أبو يعلىٰ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د. ت).

١٦٧. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي للنشر والطباعة - الرياض الطبعة الأولىٰ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦٨. طبقات الشافعية الكبرىٰ، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وآخر، دار إحياء التراث العربية. (د. ت).

١٦٩. طبقات المحدثين بأصبهان، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط الأولىٰ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٧٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٧١. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط الرابعة والعشرون ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٧٢. العثمانيون والروس، علي حسون، المكتب الإسلامي، ط الأولىٰ ١٤١٢هـ-١٩٨٢م.

١٧٣. العلاج النفسي الجماعي للأطفال باستخدام اللعب لكاميليا عبدالفتاح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثالثة ١٩٩١م.

١٧٤. العلاقة بين الطالب والمعلم: محمود إسماعيل عمار، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٧٥. علم النفس التربوي في الإسلام، مقداد يالجن ويوسف القاضي، دار المريخ، الرياض، ط الثانية ١٤٠١هـ.

١٧٦. علم النفس التربوي، عبدالمجيد نشواتي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط التاسعة ١٤١٨هـ.

١٧٧. علم النفس التربوي، لفؤاد أبو حطب، دار المعارف، القاهرة، ط ١٤٠٧هـ.

١٧٨. علم النفس الدعوي، عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ.

١٧٩. العلم ضرورة شرعية، ناصر سليمان العمر، دار الوطن، الرياض ط ١٤١٢هـ.

١٨٠. العلوم الاجتماعية وتدريسها، يوسف القاضي، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٨١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبدالرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٨٢. غذاؤكم في الصحة والمرض، عبداللطيف أحمد نصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة (د. ت).

١٨٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، علي بن حجر العسقلاني، تحقيق فؤاد عبدالباقي، دار االمعرفة (د. ت).

١٨٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي للشوكاني. (د. ت).

١٨٥. الفتوىٰ في الإسلام، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد عبدالحكيم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٨٦. الفروق الفردية، عبد الحميد الهاشمي، درا التربية للتأليف والنشر والتوزيع، دمشق (د. ت).

١٨٧. الفساد الخلقي في المجتمع، ناصر بن عبد الله التركي، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ.

١٨٨. الفضل المبين علىٰ عقد الجوهر الثمين، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم بهجة البيطار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٨٩. الفكر التربوي عند ابن القيم، حسن علي الحجاجي، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، ط الأولىٰ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩٠. الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، عبد العزيز بن عبدالله الرشودي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ط شوال ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٩١. فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، نشر مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ودار المنارة للنشر والتوزيع جدة، الأولىٰ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٩٢. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو عينين، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩٣. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، عبدالحميد الصيد الزنتاني الطبعة الأولىٰ ١٩٩٣م الدار العربية للكتاب، طرابلس.

١٩٤. فلسفة التربية الإسلامية، عمر التومي الشيباني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط الأولىٰ ١٩٧٥م.

١٩٥. فن التدريس للتربية الدينية، محمد صالح سمك، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط الثالثة (١٩٨٦م).

١٩٦. فهرس الفهارس والأثبات، عبدالحي الكتاني، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩٧. الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: الحسين أيت سعيد، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب (د. ت).

١٩٨. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد بن عبد الحي اللكنوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت - لبنان. (د. ت).

١٩٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الثانية ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

٢٠٠. قراءات في التربية المعاصرة، محمد عبدالهادي آخر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠م.

٢٠١. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٠٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ط الأولىٰ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٠٣. القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط الرابعة ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٢٠٤. كتاب الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، اعتناء بعدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٠٥. كشف الأستار عن زوائد البزار علىٰ الكتب الستة، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٠٦. كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط الثالثة ١٣٥٢هـ.

٢٠٧. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٤١٧هـ.

٢٠٨. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفىٰ مسلم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٠٩. مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، صالح سليمان البقعاوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولىٰ ١٤٢١هـ.

٢١٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب، بيروت لبنان، ط الثانية ١٩٦٧م.

٢١١. مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ١٤١٦هـ.

٢١٢. مجموع فتاوىٰ، محمد صالح بن العثيمين، جمع وترتيب ف د بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢١٣. مجموعة خطب، محمد جمال الدين القاسمي، المكتبة الهاشمية، دمشق، ط الأولىٰ ١٣٢٥هـ.

٢١٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢١٥. المحجة في سير الدلجة، لابن رجب، تحقيق: يحيىٰ مختار غزاوي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الرابعة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢١٦. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، اعتناء نجوىٰ أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، ط الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢١٧. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد وهبي سليمان، وعلي ٢١١. عبدالحميد أبوالخير، دار الخير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ط الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢١٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط الثانية ١٣٩٣هـ.

٢١٩. المدخل إلىٰ البحث في العلوم السلوكية، صالح حمد العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٢٠. المدرس في المدرسة والمجتمع، أبو الفتوح رضوان وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١٩٧٨م.

٢٢١. مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، محمد جمال الدين القاسمي، مؤسسة قرطبة. (د. ت).

٢٢٢. المربي والتربية الإسلامية، محمد أحمد عبد الهادي، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط الأولىٰ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٢٣. المرشد النفيس إلىٰ أسلمة طرق التدريس، محمد صالح جان، دار الطرفين، الطائف، ط الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢٤. مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط السادسة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٢٥. المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي مكتبة الرشد الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٢٦. المستدرك علىٰ الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفىٰ عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ

٢٢٧. المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين الإبشيهي، دار الفكر بيروت، (د. ت).

٢٢٨. المسح علىٰ الجوربين، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الخامسة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٢٩. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، ط الثانية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. (د. ن).

٢٣٠. مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، وليد شلاش نايف شبير، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط. الأولىٰ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٣١. مشكلات طلبة المرحلة الإعدادية، إبراهيم عبدالله العمار، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ط الثانية ١٩٧٥م.

٢٣٢. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٢٣٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

٢٣٤. مصر العثمانية، جورجي زيدان، ترجمة: محمد حرب، ط. دار الهلال (كتاب الهلال) العدد ٥١٧هـ رجب يناير ١٩٩٤م.

٢٣٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ط الأولىٰ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٣٦. معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٣٧. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢٣٨. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية، طبع الدار العربية ومطبعة الأمة، بغداد، ط ١٩٧٨-١٩٨٣م.

٢٣٩. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٤٠. معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٤١. معجم الوسيط، إبراهيم مصطفىٰ وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول - تركيا، (د. ت) (د. ط).

٢٤٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر (د. ت).

٢٤٣. المفاهيم الأساسية لمناهج التربية، علي أحمد مدكور، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٤٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٤٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٤٦. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة، محمد عبدالرحمن السخاوي، تصحيح وتعليق عبدالله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٤٧. مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن بن الصلاح، تحقيق عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

٢٤٨. المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان ط ١٤٢١هـ.

٢٤٩. من المبادئ التربوية في الإسلام، محمد علي محمد المرصفي، عالم المعرفة، جدة، ط ١٤٠٣هـ.

٢٥٠. منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها، مقداد يالجن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٥١. مناقب أبي حنيفة، محمد بن محمد الكردي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١٣٢١هـ.

٢٥٢. مناهج البحث وتطبيقاتها التربوية، مقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولىٰ ١٤١٩هـ.

٢٥٣. منتخبات التواريخ لدمشق، تقي الدين الحصني، المطبعة الحديثة، دمشق، ط الأولىٰ ١٣٤٦هـ-١٩٧٥م.

٢٥٤. المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، عبد الرحمن صالح عبدالله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٥٥. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيىٰ بن شرف النووي، إشراف حسن عباس قطب، دار عالم الكتب، ط الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

٢٥٦. المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر ط الأولىٰ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٥٧. منهج الإسلام في تزكية النفس، أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، ط الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧هـ.

٢٥٨. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط السادسة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٥٩. منهج السلوك الإنساني، موسىٰ محمد الأسود، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٦٠. منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٦١. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، دار الفكر، (د. م) ط ١٣٤١هـ.

٢٦٢. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثامنة، ١٩٧٨م.

٢٦٣. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم بهجة البيطار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٤٤م.

٢٦٤. نظرات في التربية الإسلامية، عز الدين التميمي وبدر إسماعيل سمرين، دار البشير، عمان، ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٦٥. نظريات التعلم، جورج غازدا وآخرون، ترجمة: علي حسن حجاج، عالم المعرفة، الكويت، ط ١٤٠٧هـ.

٢٦٦. النظرية التربوية في الإسلام، محمد جميل خياط، مطابع الصفا، مكة المكرمة ط ١٤٠٧هـ.

٢٦٧. النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبد الله عفيفي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٦٨. النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد، محمد جمال الدين القاسمي، (د. ن) ط الأولىٰ ١٣٢٣هـ.

٢٦٩. نقد النصائح الكافية، محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة الفيحاء، دمشق، ١٣٢٨هـ.

٢٧٠. النمو الإنساني ومراحله في المنهج الإسلامي، علي بن إبراهيم الزهراني، عبدالحي عمر فلاتة، دار الخضيري، المدينة المنورة ط ١٤١٩هـ.

٢٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط الأولىٰ ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٢٧٢. الورقات، إمام الحرمين الجويني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٧٣. الوعظ المطلوب من قوت القلوب، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط الأولىٰ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٧٤. الوقاية خير من العلاج عبدالرزاق الكيلاني دار القلم، دمشق، حلبوني، الطبعة الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢- المصادر المخطوطة:

٢٧٥. بيان معرفة الحق بالدليل، جمال الدين القاسمي، مخطوطة مصورة من مكتبة الظاهرية، دمشق الرقم ١١٢٠٩.

٢٧٦. بيان أن معرفة الشيء ببرهانه طريقة القرآن الكريم، جمال الدين القاسمي، مخطوطة مصورة من مكتبة الظاهرية، دمشق الرقم ١١٢٠٩.

٣- الرسائل العلمية والبحوث غير المنشورة:

٢٧٧. الأثر التربوي للعبادات في الإسلام، سهير جابر محمد، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، أسيوط، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٢٧٨. أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك، أسماء علي محمد فضل، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ.

٢٧٩. الأخلاق في ضوء السنة النبوية، هدىٰ بود بن حسن عبدالمنان، رسالة دكتوراة، قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٨٠. آداب المعلم وواجباته خلال الموقف التعليمي، محمد علي محمد أبو رزيزه، رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٨١. التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي، نايف حامد همام الشريف، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٨٢. تربية الرسول ﷺ لأصحابه في الناحية الأخلاقية، الصديق عمر أحمد فضل الله، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام ١٤٠٧هـ.

٢٨٣. التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، خالد بن حامد الحازمي، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ.

٢٨٤. توجيهات تربوية مستقاة من سورة العصر، جميلة يحيىٰ ميمني، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٢٨٥. جمال الدين القاسمي علمه ودعوته، عبدالعزيز بن إبراهيم بن محمد الأحيدب، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، كلية

الدعوة وأصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨٦. جمال الدين القاسمي والتربية في عصره، مارون سمعان رعد، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في التربية من كلية التربية في الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧١م.

٢٨٧. القاسمي ومنهجه في تفسيره «محاسن التأويل»، إبراهيم بن علي بن صالح الحسن، رسالة ماجستير، قسم القرآن وعلومه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٨٨. القدوة وأثرها في التعليم والتعلم في منهج التربية الإسلامية، طارق بن عبدالله بن عبدالقادر حجار، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤١٢هـ.

٢٨٩. مصادر المعرفة وموقف الإسلام منها، عبدالرحمن زيد الزنيدي، رسالة دكتوراة، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٢٩٠. مفهوم الحرية في التربية بين الشرع والوضع، علي بن إبراهيم الزهراني، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤١٢هـ.

٢٩١. مقومات التربية الجسمية في الإسلام، صالح بن علي أبو عراد الشهري، رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

٢٩٢. مناهج السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في مراحل التعليم العام في المملكة العربية السعودية، محمد بن بكر حسن كمال، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

٢٩٣. منهاج التربية الإسلامية في بناء الشخصية، أحمد سعيد الغامدي، رسالة دكتوراة، قسم التربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٩٤. منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة، محمد أحمد خضي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤- المجلات والدوريات:

٢٩٥. أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة، مناع خليل القطان، مجلة أضواء الشريعة، العدد (٩) كلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٨٩هـ.

٢٩٦. أعلام المفسرين، محمد عبدالعظيم دكروري، مجلة الفيصل، العدد (٢٠١) ربيع الأول ١٤١٤ه-سبتمبر ١٩٩٣م.

٢٩٧. باب المشارفة والانتقاد، أنستانس ماري الكرملي، مجلة لغة العرب، السنة الأولىٰ، شهر رجب ١٣٢٩هـ.

٢٩٨. التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٦ السنة (٣٤) ١٤٢٢هـ.

٢٩٩. التربية علىٰ المسؤولية، عباس محجوب، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٢٤٢) الكويت صفر ١٤٠٥هـ.

٣٠٠. التعريف والنقد، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع العلمي العربي، دمشق، العدد ٣٣ سنة ١٣٧٧هـ.

٣٠١. جمال الدين القاسمي علامة الشام، عدنان صادق الدبسي، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد ٤٣، ١٤١٥هـ.

٣٠٢. جمال الدين القاسمي، سليمان عبدالله الياسين، مجلة البيان، لندن، العدد (٢٢) ربيع الأول ١٤١٠هـ.

٣٠٣. الشيخ جمال الدين القاسمي: حياته - آثاره، محمد رياض المالح، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثاني، السنة الأولىٰ، ربيع الثاني ١٤١٤هـ.

٣٠٤. الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، محمد رشيد رضا، مجلة المنار (ج٧/ م١٧).

٣٠٥. فضل الزراعة في الإسلام، أحمد عبدالغني مزهر، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد (٣٣) ١٤١٢هـ.

٣٠٦. المجاهدون في فطاني، ضياء شهاب، دعوة الحق، السنة الخامسة، العدد ٤٩ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٠٧. معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية، العددان ١٠٥-١٠٦ السنة ٢٨ ١٤١٧هـ-١٤١٨هـ.

٣٠٨. معرفة الله وعبادته وأثرهما في تربية الفرد وتنظيم المجتمع، محمد صالح محي الدين محمد، مجلة هذه سبيلي، العدد (٥) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٠٩. من المسؤول الأول عن تربية النشء، أحمد محمد أحمد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٦٨)، الكويت، ذوالحجة ١٣٩٨هـ- نوفمبر ١٩٧٨م.

٣١٠. النوم الصحي، محمد الحافظ، مجلة المعرفة، العدد (٤٦) ١٣٢٠.

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

شكر وتقدير ٥
ملخص الدراسة ٧
المقدمة ١٣
أهمية البحث ١٦
أهداف البحث ١٨
تساؤلات البحث ١٨
حدود البحث ١٩
منهج البحث ١٩
مصطلحات البحث ٢١
الدراسات السابقة ٢١
تمهيد: القاسمي: حياته وعصره **٢٥**
المبحث الأول: حياته الشخصية وجهوده العلمية ٢٩
المطلب الأول: سيرة القاسمي الذاتية ٢٩
أولًا: نسبه وولادته ٢٩
ثانيًا: صفاته الخُلقية ٣٢
ثالثًا: عقيدته ٣٥
رابعًا: وفاته ٣٧
المطلب الثاني: الجانب العلمي في حياة القاسمي ٣٩
أولًا: نشأته العلمية ٣٩
ثانيًا: شيوخه ٤٣
ثالثًا: تلاميذه ٤٧

رابعًا: ثناء العلماء عليه ٥٤
خامسًا: آثاره العلمية ٥٧
المبحث الثاني: عصر القاسمي من الناحية السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية ٧٣
المطلب الأول: الناحية السياسية ٧٣
المطلب الثاني: الناحية الدينية ٧٨
المطلب الثالث: الناحية الثقافية ٨٢
المطلب الرابع: الناحية الاجتماعية ٨٦
الفصل الأول: التربية عند القاسمي: مفهومها ومسؤوليتها ومعوقاتها ٩١
المبحث الأول: مفهوم التربية ٩٥
أولًا: مفهوم التربية لغة ٩٥
ثانيًا: مفهوم التربية اصطلاحا ٩٦
المبحث الثاني: المسؤولية التربوية ١٠١
أولًا: المسؤولية التربوية الذاتية ١٠٢
ثانيًا: مسؤولية الأسرة التربوية ١٠٣
ثالثًا: مسؤولية العلماء التربوية ١٠٧
رابعًا: مسؤولية المجتمع التربوية ١٠٧
المبحث الثالث: معوقات التربية ١٠٩
أولًا: معوقات تتعلق بالأسرة ١١١
ثانيًا: معوقات تتعلق بالمجتمع ١١٤
الفصل الثاني: التربية العلمية عند القاسمي ١١٧
المبحث الأول: مفهوم العلم وفضله ١٢١
المطلب الأول: مفهوم العلم في اللغة والاصطلاح ١٢١
المطلب الثاني: فضل العلم ١٢٦
المبحث الثاني: صفات المعلم ١٣١
المطلب الأول: الصفات الذاتية ١٣٤
أولًا: الإخلاص ١٣٤

ثانيًا: التواضع ١٣٦
ثالثًا: العمل بالعلم ١٣٨
رابعًا: القدوة ١٤٠
المطلب الثاني: الصفات المهنية ١٤٣
أولًا: الغزارة العلمية ١٤٣
ثانيًا: مراعاة الفروق الفردية ١٤٤
ثالثًا: اختيار الكتاب المناسب للطلاب ١٤٦
رابعًا: تحضير الدرس قبل الإلقاء ١٤٧
خامسًا: استخدام طريقة الحوار والمناقشة في التدريس ١٤٨
سادسًا: استخدام أسلوب الثواب والعقاب ١٤٩
سابعًا: النظر في شئون التلاميذ ١٥٢
المبحث الثالث: آداب المتعلم ١٥٥
المطلب الأول: آداب المتعلم نحو نفسه ١٥٧
أولًا: الإخلاص في الطلب ١٥٧
ثانيًا: العمل بمقتضىٰ العلم ١٥٨
ثالثًا: الصبر علىٰ التعلم ١٥٩
رابعًا: العناية بحسن الهيئة ١٦٠
المطلب الثاني: آداب المتعلم نحو معلمه ١٦٢
أولًا: احترام المعلم وتقديره ١٦٢
ثانيًا: مدارسة الكتاب علىٰ المعلم ١٦٤
ثالثًا: كتابة الدرس الذي يلقيه المعلم وتجويدها ١٦٥
المطلب الثالث: آداب المتعلم مع رفقائه ١٦٧
أولًا: اختيار المتعلم لرفقائه ١٦٧
ثانيًا: إحسان المتعلم لرفقائه ١٦٨
ثالثًا: أدبيات المتعلم مع رفقائه في مجلس العلم ١٦٩

رابعًا: المذاكرة والمناقشة العلمية ١٧١
المبحث الرابع: أهم القواعد التعليمية التربوية ١٧٣
القاعدة الأولىٰ: التشجيع علىٰ طلب العلم ١٧٤
القاعدة الثانية: توقير العلماء ١٧٦
القاعدة الثالثة: إلزامية التعليم والتعلم ١٧٧
القاعدة الرابعة: تحديد الأهداف التعليمية ١٧٩
القاعدة الخامسة: التحلي بآداب العلم ١٨٠
القاعدة السادسة: التدرج في العلمية التعليمية ١٨٢
القاعدة السابعة: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ١٨٤
القاعدة الثامنة: الحذر من المعوقات العلمية ١٨٥
القاعدة التاسعة: الأمانة العلمية (تقديم المعلومات الصحيحة) ١٨٨
الفصل الثالث: التربية الإيمانية عند القاسمي ١٩١
المبحث الأول: مفهوم الإيمان وأهميته ١٩٥
المطلب الأول: مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح ١٩٥
المطلب الثاني: أهمية الإيمان ١٩٩
المبحث الثاني: طرق التربية الإيمانية ٢٠٧
المطلب الأول: التربية الإنمائية ٢٠٩
أولًا: طلب العلم ٢٠٩
ثانيًا: قراءة القرآن الكريم بتدبر ٢١٠
ثالثًا: قراءة سيرة النبي ﷺ والتأمل فيها ٢١٢
رابعًا: الأعمال الصالحة ٢١٣
المطلب الثاني: التربية الوقائية ٢١٦
أولًا: الابتعاد عن الذنوب ٢١٦
ثانيًا: اتقاء الشبهات ٢١٨
ثالثًا: الحذر من مجالسة أهل الأهواء والفسق ٢٢١

المطلب الثالث: التربية العلاجية ٢٢٣
أولًا: محاسبة النفس ٢٢٣
ثانيًا: التوبة النصوح ٢٢٤
ثالثًا: إتباع السيئة الحسنة ٢٢٦
المبحث الثالث: آثار التربية الإيمانية ٢٢٩
المطلب الأول: آثار التربية الإيمانية علىٰ الفرد ٢٣١
أولًا: الحياة الطيبة ٢٣١
ثانيًا: تحصين الفرد المسلم من المعاصي ٢٣٤
ثالثًا: حصول الطمأنينة ٢٣٦
رابعًا: الصبر والثبات عند الشدائد ٢٣٨
المطلب الثاني: آثار التربية الإيمانية علىٰ المجتمع ٢٤٠
أولًا: تحقيق الأمن الاجتماعي ٢٤٠
ثانيًا: تحقيق التآخي الاجتماعي ٢٤١
ثالثًا: تحقيق العزة والقوة للمجتمع ٢٤٥
الفصل الرابع: التربية التعبدية عند القاسمي ٢٤٩
المبحث الأول: مفهوم العبادة وأهميتها ٢٥٣
المطلب الأول: مفهوم العبادة في اللغة والاصطلاح ٢٥٣
المطلب الثاني: أهمية العبادة ٢٥٧
المبحث الثاني: أسس التربية التعبدية ٢٦٧
الأساس الأول: إخلاص النية لله سبحانه وتعالىٰ ٢٦٨
الأساس الثاني: موافقة الشرع ٢٧٠
الأساس الثالث: كمال الحب مع كمال الذل ٢٧٢
الأساس الرابع: الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة ٢٧٤
الأساس الخامس: المداومة علىٰ العبادة وإن قلت ٢٧٦
الأساس السادس: القصد في العبادة ٢٧٨
الأساس السابع: ترويح النفس بين العبادات ٢٨١

الأساس الثامن: ترتيب الأولويات في أداء العبادة ٢٨٥
الأساس التاسع: تجنب العجب عند فعل الطاعات ٢٨٨
المبحث الثالث: الآثار التربوية للعبادة ٢٩١
أولًا: الشعور بالسعادة والأنس ٢٩٣
ثانيًا: التربية علىٰ الفضائل ومكارم الأخلاق ٢٩٨
ثالثًا: الوقاية من المنكرات ٣٠٢
رابعًا: التنشئة علىٰ التعاون والترابط ٣٠٨
الفصل الخامس: التربية الفكرية عند القاسمي ٣١٣
المبحث الأول: مفهوم الفكر وأهميته ٣١٧
المطلب الأول: مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح ٣١٧
أولًا: الفكر في اللغة ٣١٧
ثانيًا: الفكر في الاصطلاح ٣١٨
المطلب الثاني: أهمية التفكر ٣١٩
المبحث الثاني: ضوابط التربية الفكرية ٣٣١
الضابط الأول: تجنب الخوض في الأمور الغيبية ٣٣٣
الضابط الثاني: النهي عن التفكر في ذات الرب سبحانه وتعالى ٣٣٥
الضابط الثالث: ربط التفكر بالهدف ٣٣٧
الضابط الرابع: التزام الفكر بالأخلاق الحسنة ٣٣٩
الضابط الخامس: تقديم الشرع علىٰ الآراء الفكرية ٣٤١
المبحث الثالث: وسائل التربية الفكرية ٣٤٧
أ- الوسائل البنائية ٣٤٨
أولًا: الدعوة إلىٰ النظر في مخلوقات الله ٣٤٨
ثانيًا: التفكر في الآيات القرآنية ٣٥٠
ثالثًا: توجيه النظر في حكمة التشريع وأسراره ٣٥١
رابعًا: التفكر في أحوال الأمم السابقة ٣٥٤
خامسًا: التدريب علىٰ حسن النقد والتمييز بين الحق والباطل ٣٥٦

سادسًا: الحوار وتبادل الآراء ٣٥٨
ب- الوسائل الوقائية ٣٦٠
أولًا: الحذر من مصاحبة أهل السوء والبلادة ٣٦٠
ثانيًا: تجنب التعصب والتقليد غير الواعي ٣٦٢
الفصل السادس: التربية الأخلاقية عند القاسمي ٣٦٥
المبحث الأول: مفهوم الأخلاق وأهميتها ٣٦٩
المطلب الأول: مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح ٣٦٩
أولًا: الأخلاق في اللغة ٣٦٩
ثانيًا: الأخلاق في الاصطلاح ٣٧١
المطلب الثاني: أهمية الأخلاق ٣٧٦
المبحث الثاني: قواعد وأصول الأخلاق ٣٨٥
المطلب الأول: القواعد الخلقية ٣٨٨
القاعدة الأولىٰ: الوحي مصدر الأخلاق ٣٨٨
القاعدة الثانية: اشتراط النية في العمل الخلقي ٣٩٣
القاعدة الثالثة: الأخلاق نتاج الفطرة والتنشئة ٣٩٥
القاعدة الرابعة: وسطيّة الأخلاق ٣٩٩
القاعدة الخامسة: الحكم الخلقي ٤٠٢
المطلب الثاني: أصول الأخلاق ٤٠٤
المبحث الثالث: وسائل التربية الأخلاقية ٤٠٩
أولًا: التدريب العملي والرياضة النفسية ٤١٠
ثانيًا: اتخاذ القدوة الحسنة ٤١٢
ثالثًا: مصاحبة الصالحين ٤١٥
رابعًا: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤١٧
خَامسًا: تطبيق العقوبات الشرعية ٤٢١
سادسًا: دراسة التاريخ ٤٢٣
الفصل السابع: التربية الجسمية عند القاسمي ٤٢٧

المبحث الأول: مفهوم التربية الجسمية ٤٣١
أولًا: الجسم في اللغة والاصطلاح ٤٣١
ثانيًا: مفهوم التربية الجسمية ٤٣٢
المبحث الثاني: الحاجات الجسمية ٤٣٥
أولًا: الحاجة إلىٰ التنفس (الهواء) ٤٣٨
ثانيًا: الحاجة إلىٰ الغذاء ٤٤٠
ثالثًا: الحاجة إلىٰ الزواج ٤٤٢
رابعًا: الحاجة إلىٰ الرياضة البدنية ٤٤٥
خامسًا: الحاجة إلىٰ اللعب ٤٤٨
سادسًا: الحاجة إلىٰ النوم ٤٥٠
سابعًا: الحاجة إلىٰ العلاج ٤٥٥
المبحث الثالث: آداب البناء الجسمي ٤٥٩
أولًا: آداب الأكل ٤٦٠
ثانيًا: آداب النوم ٤٧٤
ثالثًا: آداب قضاء الحاجة ٤٧٩
الفصل الثامن: التربية المهنية عند القاسمي ٤٨٣
المبحث الأول: مفهوم التربية المهنية ٤٨٧
أولًا: المهنة في اللغة ٤٨٧
ثانيًا: مفهوم التربية المهنية في الاصطلاح ٤٨٨
المبحث الثاني: أهمية العمل المهني ٤٩١
أولًا: ثناء الإسلام علىٰ العمل ٤٩٥
ثانيًا: اهتمام الأنبياء بالعمل ٤٩٧
ثالثًا: عناية الصحابة بالأعمال ٥٠٠
رابعًا: العمل وسيلة لكف النفس عن المسألة ٥٠١
خامسًا: سد حاجات المجتمع ٥٠٤

المبحث الثالث: أخلاقيات العمل المهني ٥٠٧
أولًا: استصحاب النية الحسنة عند العمل المهني ٥٠٨
ثانيًا: الأمانة ٥٠٩
ثالثًا: الإتقان ٥١٢
رابعًا: السماحة في التعامل ٥١٣
خامسًا: توخي الكسب الحلال ٥١٥
الخاتمة ٥١٩
أولًا: الخلاصة ٥٢١
ثانيًا: النتائج والتوصيات ٥٢٣
١- النتائج ٥٢٣
٢- التوصيات ٥٣٢
فهرس المصادر والمراجع ٥٣٩
فهرس الموضوعات ٥٦٨

❊ ❊ ❊

الإخراج الفني: حسام الدين قاسم
٠٠٢٠١٠٦٢٤٨٨٨٨٤